د. خزعل الماجدي

كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد

(المسارية والهرمسية والغنوصية في العصر الهلنستي)

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
المركز الثقافي العربي

مكتبة الفكر الجديد

الكتاب: **كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد**
تأليف: **د. خزعل الماجدي**
الطبعة الأولى، 2014
عدد الصفحات: 384
القياس: 17 × 24

ISBN: 978-9953-68-713-1

الناشر: **المركز الثقافي العربي**
الدار البيضاء ـ المغرب
ص.ب: 4006 (سيدنا) - 42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 303339 522 212+ - 307651 522 212+
فاكس: 305726 522 212+
Email: markaz.casablanca@gmail.com
بيروت ـ لبنان
ص.ب: 5158/ 113 - الحمراء - شارع جاندارك - بناية المقدسي
هاتف: 750507 1 961+ - 352826 1 961+
فاكس: 343701 1 961+
Email: cca_casa_bey@yahoo.com

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود
مؤسسة دراسات وأبحاث
www.mominoun.com

الرباط المدينة - ص.ب: 10596 - المملكة المغربية
هاتف: 730450 537 212+ - فاكس: 730408 537 212+
Email: info@mominoun.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن اتجاهات يتبنّاها المركز الثقافي العربي ومؤسسة مؤمنون بلا حدود.

الفهرس

المقدمة 11

الفصل الأول: تاريخ الحضارة الهلنستية 17

المبحث الأول :نشوء وتقسيم الإمبراطورية الإغريقية المقدونية (الهلنستية) 19

العصر الهلنستي (323-30 ق.م) 23

حروب خلفاء الإسكندر وتقسيم الإمبراطورية المقدونية (323-281 ق.م) 28

المبحث الثاني: الممالك الهلنستية 34

1. المملكة البطليمية (305-30 ق.م) 34

2. المملكة السلوقية (305-64 ق.م) 45

3. المملكة المقدونية (232-146 ق.م) 56

4. برجام (282-133 ق.م) 58

المبحث الثالث: العصر الرومانستي (30 ق.م - 323 م) 63

مصر الرومانية 64

الشام والعراق في ظل الحكم الروماني 67

الفصل الثاني: الاتجاهات الروحية الظاهرية في العصر الهلنستي
(دراسة في النظم اللاهوتية والأفكار الدينية الهلنستية) 73

المبحث الأول: العبادة الهلنستية 75

أنواع العبادة الهلنستية 75

التعددية 76
التفريدية 77
التوحيدية 78
أولاً: التوحيد الباطني 80
ثانياً: التوحيد الظاهري 81
المبحث الثاني: أشكال العبادة الهلنستية 82
1. عبادة الملوك 82
2. عبادة النجوم (القضاء والقدر) 93
3. عبادة الحظ 100
المبحث الثالث: المؤسسة الدينية الهلنستية 103
المعابد 103

الفصل الثالث: المثولوجيا الهلنستية 109
المبحث الأول: المثولوجيا الهلنستية في مصر 112
1. سرابيس 112
2. إيزيس 124
2. هاربوقراطيس 127
المبحث الثاني: الهلنستية الدينية في وادي الرافدين 128

الفصل الرابع: الفلسفة الهلنستية ودورها في التوحيد 133
المبحث الأول: العقائد الدينية الفلسفية 135
أولاً: الفلسفات العملية والأخلاقية 135
1. الأبيقورية 135
2. الرواقية 140

3. الشكّيّة 145
المبحث الثاني: الفلسفات الدينية الهيلينية المنشأ 150
1. التوحيد الفلسفي الأفلاطوني 150
2. الأفلاطونية الحديثة وإعادة إنتاج أفلاطون 161

الفصل الخامس: الاتجاهات الروحية الباطنية في العصر الهلنستي (المسارية والهرمسية والغنوصية كحاضنات للتوحيد) 175
المبحث الأول: الباطنية الهلنستية ونزعتها التوحيدية 177
المبحث الثاني: المسارية (المستيريا): ديانات الأسرار، الديانات الغامضة ... 182
الطقوس المسارية (المسارة) 183
مراحل المسارة 185
ديونسيوس/ باخوس 187
آتيس وسيبيل 198
أدونيس 203
إيزيس 205
مِثرا 207
المبحث الثالث: الهرمسية 211
هرمس (الإله، النبي، الحكيم) 212
الهرمسية الهلنستية 217
الفلسفة الدينية للهرمسية 222
1. الثيولوجيا (اللاهوت) 222
2. الكوزمولوجيا (علم الكون) 224
3. السايكولوجيا (النفس) 225
4. الإبستمولوجيا (علم المعرفة: العرفان الهرمسي) 227

مكتبة الفكر الجديد

المتون الهرمسية (الهرمسيات) 228
الفلسفة الهرمسية 230
العلوم الهرمسية 234
المبحث الرابع. الغنوصية 236
الغنوص وأصوله 237
الغنوصية وأصولها 240
مكونات الغنوصية 242
المبحث الخامس: تاريخ الغنوصية القديمة 249
1. الغنوصية العتيقة (الوثنية) 249
2. الغنوصية الهلنستية المبكرة 252
3. الغنوصية المسيحية في القرون الميلادية الأولى 252
4. المدارس الفكرية للغنوصية 255
5. الديانات الغنوصية 257
1. المندائية 258
2. المانوية 264

الفصل السادس: إعادة صياغة اليهودية في العصر الهلنستي
(من التفريد إلى التوحيد) 275
المبحث الأول: اليهودية من ديانة مشركة إلى ديانة تفريدية ثم توحيدية 277
1. اليهودية التي ظهرت في بابل أولاً 277
2. يهوا من الشرك إلى التفريد إلى التوحيد 279
3. الثنوية اليهودية 280
4. التوحيد الغنوصي المندائي 281

المبحث الثاني: الكتاب اليهودي المقدس (التناخ): الأسفار الداخلية والأسفار الخارجية 282
1. الترجمة السبعونية للتناخ (العهد القديم) 282
2. ظهور الأسفار اليهودية غير القانونية (أبوكريفا) 284
3. السيديبغرافا (الأسفار المنسوبة) 287
4. كتب قمران (مخطوطات البحر الميت) 289
5. الكتب المفقودة 292
المبحث الثالث: من اليهودية المحلية إلى اليهودية الهلنستية 294
1. المؤلفون اليهود الهلنستيون 295
أرستوبولس 295
فيلون الإسكندري (20 ق.م - 40 م) 296
يوسفيوس فلافيوس (38-100 م) 300
2. الهرمسية اليهودية 304
3. الغنوصية اليهودية 304
4. الأسّينيون 306

الفصل السابع: المسيحية كديانة غنوصية 309
المبحث الأول: الثقافة الهلنستية وولادة المسيحية من رحمها 311
1. المسيح كشخصية غنوصية 313
2. بولس الرسول والغنوصية 316
3. الأصل الغنوصي للرهبنة المسيحية 319
4. فرق الغنوصية المسيحية الأولى 320
5. الغنوصيون المسيحيون الأوائل (الكنيسة الغنوصية) 321
1. سايمون الساحر (حوالي 67 م) 321

مكتبة الفكر الجديد

2. دوسيثيوس (حوالي 70 م) 329
3. ميناندر (حوالي 80 م) 329
المبحث الثاني: الأناجيل المسيحية وتصنيفها 331
1. الأناجيل القانونية وماتبقى من الغنوصية فيها 331
2. أناجيل الجدل 334
3. الأناجيل غير القانونية والأناجيل المنسوبة 335
4. الأناجيل الضائعة 336
5. مخطوطات نجع حمادي: المكتبة الغنوصية 339
المبحث الثالث: الفلسفة الغنوصية 342
1. سرنثيوس (حوالي 100 م) 342
2. باسليدس (120-140 م) 344
3. فالنتينوس (100-160 م) 348
4. مرقيون (85-160 م) 361
5. بطليموس الغنوصي (140 م) 364
6. بار ديصان (ابن ديصان) (154-222 م) 365
ثورة المسيحية الرسمية (القويمة) على الغنوصية وتصفيتها 367

الفهارس 371
1. فهرس المراجع 373
2. فهرس مراجع لوحات الفصول 378
3. فهرس كتب المؤلف 380

المقدمة

تعودنا أن نمرَّ، ونحن نقرأ التاريخ القديم، على المرحلة الهلنستية كذيل مهمل للحضارة الهيلينية الإغريقية الكلاسيكية المعروفة، بحكم ما اكتسبناه من ثقافات صنفت المراحل التاريخية والحضارات إلى مركز وهامش وكانت تهتم بالمركز وتهمل الهامش، الأمر الذي ينطوي على مغالطة كبرى في نمط الثقافة التي تبنيناها دون فحص وعناية وتحولنا إلى سجناء خلف قضبانها التي وضعها لنا مؤرخون ومفكرون عقائديون من الطراز الأول، لم يكونوا أحراراً ذات يوم، بل هم أدوات موجهات دينية وسياسية كبرى ولا يحبون قول الحقيقة مطلقاً.

اليوم أحاول هنا، في كتابي هذا، أن أبحث في (الهامش) الهلنستي لأكتشف أن **أعظم تحول بشري في تاريخ الأديان قد حصل فيه، ألا وهو: التوحيد.** ولكي أعيد عليكم سرد الرواية الحقيقية التي طمرها عتاة رجال الأديان التوحيدية المعروفة في كيفية نشوء هذه الأديان ونشوء التوحيد.

لقد رووا لنا قصة أخرى تماماً أحالوا نصفها إلى الغيب وأجبرونا على الصمت ثم قصّوا وقطّعوا ومنتجوا نصفها الثاني وأجبرونا على قبولها كما هي، في حين أن الغبار مازال عالقاً على أيديهم التي دفنت الحقيقة تحت أرجلهم الواقفة على قبرها.

العصر الهلنستي، من وجهة نظري، هو أهم عصور التاريخ الجديرة بالبحث فرط ما أهمل وماجرت عليه من تشويهات وما حصل فيه من أهوال تخصّ حاضرنا ومستقبلنا البشري أكثر من أي عصر آخر من عصور التاريخ.

تاريخ الأديان لا يتوقف عند دين معين فهو متواصل ومتدرج ومتطور، وكما ظهرت أديان في العصور القديمة والوسيطة والحديثة فستظهر أديان جديدة في

مكتبة الفكر الجديد

المستقبل. عرف الإنسان الدين منذ العصور الحجرية القديمة لكنه وضع أول نظام ديني متماسك في العصر السومري، حيث مكونات الدين الرئيسية والثانوية تترابط مع بعضها لكي تصنع ديناً متماسكاً، الذي كان بذرة الأديان القديمة والتي كان أغلبها أدياناً متعددة الآلهة تفرعت وتنوعت حسب البيئة الاجتماعية والحضارية التي كانت فيها، وفي التاريخ الوسيط ظهرت الأديان التوحيدية بقوة ووضوح، ومازالت هذه الأديان التوحيدية الوسيطة مع بعض الأديان القديمة المتبقية تتطور في التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر، فالدين مثل أي ظاهرة اجتماعية يتسم بالتطور والتغير حسب المعطيات التي تحيط به وتسيره رغم الثبات النسبي في مبادئه.

لطالما شغلتني مرحلة الانتقال من الأديان المتعددة الآلهة إلى الأديان الموحدة التي آمنت بإله واحد، وكنت أبحث عن الظروف الاجتماعية والروحية والثقافية التي سببت ذلك وعن الخطوات التفصيلية التي تدرجت ووصلت إلى التوحيد.

ولأنني من المؤمنين بالمنهج العلمي في معالجة الأديان وتاريخها فقد استبعدت كل الخوارق والمعجزات اللاهوتية التي تحيط ظهور تلك الأديان، وتمسكت بالأسباب العلمية الموضوعية والتي رسمتها لنا مناهج البحث العلمي بدقة متناهية.

كنت ومازلت أنظر إلى المرحلة الهلنستية في تاريخ البشرية (وهي المرحلة التي تلت وفاة الإسكندر المقدوني وانتهت بقيام الدولة البيزنطية أي ما بين (323 ق.م - 330 م)) بأنها المرحلة الحاسمة التي تمّ فيها التحوّل الكبير من الأديان المتعددة الآلهة إلى الأديان الموحدة، لكن الأمر لم يحدث بالبساطة التي نتصورها أو من خلال التاريخ الرسمي المعلن الذي نعرفه لهذه المرحلة كما تعلمناه أو قرأناه أو فرض علينا.

لقد اكتشفت أن هناك حلقة مفقودة بين أديان التعدد وأديان التوحيد شغلتها تيارات دينية غنوصية بشكل خاص، وكان معها تيارات مسارية وهرمسية، هي التي بدأت بالتوحيد الباطني العرفاني(الغنوصي) السريّ على طريقتها فانبثقت من حضورها المؤثر هذا التوحيدية اليهودية، ثم المسيحية وجاء الإسلام في أعقاب هذا التأثير في وقت متأخر نسبياً، ولكنه كان ضمن دائرة التأثير المباشر وغير المباشر لها.

إن هذه الحلقة المفقودة التي تجمع المسارية والهرمسية والغنوصية هي البادئة بفكرة التوحيد العرفاني الباطني الخالي من الوحي، والتي تحملت عناء الاصطدام مع كتلتين كبيرتين: الأولى هي كتلة الماضي الصلد للأديان التعددية، والثانية هي كتلة الأديان ذات التوحيد الظاهري الناشئة حديثاً والمؤمنة بالوحي والتي انتعشت بفضل المناخ الروحاني والفلسفي الذي أشاعته المرحلة الهلنستية. وبعد صراع طويل تمكن التوحيد الباطني من الانتصار على الأديان المشركة ولكنه فشل أمام الأديان التوحيدية الظاهرية الجديدة (غير العرفانية) التي أخذت التوحيد وجعلت منه شعاراً مميزاً وجعلته ظاهرياً لا باطنياً وأسبغت عليه صفة الوحي وهيئت له شرائع متزمتة أصبحت، مع الزمن، موجهة لعقائده وفازت بالتوحيد النهائي ولكنها دمرت كل تلك الجذور الأولى التي بدأها التوحيد العرفاني (الغنوصي) ودمرت كل ما يمت بصلة للتوحيد العرفاني الباطني الذي تسلقت عليه وظهرت من خلاله.

هذا الكتاب محاولة لمعرفة ما جرى ولكيفية ظهور التوحيد الباطني العرفاني الذي سبق التوحيد السماوي أو الإلهي أو الوحيي.

لن أستعرضَ، هنا، مضامين وفهرس الكتاب في هذه المقدمة بل سأحكيه، بإيجاز، مثل قصةٍ أو تاريخٍ قصصي لمسيرة الأديان وهي تنتقل من التعدد إلى التوحيد.

كانت منطقة الشرق الأدنى غارقةً في الأديان المتعددة الآلهة التي نشأت وتطورت منذ زمنٍ بعيد، فكل دين يتكون من آلهة بعضها أكثر أهمية وتداولاً من الآخر وبعضها ارتقى إلى مرحلة التفريد، التي هي أقل من التوحيد، حيث يبرز إله رئيسي واحد يصبح مركز المنظومة الإلهية وتدور حوله بقية الآلهة .. وقد ظهرت محاولات توحيدية هنا وهناك (مثل محاولة أخناتون في مصر ونبونائيد في بابل وزرادشت في فارس) لكنها لم تتحول إلى نظام شامل أو عالمي أو حتى إقليمي.

عندما اجتاح الإسكندر المقدوني الشرق صنع، لأول مرة في تاريخ البشرية، إمبراطورية عالمية تجمع الشرق والغرب، وكان قراره أن يهيئ بيئة واحدة تختلط فيها الثقافات والحضارات والأديان الشرقية والغربية. ورغم وفاته السريعة لكن الممالك

الهلنستية التي نتجت عن إمبراطوريته أكملت المهمة، فقد بقيت على مدى ثلاثة قرون في هذا المناخ العولمي، وحين حلّ الرومان مكان الإغريق في الشرق استمرت مهمة هيلنة الشرق الأدنى شرقية وغربية، وكانت الإمبراطورية الشرقية البيزنطية ثمرة الهلنستية بامتياز، فقد أصبحت المسيحية (التي هي ثمرة هلنستية) هي ديانة هذه الإمبراطورية (وثمرة الإمبراطورية الهلنستية)، وبثت الروح في منطقتها لألف عام قادم، فيما ذبل القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية، لخلوه من الهلنستية، وسقطت الإمبراطورية الرومانية بعد ما يقرب من القرن.

نرى أن المرحلة الهلنستية (بفترتيها الإغريقية والرومانية) والتي استمرت لحوالي ستة قرون فاعلة (ثم استمرت بطريقة أو بأخرى لزمن أطول من خلال الحضارة البيزنطية) كانت الرحم أو الحاضنة التي أنجبت الأديان التوحيدية، فبعد أن استقرت الهيمنة الحضارية للغرب على الشرق الأدنى، وأصبح هناك إمبراطورية عالمية واحدة وحاكم واحد ظهرت الحاجة إلى إله واحد، وهكذا استجابت الأديان القديمة التي أصابها الوهن والشيخوخة إلى مثل هذا التحدي، إذ لم يكن بالإمكان إنجاب حضارة جديدة شمولية فكان لا بد من إنجاب ديانةٍ أو عدة ديانات توحيدية شمولية (سماوية).

بدأت الأمور بإعادة صياغة الأديان الوثنية هلنستياً (توفيقياً) من خلال دمج آلهة غربية مع آلهة شرقية.

ثم حورت الفلسفات الهلنستية الجديدة (كالفيثاغورية الحديثة والأفلاطونية الحديثة) الإرث الفلسفي الهيليني الكلاسيكي وأعادت إنتاجهُ بصيغ جديدة. وكذلك فعلت الفلسفات العملية والأخلاقية (الأبقورية والرواقية والشكيّة).

وفي مثل هذا الجو من الحرية الفكرية والروحية تحركت التيارات الباطنية التي كانت كامنة تحت رماد الشرق والغرب معاً وظهرت الحركات الهرمسية والغنوصية والمسارية في الشرق الأدنى وصارت هي حلقة الوصل بين الشرك والتوحيد، بل صارت الرحم الحقيقي لولادة التوحيد.

حصل هذا، بشكلٍ أساس، في مراكز الثقافة الهلنستية الكبرى وهي الإسكندرية

وأنطاكيا وأفاميا والسامرة والجليل وسلوقيا وميسان وبابل، وترادفت بين صناعة أكاديمية وتيارات روحية وباطنية شعبية.

وهكذا انتقلت اليهودية من التفريد (وهو توحيد ملتبس) إلى التوحيد الصريح، ثم ظهرت المسيحية وهي تحمل تفريدها الخاص (الأقنوم التثليثي) ثم ظهر الإسلام بميله الشديد إلى التوحيد الخالص.

هذه الأديان الثلاثة ظهرت من أصول ومؤثرات هرمسية وغنوصية ومسارية ومن التأثر ببعضها وكانت نقلة فريدة من العالم القديم إلى العالم الوسيط وجواباً منسجماً مع إمبراطورية واحدة وإمبراطور واحد، إذ لابد من إله واحد أيضاً. ثم نشأت لها إمبراطوريات واحدة وإمبراطور واحد (باستثناء اليهودية التي حاولت ذلك ولكنها فشلت).

لكن الهاجس الباطني بقي في هذه الأديان الثلاثة رغم أنه أنجز مهمته وانتهى منها، ورغم أنها حاربتهُ عندما وقفت على أقدامها، وظهرت الحركات الباطنية الغنوصية والهلنستية والمسارية الطابع في هذه الأديان على شكل مذاهب وملل وفرق في شتى الأصعدة، وما زال الصراع بين هذه الأديان الظاهرية الثلاثة وباطنها الذي يغلي مستعراً حتى يومنا هذا.

هذه هي قضية التوحيد بعد أن كشفنا الحلقة المفقودة في ظهورها وهي الحلقة الباطنية (المسارية الهرمسية الغنوصية) والتي تعمدت الأديان التوحيدية طمرها وإخفاءها وقطعها.

الكتاب يلقي الضوء على اللحظة التاريخية الحرجة التي ترجرجت فيها عقائد الشرق والغرب القديمة واختضّت لينتج عنها التوحيد والديانات التوحيدية.

وهي وجهة نظر علمية وليست أيديولوجية لأنها ترصد ما حدث من الواقع، وليس من العقل، وتحلل الطرق التي سلكتها عقائد التوحيد الباطنية الأولى قبل أن تتحول إلى أديان توحيدية ظاهرية.

الكتاب يحاول كشف حُجب هذه المرحلة والحديث بصراحة عن الأصول الباطنية لأديان التوحيد، وهي أصول باطنية كانت تنام تحت الأديان الوثنية أيضاً.. ولكنها انفجرت بقوة بثلاثة قرون قبل الميلاد وبثلاثة بعده، وهي الفترة الهلنستية التي

يعالجها أغلب المفكرين بعجالة أو بأكاديمية باردة ويطمرها المتدينون اليهود والمسيحيون بشكلٍ خاص.

ما نراه أن هذه المرحلة بحاجة لمزيد من البحث العلمي الدقيق والمحايد والحديث، دون منهجية عقائدية، لمعرفة ما حصل بالضبط فهو الطريق الأفضل لتلمس التطور الروحي للإنسان والطريق الأفضل لفهم الحقيقة دون موجهات عقائدية دينية بوجه خاص.

د. خزعل الماجدي
دكتوراه تاريخ قديم
دكتوراه فلسفة أديان قديمة
9/ 4/ 2013
khazalmaijdi@yahoo.com

الفصل الأول

تاريخ الحضارة الهلنستية

الإسكندر

مكتبة
الفكر الجديد

المبحث الأول
نشوء وتقسيم الإمبراطورية الإغريقية المقدونية (الهلنستية)

كلما اقترب الغرب من الشرق أو اقترب الشرق من الغرب عادت بنا الذاكرة إلى (العصر الهلنستي)، وكلما ارتفع هاجس العولمة أو الأممية أو الكوزموبوليتية تذكرنا ذلك العصر، باعتباره أول عصر حاول دمج الشرق بالغرب في بوتقة حضارية واحدة.

ولسنا من القائلين بفشل تلك المحاولة أو بالتركيز على جوانبها السلبية باعتبارها نوعاً من الاستعمار الاستيطاني، رغم صحة ذلك، لكننا ننظر دائماً إلى ثمارها ونتائجها المنظورة وغير المنظورة التي نرى بأنها قدّمت للحضارة البشرية الكثير ولعلّ أهم مآثرها أنها كانت، دون قصد مخطط منها، حاضنة الأديان الموحدّة الكبرى التي ظهرت، أولاً، في المشرق العربي بشكل خاص.

نرى، كما يرى الفريق الأكبر من المؤرخين، أن العصر الهلنستي هو العصر الذي يبدأ بعد وفاة الإسكندر المقدوني عام (323 ق.م) وينتهي عام (30 ق.م) عندما سقطت مملكة البطالمة على يد الرومان. ونشدد على اعتبار الفترة التي احتلت روما فيها الشرق الهلنستي مرحلة امتداد آخر للعصر الهلنستي من (30 ق.م – 330 م).

لكننا في الوقت ذاته نرى امتداد التقاليد الهلنستية بعد احتلال روما للعالم الهلنستي وظهور صيغة جديدة، لا على الشرق القديم قبل الهلنستي، بل على الشرق الهلنستي ذاته، فنحنُ نميل إلى اعتبار التاريخ الهلنستي متوقفاً على المستوى الكرونولوجي لكنه مستمر على المستوى الحضاري وإن بثوب جديد غير غريب عليه.

ومن أجل التوفيق بين التوقف الكرونولوجي والاستمرار الحضاري للعصر الهلنستي اهتدينا إلى وضع حلٍّ وسط معقول لهذه المعضلة يكمن في تقسيمنا للحضارة الهلنستية إلى مرحلتين هما:

1. العصر الهلنستي (Hellenistic Age) (323–30 ق.م)
2. العصر الرومانستي (Romanstic Age) (30 ق.م – 330 م)

CAMPAIGNS OF ALEXANDER THE GREAT

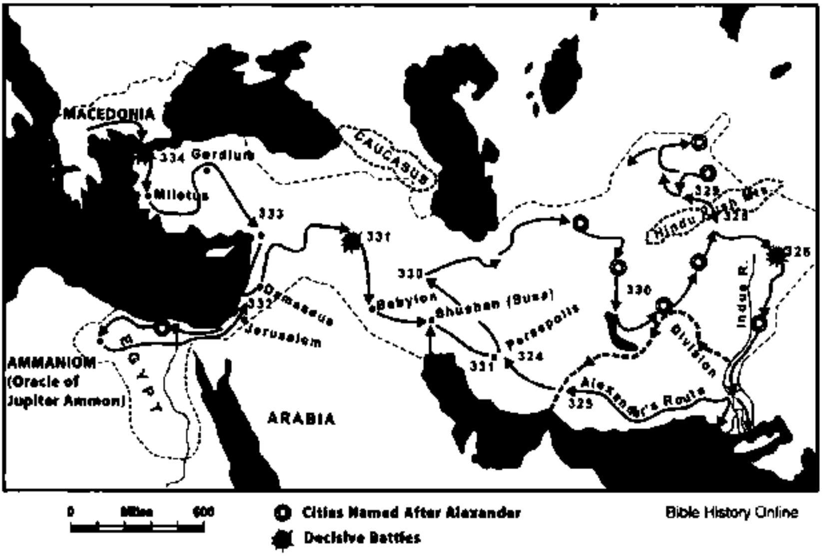

طريق غزوات الإسكندر الكبير
http://www.bible-history.com/maps/alexander_campaigns.html

وقد نحتنا هذا المصطلح (الرومانستي) قياساً على مصطلح (الهلنستي) لنربط بينهما ولنعني بـ (الرومانستي) هو ذلك العصر الذي سيطرت فيه روما على الشرق الهلنستي وخصوصاً غرب آسيا وشمال أفريقيا.

ورغم أننا ندرك الحرج في إطلاق مصطلح كهذا على هذه الفترة، لما يثيره من إشكالات، إلا أننا نرى ضرورة ذلك لكي ندلّ بمصطلح واحد على احتلال روما للشرق المتوسطي (الآسيوي والأفريقي)، ولكي نشير إلى استمرار الهلنستية بثوب روماني ليس غريباً عليها. فالحضارة الرومانية تأثرت كثيراً بالحضارة الهيلينية ونهلت منها وكانت مصدرها المباشر في الكثير من الجوانب. ولذلك فإنها عندما تتواصل معها في الشرق المتوسطي فأنها لا تشكل قطعاً فاصلاً بين عصرين غريبين بل هي امتداد لها.

العصر الرومانستي إذن هو عصر روما في الشرق ومحاولتها تكوين إمبراطورية

رومانية واحدة حول البحر المتوسط، تسود فيها تقاليد متشابهة وينصهر فيها الشرق مع الغرب رغم أنها كانت إمبراطورية مركزية، عاصمتها روما، مختلفة عن الإغريق الذين كوّنوا ممالك هلنستية منفصلة حكموها مباشرة وليس من أثينا أو مقدونيا أو إسبرطة.

الفرق واضح بين الهلنستية والرومانستية سياسياً وحضارياً، ولكن التشابه بينهما والامتداد بينهما واردٌ أيضاً بل لعلّه الغالب في ذلك.

ورغم أن المسيحة ودولتها البيزنطية هي ثمرة من ثمار العصر الهلنستي - الرومانستي، لكننا لا ندخل العصر البيزنطي في المرحلة الرومانستية أو كمرحلة ثالثة رغم لغته وطابعه الهيليني الإغريقي، لسبب بسيط وهو الاختلاف الجذري الذي أظهرته المسيحية في الحضارة البيزنطية، قياساً إلى التماثل الحاصل في الديانة الوثنية والعقائد السرية والفلسفية الذي بين العصرين الهلنستي والرومانستي، ثم إن الحضارة البيزنطية هي نتاج المرحلة الهلنستية والرومانستية ولكن بصفة مسيحية إمبراطورية.

إذا نظرنا إلى التاريخ الروماني لا يمكننا فصله إلى روماني وورومانستي، ولكن أليس غريباً أن يكون العصر الإمبراطوري الروماني مترافقاً مع العصر الرومانستي؟ فما نطلق عليه بالرومانستي هو بدء المرحلة الإمبراطورية الرومانية، وهو الجزء الأخير من تاريخها المعروف.

لكننا، إذا نظرنا إلى تاريخ الشرق فيمكننا القول إن الشرق المتوسطي مرّ، بعد سقوط الإمبراطورية الفارسية الإخمينية والظهور السريع للإمبراطورية المقدونية، بمرحلتين متجانستين نسبياً، هما المرحلة الهلنستية والمرحلة الرومانستية. أما المرحلة البيزنطية فيمكن اعتبارها مرحلة ثالثة، لكنها لا تتجانس حضارياً مع سابقتيها، بسبب ديانتها وحضارتها المسيحية بشكل خاص.

سنتناول بالتحليل العصر الكلاسيكي بعامة (الإغريقي الروماني) وسننظر، بصفة خاصة، إلى المرحلة الهلنستية بشقيها الإغريقي والروماني تضامناً مع حقيقة التجانس الذي عاشه الشرق الهلنستي في المرحلتين وما أفرزته عقائد الأديان والفكر والفلسفة من ظواهر كان لها الأثر الأكبر في صياغة عقائد المنطقة، وخصوصاً عقائد التوحيد التي نرى أن ظهورها في الحاضنة الكلاسيكية كان يحملُ معنى توحيد العالم في إله أو

دين عالمي واحد أيضاً، لقد أرادت الحضارة الكلاسيكية توحيد العالم سياسياً وحضارياً لكن الشرق رد عليها بتوحيد العالم دينياً. . وهكذا سرعان ما تفتتت السياسة والحضارة وانتصر الدين التوحيدي المسيحي وتسلق إلى أوروبا وغزاها بأكملها.

بسقوط الفراعنة وملوك بابل وآشور المؤلهين الذين ذاب الفرد في سطوتهم، وكذلك سقوط عرش الطاووس في فارس، تحرر الفرد في الشرق من الكبت، وذاق حلاوة الإبداع وحرية التفكير، ولم يعد يخاف لا من الكهنة -حراس العقائد- ولا من جبروت حكامه المؤلهين، فتحرر لأول مرة من نزعات السيطرة والاستبداد. (الناصري 1992: 103-104).

ويمكننا وصف العالم الهلنستي بأنه أول عالم جمع الشرق والغرب في ساحةٍ واحدة فانتشرت مادة الغرب في نسيج الشرق وانتشرت روح الشرق في جسد الغرب، «ويمثل هذا العصر من بعض النواحي مرحلتين من مراحل الحضارة، أثمرت في أولاهما العلوم والفلسفة والآداب وغيرها من مظاهر النشاط الفكري، في ظل عالم إغريقي- مقدوني مستقل. أما في المرحلة الثانية فقد نضب معين الإنتاج العقلي وقام الشرق في وجه الغرب. وحين كانت هذه الثورة تهدد العالم الإغريقي المقدوني انقضت روما على هذا العالم واستولت عليه وآلت إليها زعامة الحضارة الإغريقية». (نصحي 1967: 37-38).

لقد تظافرت ثلاثة تيارات باطنية في العصر الهلنستي هي (المسارية أي ديانات الأسرار والهرمسية والغنوصية) في تكوين (التوحيد الباطني) الذي سرعان ما هذّب التفريد اليهودي وجعله توحيداً، ثم أنتج المسيحية الأولى، لكن المسيحية تحولت من كنيسة غنوصية إلى كنيسة (قويمة)، وهكذا انتصر التيار الظاهري في التوحيد (اليهودي والمسيحي) وعمد أقطابه إلى تدمير الغنوصية والانتقام من دعاتها بحجة الهرطقة والخروج عن المسيحية القويمة.

إن العصر الرومانستي والبيئة الرومانستية هما الأساس الذي مهد لظهور الإمبراطورية البيزنطية، لأن شرق إمبراطورية روما هذا قد ورثَ التقاليد الهلنستية ثم الرومانستية التي جعلت من هذا الجزء من الإمبراطورية رخواً وقابلاً لاكتساب خصوصية دينية وحضارة جديدة خارج الإرث الروماني العتيد.

مكتبة الفكر الجديد

إن الرومانستية هي الجسر الذي سيربط بين الهلنستية والبيزنطية ودليلنا على هذا أن لغة الإمبراطورية البيزنطية هي اليونانية وأن إرثها الثقافي هو يوناني، أي إن النسغ اليوناني امتد داخل الشجرة الرومانية من الأرض الهلنستية إلى الثمار البيزنطية.

ولنلاحظ كذلك أن الدين المسيحي الذي هو روح الإمبراطورية البيزنطية، هو دين خلاصي، ذات جذور هلنستية غنوصية، تمكن أخيراً من تفكيك السجون الوثنية الرومانية والصعود بالجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية (الرومانستي) إلى مناخ جديد هو المناخ البيزنطي الذي أعاد الاعتبار للهيلينية والهلنستية واليونانية.

ربما كانت أجزاء الإمبراطورية الرومانية الشمالية والغربية أكثر تجانساً مع روما المركز أما الأجزاء الشرقية والجنوبية منها، فقد كان ينبض فيها عرقٌ هلنستي قوي يعطينا المسوّغ لأن نطلق عليه اسم الرومانستي لكي نميزه عن الإمبراطورية الرومانية من جهتها الشمالية والغربية، ولكي نجعله امتداداً للهلنستي من ناحيةٍ أخرى.

ولننظر إلى المفارقة الأخرى، فقد بدأ التاريخ الهلنستي في 323 ق.م، وهي سنة وفاة الإسكندر المقدوني وانتهى في 30 ق.م عندما سقط عرش كيلوباترا آخر الهلنستيين العظام وبداية الرومانستية، لكن التاريخ الرومانستي انتهى في 323 م عندما أعلن قسطنطين مسيحيته وانفصل بالإمبراطورية البيزنطية، وبين 323 ق.م و323 م سرٌّ غريب سيستمر لحوالي ستة قرون ونصف حدث فيها العجب العجاب.

العصر الهلنستي (323–30 ق.م)

لم تعد الهيلينية وحدها في إطار اليونان وبحر إيجة، فقد دخلت إلى الشرق ولم يعد بالإمكان وصفها بالهيلينية التي تعارفنا عليها ولذلك ظهر اصطلاح جديد سرعان ما دلّ على مزيج الإغريق والشرق ونعني به مصطلح العصر الهلنستي (Hellenistic).

والهلنستية كلمةٌ نحتها أحد العلماء الألمان (Hellenismus) من أصلها الإغريقي القديم، وتعني كلمة (Hellen) أي (الهيليني) أو (الإغريقي) نسبةً إلى هيلاس (Hellas) أي بلاد اليونان أو الإغريق. أما هيلنستي فمنحوتة من الفعل Hellenizo أي (هلينة) أو (هَلينَ) أو كما هو شائع في اللغات الأوروبية وأخذناها

عنهم (أغرقة) أي خلع الطابع الهيليني أو الإغريقي على هذا أو ذاك من الأشياء والأحياء، ولذلك يسمى بعض المؤرخين العرب المحدثين العصر الهلنستي بـ(العصر المتأغرق) ويتحدثون عن الشرق المتأغرق (برنال 1997: 39).

معركة إيسوس التي انتصر فيها الإسكندر المقدوني على الإمبراطور الفارسي دارا الثالث 323 ق.م مصورة في موزائيك رسمه فيلوكسنوس الإرتيري (Philoxenus of Eretria)

وهناك تباين في تحديد زمن هذا العصر «ويختلف العلماء حول مدته وطبيعته فبعضهم يرى أنه يبدأ من وفاة الإسكندر المقدوني وينتهي بموقعة أكتيوم عام 31 ق.م، حيث سقطت آخر دولة هلنستية وهي دولة البطالمة. في حين يرى بعضهم الآخر أنه يمتد ليشمل تاريخ الرومان في الشرق حتى نهاية احتلال الرومان للشرق. والرأي الأرجح هو الأول لأن العصر الهلنستي معني بالإغريق واختلاطه بالشعوب الشرقية لا بالرومان. أما طبيعته فيرى بعضهم أنه عصر حضارة جديدة تتكون من عناصر إغريقية وشرقية ويرى بعضهم أنه عصر انتشار الحضارة الإغريقية بين الشرقيين ويرى بعضهم أنه لا يتعدى استمرار الحضارة الهيلينية القديمة على أسسها السالفة» (نصحي 1967: 37).

مكتبة الفكر الجديد

ما يهمنا هو الطبيعة المتجانسة للعصر الهلنستي، سواء كان إغريقياً أو رومانياً، لأن القاسم المشترك بين الثقافتين الإغريقية والرومانية هو الشرق الذي حكموه وتراثه الزاخر في مختلف القطاعات. ولعل اختلاف طبيعة الحكم من نظام دولة المدينة عند الإغريق إلى النظام الملكي عند الهلنستيين كان أيضاً عاملاً مهماً في اختلاف الحضارة الهيلينية عن الحضارة الهلنستية.

ويرى الدكتور صبحي إبراهيم أنه استمرار الحضارة الهيلينية القديمة على أسسها السالفة في جوهرها، لكنه داخلتها بعض العناصر الشرقية وانتشرت هذه الحضارة بين ربوع الشرق، ولم تعد مراكزها الرئيسية في بلاد الإغريق القديمة، وإنما في عواصم الممالك الجديدة التي أنشأها خلفاء الإسكندر الأكبر على أنقاض الإمبراطورية المقدونية، فلا عجب إن وصفت الحضارة الهلنستية بأنها حضارة ملكية، والحضارة الهيلينية الكلاسيكية بأنها حضارة المدن الحرة (نصحي 1967: 37).

ومن الأمور السياسية والدينية المهمة التي بدأها الإسكندر وظهرت كفاتحة لعصر عالمي هو تأثره بمركزية الفرعون في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية في مصر وتبنيه لفكرة كونه ابن الإله رع وبكونه الإله حورس، وهذا يعني أنه يجب أن يرسّخ نفسه حاكماً في الشرق عموماً وفق التقاليد الشرقية وليس وفق التقاليد اليونانية، وقد تحقق هذا فعلاً، حيث نصب اللإسكندر نفسه كفرعون لمصر «على أساس هذا الحق الإلهي. «فالآثار التي تشير إلى هذا التنصيب تظهر لنا هذا العنصر الإلهي بشكل واضح. فهو «ابن رع» وهو بصفته ملكاً للوجهين القبلي والبحري «حبيب آمون والمقرب إلى رع»، وهو «حورس» الأمير القوي وحامي مصر. حقيقة إن كهنة آمون كانوا يضفون هذه الألقاب على كل من يصبح فرعوناً لمصر، ولم يختصوا بها الإسكندر لذاته، وكذلك ربما لم يؤمن الإسكندر إطلاقاً، أو لم يؤمن إيماناً كاملاً، بصلته بالآلهة المذكورة بالشكل الذي ذكرت به. ولكن هناك حقيقة لا يمكن إلا أن تظل ثابتة من خلال هذه الشكوك: وهي أن الإسكندر قد قبل هذه الألقاب بصفة رسمية، وأكثر من هذا أنه قبلها وهو يعرف أن جنوده من المقدونيين واليونان لا بد أن يعلموا بذلك، وهذا أمر له أهميته في مجال تحديد النظرية كان الإسكندر يريد أن يقيم حكمه على أساسها، إذ لا يمكن بحال أن نقول إن

الإسكندر قبل ذلك لمجرد التماشي مع التقاليد السياسية في مصر فحسب» (يحيى 1978 : 72-73).

كان الإسكندر قد أسس لمركزية كوزموبوليتية جديدة اختلفت عن المركزيات الإمبراطورية الشرقية القديمة لأنه جمع هذه المرة الشرق مع الغرب لأول مرة في التاريخ، وقد نقل هذا الهاجس لقواده وورثة إمبراطوريته الذين كونوا الممالك الثلاثة الكبرى، بل نزعم أنه كان أساس التوجه الإمبراطوري المركزي الروماني لقيادة العالم القديم بعد قرون.

وكان زواج الإسكندر المقدوني مع ثمانين من ضباطه وقادته من نساء فارسيات وشرقيات دالةً رمزية على زواج الغرب والشرق فقد «أقيم الاحتفال في سوسا عام 334 ق.م وقد تزوج الإسكندر فيه من فتاتين فارسيتين بالإضافة إلى روكسانا التي كان قد سبق له الزواج بها، وهما: بارسين ابنة داريوس الكبرى بالإضافة إلى باريساتس (Parysatis) الابنة الصغرى لأخوس. وقد زوج هيفايستون ابنة أخرى لداريوس أما كراتيرس فقد زوجه أماسرين (Amasrine) ابنة عم بارسين زوجته. وتزوج برديكاس ابنة والي ميديا. كما زوج بطليموس حارسه الخاص ويومنينيس سكرتيره من ابنتي أرتابازوس: أرتكاما لواحد (Artonis) للآخر وقد بلغ عدد رفاقه الذين تزوجوا من فارسيات في هذا الحفل الذي أقيم طبقاً للتقاليد الفارسية ثمانين من القادة» (مكاوي 1999: 22).

كانت أهم مظاهر العصر الهلنستي في التعليم والثقافة والمكتبات، وهذا يشير إلى نقلة حضارية كبيرة تصبح فيها الثقافة، بكل أنواعها، مركزاً لاستقطاب اجتماعي وديني عريض ومحط تنافس بين المدن والحواضر الهلنستية.

شهد العصر الهلنستي انتشار المكتبات، وربما عرف العالم من قبل مكتبات شهيرة، مثل تلك المكتبة التي أقامها أرسطو في أثينا. إلا أن العصر الهلنستي شهد قيام مكتبات أخرى كثيرة، مثل مكتبات أنطاكية وبرجامة ورودس وأزمير، ولكن أعظم مكتبات العالم القديم، هي تلك المكتبة التي أقامها بطليموس الأول في الإسكندرية، وما لبث البطالمة أن أقاموا مكتبة أخرى في سيرابيوم الإسكندرية ارتبطت بالمكتبة الأم. وأسهمت هذه المكتبة بالإضافة إلى نشاط علماء مدرسة

الإسكندرية في جعل هذه المدينة عاصمة للعلم والثقافة في العالم، وتفوقت على مدينة أثينا العريقة. فيما عدا مجال الفلسفة، حيث احتفظت أثينا بمكانتها المعروفة في هذا المجال (فرح 2002: 41).

ويمتاز العصر الهلنستي بانتشار التسامح الديني والقومي بين الناس وانتشار روح الإخاء بينهم وصعود مركز المرأة في المجتمع والحكم وظهور الأندية الاجتماعية رغم زيادة المسافة بين طبقتي الأثرياء والفقراء.

ويمثل العالم الهلنستي أول ظهور لفكرة العولمة ووجود عالم واحد هو الأيوكومين (Oikoumene) وهو عالم يشترك فيه البشر المتحضرين ومن أجله وجدت لغة مشتركة (Koine) ساعدت على التقريب بين عناصر هذا العالم، فقد أخذ المتعلمون في كل مكان يستعملون لهجة أتيكا التي نشأت منها تدريجياً اللغة الإغريقية الهلنستية، تلك اللغة التي كتبت بها التوراة الجديدة، وإذا كانت اللهجات المحلية بقيت مدة طويلة في بعض الأنحاء فأنه لم يأت القرن الأول حتى كانت «اللغة المشتركة مستعملة في كل مكان» (نصحي 1967: 38).

لقد تغير الشرقي والإغريقي معاً، فالشرقي شعر بطعم الحرية وسقط عن أفقه الحاكم المستبد وانفتحت أمامه آفاق الحرية والتفكير الحر.

أما بالنسبة إلى الإغريقي المهاجر إلى الشرق، فقد ترك وراءه عقد المدينة وصرامتها، والتي كانت تقيد حرية الفرد، وتفرض عليه أفكاره ومعتقداته، فلم يعد سجيناً لفلسفة المدينة السياسية والأخلاقية، ووجد نفسه في مدن الشرق وحواضره الجديدة حراً، ينعم بالحرية الشخصية، وحرية الإبداع والتعبير الذي لا يعرف حدود، ولم تعد هناك موانع تحدد له حرية البحث العلمي، بعد أن هجر السياسة والتعصب وتعلم من مواطنيه الشرقيين أصول التسامح والتعايش، ولم يجد من يمنعه أو يصده من أن يعب من حضارة الشرق في كل جوانبها، ويتعلم من الذين كان يتعالى عليهم أجداده قديماً، ويلقبونهم بالبرابرة، فتطورت الحضارة الجديدة - الهلنستية كما أطلق عليها- وازدهرت مدارس الفلسفة في الشرق؛ هكذا تغير المهاجر الإغريقي عندما عاش في رحاب الشرق، فقد نسى عقد المدينة (Polis) الكلاسيكية، والتي كانت طوال تاريخها أتوناً للحرب، استنفذت طاقاته، ونسى النزعة العنصرية والاستعلاء

القومي؛ واستبدل ذلك بإحساس إنساني متدفق وحار، يدعو إلى محبة الإنسان والبشر والأخوة بين الناس، وتقديس السلام، لأنه السلوك الطبيعي للإنسان المتحضر، ووجد في تراث الشرق الفلسفي ضالته المنشودة، فراجت فلسفات التبشير بالمحبة من أجل تحقيق السعادة القصوى، والسلام والاستكانة للنفس البشرية. فظهرت كلمة Anthropos (أي الإنسان) ومشتقاتها، كما ترددت كلمة العالمية (Cosmopolitanism)، وأصبح العالم المسكون هو العالم المتحضر، بل أصبح الإغريقي يتفاخر بأن هذا العالم المتحضر هو وطنه وليس مدينة متعصبة ضيقة الأفق، كما كان الحال قبل الإسكندر (الناصري 1992 : 103-104).

وتكاد هذه العولمة الأولى في التاريخ تشبه عصر العولمة الحالي (Globalization) الذي يستعمل اللغة الإنجليزية لتوحيد العالم معلوماتياً وعبر وسائل الاتصال الحديثة.

حروب خلفاء الإسكندر
وتقسيم الإمبراطورية المقدوينة (323-281 ق.م)

1. التقسيم الأول للإمبراطورية المقدونية (323-301 ق.م)

الإسكندر المقدوني (356-323 ق.م)

http://timesonline.typepad.com/dons_life/2009/07/was-alexander-the-great-a-slav.html

http://history-of-macedonia.com/2006/12/29/is-alexander-the-great-greek/

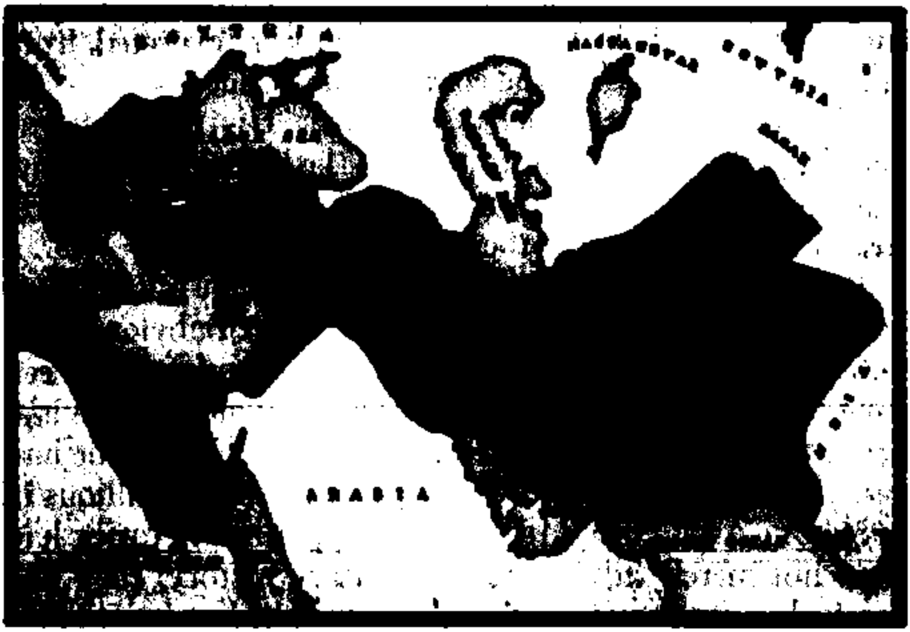

الإمبراطورية المقدونية بعد وفاة الإسكندر المقدوني/ في حدود 320 ق.م
http://alwaysproventrue.com/category/alexander-the-great

مات الإسكندر الأكبر في يونيو 323 ق.م بعد مرض مفاجئ قصير. وأدى اختفاء الإسكندر المفاجئ إلى إحداث اضطراب خطير في العالم القديم كلّه وفي بابل عاصمته، على وجه الخصوص، لقد أصبحت إمبراطورية الإسكندر فجأة بغير حاكم يسوس أمورها، ولم يدر في خلد أكثر المتفائلين إمكانية مواجهة الدولة لمثل هذه الكارثة وهي بعيدة عن الاستقرار فالإسكندر مازال شاباً تملؤه الحيوية لم يتوقف عن القتال أو الاستعداد للقتال منذ غادر بلاده في حملته الأسطورية في عام 334 ق.م، وقد أدت هذه الوضعية بالطبع إلى عدم استقرار الإسكندر في أي مكان أكثر من شهور ولم تسمح له ظروفه بأكثر من فتح أغلب العالم المعروف على عصره فلم يضع دستوراً للدولة، ولم يكوّن كوادر سياسية تقود البلاد في ظروف السلام، بل ولم يعيّن من يخلفه (مكاوي 1999: 25).

مؤتمر بابل: غداة موت الإسكندر عقد القادة الخلفاء (Diadochi) مؤتمراً في بابل ليبحثوا مشكلة ولاية العرش والحكم في الإمبراطورية المقدونية، وبعد

صراعات مريرة قرروا أن يرتقي الأخ الأحمق للإسكندر (أرهيدايوس) العرش تحت اسم فيليب والاعتراف بحق جنين زوجة الإسكندر إذا كان ذكراً في مشاركة فيليب العرش بمثابة شريك تحت الوصاية. ووزعت ولايات الإمبراطورية بين (14) قائداً من قادة الإسكندر على أن يكون (برديكاس) وصياً على العرش والقائد الأعلى.

حصل (بطليموس) على مصر وصار (أنتيباتروس) حاكم مقدونيا وبلاد اليونان موحدتين في عصبة كورنثا.

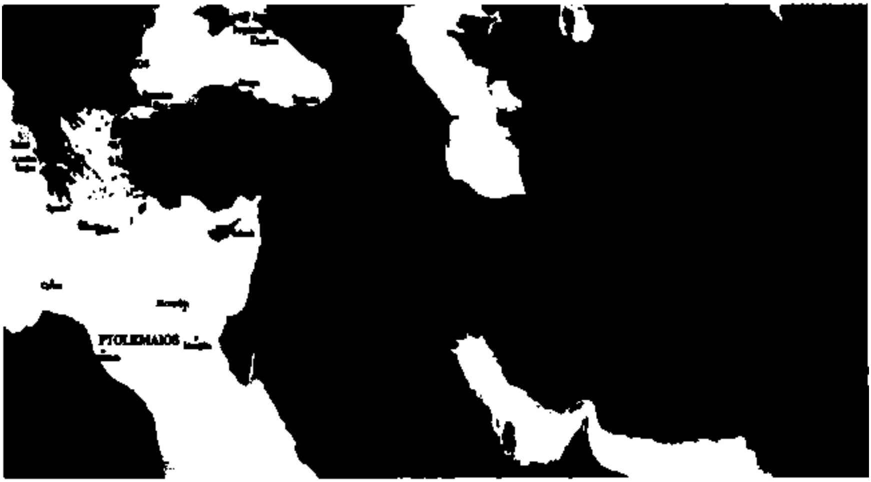

التقسيم الأول للإمبراطورية على يد القادة الحلفاء للإسكندر بعد وفاته في مؤتمر بابل.
http://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/f/f3/Diadoch.pn

الحلف المضاد لبرديكاس: كان بطليموس شخصاً طموحاً فقرر مواجهة برديكاس ونقل رفات الإسكندر إلى منف ثم الإسكندرية، وأخضع قورينا في ليبيا إلى سلطانه وعزل رئيس خزائن مصر وأعدمه (وكان موالياً لبرديكاس).

أما العالم الإغريقي فتحالف ضد برديكاس حين اتحد أنتيباتروس (مقدونيا واليونان) مع أنتيجونس (فريجيا وآسيا الصغرى) ولوسيماخوس (تراقيا) ثم انضم إليهم بطليموس. فما كان من برديكاس إلا مواجهة هذا الحلف فأرسل أحد قواده إلى آسيا الصغرى بينما توجه هو إلى مصر ليواجه بطليموس، ولكنه عجز عن عبور

النيل وتمرد عليه ضباطه بقيادة سلوقس فقتلوه عام 320 ق.م، وبذلك فشلت حملته بأسرها واجتمع القادة الحلفاء فأعطوا سلوقس ولاية بابل.

مقتل عائلة الإسكندر: توفي أنتباتروس وخلفه (أولمبياس) أحد قادة الإسكندر لكن (كاسندروس) ابن أنتباتروس انشق وبدأ يحرض ضده وانقسمت عائلة الإسكندر بين هذين القائدين. فناصرت أم الإسكندر أولمبياس وناصر أرهيداوس وزوجته كاسندروس، فقتلت أم الإسكندر أرهيداوس وزوجته، لكنّ كاسندروس قام بعد ذلك بسجن أم الإسكندر وروكسانا وطفلها ابن الإسكندر ليصبح ملك مقدونيا رسمياً ومعها بلاد اليونان، ثم قام أنتيجونس بقتلها مع ولدها.

حروب أنتيجونس: قضى أنتيجونس على يومنيس (قائد برديكاس) الذي احتل سوريا فأصبحت آسيا وبحر إيجة، كلها، لأنتيجونس.

واجتمع سلوقس وبطليموس وليسماخوس (تراقيا) وكاسندروس في حلف مضاد للحد من أطماع أنتيجونس الذي كان يريد السيطرة على كل الإمبراطورية ودخلوا في حرب معه دامت (14) سنة.

توجه أنتيجونس نحو مصر وحارب بطليموس ولكنه فشل عسكرياً فلجأ إلى حرب اقتصادية وفرض الحصار على مصر وفشل أيضاً. أما ابنه دمتيروس فقد توجه نحو بابل وفشل أيضاً في محاربة سلوقس. فقام أنتيجونس بعقد صلح من أعضاء هذا الحلف (باستثناء سلوقس لينفرد به).

انفرط هذا الصلح بسبب أطماع أنتيجونس وبطليموس فأعيد التحالف ضد أنتيجونس، وهكذا واجه الملوك الأربعة في (معركة الملوك) في أبسوس في فريجيا أنتجيونس وولده ديمتيروس عام 301 فقتل أنتيجونس وهرب ابنه إلى أفسوس.

2. التقسيم الثاني للإمبراطورية المقدونية (301-285 ق.م)

يعتبر عام 301 بداية عهد جديد فقد انحلت إمبراطورية الإسكندر، ولم يعد هناك أمل يرجى في إحيائها ثانيةً، واجتمع القادة المنتصرون ليعيدوا تقسيم الإمبراطورية مرة ثانية فاقتسمتها أربع شخصيات عظيمة، هي: كاسندورس فه.

مقدونيا، وليسماخوس في تراقيا وآسيا الصغرى، وسلوقس في فارس وبابل وسوريا وبطليموس في مصر.

لكن ديميتريوس (ابن أنتيجونس) ما زال حياً وقد أدّى في هذه المرحلة دوراً كبيراً، فقد احتل عدة مدن ثم احتل مقدونيا بعد وفاة كاسندورس، لكنه وقع بعد ذلك أسيراً بيد سلوقس ومات وخلف ابنه (أنتيجونس الثاني) مكانه.

أما بطليموس فقد احتل سوريا للمرة الرابعة فطالبه سلوقس بالانسحاب منها، لكنه لم ينسحب.

التقسيم الثاني للإمبراطورية

http://ra226.net/hist/

مقتل سلوقس: طمع لوسيماخوس بعرش مقدونيا لكنّ سلوقس كان له بالمرصاد فقتله في معركةٍ وتقدم سلوقس نحو مقدونيا وحاول احتلالها. وفي هذه الأثناء قام بطليموس بتعيين ابنه الصغير (بطليموس الثاني) كولي للعهد فقام ابنه الأكبر (بطليموس الصاعقة) باللجوء إلى سلوقس ليساعده على أبيه وأخيه.

كان سلوقس على حافة نصر كبير لأنه سيدخل مقدونيا وعنده ابن بطليموس وتحت يده آسيا الصغرى وفارس وبابل، لكن بطليموس الصاعقة تنكر فجأةً

لسلوقس وقتله، وقبل الجنود بطليموس الصاعقة قائداً ونصبوه ملكاً على مقدونيا.

3. التقسيم الثالث (الأخير) للإمبراطورية المقدونية (285-277 ق.م)

لم يستتب الأمر لبطليموس الصاعقة فسرعان ما هاجمه البربر الكلت فقتلوه وقتلوا عدة ملوك بعده في محاولة لاحتلال مقدونيا واليونان وآسيا الصغرى لكن (أنتيجونس الثاني) ابن ديميتيروس ظهر فجأةً وعقد تحالفاً مع (أنطليوخس الأول) ابن سلوقس في فارس وسوريا وبابل وهزم البرابرة بنصر حاسم واتجه إلى مقدونيا ونصب نفسه ملكاً عليها عام 277 ق.م. وهكذا انقسمت الإمبراطورية المقدونية انقسامها الكبير الأخير على يد أبناء قادتها من خلفاء الإسكندر إلى ثلاثة أقسام استقرت في كلٍّ منها مملكة ورثها أبناء هؤلاء وهم:

1. الأسرة البطلمية في مصر - بطليموس الثاني
2. الأسرة السلوقية في آسيا - أنطيوخس الأول
3. الأسرة الأنتجونية في مقدونيا - أنتيجونس الثاني

وكان ملوك هذه الممالك الثلاث في مقتبل العمر وفي ظروف متشابهة.

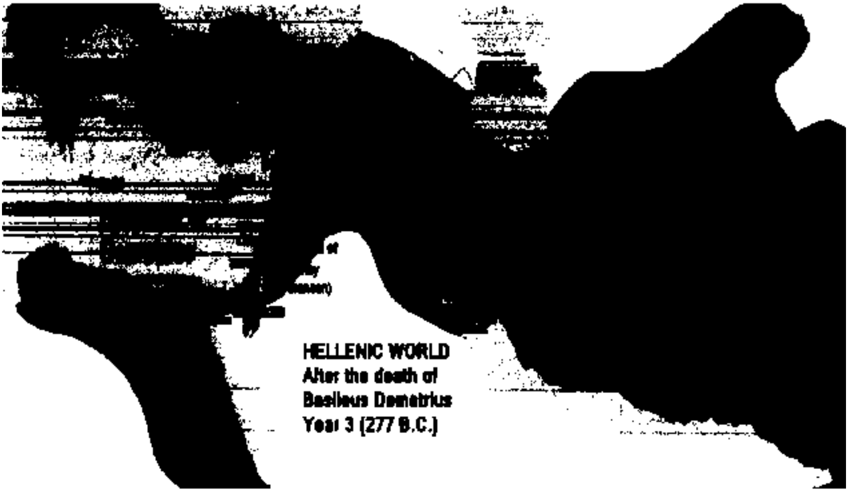

التقسيم الثالث للإمبراطورية حوالي 277 ق.م

http://alternatehistory.net/discussion/showthread.php?t=60801

المبحث الثاني
الممالك الهلنستية

1. المملكة البطليمية (305–30 ق.م)

حكمت أسرة البطالمة مصر وما حولها نسبياً (مثل برقة وسوريا وقبرص) لفترة تقل عن ثلاثة قرون. وظهر في الأسرة البطليمية خمسة عشر ملكاً تحت اسم بطليموس (من بطليموس الأول على بطليموس الخامس عشر) وأدّت زوجات ونساء البلاط البطلمي دوراً هاماً في الحياة السياسية والاجتماعية للبطالمة.

وفي ما يلي جدول بأسماء الملوك البطالمة وزوجاتهم ومدة حكمهم.

تسلسل	اسم الملك ولقبه	فترة حكمه (ق.م)	زوجاته
.1	بطليموس الأول (سوتر= المنقذ)	323–305 كحاكم 305–285 كملك	1. يوريديكي 2. برنيقي الأولى
.2	بطليموس الثاني (فيلادلفوس= المحب لأخته)	283–246	1. أرسنوي الأولى 2. ارسنوي الثانية
.3	بطليموس الثالث (يورجيتس= الخيّر)	246–221	برنيقي الثانية
.4	بطليموس الرابع (فيلوباتر= المحب لأبيه)	221–205	أرسنوي الثالثة
.5	بطليموس الخامس (ابيفانس= التجلي)	205–180	كيلوباترا الأولى
.6	بطليموس السادس (فيلوماتر= المحب لأمه)	180–145	كيلوباترا الثانية

مكتبة الفكر الجديد

.7	بطليموس السابع (نيوس فيلوباتر= الطفل المحب لأبيه)	145 (لمدة أشهر)	قُتِلَ وهو طفل
.8	بطليموس الثامن (يورجيتس الثاني فيسكون ويلقب بالطاغية)	116-145	1. كيلوباترا الثانية 2. كيلوباترا الثالثة
.9	بطليموس التاسع (سوتر الثاني) ويلقب بـ(لاثيروس = حمص)	116-107 الفترة الأولى 88-81 الفترة الثانية	1. كيلوباترا الرابعة 2. كيلوباترا الخامسة 3. برنيقي الثالثة
.10	بطليموس العاشر (الإسكندر الأول)	88-108	برنيقي الثالثة
.11	بطليموس الحادي عشر (الإسكندر الثاني)	80-81	برنيقي الثالثة
.12	بطليموس الثاني عشر (ديونسيوس الصغير)	51-80	كيلوباترا السادسة
.13	بطليموس الثالث عشر (ثيوس فيلوباتر 1)	47-51	كيلوباترا السابعة
.14	بطليموس الرابع عشر (ثيوس فيلوباتر 2)	44-47	كيلوباترا السابعة
.15	بطليموس الخامس عشر (قيصرون)	30-44	قُتِلَ وهو طفل

جدول ملوك الأسرة البطليمية

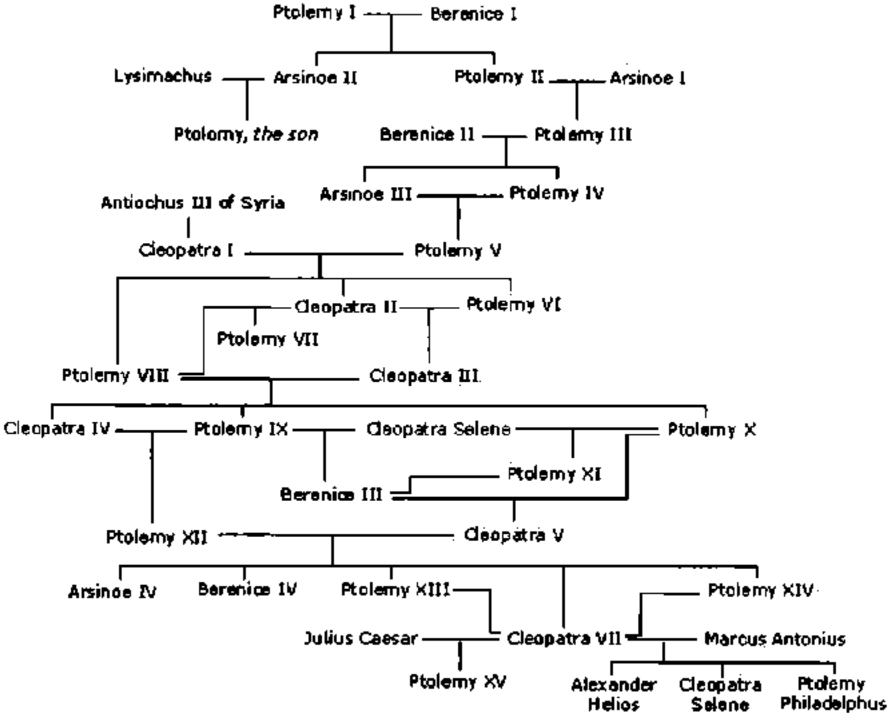

أنساب الأسرة البطلمية

http://www.absoluteastronomy.com/topics/Ptolemaic_dynasty

ويمكننا وضع مراحل الدولة البطليمية كما يلي:

1. مرحلة القوة: حكمها بطليموس 1، 2، 3

2. مرحلة الضعف وتنقسم إلى ثلاث فترات:

أ. فترة الحروب السورية وفقدان سوريا، حكمها بطليموس 4، 5، 6

ب. فترة الاضطرابات الداخلية، حكمها بطليموس 7، 8، 9

ج. فترة فقدان برقة وقبرص وحكمها بطليموس 10، 11، 12

3. مرحلة الاحتضار (مرحلة كيلوباتر 1) حكمها بطليموس 13، 14، 15 وعلى رأسهم كيلوباترا السابعة.

1. **مرحلة القوة**: تميزت المرحلة الأولى من تاريخ دولة البطالمة بالقوة والثبات وتأسست خلالها أعراف الدولة البطلمية الجديدة والغريبة التكوين فهناك قلّة إغريقية تمثل الطبقة الحاكمة وكثرة مصرية تمثل الطبقة المحكومة وعليهما التعايش والاستمرار لمدة طويلة. وقد بدأ حكم البطالمة ملكياً وليس ثيولوجياً كما كان في مصر الفرعونية.

لم يكن الحق الإلهي، إذن، أساساً لفكرة الحكم عند اليونان منذ أن عبروا مرحلة الحكم الملكي في تأريخهم المبكر، وباختفاء هذا الحق اختفت بالضوررة فكرة الحكم الفردي المركزي المطلق لتحل محلها فكرة الخكم الجماعي التي وصلت إلى ذروة نضوجها، في بعض المناطق اليونانية، في صورة الحكم الشعبي. حقيقة إن هذه لم تتحقق إلا على عدة مراحل، ولم تتخذ في كل الأحوال المستوى نفسه من النضوج في الدويلات اليونانية المختلفة، ولكنها وجدت بشكل ما في النهاية، والمهم في هذا أنها قضت على فكرة تركيز السلطات التي يمثلها الحكم الفردي لتحل محلها فكرة توزيع السلطات على القاعدة الشعبية وإن اختلف تقييم هذه القاعدة من دويلة إلى دويلة. (يحيى 1978: 47).

ويرجع السبب الرئيسي لقوة البطالمة إلى مؤسس الأسرة البطلمية بطليموس الأول الذي خرج بمصر بعد حروب الخلفاء قوية وحافظ عليها من الحروب والمعارك التي حصلت فقد وضع نصب عينيه منذ البداية أن تكون مصر هي دولته الوحيدة وأن يحيطها بأراضٍ تابعةٍ لها مثل سوريا وبرقة وقبرص. وقد عمل بطليموس الأول على ترسيخ ملوكيته على أساس إلهي، بعد أن كان والياً أو حاكماً لمصر لمدة 18 سنة، فقد وجد نفسه في مجتمع مصري كان يعتبر الملك الفرعون إلهاً وقد توّجَ هذا المجتمع الإسكندر ملكاً إلهاً، فلماذا لا يرسخ هو هذا التقليد أيضاً عن طريق فكرة (الحق الإلهي) ويجعل من نفسه إلهاً، وهكذا حمل بعد سنة 305 ق.م لقب الملك الإله ابن الإله.

وقد عمل بطليموس الأول على أغرقة الحكم في مصر «ومن أجل هذا اتخذ بطليموس سياسة ثابتة لتشجيع وتنظيم هجرة الإغريق إلى مصر، فمنح الجنود في جيشه قطعاً من الأرض يمكنهم أن يقيموا عليها ويستثمروها في وقت السلم.

وكذلك طبق مثل هذا النظام بالنسبة لموظفي الدولة خاصة وأن نظام المرتبات النظامية لم يكن ممارساً في ذلك الوقت» (العبادي 1981 : 47).

بطليموس الأول (سوتر) والثاني (فيلادلفيوس) على عملة نقدية
http://nl.wikipedia.org/wiki/Ptolemaeus_I_Soter

ولم يشجع بطليموس الأول على بناء المدن اليونانية لخوفه من استقلالها كما حصل في العصور الإغريقية تحت اسم (دولة المدينة) المستقلة. وكان الإسكندر قد وضع أساس فكرة الإله سرابيس وقام بطليموس بتوسيع هذه الفكرة فهو إله يجمع الإلهين المصريين القديمين (أوزوريس وأبيس) في شكل إغريقي أطلق عليه (سرابيس) ومثّل بصورة رجلٍ كث اللحية والشوارب والشعر وأنشئت له المعابد الكبيرة ليجمع الإغريق والمصريين في عبادة واحدة. وظهرت عبادة الملوك البطالمة بشكل رسمي.

أما بطليموس الثاني (فيلادلفوس)، فقد كان عصره عصر بذخ وترف ونعيم واشتهر هو بالمجون واهتم بالعمران فطوّر بناء متحف الإسكندرية (الموسيون) ومكتبة الإسكندرية وشغلها بكبار الشعراء والعلماء وأصبحت منذ عصره مكتبة الإسكندرية أعظم مكتبة في العالم القديم بأسره. ورغم أنه لم يكن صاحب نزعةٍ عسكرية إلا أنه خاض الحرب السورية الأولى والثانية واحتفظ بفلسطين وفينيقيا رغم

أنه خسر الثانية إلا أنه قايض الملك السلوقي أنطيوخس الثاني بتزويجه من ابنته برنيقي (حاملة المهر). وحاولت برقة الانفصال إلا أنها عادت إلى مصر في نهاية حكمه.

بطليمس الثاني (فيلادلفيوس) مع زوجته أرسنوي

بطليموس الثالث (يورجيتس الأول)

http://nl.wikipedia.org/wiki/Ptolemaeus_I_Soter

كان الموسيون أقرب إلى المعهد العلمي العالي للعلوم والثقافة والفنون، وكلمة موسيون تعني ربات الفنون الإغريقية التسع وهن:

1- كليو: ربة التاريخ

2- يوتيربي: ربة موسيقى الناي

3- ثاليا: ربة الملهاة

4- ميلفوميني: ربة المأساة

5- إيراتو: ربة الشعر الغنائي والأناشيد

6- تريفسيخورى: ربة الرقص

7- فوليمنيا: ربة فن التمثيل

8- كاليوبي: ربة الشعر البطولي (الملاحم)

9- يوراني: ربة الفلك

وربات الفن العذارى الأسطوريات هن بنات الإله «زيوس» و«منيموزين»- التي لا تنحدر من صلب الآلهة، وكانت الموسيقى إبداعاً يجمع بين فن الآلهة وفن البشر، وهي أيضاً ثمرة الإلهام الذي يمثله الإله «زيوس» والذاكرة التي تمثلها (منيموزين).

ولا شك في أن بطليموس الثالث (يورجيتس الأول) هو أكثر الملوك البطالمة رصانة وثقافة وعلماً وتمتعاً بالمثل الأخلاقية، ولم تكن نزعته عسكرية، وكان يحب الإصلاحات الداخلية وخاض حرباً واحدة هي الحرب السورية الثالثة وكسبها.

وكان يساعد المدن اليونانية في ثوراتها وحروبها ضد السيطرة المقدونية كما فعل في ثورة البلوبونيز، ولكنه لم يتطرف في عداء المقدونيين بعد أن انتصروا على الإسبارطيين، وأجرى في زمنه إصلاحاً على التقويم المصري بزيادة أيام النسيء الخمسة على الـ (360) يوماً الشمسية وزيادة يوم كل أربعة سنوات ليكون عدد أيام السنة 365 وربع يوم. واهتم بالحياة الدينية للمصريين واحترام معابدهم وآلهتهم.

2. **مرحلة الضعف**: بدأت مرحلة الضعف بفترة الفساد الذي نخر البلاط البطلمي فقد سيطرت البطانات الماجنة للملوك على سياسة البطالمة فغرق بطليموس الرابع في تهتك سوسبيوس وبطانته وتميز الحكم بالانحراف والمؤامرات والفتن والاغتيالات والمطامع. ورغم أن مصر كسبت الحرب السورية الرابعة في (معركة رفح) بسبب جهاد الفلاحين المصريين الذين تجندوا لاستعادة جوف سوريا إلى مصر بعد أن اكتسحه أنطيوخس الخامس، لكن البطالمة واجهوا حرباً داخلية ناقمة وثورات مضادة لهم. وبدأت تظهر على الساحة الدولية ثلاثة قوى فتية هي روما وفيليب الخامس (في الدولة المقدونية) وأنطيوخس الثالث في الدولة السلوقية ولم يكن بإمكان البطالمة، وهم يعيشون في فساد ونزق، مواجهة طموحات هذه القوى الثلاث وطمعهم بها.

واستمرت البطانات في عصر بطليموس الخامس وانتهت الحرب السورية الخامسة بانتصار السلوقيين وفقدان البطالمة لجنوب سوريا نهائياً وشهدت مصر أعنف الثورات الداخلية التي كان من نتائجها إلغاء الضرائب وصدور العفو العام عن الثوار وزيادة الاهتمام بمطالب المصريين المادية والروحية.

مكتبة الفكر الجديد

بطليموس الرابع (فيلوباتر)

بطليموس الخامس (إبيفانس)

بطليموس السادس (فيلوماتر)

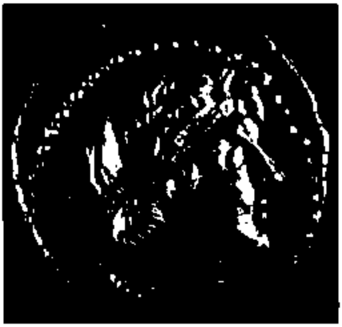

بطليموس الثامن (يورجيتس الثاني، فيسكون)

http://nl.wikipedia.org/wiki/Ptolemaeus_I_Soter

وبلغت الفتن الداخلية ذورتها في عصر بطليموس السادس حيث انشق البلاط إلى نصفين قسمٌ يواليه والقسم الآخر يوالي أخاه واستغل أنطيوخس الرابع هذه الظروف فغزا مصر وتدخل في سياستها حتى أجبرته روما على الخروج منها. ثم تورط بطليموس السادس في غزوه لسوريا وسلسلة التداعيات التي قتلته هناك، ثم انهيار البلاط البطلمي بتولي الطفل بطليموس السابع الملك ودخول عمه من برقة إلى مصر وتزوجه من أمه ثم قتله للطفل. وهكذا دخل البطالمة في عصر من الظلم والنفاق السياسي الذي أدى بهم في نهاية الأمر إلى فقدان برقة كما فقدوا جنوب

سوريا. واندلاع الثورات الداخلية وخلو العرش من الملك في فترة الاضطرابات (أمكسيا) وضلوع النساء وأمزجتهن العاطفية والسياسية في الحكم مثل (كيلوباترا الثانية والثالثة وثيا وتريفانا. . . إلخ).

بطليموس التاسع (سوتر الثاني)

بطليموس العاشر (الإسكندر الأول)

http://nl.wikipedia.org/wiki/Ptolemaeus_I_Soter

ومع مجيء بطليموس التاسع كان حكم النساء قد وصل إلى ذورته، وكانت أمه كيلوباترا الثالثة تغير الملك حسب مزاجها حتى أن فترة حكم بطليموس العاشر (ابنها) كانت مخزية تماماً ففقدت برقة، وسطى الملك على مقبرة الإسكندر واستولى على تابوته الذهبي. . .إلخ، وكذلك كان بطليموس الحادي عشر الذي قتل زوجته في اليوم التاسع من زواجها فانقض عليه الإسكندريون وقتلوه. . . حتى توّج الضعف بطليموس الثاني عشر (الزمّار) الذي كان ذيلاً لروما ولسياستها. وهكذا غرق البلاط البطلمي في المنازعات الأسرية ودمرّه الطمع والترف والظلم والقسوة حتى بدأ عرشه يتهاوى مع ظهور كيلوباترا السابعة التي أمسكت تداعيه قليلاً، لكن الانهيار كان محتوماً.

بطليموس الحادي عشر (الإسكندر الثاني) بطليموس الثاني عشر (ديونسيوس الصغير)

http://nl.wikipedia.org/wiki/Ptolemaeus_I_Soter

3. مرحلة الاحتضار: كان ظهور كيلوباترا السابعة (ابنة بطليموس الثاني عشر- الزمّار) بمثابة صحوة الموت للمملكة البطلمية، «فلم يشهد التاريخ امرأة تستخدم أنوثتها بهذه القوة وهذه المهارة كما استخدمتها ملكة مصر الجديدة كيلوباترا. فحين اعتلت العرش بعد وفاة والدها، كانت مصر دولة ضعيفة لا حول لها ولا قوة، قد فقدت جميع ممتلكاتها لروما، ولا يستقر لها ملك إلا بأعتراف روما ووجود جيش روماني يسنده في الإسكندرية، من مركز هذا الهوان الشديد خرجت كيلوباترا على العالم كامرأة سافرة بغير جيش أو مال وتقتحم معترك السياسة العالمية، فتواجه بشخصها المجرد أقوى دولة في العالم» (العبادي 1981: 99).

فبعد أن شاركت أخاها العرش وانشق عليها استعانت بيوليوس قيصر الذي وقع في شباكها، ولكن أخاها حاربهما في حرب الإسكندرية التي كادت تؤدي بقيصر إلى الهلاك وأحرقت ميناء الإسكندرية ومكتبتها وأنجبت من قيصر ولدها (قيصرون) الذي حملته وذهبت به على قيصر وكان آنذاك محاطاً بمؤامرة اغتياله، وفور موته عادت إلى الإسكندرية لتبدأ قصة حب جديدة وعنيفة مع أنطونيو الذي كان مسؤولاً عن

الممالك الشرقية لروما وأنجبت منه ثلاثة أبناء، فأعلن أنطونيو زواجه منها ووزع ممالكه بين عائلته الجديدة، فما كان من أوكتافيوس إلا التحريض عليه وجمع جيوش روما ليحاربه، والتقيا في معركة أكثيوم عام 31 ق.م وانتصر أوكتافيوس وقام بملاحقتها إلى مصر وفتح مصر وانتحر كلّ من أنطونيو وكيلوباترا في مشهدين مأساويين وقتل أوكتافيوس أبناءهما وأنطوت آخر صفحة من صفحات الدولة البطلمية.

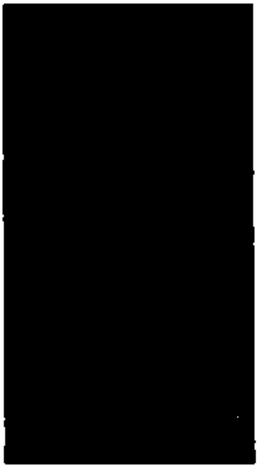

بطليموس 13 (ثيوس فيلوباتر 1)

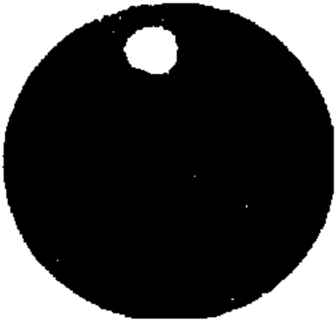

بطليموس 14 (ثيوس فيلوباتر 2)

http://nl.wikipedia.org/wiki/Ptolemaeus_I_Soter

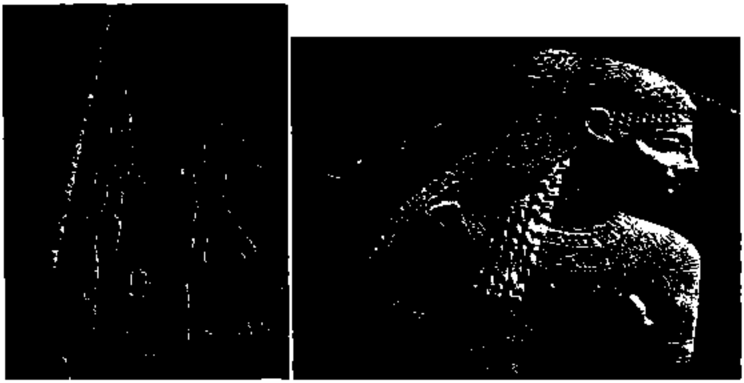

كليوباترا 7 (51-30 ق.م) كيلوباترا وابنها بطليموس 15 (قيصرون)

كيلوباترا كملكة فرعونية
http://ourpetclub.com/vb/t32779.html

وبسقوط البطالمة انتهى العصر الهلنستي وانتهت معه حضارة الإغريق كلها وورثت روما ذلك العالم المترامي الأطراف «لقد عملت روما على تغذية كل العوامل التي كان من شأنها أن تفضي على انحلال العالم الهلنستي، انحلالاً بطيئاً تدريجياً، وكذلك على إسراع إثر هذه العوامل. وفضلاً عن ذلك فإنها حالت دون انتشار الحضارة الهيلينية وتغلغلها في الشرق على نطاق أوسع مما وجدته عندما آل إليها آخر الأمر تراث الدول الهلنستية. وبعد ذلك بذلت ما في وسعها طيلة قرنين لتؤمن السلام في الشرق وتعيد صبغه بالصبغة الإغريقية» (نصحي 1967: 343).

2. المملكة السلوقية (305–64 ق.م)

حكم سلوقس أكبر جزءٍ من الإمبراطورية المقدوينة، وكانت مملكته تضمُّ معظم الشرق الآسيوي من الهند حتى مصر ومن آسيا الصغرى حتى جزيرة العرب. ولكن سعة المملكة هذه كانت عامل ضعف، إذ سرعان ما تفككت ولم يمض سوى

قرنٍ ونصف حتى بدأت بالانهيار والموت البطيء الذي استمر قرناً كاملاً ثم أصبحت لقمة سائغة ابتلعها الرومان. وتكاد العوامل ذاتها التي سببت نهاية البطالمة، هي التي سببت نهاية السلوقيين.

ويمكننا وضع الجدول الآتي للملوك السلوقيين:

التسلسل	اسم الملك	لقبه	مدة حكمه (ق.م)
1	سلوقس الأول	نيكاتور: المنتصر	311-305 كحاكم 305-281 كملك
2	أنطيوخس الأول	مونوفثالمس	281-261
3	أنطيوخس الثاني	جوناتوس	261-246
4	سلوقس الثاني	كالّينيكوس	246-225
5	سلوقس الثالث	كيرانيوس	225-223
6	أنطيوخس الثالث	ميغاس: الكبير	223-187
7	سلوقس الرابع	فيلوباتر: المحب لأبيه	187-175
8	أنطيوخس الرابع	ابيفانس: المتجلي	175-164
9	أنطيوخس الخامس	يوباتر	163-162
10	ديمتيريوس الأول	سوتر	162-150
11	الإسكندر الأول	بالاس	150-145
12	ديمتيريوس الثاني	نيكاتور	145-138
13	أنطيوخس السادس	أبيفانس: ديونيسوس الظاهر	145-142
14	ديوتوتس	تريفون	140-138
15	أنطيوخس السابع	سيديتس: الصيدوني	128-126
16	ديميتريوس الثاني	زابيناس	129-123
17	كليوباترا الأولى	ثيا	126-123

18	أنطيوخس الثامن	جريبوس	96-125
19	سلوقس الخامس	فيلوماتر: المحب لإمه	115-125
20	أنطيوخس التاسع	سزيكينوس	96-114
21	ديمتيريوس الثالث	إيوكاريوس، فيلوباتر	96-97
22	سلوقس السادس	أبيفانس نيكاتور: الظاهر المنتصر	94-96
23	انطيوخس العاشر	يوزيبس	88-94
24	أنطيوخس الحادي عشر	أبيفانس	92-95
25	فليبّوس الأول	فيلادلفيوس	75-95
26	أنطيوخس الثاني عشر	ديونيسيوس	82-87
27	تجرانس الثاني (الأرمني)	ملك أرمني محتل	69-74
28	أنطيوخس الثالث عشر	آسياتك: الآسيوي	64-69
29	فليبوس الثاني	فيلورمايوس	65-67

جدول الملوك السلوقيين

الأسرة السلوقية

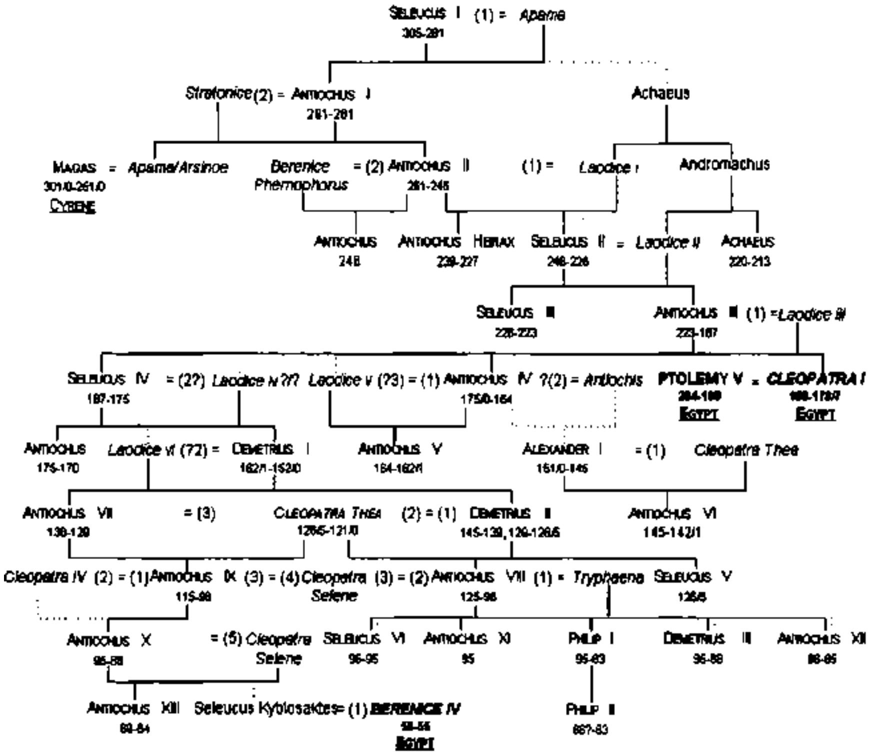

شجرة الأسرة السلوقية

http://www.oocities.org/christopherjbennett/ptolemies/affilates/aff_seleucids.htm

ويمكننا وضع المراحل الآتية لتاريخ السلوقيين:

1. مرحلة القوة: حكم فيها كلٌ من سلوقس 1 – أنطيوخس 1
أنطيوخس 2 – سلوقس 2
سلوقس 3 – أنطيوخس 3
سلوقس 4 – أنطيوخس 4

2. مرحلة الضعف: حكم فيها كلٌ من أنطيوخس 5 – ديمتيروس- الإسكندر بالاس – أنطيوخس 6 – أنطيوخس 7

3. مرحلة الاحتضار: أنطيوخس 9- أنطيوخس 13، الحرب الأهلية ونهاية المملكة السلوقية.

1. **مرحلة القوة**: ضمت المملكة السلوقية، عندما بدأ سلوقس بحكمها، ثقافات وحضارات شرقية أصيلة متنوعة مثل سومر وبابل وآشور وعيلام وفارس وآرام وكنعان وسوريا وفينيقيا وفلسطين وآسيا الصغرى والهند.

وقد ساعد هذا التنوع العرقي والثقافي والديني في المملكة السلوقية على ترسيخ نظام دولة المدينة الذي شاع في الإمبراطورية السلوقية، فقد اتفق هذا التنوع من تنوع المدن واستقلاليتها وهو، في ذاته، ظل العامل العميق الذي فكك المملكة بسهولة، في ما بعد.

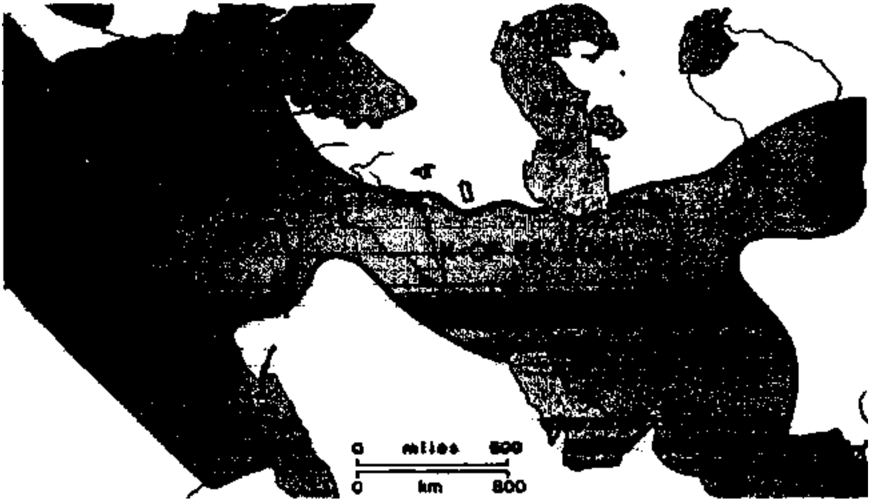

الإمبراطورية السلوقية

وإذا كان سلوقس الأول قد أسس المملكة ورسّخ نظامها وبنى عاصمتها الأولى سلوقية (جنوب شرق بغداد حالياً) لكنه سرعان ما بنى مدينة (أنطاكيا) شمال سوريا عاصمة، وكانت سياسته نشر الهيلينية لهذا شيّد أكثر من (16) مدينة تحمل اسم والده أنطيوخس (باسم أنطاكيا) و(9) مدن تحمل اسمه (سلوقية) و(5) مدن تحمل اسم أمه

(لاوديسا) منها (اللاذقية) و(3) مدن باسم زوجته (أباما) ومنها (أفاميا) في وسط سوريا على نهر العاصي. وبلغت عدد المدن التي أنشأها السلوقيين في سوريا فقط حوالي (36) مدينة، ويوّضح هذا منهجهم المعاكس للبطالمة في النظام السياسي والإداري.

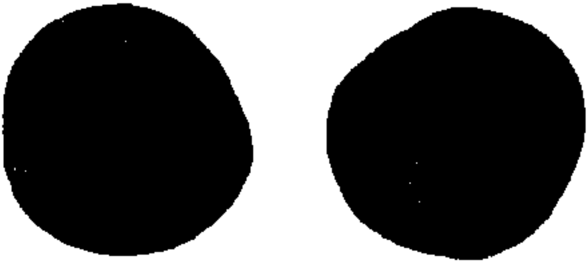

سلوقس الأول نيكاتور أنطيوخس الأول

وبدأت الحرب السورية الأولى مع مجيء ابنه أنطيوخس الأول فخسر جنوب سوريا. ثم خسر حربه مع برجام. أما أنطيوخس الثاني فقد دبّت في بلاطه فتن داخلية قتل على أثرهان وانشغل سلوقس الثاني بحرب مع أخيه (حرب الأخوين) وبدأت المملكة السلوقية تتدهور شيئاً فشيئاً، فقد انفصلت عنها باكتريا (250 ق.م) ثم بارثيا (247-235 ق.م) وأرمينيا (230 ق.م).

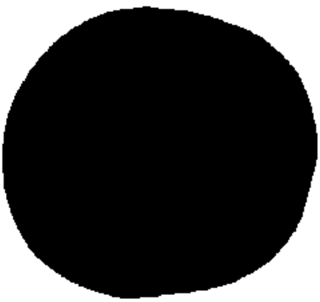

سلوقس الثاني (كالينكوس)

أنطيوخس الثالث (الكبير)

حاول أنطيوخس الثالث (الكبير) (223-187 ق.م) أن يعيد المجد لهذه الدولة لكنه صادف فشلين ذريعين في بداية حكمه في بابل وفلسطين فقد فشل في إخماد ثورة بابل وخسر الحرب السورية الرابعة في فلسطين في معركة رفح أمام البطالمة. ثم بدأ أنطيوخس الكبير بالرد على الهزائم التي تلقاها فاستعاد آسيا الصغرى ثم آسيا الوسطى حتى وصل على وادي السند واستعد للحرب السورية الخامسة أمام بطليموس الخامس ولم يأتِ عام 198 ق.م، حتى كانت مصر قد فقدت كلّ جوف سوريا نهائياً، وهكذا أعاد للدولة السلوقية امتدادها الأول.

لكن روما، وبمساندة مصر ومقدونيا جرّت انطيوخس إلى حرب كبيرة فبعد غزوه لآسيا الصغرى وبلاد اليونان ردت روما على انطيوخس بثلاث معارك كبيرة هي (مينيوس، ترمبولي، مغنيسيا) كان النصر فيها للرومان ثم جاءت معاهدة أباميا عام 188 ق.م، لتعيد أنطيوخس إلى حجمه، بل ولتحصره في زاوية ضيقة.

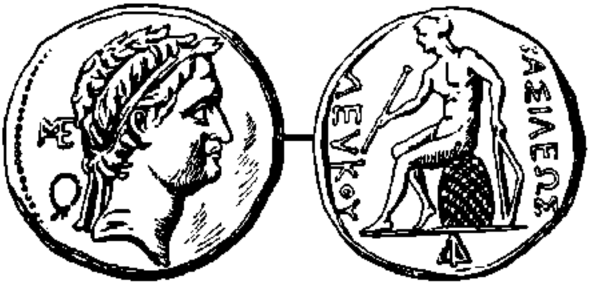

سلوقس الرابع (فيلوباتر)

وكان أنطيوخس الرابع (175-164 ق.م) آخر الملوك السلوقيين الأقوياء، فبرغم من كونه ورث مملكة ضعيفة مثقلة بالديون وتنتشر فيها بوادر الاستقلال التي كانت ترفعها الروح القومية لرعايا الإمبراطورية السلوقية الشرقيين مثل الأنباط والبارثيين والأرمن واليهود، لكنه رغم ذلك استطاع غزو مصر البطلمية وتوّج نفسه في منف ملكاً (مقلداً بذلك ما فعله الإسكندر المقدوني)، لكنه ما لبث أن انسحب من مصر تحت ضغط روما.

وقد أضاع أنطيوخس فرصة تاريخية للقضاء على روما عندما لم يساند مقدونيا التي واجهت روما لوحدها.. وما أن استولت روما على أول الممالك الهلنستية حتى بدت وكأنها ستفترس الثانية، وكانت تمهد لذلك وتبث سمومها لإضعاف المملكة السلوقية.

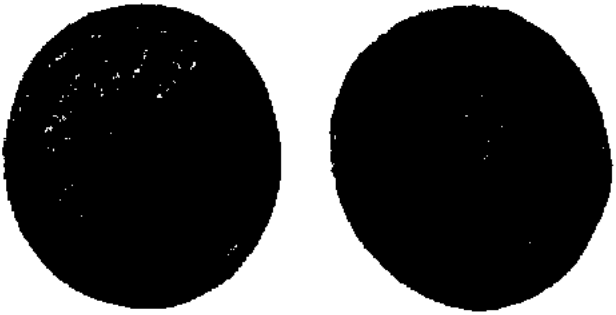

أنطيوخس السادس (ديونيسيوس)

2. **مرحلة الضعف**: برز اسم سلوقس الأول (312-280 ق.م) الملقب نيكاتور (المنتصر) حين استولى على أكبر أجزاء الإمبراطورية من حوضي السند وجيحون إلى شواطئ الشام الشمالية، وإن فشل في ضم آسيا الصغرى ومقدونيا، لكن هذه المملكة سرعان ما فقدت أجزاءها الشرقية كلها بالتدريج حتى انتهت دولةً لسوريا فقط.

حاول أنطيوخس الثالث الكبير (223-187) أحد أحفاد سلوقس أن يعيد المجد لهذه الدولة، فتوغل بالحروب حتى وادي السند واهتم بتجارة الجزيرة العربية يريد السيطرة عليها فردته الشواطئ الصعبة البعيدة.

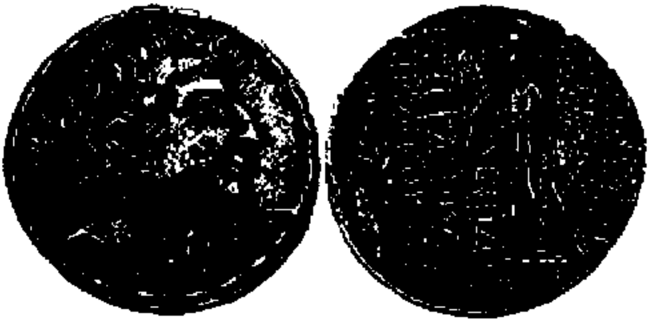

سلوقس السادس (إبيفانس نيكاتور)

وحارب البطالمة عشرين سنة حروباً طويلة ناجحة استعمل فيها الفيلة. كان موضوع الخصومة الدائم بين السلوقيين والبطالمة هو السيطرة على جنوب سوريا (سوريا المجوفة) التي كان الطرفان يريدانها لاستقرار خطوطهما التجارية، ولاتخاذ خطوط دفاع وتهديد، بالإضافة إلى غناها بالأخشاب والزيت وبعض المعادن. دارت من أجلها خمس حروب (276-200 ق.م) وانتهت بسيطرة البطالمة عليها بعض الوقت لكن السلوقيين عادوا في عهد أنطيوخس الرابع (175-164) فحاربوهم ودخلوا بلادهم حتى الإسكندرية سنة 169 ق.م.

في البدء كانت بابل هي العاصمة، ثم بنى سلوقس الأول مدينة أنطاكيا عاصمة للدولة. كانت سياسته نشر الهيلينية، لهذا شيّد أكثر من (16) مدينة مثلها تحمل اسم والده أنطيوخس. وتسع مدن تحمل اسم أمه لاوديسا (اللاذقية منها). وقد بلغت المدن التي أنشأها السلوقيون في سوريا وحدها 36 مدينة. وفي هذا ما يدل على التكاثر السكاني من جهة وعلى كثافة السكن الإغريقي وانفصاله عن السكان الأصليين من جهة ثانية.

كان نظام الحكم الذي طبقه السلوقيون يقوم على الجمع بين أساسين مختلفين، فمن جهة مبدأ الملكية الشرقية القديمة التي تعطي الملك السلطة المطلقة. ومن جهة أخرى نظام المدينة اليونانية في المدن التي تمّ إنشاؤها. فكان للدولة- المدينة (الإغريقية) مسارحها ومؤسساتها الدستورية واستقلالها الذاتي الذي يرفض التسلط الملكي. وكانت تسعى لزيادة هذا الاستقلال مستغلة حاجة السلوقيين للعمال. وقد

صارت منذ عهد أنطيوخوس الرابع (175-163 ق.م) حرة في سياستها وفي سك نقودها ولبعضها حصانتها الخاصة (مثل أرواد وصور وطرابلس وعسقلان) مما أضعف المملكة وجعلها خلايا مفككة. وفي الوقت الذي أضحت فيه هذه المدن أشبه بالجزر الحضارية الإغريقية ضمن بحر من الحضارة والعادات والتقاليد الشرقية القديمة.

احتفظ الريف بخاصة بطابعه الحضاري الكامل وصفاته الآرامية. وبينما كان سكان المدن اليونانية يتكلمون الإغريقية. كان السكان الأصليون والريف يتكلمون الآرامية أو الفينيقية وإن ظهر عدد كبير من الشعراء والكتاب والفلاسفة باليونانية.

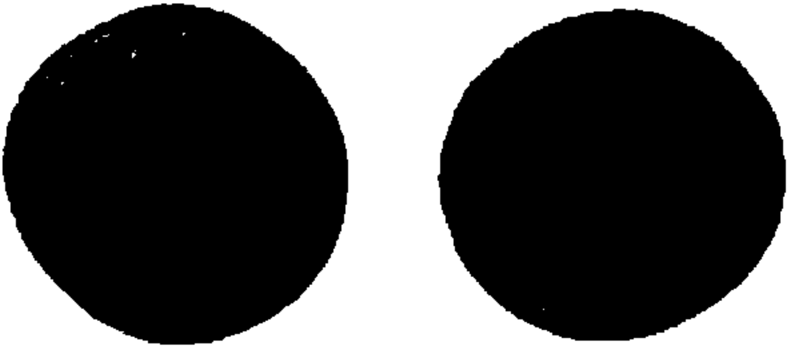

كيلوباترا الأولى (ثيا)

http://nl.wikipedia.org/wiki/Cleopatra_Thea

ورغم بقاء الهيلينية أجنبية في سوريا فالتمازج ترك أثره الواضح عمراناً وفنوناً وفكراً. ظهر من أهل البلاد كثير من رجال الفكر منهم زينون الصيداوي مؤسس الفلسفة الرواقية، وديودروس الصوري الفيلسوف الأرسطي، وبوسيدونس الأفامي، ومن الشعراء فيلوديموس ومليغر.

حين توفي أنطيوخس الرابع في أصفهان وورثه طفله الصغير أنطيوخس الخامس تحت وصاية رجلين متنافسين، كانت روما تحتفظ بديمتيروس (الابن الأكبر لسلوقس الرابع) الذي هرب واستولى على العرش. ولذلك ردت روما عليه باستقلال ميديا وإنشاء كيان يهودي باسم (دولة يهوديا) في قلب المملكة السلوقية ثم خلقت مطالباً

بالعرش السلوقي هو (بالاس) وساندته حتى استولى على الحكم.

وبدأ الضعف ينتشر في أوصال الدولة السلوقية ووصل طيش بالاس أن حاول اغتيال بطليموس السادس وهو الذي سانده وزوجه ابنته حتى انتهى بالاس بالموت على يد الأعراب. وتداعت سيناريوهات الضعف والترنح بين تراجيديا العواطف الصاعقة والزيجات الفاشلة ومؤامرات البلاط ومغامرات الملوك، فظهرت كيلوباترا ثيا التي أدارت الموت حول أعناق خمسة من ملوك السلوقينن أولهم بالاس وآخرهم ابنها الأكبر لكن ابنها الأصغر (أنطيوخس الثامن) جريبوس وضع حداً لها فقتلها قبل أن تقتله.

كانت المملكة السلوقية أثناء ذلك تتمزق وتتقطع أوصالها واستطاع (ميثريداتيس الأول) أن يستقل بالمملكة الفرثية الفارسية من البنجاب حتى بابل واستطاع الأنباط قتل الملك السلوقي (أنطيوخس العاشر) ديونسيوس وحرروا دمشق منه، ثم بدأت مجموعات من القبائل العربية بالتوغل في قلب الأراضي السلوقية وأنشأت دولاً محلية لها، مثل (بنو الأبجر في الرها و(اليطوريون) في لبنان و(عنجر) و(بنو شمس الكرام) في حمص. وعاد اليهود المكابيون لتكوين دولتهم وسعى هيركانوس وعائلته لذلك.

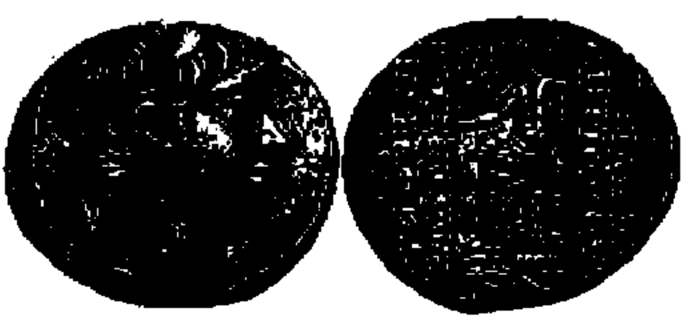

أنطخيوس العاشر (إيوسيبس فلوباتر)

وهكذا تفككت الإمبراطورية السلوقية إلى ممالك قومية صغيرة أو كبيرة وعصفت بها وبجيوشها المنازعات وكان البلاط الفاسد هو بؤرة هذا الضعف ،بدا كما لو أنه يتشبث بآخر قشّةٍ له في أنطاكيا العاصمة.

3. **مرحلة الانهيار**: جاءت الضربة الأولى الكبيرة للمملكة السلوقية من الأرمن عام 69 ق.م فقد اكتسحوا سوريا وأنشأوا حكومة فيها، لكن الرومان عزلوا هذه الحكومة فدبّت الفوضى في سوريا كلها.

وكان من الطبيعي أمام هذه الفوضى التي نشبت في المملكة السلوقية الجريحة الكسيرة أن تسقط تحت الضربة القاضية ليد القائد الروماني (بومبي) الذي احتل سوريا عام 64 ق.م وجعلها ولاية رومانية وأنهى بذلك حكم السلوقيين إلى الأبد بعد أن دامت مملكة لسلوقين حوالي قرنين ونصف.

3. المملكة المقدونية (232–146 ق.م)

كانت مقدونيا أصغر الممالك الهلنستية الثلاث من حيث المساحة والثروة وعدد السكان، لكنها تمتاز عن الدولتين الأخريتين بالترابط والتقاليد العسكرية والروح المعنوية وولاء المواطنين لحكامهم القوميين الذين حافظوا على التقاليد والنظم العسكرية التي وضعها فيليب الثاني وعمل الإسكندر الأكبر على تنظيمها وتنميتها.

ولو تتبعنا السلالات الحاكمة في مقدونيا من ظهورها التاريخي لوجدناها كما يلي:

1. السلالة الأرجية (نهاية القرن التاسع – 309 ق.م)
وأشهر ملوكها هو الإسكندر الكبير (الثالث)
2. السلالة المنافسة (309–301 ق.م)
3. سلالة أنتيباتر (302–277 ق.م)
4. الحكام المنافسون (294–279 ق.م)
5. مرحلة الفوضى (279–277 ق.م)
6. سلالة أنتيغون (277–168 ق.م)

أنتغونس جوناتاس: مدة حكمه (277–240 ق.م) مصور على قطعة نقدية فضية في بيلا عام 277 ق.م.

http://www.ebay.com/itm/ANTIGONOS-II-GONATAS-277-BC-AR-Tetradrachm-Pella-P-AN-ATHENA-Superb-/330789833458

كافحت مقدونيا من أجل الحفاظ على بحر إيجة. ولكن هذه الدولة لم تستطع الاحتفاظ إلا بتساليا والجزء الشرقي من بلاد الإغريق وتكونت عصبة ضدها بقيادة إسبرطة فهزمتها مقدونيا وأنشأت عصبة كبرى من أغلب بلاد الإغريق الوسطى والبلوبونيز بزعامة مقدونيا وبرز الملك فيليب الخامس الذي كانت له طموحات واسعة في آسيا الصغرى وسلوقيا والبطالمة وحتى روما.

كاسندر من سلالة أنتيباتر فليب الخامس (221–179 ق.م)

خاض فيليب الخامس الحرب المقدونية الأولى ضد روما بمساعدة القرطاجيين عام 214 ق.م، ولكن روما انتصرت عليه 205 ق.م.

وخاض الحرب المقدونية الثانية (200-197 ق.م) ضد روما وانتصرت عليه ثانيةً وخضعت مقدونيا إلى روما بعد معاهدة قاسية الشروط. ثم وضعت كل بلاد الإغريق كمنطقة نفوذ رومانية يتولون بأنفسهم تدبير شؤونهم على أن يثبت الإغريق أنهم حلفاء أوفياء يقفون في وجه أي اعتداء على روما. وقامت الحرب المقدونية الثالثة (171-168 ق.م) وانتصرت روما أيضاً وعندما حاول بروسياس بن فيليب الخامس ملك مقدونيا الاستقلال عن روما هزمته روما وقسمت مقدونيا إلى أربع جمهوريات. وأصبحت مقدونيا ولاية رومانية عام 146 ق.م بعدما نشبت الحرب بين الآخيين والإسبرطيين والتي انتصرت فيها روما على إسبرطة.

بعدها أخضعت روما بالتدريج جميع المدن اليونانية... وبذلك نستطيع القول إن الدور السياسي التاريخي الذي قامت به مقدونيا والمدن الإغريقية معها والذي استمر لأكثر من قرن ونصف القرن قد بدأ بالانتهاء تماماً في أرجاء البحر المتوسط. وحصلت المدن اليونانية على السلام الذي لم تعرفه في تاريخها، ولكنها فقدت استقلالها بصفة نهائية، وعلى الرغم من أن الرومان سيطروا سيطرة سياسية قوية على المدن اليونانية، وأدخلوها في دائرة التبعية الرومانية إلا أن الثقافة والحضارة اليونانيتين هما اللتان سيطرتا على جميع أرجاء الإمبراطورية الرومانية.

4. برجام (282-133 ق.م)

تشكل برجام (برجامون) مملكة أو دولة رابعة صغيرة فهي مدينة هلنستية متميزة في بلاد آسيا أصغرى استقلت عن المملكة السلوقية عام 262 ق.م. وتكون وضع سياسي وحضاري خاص بدولة المدينة هذه وسط تلاطم أمواج الممالك الهلنستية، وقد تأسست في برجام السلالة الأتالية (Attalid Dynasty) وتضم ستة من الملوك هم:

1. فليتاريوس (282-263 ق.م)
2. إيومينس الأول (263-241 ق.م)

3. أتالوس الأول (241–197 ق.م)
4. إيومينس الثاني (197–159 ق.م)
5. أتالوس الثاني (160–138 ق.م)
6. أتالوس الثالث (138–133 ق.م)

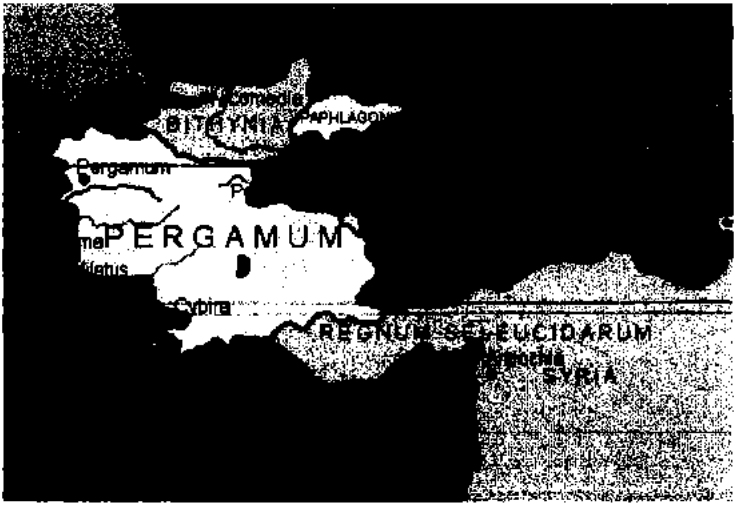

برجام

http://fkserv.ugent.be/vgkflwi/vgkforum/viewtopic.php?f=16&t=575&start=15

بقايا برجام

http://etc.usf.edu/clipart/19400/19461/pergamum_19461.htm

وقد استطاع أتالوس الأول أحد ملوكها أن يصد هجمات الغاليين الذين وصلوا إلى أسوار مدينته، ووقف بوجه السلوقيين ومن وقفوا معهم من أبناء جلدته.

ولم يتوقف أتالوس عند هذا الحد، بل قرر أن يعاقب الأمير الخائن هيراكس، فلاقاه وألحق به ثلاثة هزائم متتالية، انتهت بانتزاع ساحل فريجيا وليديا، وهما من أغنى مناطق آسيا الصغرى، وذلك خلال عامي 230–228 ق.م، وبذلك وضعت مملكة برجامون الوليدة لنفسها حدوداً ثابتة على حساب الإمبراطورية السلوقية، كما أن هذا الانتصار حوّل هذه المملكة الصغيرة إلى محط إعجاب واحترام الإغريق، وبدأ أتالوس يعيد بناء مدينته ويحيطها بكل مظاهر الحضارة الإغريقية، لكي ينافس بها مدينة الإسكندرية وأنطاكية، ولكي يظهر بمظهر الزعيم الروحي المنقذ للحضارة الإغريقية من جحافل البرابرة، والذي لا شك فيه أن البطالمة وقفوا إلى جانب أتالوس، وأمدوه بالمساعدات، فقد كان هدفهم فضح ملوك الأسرة السلوقية أمام عيون العالم الإغريقي، وإظهارهم بمظهر الخونة المتعاونين مع البرابرة الجلاتيين، ومع العنصر الآرامي والفارسي ضد أشقائهم الإغريق. كما قصد البطالمة أيضاً إحراج الملك المقدوني أنتيجونوس جوناتاس الذي كان يدعى أنه حامي حما القومية الإغريقية، وذلك لأنه لم يحرك ساكناً خلال هذا القتال، فقد كان حليفاً للأسرة السلوقية (الناصري 1992: 227).

وأصبح ابن أتالوس، في ضربة حظ مفاجئة، سيد آسيا الصغرى انطلاقاً من برجام عندما أعلن الرومان الحرب على أنطيوخس السلوقي، فما كان من وريثه (أتالوس الثاني) إلا التوصية بأن تكون برجام لروما وهو على فراش الموت خشية أن تقع فريسة بيد السلوقين أو غيرهم.

أصبحت برجام، خلال فترة استقلالها تنافس الإسكندرية على مركزها العلمي والفني والحضاري ونافست مكتبتها مكتبة الإسكندرية في عدد كتبها وفي لوحاتها المتميزة.

مكتبة الفكر الجديد

فليتاريوس مؤسس سلالة برجام الأتالية

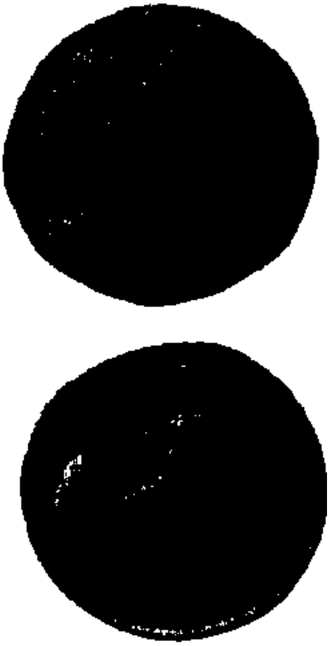

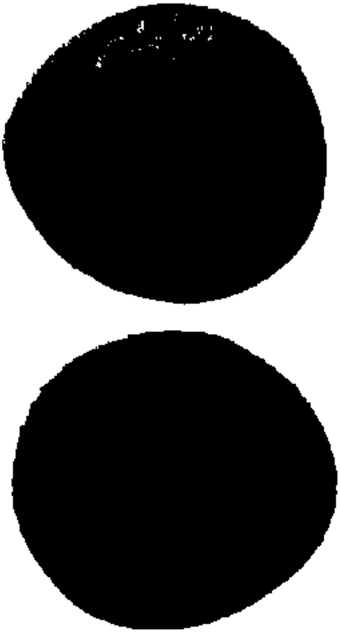

إيمانوس الأول

إيمانوس الثاني

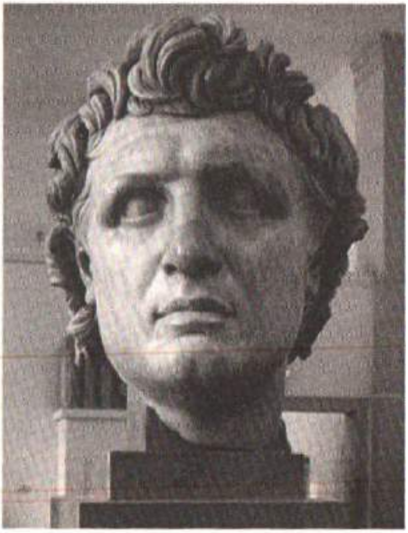

أتالوس الأول (المخلص)

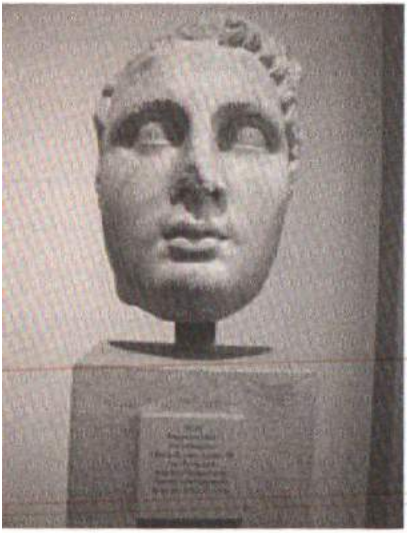

أتالوس الثاني (فيلادلفيوس)

مكتبة الفكر الجديد

المبحث الثالث
العصر الرومانستي (30 ق.م – 323 م)

انتهى التاريخ الرسمي للممالك الهلنستية في 30 ق.م بعد معركة أكثيوم عندما انتحر أنطونيو ثم كيلوباترا ودخل أوكتافيوس إلى مصر وأنهى آخر مملكة هلنستية باقية.

لكن الهلنستية كروحٍ وكطريقة في الشكل الحضاري استمرت تحت الخيمة الرومانية الرسمية، بل لعلّ الرومان أنفسهم أسهموا في إدامة هذه الروح من خلال الصلب اليوناني الذي يعشعش في شخصية الرومان الحضارية والثقافية والدينية.

ولذلك نسمي هذه الهلنستية المتخفية باسم (الرومانستية) تيمناً باسم الهلنستية والنحت الخاص بهذه التسمية، أي إننا لا نعني بالرومانستية رومنة العالم كله، فهذا حصل في مجمل أصقاع الإمبراطورية الرومانية، لكن المناطق الهلنستية السابقة ظلت تنبض بهذه الهلنستية في شكل روماني سميناه (الرومانستية)، وقد يغضب منا المؤرخون والمختصون بسبب هذا النحت الجديد لهذه التسمية ولأننا نعرف أسباب الغضب ودوافعه العلمية لذلك نحاول إثبات مصداقية تسميتنا هذه.

كان ضمّ مصر للجمهورية الرومانية بداية ظهور الإمبراطورية الرومانية على يد أوكتافيوس الذي سمي بـ (أغسطس) غازي مصر ومسقط المملكة البطلمية، كان هذا كله يحمل معان كثيرة منها أن نشاطاً جديداً سيدب في الهلنستية المتخفية تحت الأدمة الرومانية يشبه لحظة نشوء الهلنستية أيام الإسكندر وبعد وفاته، وكان هذا الضمّ الإمبراطوري المقدوني أولاً ثم القيصري- الأغسطي ضرورياً لتهيئة مخلاط كبير لعناصر الحضارات الغربية والشرقية، إذن، كان ضرورياً ظهور إمبراطورية ليتم الخلط على مهل وفي دعةٍ ولتكون هناك هلينة أو رومنة، المهم ظهور خليط جديد. . . ربما كان في أدق تسمياته (هلنستي).

كان لروما في تلك الفترة وظيفة قيادية في تاريخ العالم تحددت خطوطها، ففي الغرب أخذت على عاتقها توطيد دعائم القانون والمدنية بين شعوب الغرب البرابرة

مكتبة الفكر الجديد

على حين اقتصرت رسالتها في الشرق على المحافظة على بنيان المدنية الهلنستية التي تفوق مدنيتها، والتي أقامها الإسكندر وخلفاؤه في بلاد الشرق الأوسط (علاّم 1980 : 17).

ويمكننا تقسيم الجغرافيا الرومانستية في ضوء ما خلّفته الهلنستية اليونانية، فهناك:

1. مصر الرومانية التي ورثت مصر البطلمية
2. الشام الروماني الذي ورث الشام السلوقي
3. آسيا الصغرى الرومانية التي ورثت آسيا الصغرى الهلنستية
4. شمال أفريقيا الروماني

مصر الرومانية

فتح أوكتافيوس مصر عام 30 ق.م بعد انتحار أنطونيو وكيلوباترا وانتهى بذلك الحكم الإغريقي لمصر، لكن الهلنستية استمرت في مصر كولاية رومانية، وقد استغل الرومان ثروة مصر وسلبوها وقسموها إلى أكثر من ولاية وفرضوا اللغة اللاتينية عليها.

عندما قسمت الولايات الرومانية أصبح بعضها تابعاً للسناتو (مجلس الشيوخ الروماني) وبعضها الآخر تابعاً لأغسطس نفسه، فكانت مصر من نصيب القيصر الجديد.

لم تدخل الفلسفة في الإسكندرية أثناء عصر البطالمة لكنها مع الرومان دخلت إلى مكتبتها وجامعتها (موسيون)، «وربما كان لبدء انتشار المسيحية دخل في اتجاه السكندريين في هذا الوقت نحو الفلسفة ومن أشهر فلاسفة الإسكندرية كان فيلون اليهودي ثم أفلوطين والذي اعتبر مؤسس مذهب فلسفي جديد عرف باسم الأفلاطونية الحديثة» (الشيخ 1993 : 69).

كانت مصر لقرن من الزمان بعد الاحتلال الروماني تنعم بالهدوء والسلام الذي كان ينقطع أحياناً بسبب محاولات الغزو من جنوب مصر أو بسبب الثورات الشعبية أو الاحتكاك العنيف بين اليونانيين واليهود الذي كان ينشب كمعارك دامية حتى انتشـ

اليهود في دولة (يهوديا) وبعد سقوط مملكة هيرودوس، حيث حرم يهود الإسكندرية من الحماية ووقعوا تحت رحمة اليونانيين.

استمرت اللغة اليونانية في مصر كلغة رسمية واحتفظت الإدارات العليا بأسمائها اليونانية وتدار من قبل موظفين من اليونان أو المصريين الذين يتكلمون اللغة اليونانية.

أصبح كورنيليوس جالوس أول الولاة الرومان على مصر وقد واجه ثورة المصريين في طيبة ضد ظهور جباة الضرائب الرومان، وتنامى نفوذه في مصر حتى عزله أوكتافيوس فانتحر وتولى إليوس جالوس الولاية، وهو الذي قاد حملة على بلاد العرب لتأمين تجارة روما الشرقية ووصل إلى مأرب، لكن الحملة فشلت عسكرياً ثم نجحت حملة أخرى، ثم جاء جايوس بترونيوس الذي قاد حملة وهزم الأثيوبيين جنوب مصر.

وفي عهد الإمبراطور تبيريوس شهدت مصر حالة من الاستقرار وقام ابنه جرمانيكوس بزيارة مصر والإسكندرية.

وفي عهد الإمبراطور جايوس (كاليجولا) وقعت في مصر فتنة اليهود مع الإسكندريين واستمرت في عصر كلوديوس الذي قضى على هذه الفتنة، لكن الأمور لم تهدأ كلياً في مصر مع الأباطرة الذين جاءوا بعده.

كان عصر العائلة الفلافية عصراً شهد احترام الرومان للآلهة المصرية بعد تحفظهم إزاءها، فقد أظهر الإمبراطور تيتوس (79 م) احتراماً لعبادة الإلهة إيزيس وهي التي سك والده (فسباسيان) صورتها على العملة الرومانية وقدم تيتوس القرابين للعجل أبيس، ثم أعيد بناء معبد إيزيس في ساحة الإله مارس في قلب روما وأقيم في 94 م معبد الإله سرابيس.

وما بين (96–180) شهدت مصر عصر الازدهار تحت ظل الحكم الروماني رغم المجاعة واضطرابات اليهود في الإسكندرية. وكانت قد اندلعت حرب بين اليهود والإغريق في قورينائية، ثم تحولت ثورة عارمة لليهود ضد الإغريق في مصر وبرقة وقبرص والعراق وقام اليهود خلالها بأعمال تخريب كثيرة خصوصاً في مصر حتى أخمد الرومان هذه الفتنة عام 117 م.

حين تولى هادريان الإمبراطورية الرومانية شهدت الهلنستية انتعاشاً كبيراً لأنه كان محباً للحضارة الإغريقية فقد اعتنى بمكتبة ودار العلم (الموسيون) بالإسكندرية وزارها، ثم حصلت ثورة الكاهن المصري (إيزيدور) ضد ماركوس أوربليوس الذي خمدها وزار مصر.

زار الإمبراطور هادريان مصر وكان محباً للثقافة الهيلينية (Philhellene) وبعد زيارته انبعثت حركة إحياء لأسلوب الحياة الإغريقية حيث أنشأ الإمبراطور مستعمرة إغريقية جديدة في صعيد مصر سماها (أنطونيوس) تخليداً لذكرى صديقه (أنطونين) فبعث فيها الروح والفن الإغريقيين.

شهد القرن الميلادي الثالث حالة اضطراب في أوضاع مصر رغم أن سيفيريوس زار مصر وبقي فيها عاماً كاملاً وأصدر أوامره بالإصلاحات.

ومع كركلا حصلت الاضطرابات وانتشرت الفوضى إلى عصر دقلديانوس. ظهرت ثورات واضطرابات كثيرة حتى زار الإمبراطور كركلا الإسكندرية وأحدث بين شبابها مذبحة كبيرة وبعد سنوات ظهرت الحرب الأهلية لمدة عامين، وعندما احتلت جيوش زنوبيا (ملكة تدمر) مصر تصدى الإمبراطور أوريليان لها وطردها، لكن أعوان زنوبيا قاموا بثورة في وجه جيش أوريليان. واستمرت الاضطرابات بعد وفاة أوريليان، حتى تمّ تنصيب الإمبراطور دقلديانوس.

إن المائة سنة التي مرت بين وفاة سويرس وتنصيب دقلديانوس إمبراطوراً قد شهدت نوعاً من الاضمحلال في ثروة الإسكندرية ورخائها، لقد قتل الطاعون عدداً كبيراً من سكانها وخربتها الحروب الأهلية المتلاحقة وأدت الغزوات من الشرق والغرب، فضلاً عن حالة مصر المضطربة عموماً إلى تقليص قيمة تجارة الشرق وحجمها، فالقناة التي حفرها تراجان سُدت بالطمي، والطائفة الإغريقية المثقفة من مواطني الإسكندرية ذوي الامتيازات، لم يعد لها وجود، ورغم أن الإسكندريين المتحدثين باليونانية، قد نشروا الثقافة وعادات التقاليد اليونانية إلا أنهم لم يعد يعترف بهم كإغريق... (مارلوا 2002: 228).

وفي عصر الإمبراطور ديكيوس حصل اضطهاد المسيحيين في أرجاء

الإمبراطورية ومنها مصر وحاولت مصر الاستقلال عن روما وفشلت.

وفي عام 269 م تعرضت مصر لغزو تدمر من قبل زنوبيا التي ثارت ضد الرومان وتمكن جيش تدمر من احتلال مصر واضطر الإمبراطور الروماني جالينوس إلى الاعتراف بـ (وهب اللات) ابن زنوبيا شريكاً له في حكم مصر. لكن الإمبراطور أوريليانوس انتصر على قوات تدمر واستولى على مصر وأخذ زنوبيا أسيرة إلى روما، وربما تكون انتحرت هي الأخرى مثل ما فعلت كيلوباترا.

قاد (فيرموس) ثورة ضد روما في مصر واضطر الإمبراطور أوريليانوس إلى الحضور بنفسه لقمع ثورته. وحين جاء دقلديانوس (284 م) دخل العالم كله في مرحلة جديدة، حيث انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين أصبح القسم الشرقي بواسطة المسيحية إمبراطورية جديدة، سميت في ما بعد بـ (الإمبراطورية البيزنطية).

نصّب المصريون إمبراطوراً آخر بدل دقلديانوس هو أخيل وبعد أربع سنوات من القتال قام دقلديانوس فأخمد ثورته بنفسه ونتج عن ذلك مذبحة كبيرة للمصريين.

وعندما قسّم دقلديانوس الإمبراطورية الرومانية أربعة أقسام وقعت مصر تحت نفوذ مكسميليان وصدرت أوامر بمجابهة المسيحيين فيها بقسوة ودموية حتى ظهر مرسوم ميلانو الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين وقرر به أن تكون المسيحية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية.

الشام والعراق في ظل الحكم الروماني

كانت روما دائمة التدخل في شؤون بلاد الشام، لكن القائد الروماني بومبي وحده هو الذي أسقط الدولة السلوقية الإغريقية، وكان قبلها قد سيطر على القدس وحلّ مشكلة اليهود هناك، احتل بومبي سوريا عام 64 ق.م، وأسقط حكم آخر السلوقيين (أنطيوخس الثالث عشر) الآسيوي. وحوّلها إلى ولاية رومانية. وتحولت أنطاكيا إلى أكبر قاعدة عسكرية للرومان في الشرق ونافست روما والإسكندرية واستمرت عاصمة لولاية سوريا الرومانية ومنحها بومبي الحكم الذاتي. وكذلك حصلت مدينة سلوقية بيريه على الحكم الذاتي وما عرف بالمدن العشر (Decapolis) ومن أشهرها مدينة فيلادلفيا (عمّان) وجرش (جراسيا).

مكتبة الفكر الجديد

أول حكام سوريا من الرومان هو أولوس جاينوس الذي كان مصلحاً ثم جاء بعده كراسوس الذي أخطأ في تقديراته وغزا دولة بارثيا، لكنه قتل هو وولده ووقع جيشه في الأسر وهو ما جعل البارثيين يغزون ولاية سوريا الرومانية ويصلون إلى إنطاكية لكن كاسيوس (الذي خلف كراسوس) صدّهم وهزمهم ثم زار قيصر سوريا وأكرم أهل أنطاكية لوقوفهم معه ضد بومبي، وحين قتل قيصر تولى أنطونيو حكم الممالك الشرقية ومنها سوريا، وفي أثناء ذلك احتل البارثيون سوريا لكن أنطونيو أعادها واستدعى كيلوباترا إلى أنطاكية وأعلن زواجه منها في هذه المدينة. وفشل أنطونيو بغزو بارثيا ثم هزم على يد أوكتافيو في معركة أكثيوم وانتحر هو أولاً ثم كيلوباترا.

عندما انتصر أوكتافيوس في معركة أكثيوم عام 30 م هرع الملك اليهودي (هيرود) نحوه والتقاه في جزيرة رودس وأعلن خضوعه له، بعد أن كان خاضعاً لأنطونيو، فأعلن حاكماً على اليهودية. وخضعت كل سوريا لإشراف مباشر من أوكتافيوس، وتوصل الرومان والبارثيون إلى نوع من التعايش السلمي.

وكانت هناك في ولاية سوريا الرومانية عدة ممالك (اليهودية، الأنباط، حمص، بالميرا أو تدمر، كوماجيني. . . إلخ).

اصطدم اليهود في عام 9 ق. م مع الأنباط ثم ثاروا بوجه الرومان لكن هؤلاء قمعوهم، وانتعشت مملكة الأنباط بعصرها الذهبي في عصر ملكها الحارث الرابع.

اشتد الخلاف بين جرماينكوس، ابن الإمبراطور تيبريوس بالتبني، وحاكم سوريا (بيسو) وأصدر جرماينكوس قراره بعزل هذا الحاكم، لكنه توفي بعد ذلك مسموماً وقد اشير إلى أن بيسو هو الذي فعل ذلك وربما بتدبير مع الإمبراطور.

وقد توترت العلاقة بين بارثيا والرومان في سوريا عندما دعم الرومان أحد مدّعي العرش في بارثيا بجيش روماني وهو ما جعل البارثيين يستولون على مدنٍ رومانية مثل (سلوقيا على نهر دجلة) لكنهم طردوا منها لاحقاً عام 36 م.

وحين خلع الحاكم الروماني الكاهن الأكبر لليهود وتعيين آخر مكانه وتوجه إلى فلسطين. وقد أشار المؤرخ تاكيتوس (Tacitus) إلى أن الحاكم الروماني بيلاتوس (حاكم ولاية يهودا، أمر بإعدام شخص يدعى خريستوس (Christos) (المسيح)

بسبب الاضطرابات التي أثارها اليهود (الناصري 2002: 358).

ولا نعرف من يكون هذا المسيح، فهل يكون هو يسوع بين يوسف النجار أم غيره؟ لأن هناك الكثيرون ممن يدعون بأنهم المسيح بناءً على نبؤة ظهوره كمخلص لليهود كما جاء في سفر أشعيا.

اضطرب اليهود في ما بينهم وسادت أورشليم الفتن وحصلت مواجهات حادة في بلدة (بامينا) على ساحل فلسطين بين اليهود والإغريق.

وقام الإغريق (في بامينا) ببناء معبد الإمبراطور جايوس، الذي كان يؤمن بأنه إله، ولكن اليهود سارعوا إلى تدمير هذا المعبد، مما أدى إلى ثورة الإمبراطور، فأصدر قراراً إلى بترونيوس حاكم سوريا بوضع تمثال الإمبراطور في قلب هيكل أورشليم، وقد حالت وفاة الإمبراطور دون إنزال المزيد من العقاب باليهود (الناصري 2002: 359).

ضرب الزلزال مدينة أنطاكيا عام 37 م، وعين كلوديوس أحد الأمراء اليهود الذين عاشوا في روما واسمه (أجريبا) ملكاً على يهودا والسامرة عام 41 م، وحين مات هذا بعدها بثلاث سنوات عادت إدارتها إلى موظف روماني.

وفي عام 66 شهدت ولاية يهوذا ثورة وانتصر اليهود في قلعة مسعدة عام 74 م وتعين نسباسبانوس لقمعهم واستولى على اليهود، ثم بويع كإمبراطور وترك ابنه (تيتيوس) لمتابعة حربه ضد اليهود وسانده العرب وسقطت أورشليم عام 70، وكانت أعنف صدمة لليهود، فقد دمر الرومان أورشليم ومعبدها ووضعوا فيها حامية قوية وحاكماً من طبقة السناتو بلقب براتيور سابق.

وقد قام الرومان عام 70 م باحتلال أورشليم وتدميرها بعد اضطرابات دامت فيها مدة قرن كامل قادتها دولة يهوديّا في فلسطين.. وتغيرت السياسة الرومانية إزاء اليهود وأخذ اليهود في جميع أنحاء الإمبراطورية يشعرون بسياط الرومان. وفي عام 115 م قامت في مصر ثورة يهودية ضد الحكم الروماني وضد اليونانيين في الإسكندرية، وقد تمت هزيمة اليهود وذبح كثير منهم، وفقدوا حقوق المواطنة بالإسكندرية، ومنذ ذلك الحين كفوا كمجتمع من ممارسة أي نفوذ سياسي وخضعت حياة الإسكندرية لخصومات أخرى (مارلوا 2002: 217).

مكتبة الفكر الجديد

أصبح الصراع، بعد ذلك، بين المصريين واليونانيين في محاولة من هؤلاء اليونانيين التمسك بسيادتهم الاجتماعية وعاداتهم الإغريقية. ثم أصبح الصراع شرساً بين الوثنيين والمسيحيين.

حاول ملك كوماجيني الاتصال بالفرثيين من أجل الانفصال عن روما لكن الرومان استولوا على المملكة ثم ألغاها وألغى مملكة حمص، ثم ألغيت مملكة يهوذا واستبدل اسمها بـ (سوريا الفلسطينية).

أخضعت بلاد العرب المحيطة بالبتراء إلى الرومان على يد (بالما) على أثر اضطرابات في مملكة الأنباط، ثم ألغيت هذه الأخيرة وأطلق عليها اسم ولاية (بلاد العرب). وكانت هناك ولايات عربية أخرى تابعة لروما اسمها (قهر العرب)، وقد ضموا لولاية بلاد العرب مدناً مثل فيلادفيا وجرش.

كان بناء ولاية عربية قوية كهذه مقدمة لطريق تجاري اسمه طريق تراجان الجديد، ولإعادة حفر قناة تراجان التي تربط النيل والبحر الأحمر.

قام تراجان بحملة ضد بارثيا عام 100 م واجتاح العراق وصولاً إلى طيسفون (المدائن) عاصمة بارثيا واستولى عليها عام 116، وفرّ الملك البارثي. وتوجه تراجان إلى مملكة ميسان وضمها إلى روما وأنشأ ولايتين جديدتين هما (آشور) و(ما بين النهرين).

اندلعت ثورة اليهود في قورينا (ليبيا) عام 115 ضد الرومان وشملت بلداناً أخرى مثل فلسطين والعراق فأخمدها تراجان، لكنها ظلت مشتعلة في مصر. وضرب زلزال عنيف مدينة أنطاكيا عام 115. وحين توفي تراجان أصبح حاكم سوريا (هادريان) هو الإمبراطور.

تخلى هادريان عن ولايتي آشور وما بين النهرين ولم يكن مؤمناً بالحروب والتوسع، ولكنه قمع تمرد اليهود في أورشليم وفرض عبادة جوبتر فيها.

وفي عصر ماركوس أوريليوس غزت القوات الرومانية أراضي بارثيا، لكن الحملة فشلت بسبب تفشي مرض الطاعون بين الجنود والذي سرعان ما تفشى في الإمبراطورية كلها، لكن سبتموس سفريوس الإمبراطور أعاد غزو بارثيا وعاد إلى سوريا عام 197 م.

مكتبة الفكر الجديد

ظل العراق بشكل عام مكاناً للفرثيين ولكن الرومان كانوا يخترقون هذه السيادة في مرات كثيرة كما ذكرنا أعلاه ومع حملة سفريوس حصل تحول نوعي (في القرن الثالث) فقد امتدت السيادة الرومانية عبر دجلة ووضعت حدّاً طويلاً للفرثيين.

وحين منح كركلا الجنسية الرومانية لأهل سوريا والرافدين طلب الزواج من ابنة الملك الفرثي الذي رفضه وجيّش حملة كبرى لغزو بارثيا وعبر دجلة، لكنه اغتيل على يد أحد أفراد حاشيته. وحين تولى (ماكرينوس) الإمبراطورية أكمل الحملة على بلاد الرافدين. أنتهت بسلام مدفوع الثمن من قبل روما. وقام ماكرينوس بإعادة شقيقة زوجة الإمبراطور سفريوس (جوليا مائسة) إلى موطنها الأصلي في حمص. فقامت جوليا بحملة ضده وادعت أن حفيدها هو ابن غير شرعي لكركلا وهو الأولى بتولي العرش وثارت ثورة ضد الإمبراطور انتهت بقتله مع ابنه، وتوجه الجنود حفيدها إمبراطوراً وعرف اسمه إليجابالوس (Elagabalos) لأنه كان كاهناً لمعبد إله الشمس الفينيقي (Elagabal)، حيث قام بالدعوة للتوحيد من خلال هذا الإله وخصوصاً في روما، وهو ما أدى به إلى ترك شؤون الحكم بيد ولده، ثم قتل هو عام 222 على يد الحرس الإمبراطوري.

سقطت الدولة البارثية وحلّ محلها الدولة الساسانية التي طمعت باستعادة أمجاد الفرس فغزت العراق لمصلحتها، لكن الإمبراطور الروماني سفريوس الإسكندر وقف بوجهها وأعاد العراق لروما عام 233، وعاد لروما وبعد عامين حصلت ثورة عسكرية ضده انتهت بقتله، ودخلت الإمبراطورية الرومانية في اضطراب طويل لمدة نصف قرن.

عاد الفرس لغزو وادي الرافدين وسوريا في عام 241 على يد شابور الكبير لكن روما ردته، ثم عقد الإمبراطور فيليب العربي الصلح مع الفرس، لكن شابور أعاد غزوه لوادي الرافدين وسوريا وانتصر هذ المرة. وحين حاول الإمبراطور فاليرايانوس رد الفرس وقع في الأسر ونقل إلى بلاد فارس، حيث قضى باقي عمره وخلّد الفرس هذا الانتصار بنقش على صخرة كبيرة، حيث ظهر الإمبراطور جاثياً على ركبته أمام الملك الفارسي الذي كان فوق حصانه.

وكانت مدنية (تدمر) قد ورثت الانباط ومثلت حلم العرب وخصوصاً في عهد

مكتبة الفكر الجديد

ملكها (أذينة) الذي هزم الجيش الفارسي عند نهر الفرات وطارد الفرس في عمق بلادهم وحاصر طيسفون 267 م لكنه لم يحتلها، فعينه الإمبراطور الروماني قائداً لجيوشه في الشرق لكنه قتل فورثه ابنه (وهب اللات) الذي كان طفلاً وكانت أمه زنوبيا وصية عليه.

أعلنت زنوبيا أنها سليلة كيلوباترا وبسطت نفوذها على سوريا ومصر وأعلنت تدمر مملكة مستقلة عن الرومان والفرس تقع بينهما وحمل ابنها (وهب اللات) لقب أغسطس وسكت باسمه عملات تدمرية في أنطاكية والإسكندرية، وجه الإمبراطور أورليان جيوشه باتجاه مملكة تدمر وهزم جيشها قرب أنطاكيا ثم قرب حمص ثم وصل إلى بالميرا عاصمتها وحاصرها وحاولت زنوبيا الفرار لكنه ألقى القبض عليها وحاكمها وحين غادر المنطقة ثارت تدمر مرة أخرى فعاد لها ودمرها وحوّلها إلى قرية صغيرة.

وظل حال سوريا وبلاد النهرين كما هو حتى مجيء دقلديانوس الذي كان حكمه بداية لظهور الإمبراطورية البيزنطية.

الفصل الثاني

الاتجاهات الروحية الظاهرية في العصر الهلنستي

(دراسة في النظم اللاهوتية والأفكار الدينية الهلنستية)

بطليموس

المبحث الأول
العبادة الهلنستية
(أنواعها، أشكالها، مؤسساتها، مفاهيمها)

انواع العبادة الهلنستية

تنمو مع الهلنستية نزعة التفريد (Henotheism) ونزعة التوحيد (Monotheism) لكنّ الأخيرة لا تتحقق كلياً إلا في أديان الشرق المتوسطي الموحدة: المندائية واليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام.

ميزة العصر الهلنستي أنه كان حاضنة التوحيد الحقيقية والرحم الذي ولدت منه هذه الأديان، فقد عملت ثلاثة تيارات دينية كبرى هي (المصارية والهرمسية والغنوصية) على ابتكار نوع من (التوحيد الباطني) الذي يؤمن بإله واحد وتقام له طقوس تشير إلى كونه الفادي أو المخلّص، وقد قامت هذه التيارات التوحيدية الباطنية بنشر التوحيد في نخب وجمعيات وأخويات محدودة وسريّة، وسرعان ما كان تأثيرها كبيراً فقد وضعت نهاية تقريبية للأديان المتعددة الآلهة (Polytheism) (التي يسمونها بقليل من الدقة المشركة)، وقد هذبت الدين اليهودي الذي كان ديناً تفريدياً (وليس توحيدياً)، وجعلته يتجه نحو التوحيد بصورة أكبر وأوضح ثم سرعان مابشرت بالمسيح الغنوصي الذي ظهر، من وجهة نظرهم، في شخصية السيد المسيح يسوع بن مريم ويوسف النجار ونشأت الكنيسة الغنوصية أولاً.

لكن التيار التقليدي في اليهودية والمسيحية بدأ يكبر ويتجه لاحتلال مكان الكنيسة الغنوصي المسيحية الأولى وينشئ الكنيسة القويمة التي هي أساس الكنيسة الأرثوذوكسية، وبذلك ينتصر، شيئاً فشيئاً، التيار الظاهري على التيار الباطني في العصر الهلنستي الرومانستي ويتوج هذا الانتصار بتبني الإمبراطور الروماني قسطنطين للمسيحية القويمة وتنشأ الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية).

مكتبة الفكر الجديد

التعددية (Polytheism)

حمل الإغريق هيكل آلهتهم وشجرة أنسابها إلى الشرق وهم يعتقدون، في بداية الأمر، أنهم يقدمون فتحاً من الفتوحات المبينة الروحية للشرق لكنهم فوجئوا، بعد زمن، أنهم أمام شبكة راسخة من الآلهة الأشد عراقة في التاريخ القديم والضاربة بجذورها إلى أزمان بعيدة، بل وبدأوا يتلمسون جذور آلهتهم في الآلهة الشرقية وخصوصاً الآلهة الكنعانية/ الفينيقية والآلهة العراقية القديمة والآلهة المصرية القديمة. وهنا لجأوا إلى المطابقة أو المقابلة أو الدمج بين آلهتهم والآلهة المشابهة لها.

وضعنا في كتابنا **المعتقدات الإغريقية** شجرة موسعة جداً للآلهة التي عبدها الإغريق نودّ العودة إليها لنتعرف إلى أنسابها وعلاقاتها ببعضها ولنتصور ذلك الهيكل الدقيق لها الذي يبتدأ بآلهة الهيولي القديمة جداً، ثم آلهة الأرض والسماء القديمة (أورانوس وجيا) ثم الآلهة التي تولدت عنها وهي آلهة الكون القديم التي تمثل العناصر الأربعة في شكلها البدائي. ثم آلهة العمالقة التيتان التي ظهر منها (كرونوس وهيرا) وجيل الآلهة الهوائية ثم الآلهة الأولمبية التي تضم جيل الآلهة زوس وجيل أبنائه وبناته من آلهة الأولمب، ومعهم الآلهة غير الأولمبية. ثم أبناء وبنات وأحفاد زوس الكثيرون جداً.

والحقيقة أن شجرة الآلهة الإغريقية لم تعد في ربيعها الهيليني الكبير، فقد كانت في خريفها الذابل الذاوي وقد شحبت صورتها ولم يعد منها إلا رنين الأسماء الكبيرة التي كنا نسمع بها أيام الإغريق القديمة. وفي ظننا أن السبب الرئيس لانهيار الآلهة الإغريقية في العصر الهلنستي هو زوال نظام دولة المدينة الإغريقي، فقد كان آلهة الأولمب يبدون كما لو أنهم يمثلون آلهة المدن الإغريقية، وما أن زالت المدن الإغريقية بظهور الملكية الهلنستية حتى انهار جبل الأولمب مع آلهته.. وبدت لنا الآلهة الإغريقية في آخر مراحلها قبل الأفول.

أما الآلهة الثانوية أو الصغيرة فلم يعد لها وجود أصلاً وأصبحت في مدونات الماضي فقط.

وإذا كان محرماً تماماً على الزعماء والقادة والملوك الإغريق قبل الإسكندر

المقدوني أن يتحولوا إلى آلهة ليُعبَدوا، فقد بدأت منذ الإسكندر المقدوني بوادر عبادة الملوك وتحويلهم إلى آلهة، وبذلك بدأ الملوك الهلنستيون ينافسون الآلهة الإغريقية ويصرفون عنها الأنظار أيضاً، وستتناول هذا الموضوع بالتفصيل لاحقاً.

كان الناس بشكل عام يلاحقون عبادة آلهتهم الهيلينية أو الهلنستية التي جاءت من خلط آلهة الإغريق مع الآلهة المحلية الشرقية، وكانت المعابد والاحتفالات العامة الشعائرية طرقاً للتعبير عن هذه العبادات المتعددة الآلهة.

أما الخاصة من الناس فكانوا يمارسون شعائر وعبادة الأسرار المرتبطة ببعض الآلهة القديمة التي كان أساسها الإغريقي يقوم على هذا النمط من العبادات مثل ديمتر وأرفيوس وديونسيوس... إلخ.

أما المتعلمون فلم يعودوا يؤمنون بالآلهة الوثنية ولكنهم كانوا يمتدحونها من طرف اللسان كجزء من الأوضاع الشعائرية والثقافية للحياة، فقد اعتنقوا العقيدة التقليدية، وهي أن الإنسان هو معيار كل شيء، وأن لديه اعتقاداً بأن العالم المادي أبدي وأنه محكوم بقوانين ثابتة طبقاً لنظرية ديمقريطس وهراقليطس في أفسس، وهما فيلسوفان إغريقيان مبكران. أما الرواقيون والأبيقوريون فقد كانوا، على النقيض من الأفلاطونيين، عمليين (برجماتيين) أساساً من حيث إنهم كانوا يهدفون لا إلى اكتشاف الحقيقة بل إلى الحصول على احتياجاتهم، كما أنهم كانوا متشائمين أساساً، من حيث أنهم اعتبروا الإنسان محصوراً داخل القدرية الآلية للعالم كما تراءت لديمقريطس وهيراقليطس (مارلو 2002: 123).

التفريدية (Henotheism)

يمكننا اعتبار التفريدية (أي عبادة إله معين وجعله مركز الآلهة الأخرى) أبرز سمات العبادة الهلنستية في بدايتها، ففي ضوء الخريف المشترك الذي كانت تمر به الآلهة الإغريقية والآلهة الشرقية ظهرت الحاجة إلى انتخاب بعض الآلهة وجعلها الأكثر مقاماً بين غيرها، بل وجعل الآلهة الأخرى تذوب فيها وتصبح بعض صفاتها.

كذلك يشكل الإله (ساربيس) إلهاً تفريدياً رسمياً جمع في شخصيته كلاً من أزيريس وأبيس المصريين وزوس وديونسيوس الإغريقيين، وهكذا يكون هذا الإله قد

صهر في صلبه أربعة آلهة هلنستية، فأصبح مركزاً هلنستياً مقدساً للعالم الهلنستي كله خارج مصر وفي بحر إيجه، بل إن الرومان الفلافيين عبدوه وانتشرت عبادته في روما مع إيزيس.

رغم الشكل الإغريقي لسرابيس لكنه في حقيقة الأمر لم يكن في جوهره سوى أوزيريس، ولذلك كانت الطقوس تجري وفق كونه إله الأسرار وإله الشعائر الجنائزية، ومما كان يزيد تفريديته اقترابه من أصحاب النزعات الصوفية الأورفية والفيثاغورية في جانبه الجنائزي، ولكن ما يجب أخذه بالاعتبار هو أن سرابيس إله رسمي وليس شعبياً وهو ما حدّ من انتشاره بين طبقات الناس وظل رمزاً للدولة.

كذلك يمكننا النظر إلى الإله (يهوا) على أنه إله تفريدي خاص باليهود، فقد كان هذا الإله يعبد في مدين ثم في يهوذا على أنه إله طقس وهواء ضمن آلهة أخرى، لكن التطور التراجيدي لأقوام يهوذا وسبيهم في بابل ثم ظهور أنبياء ما بعد السبي وتكتل أهل السبي جعل من هذا الإله إلهاً قومياً خاصاً باليهود، أما الصفات العالمية والكونية التي أضفاها اليهود على إلههم (يهوا) فكانت متأخرة.

كان يهوا يمثل نموذجاً لإله التفريد. ويمكننا اعتبار الإله (هدد، حدد) نموذجاً آخر للتفريد.

التوحيدية (Monotheism)

جاءت النزعة التوحيدية الهلنستية من الفلسفة في ذلك العصر، بل إن النزعة التوحيدية الفلسفية ثم الباطنية كانت الرحم الذي خرجت منه الأديان الموحدة بين الهلنستية والرومانستية وبعدهما.

لكن التوحيد الهلنستي لم يكن ديناً شاملاً.. بل كان نخبوياً فكرياً وفلسفياً في بدايته وربما ظهر على شكل التماعات دينية هنا وهناك، كانت تجرف التفريد نحو التوحيد لكنه وجد صيغته المثلى في ظهور المسيحية.

ابتدأت نزعات التوحيد الدينية تظهر مرافقة لنمو فلسفات التوحيد، ففي وادي الرافدين حيث لم تنتشر مدارس فلسفية منظمة تعتني بالتوحيد ظهر ميل دينيّ شديد لعبادة آلهة السماء من جهة وتنزيهها عن غيرها.

مكتبة الفكر الجديد

التوحيد الذي جاء من الأديان المتعددة الآلهة القديمة كان مشوباً بالشرك ولم يكن حاسماً في هذه المرحلة، ففي وادي الرافدين مثلاً عادت الحيوية لعبادة إله السماء (آنو).

أغلب الوثائق من العصر الهلنستي تؤكد انتشار عبادة آنو (Anu) رب السموات والأرض ورب رجال الدين. وكان النموذج الأول لكل أب في أسرته، والمللك في مملكته، لأن السلطة تكليف منه، أنزلها من السماء إلى الأرض وكلتاهما خلقتا بكملة منه، غير أن عبادة آنو انحسرت بين الأرستقراطية الدينية، وكبار رجال العلم والمعرفة، خاصة وأن هذا الرب سومري الأصل، بينما نجد الربة «عشتار» التي عبدت في الوركاء كربة للسماء باسمها السومري القديم نانايا (Nanaia) أو أنيني (أي سيدة السماء) تحظى عبادتها برواج شعبي كبير بين عامة الناس كربة للجمال، (الناصري 1992 : 351).

الإلهات المرتبطات بالكواكب السماوية حظين بنصيب أكبر من نزعات التوحيد في الديانة الرافدينية في العصر الهلنستي، حيث عادت عبادة عشتار وإنانا (بصيغة أنيني) وأناهيت التي وجدت في بلاد الرافدين وفارس.

عبرت عبادتها البحر المتوسط إلى بلاد الإغريق، حيث عرفت باسم أفروديت وانتقلت بعد ذلك إلى الرومان ليعبدوها باسم «فينوس»، ربة الحب والحرب في وقت واحد، وكان رمزها كوكب الزهرة، وإذا كانت عبادة أفروديت الإغريقية قد شهدت أعظم أيام انتشارها في العالم الهلنستي، فإن الأصل الشرقي لها شهد في الوقت نفسه انتشاراً شعبياً يشهد على ذلك كثرة القرابين التي قدمها لها عامة الناس في جنوب الرافدين، وكانت هذ الربة تتصدر قائمة الربات الأنثوات مثل بيليت - شا- رش (Belit Sha Rash) وبيليت سيري (Belit Seri)، وشاراحيتو (Sharahitu) بينما تصدر آنو قائمة الأرباب الذكور مثل أنليل، وأيا (Ea) وبابوسكال (Papuskal)، وشمش (الشمس)، وسن (القمر). كما ارتبطت هذه العبادات البابلية بالتنجيم، فقد اعتبرت النجوم ممثلات للأرباب، وهي في السماء عالم الآلهة يحكمها جميعاً رب واحد هو القدر. أما العوام من الناس فلا نعرف ماذا كانت

نظرتهم إلى هذه النظريات العقائدية، لأن فكر العامة كان يميل إلى التراث الآرامي الذي لم يتبق لنا منه سوى مادة محدودة (الناصري 1992 : 351).

ويمكننا إجمالاً تقسيم نوعين جديدين من التوحيد في المرحلة الهلنستية:

أولاً: التوحيد الباطني

1. التوحيد المساري:

كان التوحيد الباطني الذي جاء من ديانات الأسرار (المسارية) هو الأقدم فقد نزح من عبادة الآلهة الزراعية الأصل التي دفنتها عبادات الكواكب والطقس تحتها وظلت تمارس سرياً في الغالب، رغم كونها ديانات قريبة من قلوب ومشاعر الناس، وكان التوحيد المساري يتركز على إله واحد مثل تموز أو أدونيس أو أوزوريس أو ديونسيوس أو أتيس... إلخ، ويسعى العابدون إلى الالتحام بهم وإعادة ولادتهم ثانية من خلال هذا الالتحام والفوز بالخلاص (وسنشرحه بالفصيل في الفصول القادمة).

2. التوحيد الهرمسي:

وهو التوحيد الذي نجده في المدونات الهرمسية القديمة وأهمها ثلاث مدونات (مدونة بوامندريس، المدونة المندائية في الكنزا ربّا، مدونة هرمس طوط) وكلها تشير إلى وجود إله متعالٍ بعيد واحد لا تدركه الأبصار في عالم النور وهو الذي يجب عبادته وهو إله الخير، وهناك إله آخر شرير انفصل عنه وعصاه، وهو إله الشر وخالق العالم المادي الشرير والذي سجن الروح في مادة جسدية عندما خلق الإنسان، والخلاص برأي هذه التوحيد الهرمسي يكون بتحرر الروح من سجنها الجسدي وعودتها إلى أصلها الإلهي الذي هو الرب الأعلى الأسمى.

3. التوحيد الغنوصي:

استثمرت الغنوصية التوحيد الهرمسي وجسدته في أديان حقيقية ربما كانت المندائية أقدمها ثم جاءت المسيحية الغنوصية ثم المانوية، وهي ترى أن الرب الأسمى بعيد عن الوصف وهنا توحيديتها النقية الخالصة، أما الإله الذي صنع العالم والمادة في وريث آلهة الشرك الشرير الذي يجب تجنبه، وتخلص كلّها إلى أن الإله

الأسمى سيرسل رسوله ليخلص الروح السجينة في الجسد البشري حين تتعرف إلى نفسها أو حين يموت جسدها السجّان وتصعد إليه.

ثانياً: التوحيد الظاهري

1. اليهودية: من خلال (يهوا) الذي انتقل من طور التفريد إلى التوحيد بفضل المؤثرات التوحيدية الباطنية.

2. المسيحية: التي حولت المسيح الغنوصي إلى ابن للآب وطابقت بين يهوا ثم إيل والإله الآب المتسامي، ثم توصلت إلى فكرة الثالوث في الأب والابن والروح القدس.

3. الإسلام: الذي دعا مباشرة إلى عبادة إله واحد هو الله (وتغاضى عن الهيكل الغنوصي أو الثالوث المسيحي) واعتبر كل الأنبياء بشر أرسلهم الله عن طريق الوحي فبشروا بعبادة الله بين الناس.

المبحث الثاني
أشكال العبادة الهلنستية

لم تقتصر العبادة الهلنستية على الآلهة فقد ظهرت أشكال جديدة من العبادة لم يكن للإغريق عهدٌ بها في سالف عصورهم وهي عبادة الملوك وعبادة النجوم. وهما عبادتان بجذور شرقية شهدتهما سابقاً أرض الشرق الهلنستي.

1. عبادة الملوك

عرف المصريون تأليه الملوك الفراعنة وعبدوهم جنباً إلى جنب مع الآلهة المعروفين في الدين المصري، فقد كان الفرعون المصري هو ابن الإله رع (وليس ممثلاً عن الإله رع) وكان له شكلٌ أرضي أثناء الحياة هو الملك حور (حورس) إله الشمس، وشكل آخروي بعد الموت هو أوزيرس إله الدوات (العالم الأسفل) الذي يحكم الموتى.

وكلمة فرعون تصحيف عبري للكلمة المصرية القديمة (فير- أ) أو (بير- أ) (Per-a) التي تعني البيت العظيم، وهو المكان الذي يعيش فيه الرعية ويلجأون إليه. وكان المعنى العميق لهذه الكلمة هو (الذي يعيش فيه الناس) أي (العالم) أو (الكون)، ويأتي هذا التفسير معززاً لفكرة الألوهية التي ارتبطت بالفرعون.

ويرى والس بدج أن الملك كان منحدراً من إله حكم على الأرض فهو إله بالرغم من أن له جسماً من لحم ودم. وكانت أعمال ومشيئة وأفكار الفرعون هي أعمال ومشيئة وأفكار الإله وكان يحضر مراسيم تقديم القرابين كإله، بل وإن بعض الفراعنة مثل أمنحوتب الثالث بنوا لنفسهم ولزوجاتهم معابد كانوا يتعبدون أنفسهم فيها (بدج 1989 : 100).

أ. تأليه الإسكندر المقدوني

أما الإغريق فلم يعرفوا تأليه الملوك أو عبادتهم على الإطلاق ولم تكن حادثة

رفع الإسكندر إلى مصاف الآلهة من قبل العصبة الكورنثية إلا حادثة سياسية، ومن ثم لم تتم عبادة الإسكندر رسمياً ولم تنصب له المعابد وكانت نوعاً من الدعاية السياسية أكثر منها عبادة دينية رغم أنها جاءت بعد حادثة رفعه كإله في مصر.

بدأت عبادة الملوك الهلنستية منذ الإسكندر المقدوني وهو في مصر وقد اتخذت اتجاهين مختلفين الأول تأليه الملوك الإغريق على الطريقة المصرية وعبادتهم كفراعنة جدد وبطقوس مصرية قديمة معروفة، والثاني تأليه الملوك الإغريق على أساس إغريقي وجعلهم ينتسبون إلى الآلهة الإغريقية على أساس أن هناك بعض آلهة الإغريق المعروفة من أصل بشري مثل (هرقل، ديونسيوس، برسيوس) فلم لا يكون الملوك الإغريق من أصل إلهي.

سلك الإسكندر المقدوني المسلكين معاً فقد رسّم نفسه فرعوناً في معبد (بتاح) في منف طبقاً للطقوس المصرية وأدى القرابين فيها للآلهة المصرية ومنها بتاح وأبيس وأصبح منذ ذلك الوقت (ابن آمون رع)، وهو اللقب الذي كان الفراعنة يحملونه منذ عهد بعيد. ثم أصبح ابن الإله الإغريقي زوس، بل وجمع زيوس وآمون في إله واحد هو (زيوس آمون) الذي أصبح الأب الإغريقي والمصري للإسكندر.

حمل الإسكندر لقب ابن الإله (ابن آمون) فحرض على زيارة أبيه الإله (آمون) في واحة سيوه في الصحراء الغربية فذهب إلى هناك ليتلقى من الإله آمون الوحي وليكرّس فكرة كونه ينحدر من أكبر الآلهة المصرية مباشرة، وكان قرب المعبد نبع يسمى (نبع لشمس) وهو الذي كرّس أسطورة ذهاب الإسكندر إلى (عين حمئة). وفي معبد (آمون) في سيوه دخل إلى قدس الأقداس في المعبد وعندما خرج قال إنه (سمع ما تمنى)، ولكنه لم يبح بذلك مطلقاً. ومن ثم يتبين أن زيارة الإسكندر لمعبد الوحي في سيوه قد تمخضت على الأقل عن الاعتراف بأصله الإلهي وبحقه في السيطرة على العالم أجمع. ويقال إنه في عام 331 ق.م جاء منف رسلٌ من مليتوس لينشروا في الناس ما أعلنه وحي برانخيدي من أن الإسكندر قد ولد من أبٍ سماوي، ومن أنه سيسيطر على العالم أجمع، وهذا ما أكده أيضاً وحي أرتريا في أيونيا (نصحي 1967: 30).

الإسكندر الكبير وزيوس آمون على قطعة نقد هلنستية فضية

http://www.utexas.edu/courses/introtogreece/lect33/img8zeusammnalex.html

ولذلك اعتبر المصريون الإسكندر مثل المخلّص والمحرر، وبناء على اختيار الشعب له كوريث شرعي فقد تم منح الإسكندر التاج المزدوج للإقليمين، متوجاً كفرعون في ممفيس في 14 نوفمبر 332 ق.م؛ وكان ذروة تتويجه في اللحظة التي لقبه فيها كبير الكهنة «ابن الآلهة» حسب تراث يرجع تاريخه غالباً إلى 3000 سنة مضت، هذا اللقب أثر فيه بعمق، والآلهة الأولمبية أشارت إليه على أنه ابن زيوس، لابد أن هذا ملأ عقله حقاً، وبجانب هذا كان هناك مشاهد لملك الآلهة أمون («زيوس») يتزوج بملكات مختارة مع وريث للعرش! في عالم حيث يتم تصوير الآلهة ككائنات حية وتعتبر جزءاً من الحياة اليومية؛ لابد أن الإسكندر بدأ يعتقد في ألوهيته الخاصة حقيقة. (فيلدس وجوان فليتشر: الإسكندر في مصر، موقع الإسكندرية) (http://www.alex4all.com/aboutAlex/articl.php?id = 114)

وتأكيداً لهذا سكّت العملات النقدية التي تحمل صورة الإسكندر بقرني الكبش المقدس آمون (فهو كبش لأنه ابن آمون الكبش) ويرجّح أن هذه العملة وانتشارها كانت السبب في شيوع صفة (ذي القرنين) المرتبطة بالإسكندر وخصوصاً عند العرب.

وهو كرجل مؤمن يبدأ كل يوم دائماً بتقديم القرابين للآلهة؛ فإن الإسكندر له

يجد صعوبة في عبادة الآلهة المصرية، مساوياً آلهتهم بآلهته؛ فقد عبد آمون المصري كتجسيد لزيوس، وفي مدينة الموتى ممفايت في سقاره قام الفرعون الجديد بتقديم القرابين إلى الثور أبيس، حيوان معبود للإله الخالق بتاح، أعقبه بألعاب إغريقية الطراز ومسابقات أدبية وكان المشاركون فيها من كل أنحاء العالم الإغريقي يشاركون بروائع أدبية متعددة الثقافات، هذا النوع من الأحداث كان بداية الحضارة الإغريقية حيث مزجوا عادات الإغريق بالتراث المحلي، وامتزجت الثقافتان المصرية واليونانية معاً بنجاح للقرون الثلاثة التالية.

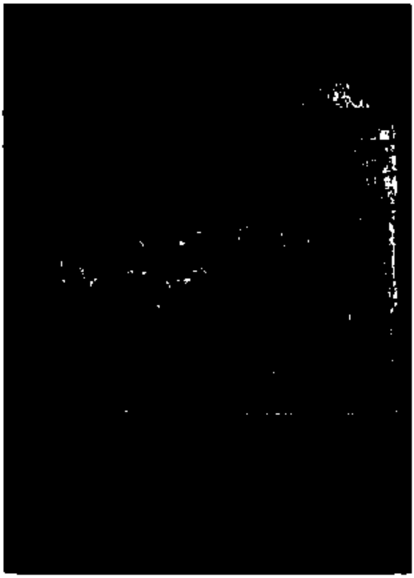

تقديم القرابين إلى الثور أبيس

http://www.alex4all.com/aboutAlex/articl.php?id = 114)

حتى مع الاهتمام بمناقشة الفلسفة التي يعتقد الإغريق أنها بدأت في مصر؛ فإن الإسكندر حضر محاضرات ألقاها الفيلسوف المصري بسامون، وكان موافقاً بإخلاص على تعليمه أن «كل البشر خاضعون للإله، لأنه في حالة العنصر يفرض نفسه ويصل للهيمنة ليكون إلهاً»، كما أن الإسكندر أضاف من تجاربه الشخصية أنه بينما الإله هو حقاً أبو كل الجنس البشري، «فإن الأنبل والأفضل هو الذي يختصه

لنفسه» (بلوتارش). (فيلدس وجوان فليتشر: الإسكندر في مصر، موقع الإسكندرية (http://www.alex4all.com/aboutAlex/articl.

وهكذا شاع عن الإسكندر في كل الإمبراطورية المقدونية بأنه إله ابن إله ليس في مصر فحسب وليس كإله مصري، بل كإله عالمي وفي جميع البلاد الإغريقية، ولهذا السبب قامت عصبة كورنثة برفع الإسكندر إلى مصاف الآلهة عام 324 ق.م، تصديقاً لما حصل له في مصر ولما شاع عنه كإله ابن إله. ويجب أن لا نهمل مغزى هذه الحادثة العميق، فقد افتتح العصر الهلنستي زمنه بظهور إله مرسل من أبيه الإله السماوي ليخلص البشرية، وهو ما سيكون صداه مدوياً في ما بعد، وستتناسل هذه الفكرة بقوة حتى تصل إلى ذروتها في الديانة المسيحية، وحينها يكون الإسكندر المقدوني قد اختفى ونُسي ولابد من مجيء مخلّص جديد يكون أيضاً ابناً لإله سماوي وهو ما حصل مع المسيحية بالضبط. ولذلك، فضلاً عن التخريجات الروحية والفلسفية، ظهر التوحيد بسبب تأليه الإسكندر واعتباره ابناً للإله السماوي وكانت الهلنستية حاضنته.

في الشهرين اللذين قضاهما «كإله حي» في القصر الملكي في ممفيس؛ أخذ يدرس القوانين المصرية والعادات المصرية في المقام الأول؛ أعطى أوامره بإحياء مراكز العبادة المصرية، والتي شملت معابد الأقصر والكرنك العظيمة بالجنوب، وكان يظهر في صحبة الآلهة المصرية مرتدياً الرداء المصري التقليدي ويشمل قرون الكباش لأمون كما ارتداه أسلافه الفراعنة ومن ضمنهم أمنحتب الثالث، وقد عبر المصريون عن حبهم وتقديرهم للإسكندر بعمل تماثيل تذكارية تجسده في كل أنحاء مصر؛ مع اسمه الإغريقي المترجم إلى الهيروغليفية محاطاً بالإطار الملكي: حورس -الحاكم القوي- الذي يهيمن على أراضي الغرباء، المحبوب من أمون والمختار من رع. (فيلدس وجوان فليتشر: الإسكندر في (مصر، موقع الإسكندرية http:// (www.alex4all.com/aboutAlex/articl.php?id = 114

وقد دعاه هذا إلى أن يكون إلهاً إغريقياً في بلاد الإغريق، ولذلك اعتبر هناك كابن للإله زوس، أما في بلاد فارس فلا نملك دليلاً على كونه كان إلهاً أو ابن إله فيها، لكنّ الأساطير الإغريقية التي كانت تحتفظ بتقديس عالٍ لمعبد آمون سيوه

وتعتبره مكان نبؤة عظيم يقارع دلفي تحدثت عن أن اثنين من أبطال الإغريق (من أصل إلهي) هما برسيوس وهرقل، قد سلكا السبيل إلى معبد آمون سيوه. وقد تشبه الإسكندر بهما إغريقياً ومصرياً... بطلاً وإلهاً في الوقت نفسه.

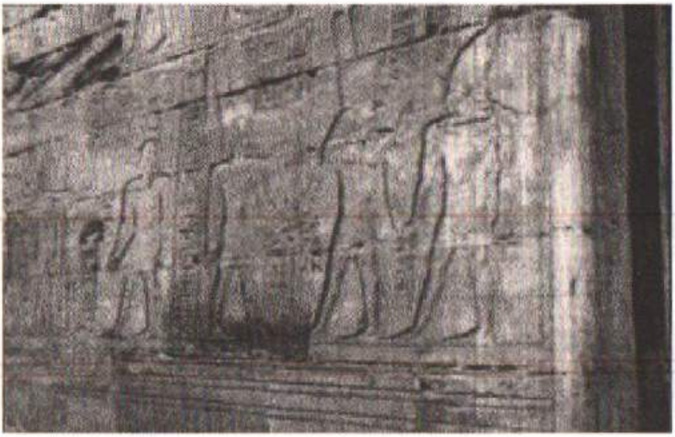

تتويج «الإسكندر الأكبر» وتقديسه «للإله آمون».

http://essa777.jeeran.com/022.HTM

هيمنت فكرة الألوهية على الإسكندر ولعلها كانت ترجع إلى الوقت الذي أقام أثناءه في مصر وقدم فيه الضحايا لآلهتها، وانتهى بزيارة معبد آمون في سيوه، حيث نال لقب ابن الإله آمون. وربما لاحت له عندئذٍ فكرة إله واحد، يحكم السماء والأرض، وجميع الناس على حد سواء، وفكرة دين واحد يجمع بين كافة شعوب الأرض. وبلوتارك الذي يصف زيارة الإسكندر إلى معبد آمون في سيوه، ينقل خبراً مؤداه أن الإسكندر كان قد اجتمع في مصر برجل من كبار مفكريها، وأعجب برأيٍ لهذا المفكر، بأن الإله هو ملك الناس أجمعين، ما دامت الفئة الحاكمة فيهم صادرة عنه وحاملة لطبيعته. ويضيف بلوتارك لذلك «أن الإسكندر نفسه عبر عن هذا الرأي تعبيراً فلسفياً، فقال إن الإله أب مشترك لجميع الناس، وإن كان يعتبر الفاضلين من بينهم أبناءه الأخصاء» (بلدي 1962: 66).

إن فكرة الإله الأب ستجد صداها لاحقاً وستكون ركيزة غنوصية ومسيحية مهمة، وبذلك يكون الإسكندر قد فتح ثغرة في السماء تصل الإله بالبشر من خلاله

هو الذي نعتبره مخلصاً بل نعتبره وحياً مجسداً . . . هذا ما سيمهد لفكرة الصلة الحية بين السماء والأرض.

ولهذا التحول أعراض ومراحل، نبه إلى أهمها المؤرخ الإنجليزي المعاصر وليام تارن (William Tarn)، في بحث قدمه إلى المجمع البريطاني في عام 1933. وكان رأي تارن أن كلمات الإسكندر عن إلهٍ هو أب لجميع الناس ولأفاضلهم بوجه خاص- إذا صحت نسبتها إليه في نصها أو في مضمونها على الأقل - لها صدى واضح عند ثيوفراسطوس تلميذ أرسطو وخليفته في رياسة المدرسة، والذي قال «إن اليونان والشعوب التي تسمى بربرية هي جميعاً من عنصر واحد، وإن أهل هذه الشعوب أقارب يرجعون إلى أصل واحد وإله واحد هو إله الأرض والسماء معاً» (بلدي 1962: 67).

استحوذت فكرة المملكة السماوية الواحدة والإله الواحد الأب الذي له ابن إلهي واحد على أذهان الإغريق والشرقيين في العصر الهلنستي.

ويستشهد تارن بعد ذلك بمشروع لأيكزارك (Alexarque) شقيق الكساندر (Cassander) المقدوني، وهو ابن أنتيباتير (Antipater)، نائب الإسكندر في مقدونيا. رأى أليكزارك أن ينشئ، في جزء من جزيرة أتوس التي منحها إياه شقيقه، مدينة صغيرة سماها أورانوبوليس، أي مدينة السماء، أرادها أن تكون مدينة عالمية مصغرة، وسمى سكانها الأورانيين، أي أولاد السماء. ورأى أن يتخذ لتلك المدينة لغة عالمية. وكان يبدأ خطاباته إلى الملوك بالعبارة (سلاماً يا الحكام الأخوان). ذلك ما دام جميع مواطني العالم أبناء السماء وبالتالي إخوة فيما بينهم (بلدي 1962: 68).

بل إن الأمر يتخطى ذلك حين نعرف أن هناك من الفلاسفة والمفكرين من كان يرى أن أصل الآلهة جاء من البشر (وهي فكرة مُعاكسة لفكرة الإسكندر كابن للإله السماوي الأب)، وبذلك نكون قد كسرنا الحواجز تماماً بين أن يكون الإنسان إلهاً أو أن يكون الإله إنساناً، وهذا يقرب صورة المزاج الديني في العصر الهلنستي.

يذكر تارن، أخيراً، فكرة لإيفيرنيرس (Evehrners) من أتباع كاساندر المذكور، مؤداها أن للآلهة أصلاً واحداً: كانوا بشراً، وأصبحوا آلهة لبطولتهم.

وكان أقدم هؤلاء الأبطال رجلاً اسمه أورانوس، كان يعمل كل يوم على ارتقاء جبل من الجبال، لكي يتأمل من قمته السماء وأفلاكها. وعندما عرف هذه الأفلاك، وتبين حركاتها، ونظام تلك الحركات، رأى أن يقدم لها القرابين والضحايا. وهكذا بدأ الدين ديناً فلكياً، وكان أول الآلهة ومثالهم الأعلى أورانوس، أي السماء والأفلاك مجتمعة. - ويدل هذا الموقف في نظر تارن على أمرين: أولهما أن آلهة المدينة اليونانية كانوا في ذلك الوقت في تدهور مستمر، وإلا لما صرح أحد المقربين من الحكم بهذا الرأي الذي يقرر لآلهة اليونان أصلاً بشرياً. والأمر الثاني هو أن فكرة إله للسماء، يكون أول الآلهة وأعظمها، كانت فكرة سائدة في هذا العصر، خارج محيط الفلاسفة والمفكرين المتخصصين أنفسهم (بلدي 1962: 68).

وهذه الفكرة تعزز ما ذهبنا إليه من أن الإله آنو وهو إله السماء في وادي الرافدين (وهو مرادف لأورانيوس عند الإغريق) أصبح يعبد بقوة تحت هاجس التأثيرات الهلنستية الجديدة.

ب. تأليه الملوك البطالمة

أعلن بطليموس الأول، بعد توليه حكم مصر وملوكيتها عام 305 ق.م، عبادة الإسكندر الأكبر عبادة رسمية في مصر.

هدف بطليموس منه إعطاء مدينة الإسكندرية عاصمة مملكته مهابة دينية لأنها تحوي ضريح الإسكندر الأكبر مؤسس الإمبراطورية المقدونية. ولهذا بنى ضريحاً هو «السوما» وسمى الشارع الرأسي الرئيسي في الإسكندرية باسم شارع السوما (النبي دانيال)، وأعلن بطليموس عيداً قومياً لتأسيس مدينة الإسكندرية وهو الخامس والعشرين من شهر طوبة (الموافق 20 يناير عام 331 ق.م)، حيث تقام الاحتفالات والمآدب والمهرجانات، أما أساس عبادة الإسكندر فهي تقوم على أساس عبادة البطل، الذي عاد إلى آبائه الآلهة بعد موته، وهي انعكاس لعبادة وتقديس الموتى عند الإغريق من ناحية، ومن ناحية أخرى عرفت الديانة المصرية عبادة الفرعون الذي يقدم نفسه قرباناً لافتداء شعبه، ودرء الخطر عنه، ولهذا وصف الإسكندر بأنه الروح المباركة (Agathodaemon) والروح الخيرة (Agathe-Tyche) التي كانت

هو الذي نعتبره مخلصاً بل نعتبره وحياً مجسداً . . . هذا ما سيمهد لفكرة الصلة الحية بين السماء والأرض.

ولهذا التحول أعراض ومراحل، نبه إلى أهمها المؤرخ الإنجليزي المعاصر وليام تارن (William Tarn)، في بحث قدمه إلى المجمع البريطاني في عام 1933. وكان رأي تارن أن كلمات الإسكندر عن إلهٍ هو أب لجميع الناس ولأفاضلهم بوجه خاص- إذا صحت نسبتها إليه في نصها أو في مضمونها على الأقل - لها صدى واضح عند ثيوفراسطوس تلميذ أرسطو وخليفته في رياسة المدرسة، والذي قال «إن اليونان والشعوب التي تسمى بربرية هي جميعاً من عنصر واحد، وإن أهل هذه الشعوب أقارب يرجعون إلى أصل واحد وإله واحد هو إله الأرض والسماء معاً» (بلدي 1962 : 67).

استحوذت فكرة المملكة السماوية الواحدة والإله الواحد الأب الذي له ابن إلهي واحد على أذهان الإغريق والشرقيين في العصر الهلنستي.

ويستشهد تارن بعد ذلك بمشروع لأيكزارك (Alexarque) شقيق الكساندر (Cassander) المقدوني، وهو ابن أنتيباتير (Antipater)، نائب الإسكندر في مقدونيا. رأى أليكزارك أن ينشئ، في جزء من جزيرة أتوس التي منحها إياه شقيقه، مدينة صغيرة سماها أورانوبوليس، أي مدينة السماء، أرادها أن تكون مدينة عالمية مصغرة، وسمى سكانها الأورانيين، أي أولاد السماء. ورأى أن يتخذ لتلك المدينة لغة عالمية. وكان يبدأ خطاباته إلى الملوك بالعبارة (سلاماً يا الحكام الأخوان). ذلك ما دام جميع مواطني العالم أبناء السماء وبالتالي إخوة فيما بينهم (بلدي 1962 : 68).

بل إن الأمر يتخطى ذلك حين نعرف أن هناك من الفلاسفة والمفكرين من كان يرى أن أصل الآلهة جاء من البشر (وهي فكرة معاكسة لفكرة الإسكندر كابن للإله السماوي الأب)، وبذلك نكون قد كسرنا الحواجز تماماً بين أن يكون الإنسان إلهاً أو أن يكون الإله إنساناً، وهذا يقرب صورة المزاج الديني في العصر الهلنستي.

يذكر تارن، أخيراً، فكرة لإيفيرنيرس (Evehrners) من أتباع كاساندر المذكور، مؤداها أن للآلهة أصلاً واحداً: كانوا بشراً، وأصبحوا آلهة لبطولتهم.

وكان أقدم هؤلاء الأبطال رجلاً اسمه أورانوس، كان يعمل كل يوم على ارتقاء جبل من الجبال، لكي يتأمل من قمته السماء وأفلاكها. وعندما عرف هذه الأفلاك، وتبين حركاتها، ونظام تلك الحركات، رأى أن يقدم لها القرابين والضحايا. وهكذا بدأ الدين ديناً فلكياً، وكان أول الآلهة ومثالهم الأعلى أورانوس، أي السماء والأفلاك مجتمعة. - ويدل هذا الموقف في نظر تارن على أمرين: أولهما أن آلهة المدينة اليونانية كانوا في ذلك الوقت في تدهور مستمر، وإلا لما صرح أحد المقربين من الحكم بهذا الرأي الذي يقرر لآلهة اليونان أصلاً بشرياً. والأمر الثاني هو أن فكرة إله للسماء، يكون أول الآلهة وأعظمها، كانت فكرة سائدة في هذا العصر، خارج محيط الفلاسفة والمفكرين المتخصصين أنفسهم (بلدي 1962: 68).

وهذه الفكرة تعزز ما ذهبنا إليه من أن الإله آنو وهو إله السماء في وادي الرافدين (وهو مرادف لأورانيوس عند الإغريق) أصبح يعبد بقوة تحت هاجس التأثيرات الهلنستية الجديدة.

ب. تأليه الملوك البطالمة

أعلن بطليموس الأول، بعد توليه حكم مصر وملوكيتها عام 305 ق.م، عبادة الإسكندر الأكبر عبادة رسمية في مصر.

هدف بطليموس منه إعطاء مدينة الإسكندرية عاصمة مملكته مهابة دينية لأنها تحوي ضريح الإسكندر الأكبر مؤسس الإمبراطورية المقدونية. ولهذا بنى ضريحاً هو «السوما» وسمى الشارع الرأسي الرئيسي في الإسكندرية باسم شارع السوما (النبي دانيال)، وأعلن بطليموس عيداً قومياً لتأسيس مدينة الإسكندرية وهو الخامس والعشرين من شهر طوبة (الموافق 20 يناير عام 331 ق.م)، حيث تقام الاحتفالات والمآدب والمهرجانات، أما أساس عبادة الإسكندر فهي تقوم على أساس عبادة البطل، الذي عاد إلى آبائه الآلهة بعد موته، وهي انعكاس لعبادة وتقديس الموتى عند الإغريق من ناحية، ومن ناحية أخرى عرفت الديانة المصرية عبادة الفرعون الذي يقدم نفسه قرباناً لافتداء شعبه، ودرء الخطر عنه، ولهذا وصف الإسكندر بأنه الروح المباركة (Agathodaemon) والروح الخيرة (Agathe-Tyche) التي كانت

تصور في شكل حية. وأغلب الظن أنها خصائص دينية مترجمة عن المصرية كان يوصف بها الفراعنة بعد موتهم (الناصري 1992: 134-135)

وقد مهّد بطليموس، بهذا الإجراء، لعبادته هو وتأليه والديه وكونه سليل الآلهة وليس البشر وبمجموعة إجراءات غير مباشرة شملت الإسكندر وعائلته ليبدو وكأنه وريث الإسكندر.

فبنى في الكرنك مقصورة لفيليب أرهيدايوس وهو يتعبد إلى جحوتي أو «تحوت» رب المعرفة؛ وأقام في بهو الأعمدة تمثالاً للإسكندر مع روكسانا، وصور نفسه على إحدى البوابات وهو يتعبد أمام (موت) ربة السماء، وزوجة آمون ووالدة خونسو، وكان هذا هو ثالوث طيبة. كما ظهرت معه زوجته وهي تعزف الهارب، وبناته وهن يدقنَّ الطبول لطرد الأرواح الشريرة، بينما كان هو يهز السستروم (Sistrum) المقدس، كل هذا تم بالشكل المصري ومن أجل تملق الكهنة ومشاعر المصريين الدينية، كما حرص على حضور الاحتفالات الدينية مثل عيد «سيد» (عيد التتويج)، ورمم المعابد الشهيرة في صعيد مصر وفي الدلتا؛ والتي كانت تعرضت للنهب أو للدمار... ووصف بطليموس نفسه بأنه محبوب آمون، وحمل الألقاب الملكية الخمسة التي كان يتلقب بها الفراعنة، ويوضع اسمه في «خرطوش» على طريقة الفراعنة، لكنه حرص على ممارسة حقوقه كاملة كفرعون مصر (الناصري 1992: 135).

وفي عام 308 ق.م حرّر بطليموس جزر الكيكليدس من حكم أنتيجونس فقامت عصبة الكيكليدس بمكافأة بطليموس على تحرير جزرهم ورفعوه، لأول مرة، على مصاف الآلهة لكنها لم تعبده إلا في ما بعد باسم «الإله المنقذ» (Soter) (إبراهيم نصحي 1/ ص78).

ويبدو أن ذلك حصل في عام 205 ق.م، عندما أطلق على نفسه لقب ملك وأصبح يسمى (الملك الإله ابن الإله).

وهكذا نشأت عبادة الملوك رسمياً عندما أعلن بطليموس الثاني تأليه والديه بطليموس الأول وزوجته تحت لقب (الإلهين المنقذين) وأصبحا يُعبدان مع

مكتبة الفكر الجديد

الإسكندر الأكبر. ثم زاد بطليموس الثاني على ذلك عندما أعلن أخته وزوجته أرسينوي الثانية إلهة رسمية قبل وفاتها باسم (الإلهة المحبة لأخيها) ثم رسَّم بطليموس الثاني نفسه إلهاً فعبدا معاً كما عُبِدَ هو لوحده.

وكان زواج الأخ من أخته يعتبر فسقاً في نظر الإغريق، لكن هؤلاء بدأوا يكتسبونه من مصر التي يعتبر فيها زواج الفرعون من أخته شرعياً حفاظاً على نقاوة الدم الملكي.

وبعد بطليموس الثاني قام الملوك البطالمة جميعهم بتأليه أنفسهم مع زوجاتهم تحت أسماء مختلفة مثل الآلهة الأخوة (Adephoi) والآلهة الصالحون (Eurgetae) والآلهة المحبون لأبيهم (Philopatres) والآلهة المحبون لأمهم (Philomatres) والآلهة المتجلّون (Epiphanes) والإسكندر (Alexander)... إلخ.

وكان لهؤلاء الملوك المؤلهين كهنة متخصصون بعبادتهم وربما كانت لبعضهم معابد خاصة يُعبدون فيها.

لكن بطليموس الرابع خطا خطوة جديدة في عبادة الملوك فقد كان، على ما يبدو أحد مريدي إحدى العبادات السرية وهي عبادة الإلهة سيبيل «كيبلي» (Cybele)، وقد سمّى نفسه باسم جالوس (Gallos) وهو اسم كهنة هذه الإلهة الفريجية الأصل. وكانت تختلطُ بعبادة هذه الإلهة عبادة الإله ديونيسوس إله الخمر واللذة والشهوات، ولذلك جمع تصوف بطليموس الرابع الزهد واللذة معاً في عقيدة واحدة... وكان بطليموس الرابع من أشد المتحمسين لعبادة الإله ديونيسوس وادعّى أنه ينحدر في سلالته من هذا الإله، بل وذهب إلى أبعد من ذلك عندما أدعّى أن شخصية هذا الإله تتمثل فيه، فاتخذ لقباً رسمياً آخر هو ديونيسيوس الجديد (Neos Dionysos) كما فعل في ما بعد ذلك بطليموس الثاني عشر (الزمّار) أب كيلوباترا السابعة.

ويبدو أن البطالمة منذ بطليموس الثالث ادعّوا أنهم أبناء وأحفاد الإله أدونيس (Adonis) الذي هو الشكل الفينيقي للإله دويونسيوس، كما أنه إله إغريقي قريب من ديونسيوس ومن أفروديت... ويبدو أن نديمه أجاثوكلس كتب تعليقاً عليها علماً أن

بطليموس الرابع اتخذ لقب المحب لأبيه، وكان تلميذاً للعالم الكبير أراتوثينس والفيلسوف الرواقي سفايروس وهو خليل عصبة اللذة المكونة من (إخوان الأنس) أجاثوكلس ومحظية أجثاوكليا وأمهما أويناني.

ج. تأليه الملوك السلوقيين

لم يتردد الملوك السلوقيون في جعل عبادة الملوك سُنّةً أساسية في نظامهم الديني والسياسي لا على أساس ما نهلوه من تراث الأمم القديمة التي استوطنوا أرضها، مثل بابل وفارس وسوريا بل على أساس العدوى التي دبت فيهم من ما فعله الإسكندر الأكبر والبطالمة بعده.

فنحن نعلم أن بابل وفارس وسوريا لم يكن لها إرث ديني يجعل من الملك إلهاً كما هو الحال عند المصريين، إذ ربما ظهر طغاةٌ في هذه البلدان ولكن لم يظهر ملوك متألهون.

ويبدو أن أنطيوخس الأول هو أول من أدخل عبادة الملوك إلى الدولة السلوقية فلقَّب نفسه المخلّص أسوةً بلقب بطليموس الأول في مصر، علماً أن كلمة المخلّص وفلسفة الخلاص ودياناتها ومذاهبها كانت سمة العصر الهلنستي.

ادعّى الملوك السلوقيون أنهم انحدروا من الإله (أبولو)، واتخذوا لهم ألقاباً دينية إلهية تقترب من الألقاب البطلمية الدينية للملوك مثل يوباتر، أبينانس، ثيوس، ديونسيوس، بالاس... إلخ.

وفي برجام كان الملوك يعبدون أثناء حياتهم، لكنهم لا يؤلهون بطريقة رسمية إلا بعد موتهم، أي إن عبادة الملوك في حياتهم كانت ذات طابع سياسي، وبعد مماتهم ذات طابع ديني.

وفي مقدونيا لم يعبد الملوك كآلهة إلا في بعض المدن الإغريقية القليلة، انطلاقاً من فكرة أن بعض آلهة الإغريق الكبرى (مثل هرقل وديونسيوس وربما أبولو) كانوا من أمهات بشريات، ولذلك تأله الإسكندر وبطليموس. وظهرت عبادة الملوك عند الإغريق الإيتليين بشكل واضح.

2. عبادة النجوم (القضاء والقدر)

إذا كانت مصر مصدر عبادة الملوك، فإن بابل كانت مصدر عبادة النجوم، حيث ظهر علما الفلك والتنجيم في وقت مبكر جداً من حضارة وادي الرافدين، فقد شهدت عصور النيوليت والكالكوليت بدايتهما، ولكن سومر أعطت البعد العلمي للفلك وأصبح التنجيم معتنياً بربط النجوم بمصائر الناس. وكان السومريون يرون أن العالم الذي نحنُ فيه ما هو إلا صدى أو تكراراً لنموذج سماوي إلهي سبق ظهور عالمنا الأرضي والإنسان.

وكان التنجيم السومري يستمد من فكرة العود الأبدي جوهر فلسفته، إذ طالما كانت السماء تحتفظ بالنموذج المثالي للأحداث، فإنه يمكن اعتبار أي حدث يجري في السماء بمثابة إشارة من ذلك النموذج المثالي الذي يمكن تفسيره من قبل الإنسان. ولذلك اعتبرت حركة النجوم وتغيراتها مؤشرات على تغيرات في حياة الناس ومصائرهم وبصفة خاصة الملوك والمدن والدول (الماجدي 2003: 61).

وقد طوّر البابليون علمي الفلك والتنجيم وظهرت الأبراج السماوية في بداية الأمر كخريطة لخطوط الطول والعرض السماوية، لكنها أصبحت بعد ذلك تنجيمية تربط حركة النجوم بمصائر الناس وأقدارهم. ورغم انتعاش الفلك في بابل الكلدانية بعد سقوطها على يد الفرس إلا أن التنجيم كان يتعاظم دوره شعبياً وكان الناس يتعلقون به، حيث كانت ألواح الفلك والتنجيم مظهراً مهماً من مظاهر الحضارة العلمية في بابل سحر الإغريق لزمن طويل.

الفلكيون والمنجمون الكلدانيون

1. كيدينو (Kidinnu) الذي أصبح اسمه من بين أسماء الأعلام التي تسمى بها الإغريق تيمناً به بعد أغرقة الاسم الشرقي إلى شكل إغريقي وهو كنديناس (Kindenieas, Cidenas) وقد عاش في حدود 379 ق.م في بابل وكان رئيساً للمدرسة الفلكية في شيبرا.

كتشف تبادر الاعتدالين، ووصف بطريقة رياضية حركات كل من القمر والكواكب، وقد تم إطلاق اسم كيدينو على إحدى مناطق الجانب الآخر من سطح القمر.

وضع جداول أكثر دقة من جداول الفلكي الكلداني الآخر نابو ريمانو، «فلم تزد أرقامه التي بين بها الوقت اللازم لدورة الشمس والقمر السنوية عن ثانية واحدة من الوقت الحقيقي، بل إن بعض حساباته لدورة الأجرام السماوية تعد أكثر دقة وصدقاً من الأرقام التي كان يستخدمها الفلكيون المحدثون إلى عهد قريب، ويرجع الفضل في ذلك إلى أن الفلكي الكلداني كان تحت تصرفه سجلات عن الأرصاد القمرية خلال فترة ثلاثمائة وستين سنة، وهذا لم يتيسر لأي عالم فلكي محدث، وأثبت كيدينو أيضاً أن هناك اختلافاً بين طول السنة الذي يقاس بين الاعتدالين وقياسها على أساس الوقت بين مرتين لاقتراب الأرض إلى أدنى بُعد ممكن من الشمس» (برستد د.ت: 236).

2. نابوريمانو (Naburimannu) أو (Nabu-ri-man-nu Nabu-rimanni) (نابو ريمانو) الذي تحول بالإغريقية إلى اسم نابوريانوس (Naburianus) وباللاتينية (Nabourianos). عاش حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، وقد استطاع أن يجمع الإرصادات التي سبقته بحوالي ربع قرن ويستخدمها في وضع جداول لحركة الشمس والقمر اليومية والشهرية والسنوية «كما أرخ وقت كسوف الشمس وخسوف القمر ولأوقات وقوع بعض الأحداث الفلكية الهامة. لقد حسب طول السنة بثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وست ساعات وخمسين دقيقة وواحد وأربعين ثانية. وهذا الجدول الزمني الذي وضعه نبوريمانو كان أقدم بحث علميّ ذي قيمة إنشائية في علم الفلك وحوى عظمة لم يصل إليها العقل البشري من قبل» (برستد د.ت: 235).

العلوم البابلية في العصر الهلنستي

1. الجغرافيان ديونيسيوس (Dionysios) وزميله إيسيدوروس (Isidoros) (أي عطية إيزيس) اللذان كانا من خندق سباء وسين (Charax Spaosinou) (مدينة المحمرة الحالية على الشاطئ الشرقي لشط العرب شمال الخليج العربي).

ومن أعمال عالم الجغرافيا الإغريقي الشهير بطليموس، يتضح لنا أن الإغريق قد نقلوا آخر ما توصل إليه العلم البابلي في مجال الفلك ومراقبة الكواكب والنجوم،

وأضافوا ذلك إلى ما كانوا يلمون به، لكي يخرجوا علماً جديداً مكتملاً في العصر الهلنستي، والفرق الوحيد بين العلم البابلي والعلم الإغريقي أن الأول كان يهدف إلى الممارسة والتطبيق النافع، من أجل حاجاتهم إلى المعرفة القومية بالمواقيت والتواريخ في ضوء مسار القمر ومنازله ومواقع الأجرام السماوية وتحركاتها، بينما كان هدف الثاني هو التنظير المنطقي المجرد، أي وضع نظريات وتفسيرات فيزيائية وديناميكية، تشرح تحركات الأجرام السماوية من أجل غرض فلسفي واحد، وهو البحث عن مصدر القوة المحركة التي تتحكم في الكون (الناصري 1992: 365).

2. المؤرخان أجاثوكليس البابلي (Agathocles Babylonios)، أبولودوروس الأرتيميني (Artemita).

3. الحساب والرياضيات في بابل:

وفي مجال علم الرياضيات الحسابية أخذ الإغريق عن البابليين النظام الستيني والسداسي ثم بنوا عليه حساب المثلثات الذي نعرفه الآن (Trigonometrical)، وعن البابليين أيضاً أخذ الإغريق علم الظواهر والعلامات الكونية (Brontologia)، وعلم رصد مسارات ومنازل القمر (Selendromia) وعلم الظواهر الكونية عبارة عن رصد يقوم على الملاحظة للظواهر الطبيعية مثلك الرعد، البرق، الأعاصير، الكسوف، الخسوف وتحركات القمر، كما أخذوا أيضاً عن البابليين معرفة الطالع عن طريق التنجيم، وأضافوا إليه ما توصلوا إليه عن طريق قدراتهم، بل حاولوا تنظيره ووضع قواعد ثابتة له، فالنص المتعلق بمستقبل الإنسان طبقاً لبروج السماء والذي دون عام 235 ق.م كتبه ونسقه، إغريقي بعد أن استشار أحد كهنة المعابد في بابل (الناصري 1992: 365-366).

كل هذه العلوم البابلية أحدثت تغييرات هامة في العلوم والفلسفة الإغريقية، لكن التنجيم فاز بمكانة شعبية استثنائية وأثر في مجرى تطور الأديان الهلنستية المختلطة.

وهكذا استقرت فلسفة التنجيم، التي وضعت لكل إله كبير نجماً أو كوكباً سيّاراً، على أساس التقابل والتوافق وأن السماوات من فوق والأرض من تحت شقيقان متكاملان «فما كان يحدث في العالم النجمي كان يعاد إخراجه على

الأرض، وهذا هو الأمر الحيوي في الموضوع. بيد أن حركات العالم النجمي ثابتة، فإذا كان هناك إذن تقابلٌ، فكلُّ ما يحدث على الأرض كان ثابتاً كذلك، والحال بالمثل بالنسبة لأفعال الناس أيضاً فهي ثابتة، وذلك لأن الإنسان إنما هو (كون مصغر) فهو الشقيق المكمل للعالم الكبير، وروحه شرارة من تلك النار السماوية التي تتوهج في صفحة النجوم» (تارن 1966 : 367).

من هذا المنطلق قام البابليون بتطوير فكرة (القضاء والقدر) أي فكرة (الجبرية والقدرية) وأن الإنسان محكوم بقدر محكم لا يستطيع الفكاك منه، وعليه أن يخضع، وهو المذهب البابلي المسمى القدر المقدّر أو القضاء المحتوم (Heimarmene) الذي يتحكم بالنجوم والأرض والناس، وهو المذهب الذي سبب للإنسان عذاباً كبيراً بسبب خنوعه وتدمير حركته.

ربما عرف الإغريق مبادئ أولية بسيطة عن الفلك وقياسات النجوم الرياضية قبل العصر الكلاسيكي لكنهم لم يسمعوا بالتنجيم إلا حوالي 400 ق.م من خلال اتصالهم ببابل وعلومها، لكن بيروسوس (برعوشا) وهو الكاهن البابلي الهلنستي هو الذي جلب إلى الإغريق، حوالي 380 ق.م، أصول هذا العلم وطرائقه.

إنه بالقدر الذي تأثر الفلك اليوناني بالفلك البابلي واغتنى به إلا أنه التنجيم البابلي كان له، هو الآخر، سطوة كبيرة على الناس والملوك، بل إنه تفوق على الفلك وهزمه عند نهاية القرن الثاني قبل الميلاد. واستمر التنجيم قوياً في الشرق الروماني وفي روما نفسها.

وفي الإسكندرية أخذ التنجيم الهلنستي شكله المتكامل عندما استنبت علماء الإسكندرية له جذوراً مصرية نسبوها لملك مصري أسطوري هو (نخيبسو) وكاهنه (بيتوسيريس) ومن الإسكندرية انتشر التنجيم إلى عالم البحر المتوسط كله.

وزحفت مع التنجيم الأرقام السومرية والبابلية المقدسة الفلكية والتنجيمية 360 يوماً، 36 جزءاً في الجسم المحكومة من قبل الشياطين و12 برجاً وشهراً وغيرها. والأرقام 7 ومضاعفاتها وكأن هذه الأرقام هي مسيّرات القدر وكانت الكواكب السيارة السبع (الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل) هي التي تشرف على مصائر الناس وتحكم عروش الملك، ونشأ من رقم (7) السومري/ البابلي

سماواته السبعة وأرضه السبعة وأعماره السبعة وأبواب الجحيم السبعة وعجائب العالم السبعة (الهلينسلوقية) (مكاوي 1999 : 174).

وكانت علامات البروج تحكم الأرض ومواقع المدن. فقد شهدت صور بعض العملات «بأن أنطاكية ونصيبين كانتا تحت سيطرة برج الحمل، والرها تحت سيطرة برج الدلو، وأن سنجارا وريسايِنا تحت برج القوس، ولكن الذي كان يهم الناس هو أن مصائرهم كانت ثابتة منذ الولادة بفضل نجومهم، كما أن المنجِّم المقتدر كان يستطيع أن يتنبأ لهم بالمستقبل عن طريق حساباته لطوالعهم» (تارن 1966 : 369).

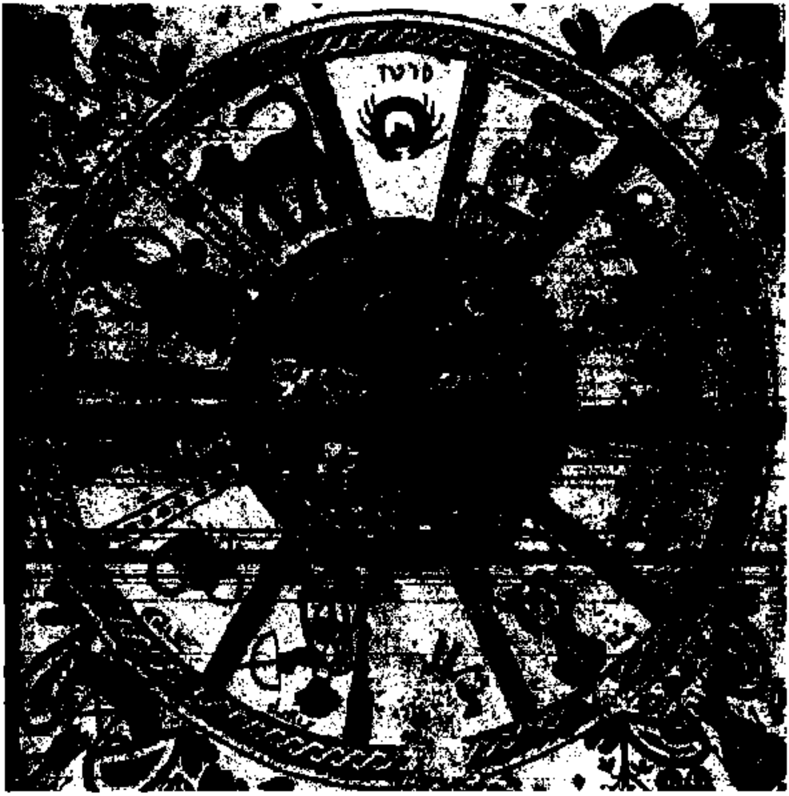

الشمس (هيلوس) بعربته تتوسط علامات البروج الإثني عشر

قطعة موزائيك هلنستية من بيت ألفا في شمال فلسطين من القرن السادس الميلادي

http://www.wisdomportal.com/Poems2009/Notes- HymnToTheSun.html

كان التنجيم في جوهره يعني إنكار وجود الآلهة أو الإله الواحد لأنه كان يؤكد أن العالم يسيّر نفسه بنفسه بآلية ميكانيكية تعمل وفق قوانين منطقية لا يتدخل فيها أحد أو إله.

وهكذا تطور التنجيم إلى القول بأن معرفتنا بجزء من الكون (مثل النجوم) يعرّفنا تلقائياً بأجزاء أخرى منه (مثل الأرض ومعها الإنسان)، فإذا صادف ميلاد الإنسان في برج كوكب معين فإن السائل الأثيري (الهواء) الذي يرسله الكوكب صوب الأرض يؤثر في الطفل الوليد ساعة مولده وفي مستقبل أيامه وليس هناك أي مكان لوساطة الآلهة أو للإرادة الحرة وحظ الشخص محدد مثل حركة السموات نفسها... (مكاوي 1999: 174).

ومن الزودياك البابلي وضع الإغريق الزودياك الإغريقي الهلنستي الذي شاع وانتشر والذي نعرفه اليوم.

الزودياك (دائرة البروج) الهلنستي
http://www.nataleni.com/greeks-fundamental-astrology/

وهكذا كان لابد من عبادة هذه الكواكب والنجوم، سواء باعتبارها آلهةً أو باعتبارها أجراماً سماوية تشرف على مصائر الناس، لم يعد هناك فرقٌ في أن تكون آلهة أو أجراماً، المهم أن ملقها وعباداتها كانت مدعاة لولادة أديان جديدة مثل (دين حرّان) الغريب الذي كان كوكبياً تماماً، وهو دين هلنستي بابلي الأصول.

وكان أقصى ما يستطيع المرء هو أن يتحاشى بعض النتائج المترتبة على قيمة القدر كأن يختار موعداً معيناً لعمل بعينه تكون فيه الأجرام السماوية ترسل تأثيرات طيبة مؤاتية إلى الأرض، أو أن يسعى للخلاص من الحظ وقيمة القدر بالبحث في ما وراء الطبيعة للهرب من العبودية إلى القدر. إن المعرفة كانت الحرية والاندماج في الخالق، كانت تعني الهروب من ضعف الصورة المادية للوجود البشري... (مكاوي 1999 : 174).

كان الفلك والتنجيم فاعلين في التأثير على الفكر القديم بعامة والأديان والفلسفة بشكل خاص، وخصوصاً في العصر الهلنستي، فقد أحدث انقلاباً في التصورات الكونية والقدرية للإنسان.

ولا بد من التنويه بأن التنجيم تسرب إلى الفلسفات الهلنستية وخصوصاً الرواقية بسبب في تشابه النظامين الفكريين لهما «إذ كان كل منها يرى أن العالم وحدة متكاملة مؤلفة من كائنات عضوية وتحكمها قوة واحدة قادرة على كلِّ شيء ويربطه بعضه مع بعض شيء يسميه الرواقيون التعاطف ويسميه البابليون التقابل، وكان كلّ منهما يرى أن الإنسان عالم مصغر وأن روحه شرارة من النار الأثيرية، وتدمير العالم وتجديده بشكل متطابق عند نهاية كل حقبة عالمية، كان شيئاً مشتركاً بين الطرفين على نحو ما» (تارن 1966 : 370).

وقد رأى زينون أن الفارق بين الرواقية والتنجيم هو أن الرواقية ترى أن القضاء والقدر عند الرواقيين هو نوع من العناية الخلقية وهذه العناية هي التي خلقت النجوم، بينما كان التنجيم البابلي يرى أن القضاء والقدر أمرٌ مقدور ولا علاقة له بأي اعتبارات خلقية، أي بعبارة أدق إن القضاء والقدر عند الرواقيين إيماني أما عند التنجيميين فملحد.

لكن التنجيم والعرافة وجدنا صداهما الأكبر عند آخر المفكرين الهلنستيين،

مكتبة الفكر الجديد

الكبار وهو بوسيدونيوس (Posidonus) من أباميا في سوريا (135-51 ق.م) الذي يمثل العقل الهلنستي الشامل والذي تجتمع فيه النقائض، وكان شيشرون الروماني تلميذاً له، وقد جمع في فلسفته بين الأفلاطونية والرواقية وظهر في «صورة صاحب العقل المزدوج، الذي يقف بين الشرق والغرب وينتهل منها جميعاً، وفي صورة الفيلسوف والعالم والمنجم والمتصوف الشرقي إلى غير ذلك من نعوت، وأنه مستحدث نظام فلسفي عظيم جمع بين جميع نزعات الزمان المتداولة، العلم منها والخرافة وعبادة النجوم والعبادة الشعبية، والسماء والأرض، والناس والآلهة والشياطين» (تارن 1966: 372).

3. عبادة الحظ

كان أقوى رد على عقيدة القضاء والقدر هو عبادة الحظ والصدفة والفرصة المواتية المنفلتة من صرامة الأقدار. وإن كان القضاء والقدر يشكل مع الحظ كلاً واحداً إلا أن القضاء والقدر يمثل الجانب السلبي الاستسلامي، بينما يمثل الحظ الجانب الإيجابي المقتحم.

وكان الحظ يؤمن أمام جبروت القدرية، بأن هناك إلهاً مساعداً للإنسان يمكن أن يعينه لانتهاز الفرصة، بل ويوفر له هذه الفرصة، وكان هذا الإله عاماً تجسد بصورة أنثوية لكل إنسان على شكل الإلهة تايكي (Tyche).

تخطيط الإلهة تايكي

http://pinterest.com/tychebooks/

تطلع الإنسان إلى السماء فوجد أن ظهور المذنبات فيها لم يكن يخضع لحركة النجوم والكواكب، وهو شكل من أشكال الصدفة أو الانخطاف، «فكأنه وجد أشياء أخرى تعمل عملها بجانب الدوران الثابت للأجرام السماوية وفي مقابل ذلك أدخل التنجيم نفسه عناصر كثيرة غير منطقية تماماً، وقد استطاع أن يضمَّ الحظ إليهن وما لبث أن أخرج من جعبته مذهب (الفرص) أي الاقترابات المحظوظة للكواكب التي قد ينتهزها الجسور» (تارن 1966: 374).

وتهاوت قيم الاعتدال وبزغت صورة الإسكندر المقدوني وهو يختطفُ فرصة سطوعه إمبراطوراً وإلهاً متوجاً... ثم سطعت صورة قوّاده وهم يتناهبون إمبراطورية مثل الذئاب... لم يعد هناك قانون إلهي يحكم الناس بالعدل، ولم يعد هناك اعتقاد صارم بالقدرية، بل برزت ومضة الحظ مثل أمل بارق للبعض وسط العالم القديم المنهزم.

والآلهة التي حكمت في الماضي، سواء بعدل أو بغير عدل، أصبحت لا شيء إذا قورنت بالحظ (تايكي) وباللاتينية (فورتونا) الذي يلعب بأقدار الرجال كالأطفال ويقلب الأشياء رأساً على عقب دون توقف والتايكي (الحظ) ماكر كما أنه غير منطقي فكان الرجال تمحوهم الأحداث بدون أن يجدوا مساعدة من العقائد القديمة، ولم يكن في مقدور المدن الدول القديمة إلا أن تدعو من أجل خلاصهم. ومن هذا توجه الناس بصلواتهم إلى الحظ (تايكي) وجعلوا منه إلهتهم الحامية في عديد من المدن الجديدة في الشرق... (مكاوي 1999: 172).

وهكذا كان التنجيم قد نشّط العرافة العملية التي كان يقيمها الإنسان كمادة مختبرية لإجراء عمليات العرافة والتنبؤ بالغيب.

مكتبة الفكر الجديد

تايكي إلهة الحظ (تايكي أنطيخون من يوتيكيدس/ سيسيون)

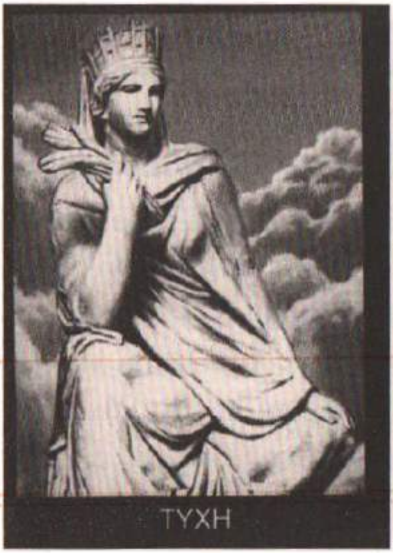

فورتنا الرومانية إلهة الحظ

http://www.mlahanas.de/Greeks/Mythology/Tyche.html

أترغاتس تايكي النبطية محاطة برموز البروج (زودياك) من الأردن/ القرن الأول الميلادي

http://www.bridgemanart.com/asset/402961/Nabataean-1st-Century/Roundel-with-bust-of-Atargatis-Tyche-and-zodiac-fr

المبحث الثالث
المؤسسة الدينية الهلنستية

المعابد

لا يوجدُ نمطٌ ثابت للمعابد الهلنستية فهي إما إغريقية تماماً باستثناء بعض الملامح الشرقية أو أنها شرقية تماماً باستثناء بعض الملامح الإغريقية أو أنها هجينة من هذا وذاك.

وتختلف المعابد الهلنستية من حضارة شرقية إلى أخرى فالمعابد السلوقية مغايرة تماماً للمعابد البطلمية وللمعابد النبطية والفارسية وغيرها. ولعل أشهر المعابد الهلنستية هي معابد الإله الهلنستي الأول سرابيس والتي تسمى سِرابيوم (Scrapeum) والتي كانت منتشرة في العالم الهلنستي كله والبطلمي منه بشكل خاص. وإذا كان المعبد المركزي للإله سرابيس في الإسكندرية (سرابيوم الإسكندرية) يحتوي على طقوسٍ وكهنةٍ مصريين وإغريق فإن السرابيومات الأخرى يغلب عليها الطابع الإغريقي.

1. معابد السرابيوم (Serapeum)

أ. سرابيوم منف: وهو أقدم سرابيوم وكان في الأصل للإله المصري أوزيريس-أبيس، وكان الإغريق منذ بداية عهد البطالمة يطلقون عليه اسم سرابيوم أي معبد سرابيس.

كان المعبد يقوم على بعد أربعة أميال عن منف، وبالقرب من سفح التلال التي تحد وادي النيل من الناحية الغربية، وكان مكوناً من عدة هياكل أحدها يحتوي على التمثال الإغريقي للإله سرابيس.

وهيكل أمحوتب (أو إسكلابيوس الاغريقي) إله الشفاء والإله أبيس وهو الإله العجل والإله بيس (Bes) ذو التماثيل الصغيرة والإلهة إيزيس والإله هاربوكراتس ابن إيزيس وأوزيريس ذو التماثيل الكثيرة.

وكان السرابيوم يتصل بمدافن العجول أبيس المتوفاة، وكانت أجسادها المحنطة توضع في دهاليز تحت الأرض، أما العجل أبيس الحي فكان يوضع في هيكل في منف يدعى أبيوم (Apieum)، ويتصل بمعبد فتاح المقام في الأراضي الزراعية. وكان العجل أبيس الحي- وهو عجل أسود على جبهته شارة بيضاء- يعتبر صورة مجسدة لإله النيل، ويشبّه أحياناً بفتاح، وكما كان كل إله وبشر عند وفاته يصبح أوزيرس، فإن العجل أبيس يصبح بوفاته أوزيريس- أبيس (أوسار-حابي)، وكانت كل مصر تشترك في جنازته ويدوم الحداد في كل مكان سبعين يوماً، وهي الفترة التي تستغرقها عملية تحنيط الجثة (نصحي 2/ 1967: 185-186).

كان العجل الحي يسمى أبيس أوزيريس وتجري له طقوس فوق سطح أرض المعبد أما العجل المتوفى فيسمى أوزيريس أبيس وتجري طقوسه في دهاليز تحت سطح الأرض ويكون فيها إله العالم الآخر تحت اسم محلي وفي شكلٍ بشري لعله كان شكل أوزيريس جالساً على عرش وله رأس ثور، ولكن أوزيريس أبيس أو (سيرابيس) كان يصور للإغريق في شكل يناسب آراءهم. وداخل أسوار معبد سيرابيس في منف، كان يحتشد جمع خليط من الكهنة والمتعبدين، يتعبد كل منهم إلى هذا الإله في صورته المصرية أو الإغريقية وفقاً لجنسيته (نصحي 2/ 1967: 186).

ب. **سرابيوم الإسكندرية**: كان هذا المعبد تحت سيطرة رجال الدين المصريين وكانوا يدعونه معبد أوزيريس أبيس براكوتي، ويرى شوبارك أن شعائر العبادة في هذا المعبد كانت تقام وفقاً للطقوس المصرية، وأنه لم يطرأ عليها جديد إلا بعض المظاهر الخارجية، مثل تقديم سيرابيس للإغريق في شكل إغريقي. وكان يعهد إلى كهنة سرابيوم منف بتولي مناصب دينية في سرابيوم الإسكندرية (نصحي 2/ 1967: 187).

وكان هذا المعبد الإغريقي يضم هيكلاً لسرابيس المصري، مثلما كان سرابيوم منف يضم هيكلاً لسرابيس الإغريق. ولا شك في أن طقوسه الإغريقية كانت ذات أسرار تختلف عن الطقوس المصرية القديمة.

يجمع معبد سيرابيس في الإسكندرية بين عناصر شرقية وأخرى يونانية. وشيّد

هذا المعبد فوق أرضيةٍ مرتفعةٍ، ويكون الوصول إليه عن طريق بوابةٍ مقببة تؤدي إلى ساحة فيها حوض للمياه، وهناك مكتبة تتصل بمبنى المعبد، وتحت المرتفع الذي أقيم عليه المعبد توجد حجرات ذات أقواس تستخدم لممارسة الطقوس الدينية. وقد أقيم هذا المعبد على مكان لمعبد إيزيس وسرابيس القديم وكان، على الأرجح، بطليموس الثالث هو الذي أنشأ هذا المعبد الذي سمي بـ(السيرابيوم) يتألف السيرابيوم من سياج مستطيل (175,70 × 87 م) ويمتد في موازاته من الداخل بهو أعمدة أيونية ويقع المعبد في الجزء الشمالي من حرمه، حيث توجد بقايا معبد إيزيس.

تمثال أبو الهول في سرابيوم الإسكندرية

http://2guysreadinggibbon.wordpress.com/page/18/

وهكذا يتضح أن سيرابيوم الإسكندرية كان يشبه معبدي أدفو ودندره المصريين من حيث تشييده في الجزء الشمالي من حرمه، وكذلك من حيث امتداد محوره من الشمال إلى الجنوب، ولم يعثر على مبانيه الأرضية باستثناء بعض الدهاليز والغرف المنحوتة في الصخر تحت الأرض والتي كانت تستخدم لأغراض دينية ولتخزين كتب المكتبة الصغرى.

ويستخلص من المصادر القديمة أن هذا السيرابيوم كان معبداً عظيماً يقوم على ربوةٍ مرتفعةٍ ولذلك كان يؤدي إلى سياجه المقدس سلمٌ كبير يتألف من مائة درجة، وأنه كانت له مداخل شامخة وأعمدة ضخمة تحيط بجهاته الأربع، وأنه قد وضع فـ.

مكتبة الفكر الجديد

قدس الأقداس تمثال لسرابيس دقيق الصنع ومرصع بالأحجار الكريمة فلا عجب إن كان هذا المعبد يعتبر أعظم المعابد في حوض البحر الأبيض المتوسط، حتى أنه كان لا يفوقه سوى معبد الكابيتول في روما (نصحي 2/ 1967 : 197).

ج. سرابيوم أبيدوس: في أبيدوس، مقر ثالث المعابد الكبيرة لسرابيس، لم يكن هذا الإله سوى الترجمة الإغريقية لأوزيريس. ونستدل على ذلك من أنصاب الموتى التي زينت حسب التقاليد المصرية بمنظر يمثل أوزيريس، وهو يستقبل الموتى، ووجهت الأدعية التي على الأنصاب باللغة الهيروغليفية أو الديموتيقية على أوزيريس، أما باللغة الإغريقية فأنها وجهت على سرابيس. وقد وجدت أنصاب مماثلة في مقابر الفيوم وسقارة... (نصحي 2/ 1967 : 189).

2. هيكل الخزنة

يمكن أن يكون هيكل خزنة الفرعون (وهو اسم شعبي غير دقيق) معبداً هلنستياً للإلهة النبطية مناة التي يعتبرها الأنباط إلهة القدر والمنية والعالم الأسفل والتي صارت في عصور لاحقة حارسة مدينة البتراء وإلهة الحظ فيها، وهذا يعني أن هذه الإلهة كانت تقابل كور أو برسفوني من جهة والإلهة تايكي إلهة الحظ من جهة أخرى.

هيكل الخزنة

http://biala.50webs.com/page_story/story_02.htm

وتتميز واجهة الهيكل بطرازها الهلنستي الرفيع فهو آية من آيات المعمار الهلنستي الديني الذي جمع بين الطراز الإغريقي والطراز النبطي القديم. وهذه الواجهة محفورة في الحجر وتتكون من قسمين رئيسيين: العلوي يتكون من ثلاث واجهات صغيرة اثنتان تتميزان بإفريز مرتفع، أما الوسطى فلها أفريز دائري وتعلوها جرّة محطمة. وفي كل من هذه الواجهات الثلاث تماثيل هلنستية. أما القسم السفلي فيتكون من الجبين المثلث المرفوع على إفريز يقف على ستة أعمدة بينها يتعدد مدخل الهيكل. وعلى جانبي المدخل تمثالين محطمين لحصانين وراكبين يعتقد أن لهما علاقة بالرحيل إلى العالم الأسفل بعد الموت.

3. معبد أبولو في ديديما:

ومن المعابد ذات الطابع الهلنستي في بلاد الإغريق معبد أبولو في ديديما ويؤرخ هذا المعبد بحوالي عام (330 ق.م - 41 م) وهناك معبد هيكاتي (Hekate) في لاجينا الذي يحتوي على ثمانية أعمدة في كل نهاية وأحد عشر عموداً في كل جانب، ويحيط بهذا المعبد أعمدة تتصل بالحجرة الرئيسية في المعبد ويعرف هذا الطراز باسم الجناحين الكاذبين (Pseudo-dipteral) (ريختر 1982: 55).

معبد أبولو في ديديما (330 ق.م - 41 م)

http://www.didyma.com/listingview.php?listingID=10

وهناك أيضاً المعبد الأولمبي لزيوس في أثينا والمسمى بـ(Zeus Olympios) وهو من الطراز الكورنثي وأبعاده الأرضية هي (41 × 188 م) وله صف مزدوج من الأعمدة، به عشرون عموداً في كل جانب وثلاثة صفوف خلفية، يتكون كلّ منها من ثمانية أعمدة. . . (ريختر 1982: 55).

ويعتبر مذبح زيوس وأثينا في برجامون من أشهر المذابح في العصر الهلنستي وقد شيد في زمن يومينيس الثاين (197–159 ق.م) ويتكون من فناء أيوني له جانبان بارزان ويقوم على مرتفع عالٍ، ويزدان بنحت بارز يصور تمثال الآلهة والعمالقة، وهناك إفريز أصغر على الجانب الداخلي لجدار الفناء الخلفي بصور قصة تيليفوس (Telephes) وقصة تأسيس برجامون. وشيد هذا المذبح بين الجدران الثلاثة. . . (ريختر 1982: 56).

المذبح الأكبر في بيرجامون (موجود الآن في برلين)
النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد

الفصل الثالث

المثولوجيا الهلنستية

أطلس

كانت النتائج المباشرة، من نهج الإسكندر المقدوني في خلط الشرق بالغرب، ظهور آلهة جديدة يبدو عليها مزاج الخلط واضحاً فهي تعود بجذورها إلى آلهة محلية شرقية مع هيئة إغريقية جديدة.

لقد ظل مضمون الميثولوجيا الهلنستية شرقياً في حين كان شكلها إغريقياً أما النتائج غير المباشرة والتي لم يكن يحلم بها الإسكندر أو خلفاؤه من البطالمة والسلوقيين والمقدونيين فهو ذلك الاتحاد العميق بين الميثولوجيا الشرقية في نزعتها التفريدية والتألق الفلسفي الذي كان يتجه نحو التوحيد. وقد كانت أولى ثمار هذا الاتحاد الغائر في الأعماق ظهور الغنوصية من مغاورها الشرقية البعيدة على سطح الفلسفة والأديان، ثم الصياغة التوحيدية للدين اليهودي أولاً فالمسيحي.

اختزلت الهلنستية الوثنية آلهة العالم القديم على شكل آلهة فرادى أو على شكل ثنائيات إلهية أو على شكل ثالوثات راسخة تتربع على هرم الالهة القديمة.

أما الهلنستية الموحدة فقد ظهر ينبوعها من أغوار الفلسفة والغنوصية حتى بلورت أديان التوحيد الأولى (اليهودية والمسيحية)، لكن الهلنستية وهي تغمر بلدان الشرق القديم لم تكن متجانسة واحدة في جميعها فقد ظهرت أخلاطها الخاصة في كلّ مكان حسب تراث ذلك المكان وموجهاته وخزائنه.

وسنركز على نموذج هلنستي واحد معروف هو النموذج المصري الذي يختصر ماحصل في الميثولوجيا الشرقية في العصر الهلنستي مع إطلالة سريعة على تراث وادي الرافدين الهلنستي.

المبحث الأول
المثولوجيا الهلنستية في مصر

يحدثنا بلوتارك بأن بطليموس الأول كوّن لجنة من علماء الدين كان من بين أعضائها الكاهن المصري (مانثو) والكاهن الإغريقي (تيموثيوس). وقد استقر رأي اللجنة على أن يكون محور الديانة الجديدة ثالوثاً، يتألف من سيرابيس وإيزيس وهربوكراتس، وقامت اللجنة بتنظيم شؤون هذه الديانة (نصحي 2 / 1967: 180).

حصل ذلك إذن بطريقة صناعية ماهرة، كان الميل فيها للديانة المصرية، فقد كانت إيزيس هي الإلهة الأم المصرية المرتبطة بالخصب والحب والجنس وغيرها، وكان ابنها الإله هربوكراتيس هو ابنها الإله الطفل حورس من أوزيريس ويصور جالساً على زهرة لوتس وأصبعه على شفتيه كإله الصمت. أما كبير الثالوث الإله سيرابيس فقد اختلفت فيه الآراء وتعددت وفي جميع الأحوال فقد جمع هذا الإله في شخصيته إلهاً مصرياً وإلهاً إغريقياً.

1. سرابيس

الأصل المصري لسيرابيس: كان الإله أوزيريس هو الأصل المصري للإله سيرابيس فقد كان الإله أوزيريس إلهاً عاماً يُعبد في مصر كلها، ولم يكن إلهاً محلياً لمنطقة معينة، ولذلك فقد كان يمكنه الاتحاد بأي إله مصري آخر ليجسد الخصب أو الحياة الآخرة. فقد كان أوزيريس على الأرض يمثل الخصب والحياة وكان تحت الأرض يمثل إله الموتى والشفيع لهم، لكن المنطقة التي انطلق منها أوزيريس ليكون سيرابيس كانت منف، حيث عقيدة الإله (بتاح) هي السائدة هناك... فكيف تمّ الربط بين أوزيريس وبتاح؟

كان الإله (بتاح) يمثل الإله الخالق عن طريق الكلمة وعن طريق دولاب الفخار الذي اشتهر به، وكان يتجسد بصورة الكبش ذي القرنين وأحياناً بصورة العجل (أبيس) الذي كان يسمى (حابي) عندما يتعلق الأمر بتجسيد النيل الحي. هذا كلّه

والعجل والنيل ويتاح على وجه الحياة. أما عندما يتوفى هذا العجل الذي يمثل كل هؤلاء فإنه كان يسمى (أوزيريس-أبيس) وهذا شأن كل إله أو بشر متوفى، حيث يسبق باسم أوزيريس، واختصاراً لذلك كان يسمى (أوسار-حابي) أو (أسار-حابي) .(Osar-Hapi)

العجل الإله أبيس (آبي)

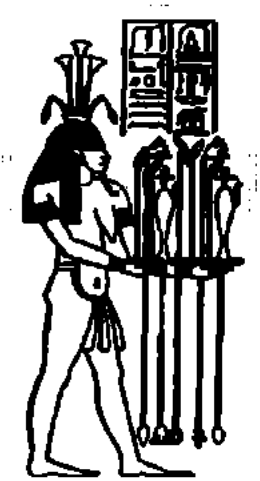

أوسار-حابي أو حابي إله النيل

http://www.all4yah.org/ecclesia-of-elohim/ruhappy.htm

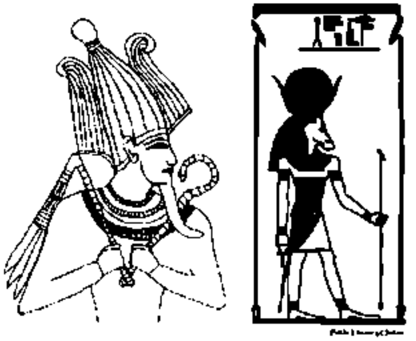

أزووريس وأوزوريس أبيس (أوزر آبي)

http://kids.flevoland.to/kleuren/kunst/osiris.shtml

http://www.bible-history.com/ibh/Egyptian+Gods/Apis/Osiris-Apis

مكتبة الفكر الجديد

وكان الإغريق يدعونه أوسورأبيس (Osarapis) وأوسيرابيس (Oserapis) وسورابيس (Sorapis) وسارابيس (Sarapis) وسيرابيس (Serapis). وعندما فتح الإسكندر مصر كانت مذاهب منف قد اكتسبت من الأهمية بين الناس ما فقدته مذاهب العاصمة القديمة طيبة، فإذا أريد اتباع رغبات الناس وإقامة الديانة الجديدة على أسس قوية، كان لا بد من اختيار معبود هذه الديانة من بين آلهة منف (نصحي 2/ 1967: 182).

كانت هناك مجموعة من معضلات الدمج أهمها التجسيد الحيواني للآلهة في مصر والذي كان منفراً عند الإغريق الذين اعتادوا أن يروا الآلهة في شكل بشري متناسق.

كان الإله المصري يمثل ويعبد على هيئة العجل. ولكن خشي البطالمة ألا يتقبل الإغريق هذه الصورة الحيوانية للإله، ولذلك قرروا عندما أقاموا له معبد السرابيوم بالإسكندرية، أن يدخلوا على شخصيته تعديلين: الأول يمس اسمه فأصبح سرابيس ليسهل على الإغريق نطقه. والآخر هو تصويره في صورة بشرية، ومنحه هيئة تشبه زيوس نفسه. ورغم جهود البطالمة في الترويج للإله سرابيس والإنفاق على معابده، فإن المصريين لم يقبلوا على عبادته أولاً، واعتبروا ما حدث للإله هو نوع من المسخ لشخصيته. ولذلك سرابيس ظل نحو قرن ونصف من تاريخ الدولة البطلمية إلهاً رسمياً بعيداً (العبادي 1975: 52).

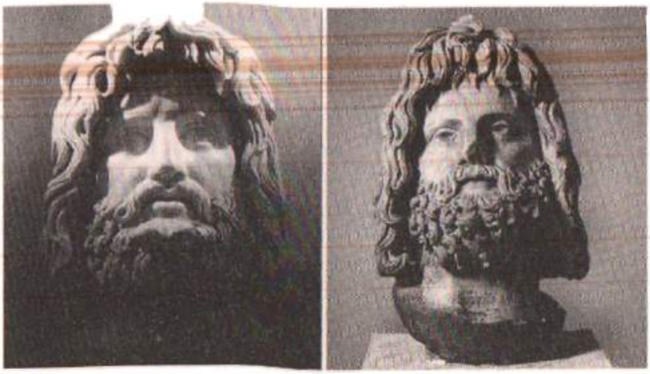

سرابيس

http://www.touregypt.net/featurestories/serapis.htm

وحقيقة الأمر تبدو أعمق من ذلك بكثير، لأننا بعودتنا إلى الإيقاع الباطني الذي رافق ظهور العقائد والآلهة الهلنستية يمكننا أن نفسر الكثير من حقيقة سيرابيس. فقد كان الإله (بتاح) إلهاً باطنياً تتجلى باطنيته هذه في ثلاثة أمور هي: كلمته الخالقة (اللوغوس)، ارتباطه بالنيل (حابي)، ارتباطه بالعجل (أبيس).. وكانت النزعة الباطنية التي غمرت كهنة ورجال الدين في العالمين الشرقي والغربي تدفعهم لإظهار العمق الإسكاتولوجي (ما بعد الموت) في شخصية (بتاح)، ولذلك فقد كان أوزيريس هو الذي يجسد هذا العمق الباطني وبذلك تحول أوزيريس إلى تعبير عن حقيقة مزدوجة للباطن والظاهر كانت تتردد في الوقت نفسه في الأورفية الإغريقية.

نقصد من استنتاجنا هذا أن الدافع الباطني هو الذي أعطى لهذا الإله (بتاح، أبيس، حابي) شخصيته الأوزيرية التي تعنى بما بعد الموت، وكأن ذلك كان يدفع إلى إيجاد شفيع أو مخلص مثل أوزيريس في شخصية إله لوغوسي مائي خصبي.

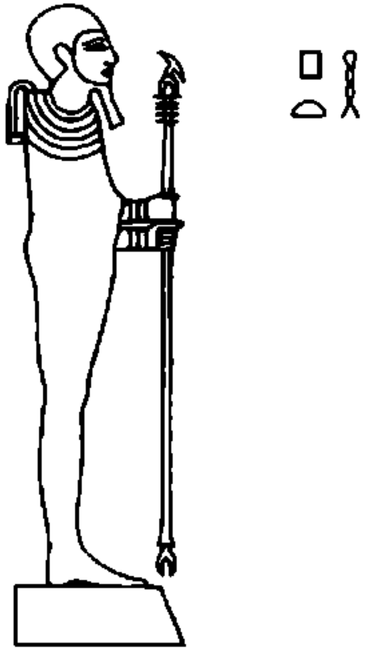

الإله بتاح

http://pixabay.com/nl/overzicht-historische-egypte-god-33966/

الأصل الإغريقي لسيرابيس

يرى بلوتارخس وتاكتيوس أن بطليموس الأول هو من ابتكر عبادة سرابيس عن جذور إغريقية قديمة، ولعل ما يؤيد ذلك أن الشاعر ماندروس ودمتيريوس الفاليري كانا يمارسانها في القرن الثالث قبل الميلاد.

كان النظير الإغريقي لأوزيريس هو ديونسيوس إله الخمر والمتعة وهو الإله الميت أيضاً وشفيع الموتى بعد الموت وهو إله شعبي شرقي المنشأ، فقد كان يوحي بأساطير ديموزي وتموز وأدونيس وأوزيريس القديمة.

كان ديونيسيوس قد دخل الديانة الأورفية في شكل زاجروس الذي سينحدر إلى العالم الأسفل، وهذا ما يجعله مشابهاً لأوزيريس ونرى بأن نقطة انطلاق ديونسيوس نحو سيرابيس كانت من علاقة ديونسيوس بالإله زاجروس (Zagreus) وهو الوجه الميت أو المتوفى من ديونسيوس.

كان زاجروس ابن زوس من برسفونة التي اقترن بها على هيئة ثعبان، أما ديونسيوس فقد كان ابن زوس من الأدمية سيميليه التي ذابت عندما نظرت إلى جلال زوس كله وهي حامل في شهرها السادس فقام زوس بإنقاذ ديونسيوس وأخفاه في فخذه ليكمل شهور الحمل، وعندما ولد حوّله زوس إلى جدي خوفاً عليه من زوجة زوس (هيرا)، ثم أصيب بالجنون وتعلم من سيبيل صناعة الخمر ثم شفي وأصبح إله السكر والنشوة. ويسمى زاجروس أحياناً بـ(ديونسيوس الثاني)

كلّ هذا يتفق مع الإيقاع الباطني الذي كشفناه عند أوزيريس ولاحظنا أن ظهور العجل يتكرر في أبيس وديونسيوس وزاجروس وهو ما يكوّن قاسماً مشتركاً بينهما إضافة إلى المستقر الجنائزي لكل هذه الآلهة وعقائده الاسكاتولوجية.

إن الإيقاع الباطني للاثنين يتجلى في العقيدة المسارية أي في العقائد الأورفية السرية وفي العقائد الأوزيرية السرية، واعتبارهما (أوزيريس وديونسيوس) إلهين مخلصين في حياة الآخرة، ناهيك بالبعد الخصبي والجنسي للإلهين في الحياة العادية، فأوزيريس هو إله الخصب المرتبط بأيزيس، وديونسيوس إله الخمر والمتعة المرتبط بديمتر والنباتات.

زاجروس ديونيسيوس

http://writer.dek-d.com/dek-d/writer/viewlongc.php?id = 456905&chapter = 1
http://www.wilsonsalmanac.com/dionysus_bacchus.html

ولذلك كان يمكن إقناع الإغريق بأن إلههم ديونسيوس زاجروس هو الذي قتله التيتان ونفخ زوس في صورته، لم يكن إلا صورة ماقبلية لأوزيريس. ولذلك كان إله كهذا خير من يصلح لأن تقوم حوله عبادة تجمع بين معتقدات المصريين ومعتقدات الإغريق، ويرى فيها المصريون عبادة أوزيريس، والإغريق عبادة ديونسيوس، وذلك بعد أن يخلع عليه اسم جديد، غير أنه كان يتحتم ألا يكون الاسم جديداً كلّ الجدة، ومن ثم كان يجب اختيار الاسم من بين الآلهة المصرية (نصحي 2/ 1967 : 181).

مكتبة الفكر الجديد

نرى أن المشرفين على إعداد الآلهة الجديدة نجحوا، بقصد أو بدون قصد، في جمع العبادة الظاهرية والعبادة الباطنية من جهة وفي رصد إيقاع الثالوث في الديانتين وتوظيفه بشكل جديد. ونرى أيضاً أن عقيدة الثالوث هذه ستمهد للثالوث المسيحي الذي نما أولاً على أرض هلنستية كنعانية آرامية مصرية حافلة بإيقاع الثالوث أيضاً، فالأب والأم والابن هو أول ثالوث مسيحي مناظر للثالوث الهلنستي، ويقودنا هذا أيضاً إلى تأكيد صلة الرحم الهلنستي في ولادة الديانتين الموحدتين (اليهودية والمسيحية). فالديانة اليهودية ديانة قربانية، والديانة المسيحية تعتبر المسيح الفادي كذبيحة إلهية افتدت البشر.

تمثال وشكل سرابيس الإغريقي

لعل أشهر وأقدم تماثيل سرابيس هي تمثاله الشهير في معبد السرابيوم في الإسكندرية والذي يرى البعض أنه جاء من سينوب التي تقع على البحر الأسود أو أن النحات برياكسيس هو الذي صنعه في صورته الإغريقية ويظهر هذا التمثال مرتدياً ملابس إغريقية (خيتون) طويلاً تعلوه هيماتيون فضفاضة وفي شكل يشبه عن قرب الإله زوس وشعر رأسه ولحيته الكثّ وهو يحمل فوق رأسه المد (السلة المقدسة) التي كانت مألوفة في طقوس ديمتر الأليوسية وتطل سنابل قمح ذهبية من هذه السلة تزينها ثلاث أشجار زيتون مصورة في شكل بارز، ويجلس الإله على عرش وتعتمد يمناه على صولجان، في حين يبدو أن يده اليسرى تهدئ روع القلب سيربروس الذي له ثلاث رؤوس نابحة (أسد وذئب وكلب) ويلتف ثعبان حول جسمه (نصحي 2/ 1967 : 194).

غير أن الصورة الفنية لهذا الإله الجديد، كانت إغريقية وليست على طريقة الرسم المصري. فملامحه ولحيته الكثة تذكرنا بصورة زيوس الإغريقي وكان يعلو رأسه القدح (Modius) أو السلة المقدسة (Calathos)، وتمسك يده بالصولجان رمز القوة، وحيناً قرن الإخصاب (Cornucopia)، وعند قدميه يجلس الكلب الأسطوري كربيروس (Cerberos) ذو الرؤوس الثلاثة، كرمز لسيادة مساربيس ونفوذه على العالم الأسفل تماماً مثل أوزوريس المصري. أما إيزيس الهلنستية

زوجته فقد صورت جالسة على العرش، ترضع وليدها هاربوكراتيس، وبذلك تكون الثالوث السكندري (Triad) الذي غزت عبادته أقطار البحر المتوسط، خاصة بلاد اليونان وإيطاليا، ووصلت إلى بريطانيا في العصر الروماني (الناصري 1992 : 138).

إيزيس إلى اليسار وسرابيس وديونيسوس والطفل هاربوقرط
نحت بارز من المرمر في الربع الأخير من القرن الثاني للميلاد/ تونس
http://en.wikipedia.org/wiki/Harpocrates

ومما يرويه «بلوتارخوس» نقلاً عن «مانثون» عن قصة مجيء الإله «سرابيس» إله «سينوب» الغامض إلى مصر أن «بطليموس الأول» قد رأى الإله «سرابيس» في منامه وأخذ يرجوه أن يجلب تمثاله إلى مصر، وبالتالي تنتقل عبادته مع التمثال إلى مصر، ولما كان «بطليموس الأول» لم يرَ هذا الإله من قبل فإنه استدعى رجلاً من رجاله

يدعى «سوسيوس»، وكان قد جاب أقطار العالم ووقف على أخبارها وقص عليه، فقال لـ «بطليموس» إنه شهد ذلك الإله في مدينة سينوب، وتبعاً لذلك أحضره «بطليموس» إلى الإسكندرية، حيث أقام «بطليموس الأول» معبداً عظيماً فوق أطلال معبد شيد قديماً لـ «إيزيس» و«سرابيس»، ويذكر «هيرونيوس» نقلاً عن «يوسبيوس» أن إحضار تمثال سرابيس إلى مصر كان عام 286 ق.م. وكان الإله «سرابيس» الذي اشتق اسمه من المعبودين «أوزيريس» والعجل «أبيس»، إله الخصوبة والشفاء والقيادة العليا والحياة الآخرة. (أشرف السيد الشربيني معوض البحيرى سرابيس... إله «سينوب» الغامض في مصر، موقع الموسوعة /http://histoc-ar.blogspot.com (2010/02/blog-post.html

وتذكرنا هذه الصورة بالإله الإغريقي هاديس أو بلوتو تحديداً وهو إله العالم الآخر عندهم والذي يسيطر على الأموات وهو صاحب الثروة والذي يضمن خصوبة الأرض أيضاً.

علاقة سرابيس بآلهة أخرى

1. إله سينوب: هناك روايات كثيرة تتحدث عن أصل سرابيس الذي جاء من سينوب، وخصوصاً ما يخص شكله أو تمثاله الإغريقي المشهور الذي كان في حقيقته تمثال الإله بلوتو إله العالم السفلي.

ومن الجائز أن مبعث ذلك كان أن المنطقة الصحراوية التي يقوم فيها سيرابيوم منف كانت تدعى سينوبيون (Sinopion). وإذا كانت عبادة سيرابيس الإسكندرية في الأصل عبادة إله سينوبيون منف، فلا يبعد أن يكون الأمر قد اختلط على المؤرخين القدماء، ولذلك عزوا أصل تمثال سرابيس إلى مدينة سينوب على البحر الأسود (نصحي 2/ 1967: 193).

وكما نوهنا أن بطليموس الأول حلم بشكل سرابيس قبل أن يراه، وعندما قصّ رؤياه قيل له إن هذا يطابق تمثال بلوتو في سينوب فأمر بإحضاره من هناك.

2. الإله أسكلابيوس: كان معبد سرابيس في الإسكندرية مزاراً للناس ليتعالجوا فيه. وكان من بين الذين شفاهم أشخاص عظام، فقد قيل أن ديمتريوس الفليري مستشار بطليموس الأول أصابه العمى، ولم يسترد بصره إلا بفضل سرابيس، ولذلك وجدت هناك رابطة بينه وبين أمحوتب وشبه بالإله أسكلابيوس (Asklepios) إله الشفاء عند الإغريق، وفيما نعلم لم تكن لإوسرحابي في منف هذه الصفة (نصحي 2/ 1967: 148).

والحقيقة أن علاقته بأسكلابيوس تعكس مرةً أخرى صفاته الغنوصية والهرمسية فمن المعروف بأن هذا الإله كان مقترناً بالهرمسية ويشكل أحد أقطابها.

3. الإله هيلوس: وذلك لمد سلطانه إلى الشمس فقد اقترن بهذا الإله باعتباره مانح الحياة والطاقة.

4. الإله بوزيدون: ولمزيد من بسط سلطانه على عالم المياه والبحار

5. الإله زوس: لإعطائه صفة ملك الآلهة ولذلك كان يسمى زوس سرابيس

6. الإله آمون رع: وهو يشبه زوس عند المصريين ولذلك كان يسمى سرابيس زوس آمون رع، أو زوس آمون سرابيس.

انتشار سرابيس

كان بطليموس الأول هو منشئ عبادة سرابيس في زمن يتراوح بين (286-277 ق.م)، وكان السرابيوم في منف أقدم معابده ثم احتل سرابيوم الإسكندرية مركز الصدارة في معابد سرابيس، ثم جاء معبد آبيدوس، وكان بطليموس الثالث هو باني ساربيوم الإسكندرية.

وجِل الإغريق في البداية من ارتفاع شأن سرابيس كإله أعظم للبطالمة، رغم أن إغريق مصر قبل البطالمة تعرفوا إلى هذا الإله، ولكن بشكل محدود.

ولم تلبث عبادة سرابيس أن انتشرت من الإسكندرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، بل وصلت حتى الهند وأصبحت أهم العبادات الغامضة التي غزت عالم بحر إيجة. وكانت المعابد تقام في مدينةٍ بعد أخرى، إما لسرابيس وحده أو لسرابيس وإيزيس. والطريقة التي انتشرت بفضلها عبادة سرابيس في بحر إيجة خير دليل على أن الطبقة الحاكمة هي التي قامت بنشر هذه العبادة خارج مصر مثلما فعلت داخلها (نصحي 2/ 1967: 200).

إن انتشار عبادة سرابيس خارج مصر واعتباره الإله الهلنستي الأكبر، كان أمراً مدفوعاً من قبل الإغريق أنفسهم لا المصريين، فقد كانت هناك جماعات من أتباع هذا الإله يعيشون في ديلوس ويلتقون في أيام معينة كل شهر في معبده.

كما أن بعضاً من الوثائق البردية الإغريقة التي وصلت إلينا في هذا الصدد وهي الآن محفوظة في المكتبة الأصلية بفيينا عبارة عن التماس من إمرأة إغريقية تدعى «أرتيمسيا» إلى الإله «سرابيس» لينزل نقمته على رجل أنجبت منه ابنة توفيت وباع جثتها ولم يف بدينه، ونستنتج من ذلك أن «سرابيس» الإله الذي عبد في الإسكندرية كان إله العالم الآخر الذى يعبد في المعبد المقام فوق مقابر العجول المحنطة في «منف». كانت عبادة «سرابيس» في بادئ الأمر قاصرة على مجتمعات خاصة، ولكنها أصبحت رسمية كما حدث في «أثينا» و«ديمترياس» و«لندوس» و«ديلوس» وغيرها، وقد وجدت دعاية قوية للإله «سرابيس» في مصر، وانتشرت عبادته بسرعة في العالم «الأيوني» وفي «أثينا». ومع حلول القرن الأول قبل الميلاد كانت عبادة «سرابيس» و«إيزيس» تعتبر الديانة العالمية، فقد انتشرت عبادتهما انتشاراً

مكتبة الفكر الجديد

واسعاً حتى أن عبادة «إيزيس» قد وصلت إلى «بابل» في حين وصلت عبادة «سرابيس» إلى الهند. (أشرف السيد الشربيني معوض البحيري- سرابيس.. إله «سينوب» الغامض في مصر، موقع الموسوعة /http://histoc-ar.blogspot.com (2010/02/blog-post.html

لكن عبادة سرابيس البطلمية أصيبت في ما بعد بنكستين الأولى هي تحوله إلى إله رسمي دون أن يكون إلهاً شعبياً، حيث اكتفى الناس بتوجيه الدعوات وتقديم القرابين له دون أن يكون إلههم الخاص أو ملاكهم الحارس والثانية هي أنه منذ بطلميوس الرابع تقرر الارتفاع بالإله (ديونسيوس) إلى مرتبة الإله الإغريقي الأعظم عند البطالمة وذلك بسبب زيادة شقة الخلاف بين الشعب المصري والبطالمة وبدء انغماس البطالمة بالترف والمجون ولم يكن سرابيس إلا أوزيريس المصري في حين كان ديونسيوس في شكله الدنيوي إلهاً للمجون واللذة.

لكن عبادته عادت بقوة مع الأباطرة الرومان اللافيين وانتشرت في روما عبادة سرابيس وإيزيس وعمت الإمبراطورية. ولقد دفعت أمواج نزعة التوحيد الهلنستية الإله سرابيس إلى أن يكون إلهاً واحداً أو تفريدياً (Henotheism) لكنّ شراك التعدد الإغريقي خفضته إلى أسفل، ثم عادت به أمواج التوحيد إلى الصعود. ويعكس هذا آخر نبضات الوثنية القديمة وهي تحتضر أمام إله اليهودية والمسيحية اللتين أخذتا بالتوحيد وتمثلتاه بشكل أفضل.

حتى إذا كان النصف الأخير من العصر البطلمي وجدنا هذا الإله يزداد شعبية تدريجياً ويصبح في العصر الروماني أهم الآلهة المصرية جميعاً وأشهرها. ويبدو أن هذا التحول في شعبية سرابيس لم يحدث إلا بعد أن استعاد شخصيته المصرية في معبد الإسكندرية وأقيمت له في المعبد تماثيل على هيئة العجل. وأكبر دليل على صحة هذا التفسير هو عثورنا على تمثال كامل جميل من الجرانيت الأسود لعجل أبيس في موقع معبد السرابيوم بجوار عمود السواري. وهذا التمثال موجود حالياً في المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية (صالة 6). وهذا التمثال يعود إلى زمن الإمبراطور هادريان في العصر الروماني، ولكنه يوضح استرداد الإله لشخصيته المصرية (العبادي 1975 : 53).

مكتبة الفكر الجديد

كانت هذه التحولات في مكانة أزوريس دالة عميقة على بدء العد التنازلي لأفول الآلهة المتعددة أو تحولها إلى نوع من الملائكة التابعة لإله واحد، ولا شك في أن المصير النهائي لأوزيريس، في الإسلام مثلاً، قد جعل منه الملاك الأكبر للموت تحت اسم (عزرائيل)، بعد أن انطمر تحت ركام ما حطمته المسيحية في العصر البيزنطي من تماثيل الآلهة المصرية.

فمع ظهور المسيحية وظهور الدولة البيزنطية ظهرت حملات تدمير المعابد والرموز الوثنية وأرسل الأسقف «ثيوفيلوس» إلى الإمبراطور «ثيودوسيوس» يعرض عليه أمر هدم «السرابيوم» وجاء الأمر سنة (391 م) محققاً لكل آمال الأسقف «ثيوفيلوس»، إذ أمر الإمبراطور بتدمير المعابد التي في الإسكندرية، فسار «ثيوفيلوس» ومعه جمع غفير من أتباعه إلى ساحة معبد «السرابيوم»، فقرأ الأمر الإمبراطوري على جمع غفير من الوثنيين، فدب فيهم الذعر وفروا هاربين، فصعد «ثيوفيلوس» إلى المعبد وقام بنفسه بضرب تمثال الإله سرابيس الضربة الأولى وتبعه المسيحيون الآخرون الذين أخذوا يدمرون في المعبد ما استطاعوا من تدمير ونهب وسلب. وبعد أن نفذ «ثيوفيلوس» الأمر، أمر بتحويل البناء إلى كنيسة القديس «يوحنا المعمدان» التي تهدَّمت في عام 600 م وأعاد البطريرك «إسحاق» بناءها (681-684 م) واستمرت حتى تهدمت في القرن العاشر الميلادي. (أشرف السيد الشربيني معوض البحيرى سرابيس.. إله «سينوب» الغامض في مصر، موقع الموسوعة http://histoc-ar.blogspot.com/2010/02/blog-post.htm)

2. إيزيس

تحتل أساطير إيزيس وأوزريس مكانة عريقة في المثولوجيا المصرية، وتمثل الوجه الشعبى لهذه المثولوجيا. فقد ظهرت منذ عصر الأهرامات (حوالى 2800 ق.م) واستمرت إلى القرون الميلادية الأولى وانتشرت في بلاد اليونان والرومان بل واجتاحت أرجاء العالم الكلاسيكى القديم. وكانت هذه الأساطير تمثل في عروض تمثيلية بدائية يقوم بها كهنة أوزريس، وقد انطلقت هذه العروض الأسطورية والطقسية أولاً من معبد (أبيدوس) وهو المكان المقدس الذي يعبد الإله فيه.

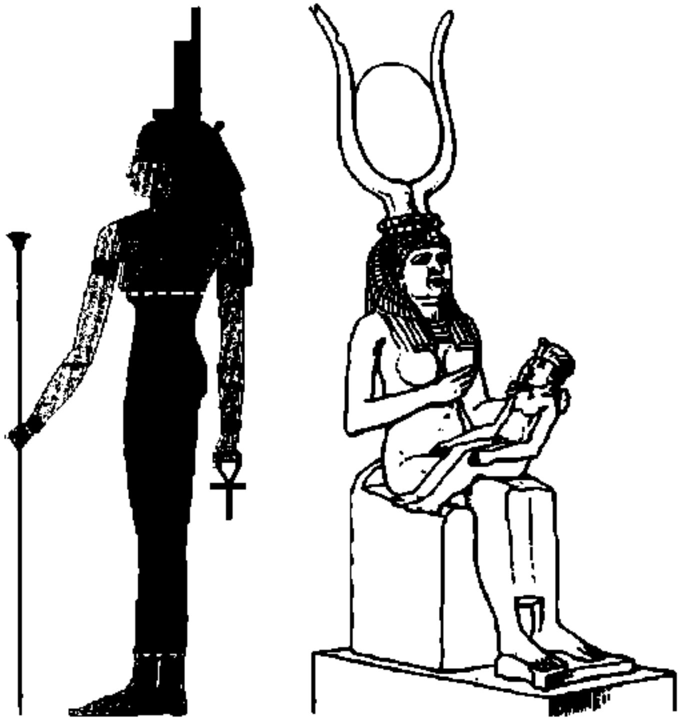

الإلهة إيزيس وهي تحمل صليب الحياة (عنخ) ثم وهي ترضع ابنها حورس
http://en.wikipedia.org/wiki/File:Isis.svg

شغلت آلام ومراثي إيزيس ونفتيس الجزء التراجيدي الحيوي من مشهد أسرار أوزريس في أبيدوس، تلك التي كانت تقام في عيد (الشقيقتين) في الشهر الرابع من فصل الفيضان من اليوم (22-26) من الشهر، حيث يتم إحضار امرأتين عذراوين يتم نزع شعر أعضائهما، وترتديان على رأسيهما شعراً مستعاراً وتحملان دفيناً وسيشار إلى اسميهما على كتفيهما لتمييز إيزيس من نفتيس وترتلان مقاطع شعرية من المراثي الأوزرية الطويلة جداً.

أصبحت إيزيس ربة الأمومة في مصر منذ زمن بعيد، لكن دورها كأم تكرّس بصورة جلية وواضحة في العصر الهلنستي، وامتدت عبادتها خارج مصر باتجاه روما، وكانت عبادتها مسارية المنحى، حيث كانت تحفل بطقوس الأسرار والخلاص، وطوبقت في العصر الهلنستي مع الإلهة أفروديت.

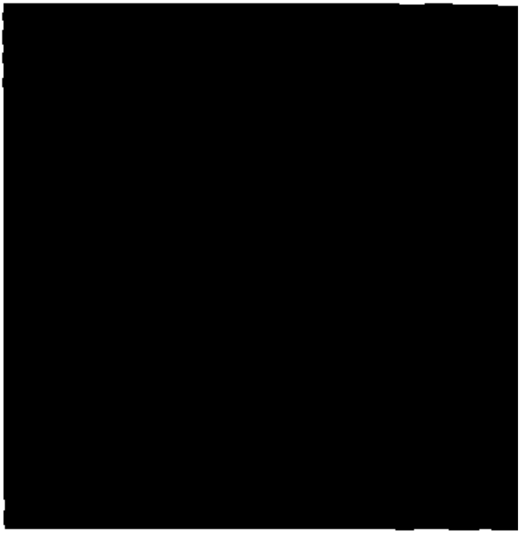

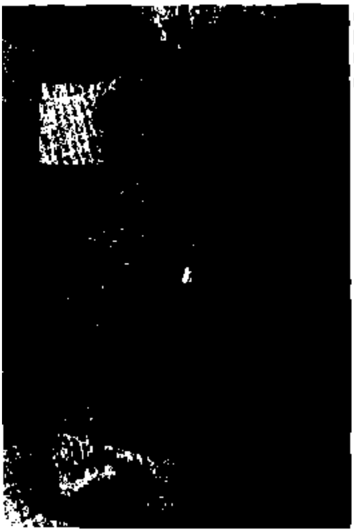

تمثال تيراكوتا لإيزيس أفروديت من العصر البطلمي

جدارية ملونة توضح طقوس إيزيس في روما.

إيزيس تحمل رموزها

تماثيل رومانية من القرن الميلادي الثاني

h..tp://en.wikipedia.org/wiki/File:Isis_Musei_Capitolini_MC744.jpg

3. هاربوقراطيس

وهو إله الصمت عند الإغريق وقد تحور في مصر الهلنستية إلى إله مصري إغريقي يطابق الإله حورس ابن إيزيس وأوزوريس (سرابيس). مصطلح (هار- با- خريد) (*Har-pa-khered*) يعني بالمصرية الطفل حورس.

بدأ تشييد المعبد الضخم للإله «حورس» في عهد «بطليموس الثالث - يورجيتس الأول» في سنة 237 ق.م، واستغرق بناء هذا المعبد حوالي 200 سنة، حيث تم الانتهاء من إنشائه في عهد «بطليموس الثالث عشر» في القرن الأول قبل الميلاد.

هاربوقراطيس من العصر البطلمي

http://en.wikipedia.org/wiki/File:Harpocrates_gulb_082006.JPG

المبحث الثاني
الهلنستية الدينية في وادي الرافدين

تنوعت العبادات في وادي الرافدين في المرحلة الهلنستية، فبعد أن دخلت الزرادشتية إلى البلاد مع قدوم الفرس الأخمينيين وظهرت المسحة الثنوية في العبادات العراقية تنامى ظهور الغنوصية المحلية قبل مجيء الإغريق فكانت المندائية والشيثية بشكل خاص.

كانت عبادة النبط والكسدانيين (الكلدانيين) تميل إلى الشيثية التي كانت موجودة في وادي الرافدين في حدود القرن الثالث قبل الميلاد، جنباً إلى جنب مع اليهودية والمندائية.

أما الديانات الرافدينية العريقة القديمة فقد استمرت هي الأخرى في بابل وأوروك وغيرها، ويمكن أن نحصي الآلهة التي ظلت تعبد بقوة:

الآلهة الذكور:

آنو: وهو رب السماوات والأرض، وكان هو النموذج الأمثل لرجل الدين الأكبر وللملك ولرب الأسرة، وكان هو على رأس (أنليل، إيا، بابوسكال، شمس، سف) كانت زوجته (آنتو) إلهة السماء.

الآلهة الإناث:

1. نانايا (أنييني (Nanaia)): وهي عشتار ربة السماء الشعبية الانتشار كربة للجمال والحب.
2. بيليت شا راش (Belit Sha Rash)
3. بيليت سيري (Belit Seri)
4. إيسي (Esi) (وهي إيزيس المصرية).

نانينا وتسمى أناهيتا من قبل الفرس

http://groups.yahoo.com/group/EthnicandCulturalStudies/message/1016

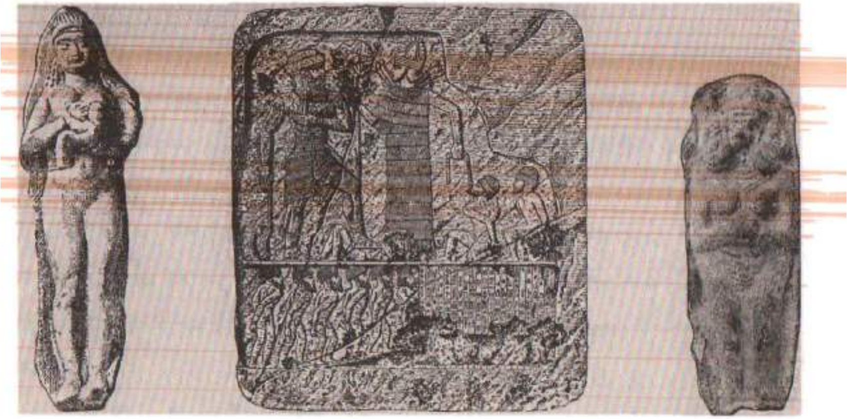

بيليت شا راش (Belit Sha Rash)

http://wisdomlib.org/mesopotamian/book/myths-and-legends-of-babylonia-and-assyria/d/doc7163.html

الآلهة الإغريقية:

1. أديشو (Adeshu) وهو الإله هاديس رب الجحيم

2. نيبا جارجو- سو (Niia-Gargusu) (نيارجنوس) وهو الاسم الإغريقي الذي أطلقه أنطيوخس الثاني على الإله البابلي (أنا يوباليت بن آنو) أقصور (Aqsur) سليل آهوتو.

ربما كانت صورة تموز وعشتار البابليين أقل بريقاً من إيزيس وأوزوريس المصريين في العصر الهلنستي، لكن هذا المشهد كان يحوي في طياته عبادات مسارية كثيرة تضمنت المساريات التموزية القديمة.

لقد كتب بيروسوس بالإغريقية مؤلفاً كبيراً عن حضارة «بابل» حتى يتمكن مواطنو الدولة السلوقية من الإغريق من الاطلاع على تاريخ وحضارة البلد الذي استوطنوه، فكما تفاخر بطالمة مصر بعراقة الحضارة الفرعونية، رأى ملوك الدولة السلوقية أنهم يحكمون بلداً لا يقل حضارة عن وادي النيل، ومن ثم، كلفوا كاهناً بابلياً بكتابة التاريخ القومي لحضارة الرافدين، رداً على تكليف البطالمة لكاهن مصري يجيد الإغريقية اسمه مانيتون، بكتابة تاريخ مصر الإغريقية، فقد شمل التنافس بين دول البطالمة والدولة السلوقية كافة المجالات، ومن بينها التفاخر بعراقة الوطن الذي يحكمونه. وهكذا ظهر مؤلف البابليات أي تاريخ بابل (Babyloniaca) كند منافسٍ لمؤلف مانيتون السمنودي «المصريات» (Aigyptiaca)، وكلا المؤلفين كان يهدف أيضاً لإغراء الإغريق بالهجرة إلى هذه الأوطان، ذات الحضارة العريقة، لأنهما كانتا من ناحية الواقع تقومان على قوة المستوطنين المهاجرين من الإغريق. من الغريب أن كلاً من هذين المؤلفين فقد وضاع، ولا نعرف عنهما سوى بعض الإشارات والفقرات التي نقلت عنهما في مؤلفات كتاب آخرين (الناصري 1992: 364).

وقد كانت النزعة الشمسية في وادي الرافدين أساس نشوء المدرسة الرواقية التي أسسها أحد أحفاد ديوجين البابلي والتي كانت فلسفة هلنستية بامتياز.

وإذا ما بحثنا عن جذور الفلسفة الرواقية (Stoicism) تلك الفلسفة التي تربط

بين دور القدر والاعتقاد بتأثير حركات الإجرام السماوية على الأحداث العالمية، وعلى فكر الناس ومصائرهم، مما يجعلنا نفكر في الديانة الكلدانية، وتطور علم التنجيم وقراءة المستقبل البشري عند البابليين فقد جاء زينون مؤسس الفلسفة الرواقية من قبرص ومن أصل شرقي، بل إنه يعتبر من بين أجداده ديوجين البابلي (Diogenes) وفي بابل تجد أن رجلاً يدعى أرخيديميوس (Archidemos) يؤسس مدرسة رواقية في القرن الثاني، ترعرعت ونمت في تربتها الأصلية، وهناك العديد والعديد من الملاحظات المتشابهة والمتناظرة بين هاتين الحضارتين في مجال الفلك والفلسفة، غير أن معلوماتنا عن النظريات البابلية المتعلقة بالأفكار الكونية والدينية في العصر الهلنستي لا تزال ضئيلة، ونحن في حاجة كما ذكرنا في أول الحديث إلى إعادة مراجعة الوثائق والنصوص البابلية، علنا نستوضح المزيد منها (الناصري 1992: 366).

مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الرابع

الفلسفة الهلنستية ودورها في التوحيد

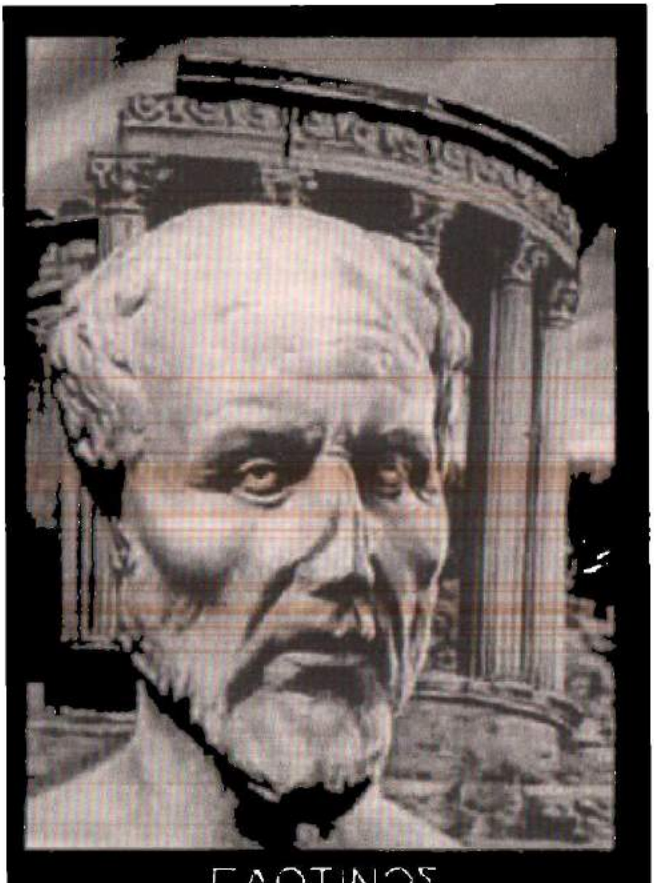

أفلوطين

المبحث الأول
العقائد الدينية الفلسفية

مثلما تهاوت آلهة الأولمب الإغريقية وغزت الهلنستية آلهة جديدة ومركّبة من الشرق والغرب، كذلك تهاوت الصروح الكبرى للفلسفة الإغريقية ولم تعد هناك فائدة ترجى من أفلاطون وأرسطو(كما هما) لحل المشكلات العقلية والروحية والأخلاقية التي ظهرت في المرحلة الهلنستية.

لم تظهر فلسفات كبرى جديدة تقارع أساطين الفلسفة الإغريقية أو تحل محلها بل ظهرت أنماط فلسفية كان يمكن أن تعد هامشية لو أنها ظهرت في العصر الكلاسيكي.

ونستطيع أن نميّز حقلين كبيرين ظهرت فيهما هذه الأنماط الفلسفية؛ الأول احتوى الفلسفات العملية الأخلاقية النزعة والمشتقة مباشرة من الفلسفة اليونانية ويمثلها تياران متعارضان هما (الأبيقورية) ذات النزعة الحسّية والرواقية ذات النزعة التصوفية والشكية لبيرون. أما الحقل الثاني فقد احتوى الفلسفات الدينية التي حاولت التوفيق بين الدين والفلسفة والمشتقة مباشرة من فيثاغورس وأفلاطون وهي الفيثاغورية الجديدة والتأويلية لفيلون والأفلاطونية الجديدة لأفلوطين.

داخل هذه التدرجات اللونية لصلة العقل بالروح والمادة بالمثال والحس بالذهن ظهرت العقائد الفلسفية الهلنستية وأثرت كثيراً على المعتقدات الدينية في عصرها، بل إننا نزعم أن انعطافة شاملة في تاريخ الأديان قد حصلت أثناء المرحلة الهلنستية وبعدها، فقد ضمرت عبادة التعدد الإلهي واكتنز حجم اللاهوت قياساً إلى المثولوجيا واتجهت الأديان نحو التفريد والتوحيد بدلاً من التعددية.

أولاً: الفلسفات العملية الأخلاقية

1. الأبيقورية (Epicureanism)

مثلما ظهر شوبنهاور بفلسفة الإرادة العملية أمام الهرم الفلسفي الذي اجتهد

هيغل في بنائه ليشمل تاريخ الفلسفة كلها، ظهر أبيقور بفلسفة اللذة العملية أمام الهرم الفلسفي الذي اجتهد أفلاطون في بنائه ليشمل تاريخ الفلسفة الإغريقية الذي سبقه.

كان شوبنهاور ينافح بكلام بسيط مسلات الهرم الهيغلي في القرن التاسع عشر، وكان أبيقور قد فعل مثله أمام مسلات المثل الأفلاطونية في القرن الثالث قبل الميلاد.

ولد أبيقور في ساموس (341-270 ق.م) من أب أثيني وأنشأ مذهبه الفلسفي المعروف ووضع له حوالي ثلاثمائة مؤلفاً وعدداً من الرسائل، لكن هذه المؤلفات فقدت جميعها ووصلتنا بعض مقتطفات من كتابه **حول الطبيعة** ولخّص لنا الشاعر (لوكريس) مذهبه في كتابه **طبيعة الأشياء**.

أنشأ أبيقور مدرسته في أثينا حوالي عام 306 ق.م، وكانت تسمى (حديقة أبيقور) وكان طلابه من الرجال والنساء المتعلمين يدرسون فيها تعاليمه وممارسة حياة اللذة حسب المذهب الأبيقوري.

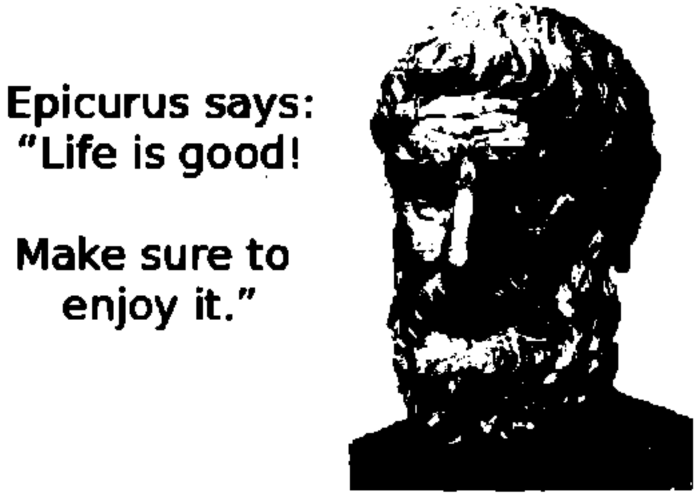

أبيقور

http://acuarios-self-help-health-wellness.blogspot.nl/2012/10/epicureanism.htm

بدأ أبيقور متأثراً بفلسفة ديمقريطس ونمت عنده فلسفة الشك بالأديان والفلسفات السابقة وقد أدرك أن العقبة التي تعترض سعادة الإنسان هي خوفه من الآلهة ومن الحياة الآخرة، وأن الفلسفة يمكنها أن تخلصنا من هذا الاعتقاد ومن الخوف، وهكذا أدرك أبيقور بحس بسيط أن الفلسفة يمكنها أن تتصدى للأديان القديمة وتوقف تأثيرها، وهذا ما حصل بالفعل.

قام أبيقور بتطوير مبدأ اللذة هذا وتجاوز المعنى الحسي إلى المعنى العقلي والوجداني، فقد رأى أن اللذات قصيرة العمر وأن بعضها يفضي إلى الألم والأذى، ولذلك نادى الأبيقوريون أخيراً بالابتعاد عن اللذات المادية وعدم السعي وراءها، حتى لا يكون هناك قلق وتوتر واضطراب. وهكذا أصبح الخير عندهم يتمثل في الطمأنينة وهدوء البال، واللذة يجب أن تؤدي إلى هذا الأمر لا إلى إشاعة البلبلة في الحواس، وهو ما أدى بالأبيقورية إلى الانقلاب ضد مبادئها في نهاية الأمر، فقد وجدت أن الشعور باللامبالاة والزهد والعزلة هي الأمور الواجب اتباعها لنشدان السعادة الروحية والعقلية.

تنقسم الفلسفة عند أبيقور إلى ثلاثة أقسام، هي: المنطق أو العلم القانوني والطبيعة والأخلاق. وغاية الفلسفة تحرير الإنسان من الأوهام الميتافيزيقية والأخذ بيده إلى حياة الهدوء والسلام والسكينة عبر اللذة العقلية أولاً والحسية غير المصحوبة بألم.

في حقل المنطق (العلم القانوني) يميل أبيقور إلى نقد المعرفة الأرسطية، ويرى أن هناك أربعة أنواع من المعرفة، وهي (الإحساس، التصور، الانفعال، التخمين). ويرى أن الإحساس هو اصطدام ذرات مادية صادرة من الجسم المادي الواحد أو من مكوناته بأعضاء حواسنا. وهذه الذرات الصادرة من الأجسام هي قشور رقيقة تنفصل من سطوح الأجسام وتتحرك بسرعة في الخلاء محتفظة بصور الأشياء المنبعثة منها ومن ثمَّ فهي (أشباه) لها. حتى إذا ما صادفت الحواس وبلغت القلب أحدثت الإحساس، ويمتلئ الهواء بأشباه لا تحصى عدداً، ماضية وحاضرة وهذه هي مصدر خيالات اليقظة والمنام (أبو ريان وعطيتو 1999: 213-214).

أما التصورات فتنشأ من تكرار الإحساس الذي تنفذ منه إلينا صور خيالية تتحوا،

مكتبة الفكر الجديد

إلى أفكار أو تصورات نوعية بفعل الذاكرة، ثم يحصل انفعال اللذة والألم. ويرى أن الأمور التي نعجز عن الإحساس المباشر بها يمكن معرفتها عن طريق التخمين (أو الحدس) مثل الذرات كأساس للوجود الطبيعي والخلاء كشرط للحركة ولا نهائية المادة.

وإذا كان الإنسان يرى أن مشكلته الأساسية هي العمل على تحرير نفسه من القلق والاضطراب، فعليه أن يتجنب الخوض في البحث عن وجود عقل في الكون يكون سنداً للإنسان ويصبح الإنسان خاضعاً لقوانينه، ومن ثم يبذل جهده لمعرفة هذه القوانين لتكون أساساً نظرياً لسلوكه... (أبو ريان وعطيتو 1999: 215-216).

قام أبيقور بتحرير الإنسان من خوفه الوهمي من الآلهة، بأنه لم ينكر وجودهم بل دورهم في الأمور التي تهم الإنسان، وجعلهم يعيشون في بطالة دائمة أبعدت صفة ما فوق الطبيعة، وأناط كلّ شيء بالمصادفة واعتبر الأجساد والأرواح مجرد كتل وذرات، ويستلزم الموت في نظره انحلال الكتل. فليس بالتالي من حياةٍ ثانية، ويجب أن يزول الرعب الذي توحيه كما يجب أن يزول الرعب الذي يوحيه الآلهة... (إيمار 1981: 533).

كانت إلهيات أبيقور ضعيفة فهو ليس ملحداً ولكنه يرى أن الآلهة كائنات سعيدة مغتبطة تحيا في طمأنينة ولا يعكر صفوها معكر، لكننا نعتقد خطأً أن هذه الآلهة تهتم بشؤون البشر وتعلن عن مشيئتها بالنذر فتمتلئ حياتنا من ثم بالخرافات والأباطيل فنقدم لها الأضاحي والقرابين (وقد تكون أحياناً من البشر) لنسألها مددها أو رضاها والحال أن هذه المعتقدات باطلة... (برهييه 1982 ج2: 118).

وهكذا يسلك أبيقور مسلك أرسطو عندما يقطع الصلة بين العالم الإلهي والعالم المادي والبشري، فكذلك أرسطو لا ينكر وجود الآلهة، لكنه يرى أنها لا تتدخل في عالمنا. وهكذا يتوغل أبيقور في فهم عالم المادة أولاً في حقول الطبيعيات والأشياء، ثم يتوغل في فهم عالم الإنسان في حقل الأخلاق. ويرى لوقراسيوس بأنه من التجديف على الآلهة أن نعزو إلى إرادة هذه الكائنات الكاملة عالماً زاخراً بضروب النقص وألوان البؤس، وينبغي الامتناع عن الإقرار بأي دور للآلهة كما للنفس -إن في مجال الكونيات وإن في مجال الطبيعيات- فالآلهة مجبولة

من مادة نقية خالصة، تحيا في ملاذ من الصدمات في الفواصل بين الأكوان، لا يتطرق إليها الفساد لأنها مصونة من علل الهدم، تزجي حياتها في طمأنينة وغبطة كاملتين، والتأمل في حياتها هذه هو التقوى الوحيدة التي تليق بالحكيم... (برهييه 1982 ج2: 118-119).

يرى أبيقور أن الإنسان، في بداية حياته وقبل أن تفسد ميوله، يطلب اللذة متى ساوره ألم أو حاجة، جوع أو عطش، وحالما يزول الألم، لا يعود يطلبُ شيئاً. يترتب على ذلك أن أعلى درجات اللذة كما تتعين بالطبيعة، إن هي إلا حذف الألم. ومتى حُذف الألم أمكن للذة أن تتنوع، لكن ليس أن تزيد، لأن اللذة الحقة هي لذة ساكنة... (برهيه 1982 ج2: 121-122).

وقد قسّم أبيقور اللذات إلى ثلاث فئات: (أبو ريان وعطيتو 1999: 224)

1. لذات صادرة عن نزعات طبيعية وضرورية كلذة الطعام والشراب، وعلى الحكيم أن يُرضي هذه النزعات فهي التي تحفظ حياته.

2. لذات صادرة عن نزعات طبيعية غير ضرورية كلذة الأكل الدسم المترف، وعلى الحكيم أن يوازن بين هذه اللذات الوسطى ويتحاشى الانزلاق مع بعضها فيصبح عبداً لها.

3. لذات صادرة عن نزعات غير طبيعية وغير ضرورية وتنشأ في النفس بتأثير ظن مزعوم كلذة المال والمناصب، والحكيم يقهر هذا النوع من اللذات ويرفضها برغم أن غالبية الناس يقبلون عليها.

واللذة ليست في حقيقتها شيئاً غير زوال الألم فهي حالة استمتاع بالتوازن، فإذا زال الألم مطلقاً حصلت النفس على لذتها العظمى.

عاصرت الأبيقورية الفلسفة الرواقية التي تقف بالضد من تعاليمها والتي حدّت من انتشارها والأخذ بتعاليمها... كما وقفت المسيحية، لاحقاً، بالضد من الأبيقورية لنكرانها القدرة الإلهية واعتمادها على اللذة الحسية أساساً في تعاليمها في حين كانت المسيحية تدعو إلى الزهد في الدنيا وعدم الانغماس في اللذات المادية. كان مبدأ اللذة ذا جذور في الفلسفة الإغريقية عند (أرستبوس القوريناثي) وهو فيلسوف إغريقي عاش في ليبيا في مدينة قورينة (تسمى حالياً شحات)، فهي ذات

مكتبة الفكر الجديد

أصول إغريقية مشرقية سبقت الهلنستية، وكان يرى أن اللذة غاية الحياة وجوهرها وهي الخير الأسمى في الحياة، ولذلك أصبح الألم شراً يجب الابتعاد عنه وتبدأ اللذة عنده من أدنى صورها الإشباعية الحيوانية حتى صورها العقلية الراقية.

وهكذا طوّر المشرقيون في العصر الهلنستي الأبيقورية وأصبحت مرتبطة بهم «وكما ابتكر فلاسفة الشرق الفلسفة الرواقية الإنسانية العالمية للإغريق، فقد أسهموا أيضاً في تطوير الفلسفة الأبيقورية، فنسمع عن أعلام الأبيقورية الجديدة مثل زينون الصيداوي الأبيقوري في القرن الثاني ق.م وعن ديوجين الطرطوسي الأبيقوري. هذه الفلسفات التي ابتدعها أو طورها الشرقيون كانت العلاج الروحي والفكري للقلق النفسي، والظلم الاجتماعي، الذي ساد بلاد الإغريق في الغرب، فقدم فلاسفة صور، وصيدا، وطرسوس وسلوقية دجلة، العلاج الشافي لأزمات الغرب. فقد دعت الرواقية إلى المساواة بين البشر، والزهد في متاع الدنيا، وحب الواجب، وبشرت بالتصوف، وكبح جماح النفس، كعلاج للجشع المادي، والتكالب على الثروة، واستبدال ذلك بامتاع النفس بالمعرفة، لأنه الإمتاع الذي لا يتبعه ألم بينما نادت الأبيقورية بالتحرر من الخوف، والاستمتاع بقدر الإمكان بحياة الدنيا، قبل الرحيل إلى عوالم غير معروفة» (الناصري 1992: 106).

2. الرواقية (Stoicism)

الرواقية معاصرة للأبيقورية ومعارضة لها، أسسها زينون القبرصي الذي وُلد في بلدة كيتوم في قبرص (322-264 ق.م) وكانت أسرته من التجار المنحدرين من أصل فينيقي، درس الفلسفة في أثينا على يد الأرسطيين والميغاريين والكلبيين ثم تعلّم الفلسفة في رواق في أثينا، ولذلك سمي أتباعه بالرواقيين نسبة إلى مكان اجتماعهم.

استلهم المفكرون الإغريق من فلسفات الشرق الدواء والعلاج، كما نبغ الشرقيون المظلومون في وضع أساس فلسفات إنسانية، تحطم الحواجز الاجتماعية والعنصرية. فقد وضع زينون القبرصي، وهو في الأصل فينيقي، عاش في مدينة كيتيون القبرصية (Citjun) حوالي عام 300 ق.م أسس الفلسفة الرواقية كعلاج لأزمات العصر، وازدهرت في صيدا في فينيقيا مدرسة رواقية خرج منها أشهر

الفلاسفة الرواقيون من أمثال زينون الصيداوي الرواقي، وبؤيثوس (Boethos)، الصيداوي، ومن أعلام فلاسفة الشرق الأدني الرواقيين زينون الطرسوسي، وقد ترك من بعده تلاميذاً ازدهرت بهم مدرسة طرسوس في الشام منهم أنتياتر الطرسوسي، وأرخيديموس الطرسوسي، وخرج من صور أيضاً انتياتر الصوري الرواقي، في القرن الأول الميلادي. وفي القرن الثاني قبل الميلاد أخرجت مدينة سلوقية على نهر دجلة ديوجين البابلي (الناصري 1992 : 105).

زينون كيتوم
http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Stoicism

نظرت الرواقية إلى العالم منظماً من قبل فعل إلهي أما الإنسان فهو عالم صغير منسجم مع الكون مركباً من جسد تغلغلت فيه روح هي نفثة نارية متجملة بالذكاء. فتطابق تأكيد الكائنات هذا والتفاؤل المطلق إذ كل شيء فيه يناسب تسلسلاً عقلياً ولذلك فهي لم توصي باللامبالاة حيال الشؤون السياسية... (إيمار 1981: 534).

إن منهج الرواقية يقوم أساساً على أن العلوم تدرس من ناحية منفعتها العملية وحسب وتكون الحكمة العملية فضيلة الفضائل، حيث يحيا الحكيم ويعمل وفقاً للعقل، والعقل بدوره مطابق للطبيعة. فالفضيلة مطابقة للحكمة، والفلسفة والعلم هما الخير الأسمى وهما الغاية القصوى للحياة.

رواق أثينا ملهم الرواقيين
http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Stoicism

الطبيعة والله

يفسر الرواقيون الطبيعة والنفس والمكان والزمان والفكر تفسيراً مادياً، فهم يرون أن الجسيمات هي الحقائق وحدها، فالأجسام والإنسان بل والألوهية ذاتها مؤلفة من مادة وحتى الصفات التي نقول نحنُ إنها غير حسيّة، هذه الصفات مؤلفة من الجيسمات ومن تيارات هوائية تنفذ خلالها وتمنحها التوتر والتماسك. وحالات النفس والخلاء والمكان والزمان والفكر هي الأخرى أجسام أيضاً (أبو ريان وعطيتو 1999 : 238).

ورأى الرواقيون أن المادة لوحدها تكون بلا صفات، أما الصفات والأشياء المشتقة من القوة المعقولة المسماة باللوغوس فهي التي تنفذ خلال المادة.

الله ينفذ خلال جميع الأشياء كالنفس أو كالنار الصناعية التي تحيي الأشياء. وكما أن النفس تنتشر في جميع أجزاء الجسم، ومع ذلك يكون لها مركز معين تشرف منه على سائر أنحاء الجسم كالقلب مثلاً، كذلك فالله على الرغم من أنه موجود في كلّ جزء من العالم إلا أنه يحتل مكاناً يسيطر منه على الوجود بأكمله، وفي رأي زينون إن هذا المركز هو الشمس، وعلى رأي آخر هو عند الدائرة الأخيرة

الخارجية للعالم، ومن مركزه يبدأ انتشاره في سائر أنحاء الوجود... (أبو ريان وعطيتو 1999: 239).

ليس الكون تحقيقاً ناقصاً واحتمالياً ومتقلقلاً لنسق رياضي ما، وإنما هو نتيجة علّة فاعلة بموجب قانون حتمي، بحيث يستحيل أن يقع أي حدث من الأحداث إلا كما وقع فعلياً. فالله ونفس زوس والعقل وضرورة الأشياء أو حتميتها والناموس الإلهي وأخيراً القدر: كل ذلك عند زينون واحد (برهيه 1982 ج2: 69).

يبدو لنا الله عند الأفلاطونيين بعيداً وعند الأرسطيين منقطعاً عن العالم أما عند الرواقيين فيظهر حالاً في كل شيء فهو لوغوس الأشياء المادية، وهو النار التي تعمل على توليد الأشياء.

إن يكن إله أرسطو والأفلاطونيين هو الإله المتسامي لثيولوجيا ذات طابع علمي، فإن إله الرواقيين هو موضوع تقوى ذات طابع إنساني. ويرون أن الأدلة كثيرة تقول بوجود مهندس معمار للعالم، بوجود عقل مماثل لعقل البشر وإنما أعلى منه. وكل هذه الثيولوجيا الشعبية تفترض علاقات مباشرة وخاصة بين الله والبشر، بينما لا تتناول الثيولوجيا الأرسطوطاليسية أو الأفلاطونية سوى علاقة الله العامة بنظام العالم، لا العلاقة الخاصة بالإنسان (برهيه 1982 ج2: 73).

أدوار الخليقة الرواقية

يرى الرواقيون أن الإله خلق العالم في أدوار متعاقبة أولها دور العناصر الأربعة، حيث حوّل جزءاً من البخار الناري الذي تتكون منه ذاته إلى هواء ثم إلى ماء، ودفع بجزءٍ من الماء ليتحول إلى أرض وجزء رفعه على أعلى ليتحول إلى نار.

وبعد الدور الأول يأتي الاحتراق العام بالنار، حيث تنصهر العناصر الأربعة في كتلة ضخمة من البخار الناري التي تضاف إلى ذات الإله (زوس) كما نعتقد.

ويأتي الدور الثاني لينفصل من هذه الذات الجديدة عناصر أشد تركيباً ذات طبيعة نارية وهوائية وترابية ومائية، ثم تحترق هذه الأشياء في النار الكلية لتعود إلى ذات الإله... وهكذا.

وتخضع حركة العالم في كل الأدوار لقانون واحد، وتحدث في كل دور

الأحداث والأشخاص كما حدثت في الأدوار السابقة بتفاصيلها. فهناك ضرورة مطلقة وارتباط ضروري بين العلل والمعلولات يفرض نفسه على الحوادث، وهذا هو مضمون ما يسمونه (القدر) والعناية الإلهية، فتضع الإرادة الإنسانية لهذه الحتمية المطلقة، فالفرد حر في أفعاله لأن رغباته هي التي تحدد فعله وهو حرٌّ في أن يفعل ما رسمه له القدر، ولكنه سيفعل حتماً ما رسمه له القدر رغم كل الظروف (أبو ريان وعطيتو 1999: 240).

ماركوس أوريليوس الرواقي

http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Stoicism

تبنّى الإمبراطور الروماني السادس عشر ماركوس أوريليوس الرواقية وأصبح أحد فلاسفتها الكبار، وأدّت الرواقية دوراً مهماً في ترسيخ الثقافة الهلنستية وأخذت الفلسفة الرواقية تعمل على تدعيم هذه الفكرة، ويبدو هذا واضحاً في كتاب **المدينة الفاضلة** للفيلسوف زينون. وأخذت تشكل ما يسمى بالنزعة العالمية (Cosmopolitanism)، وسادت لغة مشتركة (Koine)، وهي اللغة الإغريقية باللهجة الأتيكية، وهي اللهجة التي كانت سائدة في أوساط المثقفين. ويقول الخطيب المشهور أيسوقراط

(Isocrates)، إن الذي يميز الفرد الإغريقي هو التعليم، وليس الأصل، وإن أي شخص يتعلم على الطريقة الإغريقية فهو هليني. وطبقاً لهذا المفهوم، فإن الشعوب الشرقية التي تشربت الثقافة الإغريقية، تصبح جزءاً من الأمة الإغريقية.

ومن علامات التوحُّد بين شعوب العالم الهلنستي؛ انتشار ديانات بعينها بين شعوب هذا العالم، مثل عبادة الربة المصرية إيزيس، والإله سيرابيس (Sarapis)، وعبادة الرب الأم التي كان موطنها الأصلي في آسيا الصغرى، والإله السوري أدونيس، والإله الفارسي ميثرا. كما وجد الإغريق في تراث الشرق الفلسفي ضالتهم المنشودة، لذا فقد راجت الأفكار التي تبشر بالمحبة، وحققت السكينة للنفس البشرية (فرح 2002: 40).

ولابد من التنويه إلى أن الرواقية كانت إحدى أهم مصادر الغنوصية بالإضافة إلى الأفلاطونية، لكننا لا نرى أن الأفلاطونية الحديثة كانت مصدراً للغنوصية، بل العكس هو الصحيح، لأن الأفلاطونية الحديثة ظهرت متأخرة بالنسبة إلى الغنوصية وحملت أفكار الغنوصية وهياكلها في نشوء العالم ونزول وصعود الروح.

3. الشكّية (Scepticism)

قدم الشكّاك من جذور هيلينية تكمن عند بارمنيدس وهيراقليطس والسوفسطائيين الذين أوضحوا بأسئلتهم العنيدة تباين المذاهب والأخلاق وفتحوا الأبواب أمام الشك.

والشكّاك، «ولم يكن الشاك نافياً متهكماً كالسوفسطائي، ولكنه رجل مغلوب على أمره، فقد الإيمان بالحق والخير في بيئة تبلبلت فيها الأفكار وفسدت الأخلاق إلى حدٍّ بعيد، فانعزل في نفسه لا يوجب ولا ينفي، وإنما يقول: لا أدري. ولم يكن كالسوفسطائي مزهواً بفنه طالباً للمال، ولكنه كان جاداً، معرضاً عن متاع الدنيا، أقرب في أخلاقه إلى الرواقية منه إلى الأبيقورية» (كرم د.ت: 34).

وظهرت تيارات للشكية: الأول قاده بيرون ويسمى الشك الخلقي والثاني قاده أركسيلاوس ويسمى الشك الاحتمالي والثالث هو الشك الجدلي والرابع هو الشك التجريبي.

مكتبة الفكر الجديد

1. الشك الخلقي: بيرون

بيرون
http://www.philosophybasics.com/philosophers_pyrrho.html

ومثلما اتخذنا من أعلام الأبيقورية (أبيقورس) والرواقية (زينون) مادة للحديث عن مذهبيهما، كذلك نتخذ من بيرون الذي عاصرهما مادةً للحديث عن مذهب الشكّية أو الشكاك.

رأى بيرون أن معرفتنا للأشياء قائمة على الحس أولاً، وشكك في إمكانية الحواس في نقل الأشياء كما هي لأنها تُظهر الأشياء كما تبدو لها لا كما هي في الواقع. أما معرفتنا العقلية فتعتمد على هذه الحواس، وهي بالتالي غير يقينية. وفي مجال الأخلاق رأى أنها نسبية وأن الناس يأخذونها من الأعراف والتقاليد التي كوّنوها هم لا غيرهم، ولذلك فهي مقبولة هنا ومرفوضة هناك.

والحقيقة أن الحقل الأخلاقي للشكّية كان هو الأوفر حظاً رغم أن حقلها الديني كان معروفاً، ويؤكد الشك في وجود الآلهة وقدرتها على التدخل في حياة الإنسان، وقد استمرت المدرسة الشكّية في مهاجمة الأديان الهلنستية، وهاجمت المسيحية في بداية ظهورها حتى تمكنت المسيحية من هزيمتها. كان الشكاك يؤدون شعائر الوثنة

وهم لا يؤمنون بصدقها، بل وكانوا أحياناً يقومون بوظائف الكهنة دون أن يكون لديهم برهان على بطلان مسلكهم إزاءها!

فيما يروي عنهم سكستون أمبريكوس نفسه، فيعترف بأنهم لم يصادفوا الله في خبرتهم ولا يعرفون عن طبيعته شيئاً، ومع هذا يؤمنون به على طريقة غيرهم من الناس، من غير أن يكابدوا عناء البحث عن حقيقته، وذلك التماساً لراحة البال وطمأنينة النفس (الطويل 1985: 142).

وشرّعت المدرسة الارتيابية، مع بيرون الذي تتبع الإسكندر في حملته على آسيان في الحث على دستور حياتي فشددت على اتزان الروح (في الأخطاء والخضوع للعادات) وعدم الاضطراب وهناءة الحياة، وأعلن الارتيابيون (الشكاك) أن الحكم يخطئ كما تخطئ الحواس. لذلك يجدر إرجاء الحكم والاعتصام بالصمت أمام منازعات الفلاسفة (إيمار 1981: 523).

2. الشك الاحتمالي: أركسيلاوس (316-241 ق.م)

قاده في الأكاديمية الجديدة في أثينا، وكان يرى بأن العقل محدود وأن التصورات التي نمتلكها متغيرة «فليست لدينا وسيلة للتميز بين الفكرة الحقيقية وغير الحقيقية، وليس هناك علامة للحقيقة. وإذا كانت التصورات سواءً، كانت الحكمة في تعليق الحكم على الشيء في ذاته. غير أن من الآراء ما يبدو معقولاً، ومن الأفعال ما يبدو مستقيماً، هي تلك التي يمكن الدفاع برهاناً على مطابقتها لحقيقة ممتنعة الإدراك» (كرم ب.ت: 236).

3. الشك الجدلي: أناسيداموس وأغريبا

أقام أناسيداموس، بين أوائل القرن الأول قبل الميلاد وأواخر القرن الأول بعده، الشك على أساس علمي وأسند بالحجج ووقف ضد الشك الاحتمالي الذي رأى أنه متناقض فبينما يرى عدم تحقق الأشياء، كان يفرق بين الاحتمال وعدم الاحتمال والخير والشر وغير ذلك ورأى أن الشكاك لا يوجبون ولا يسلبون أصلاً. وضع أناسيداموس عشر حجج علّق فيها الحكم على المحسوسات، ووضع ثلاث حجج علّق فيها صواب العلم.

أناسيداموس
http://anarchai.blogspot.nl/2012/11/deferring-and-coupling.html

أما أغريبا فوضع خمس حجج علّق فيها الحكم على المعرفة واليقين. وهكذا وضعنا الشك الجدلي في دوّامة سفسطائية لا نهاية لها.

4. الشك التجريبي: سكستوس

سكستوس أمبريكوس
http://all-history.org/philosophy5.htm

كان سكستوس الأمبريقي موسوعة في الشك، ولكنه حوّل الشك من علم إلى فن وتحديداً إلى فن سلوكي في الحياة، ويرى أن الشاكَّ يجب أن يهجر الفلسفة ويعود إلى الحياة ورأى أن عليه «أن يتعلم القراءة والكتابة دون التفات إلى فقه اللغة، ويتعلم الكلام دون التعرض لعلم البيان، ويستخدم العدد دون الخوض في علم الحساب، ويتنبؤ بالمطر والصحو والزلازل بناءً على الملاحظة الصرفة دون نظر إلى علم الفلك أو علم التنجيم، ويطبب دون ادعاء معرفة ماهيات الأمراض وتعيين عللها» (كرم ب.ت: 241).

وما يهمنا في الموضوع أن المدرسة الشكية وضعت المعتقدات الدينية في إرباك الشك وأسهمت في زعزعة اليقين بوجود الآلهة القديمة وفاعليتها، ولكنها من ناحية أخرى قدمت خدمة جليّة للعلم في إنعاشها الجدل حول الثوابت التي كانت مسيطرة عليه.

المبحث الثاني
الفلسفات الدينية الهيلينية المنشأ

1. التوحيد الفلسفي الأفلاطوني

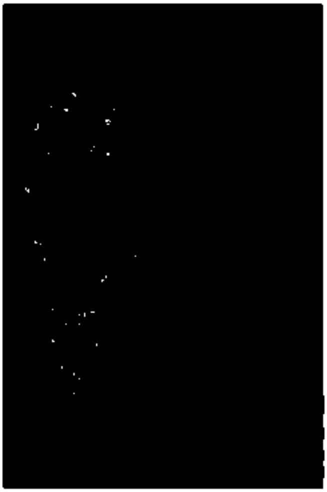

أفلاطون (427–347 ق.م)

http://ar.wikipedia.org

نرى أن الفلسفة اليونانية الكلاسيكية كانت قد أرست نوعاً من التوحيد الفلسفي الذي كان مصدر التوحيد الغنوصي والتوحيد الهلنستي بشكل عام والذي نتج عنه، في نهاية الأمر، التوحيد الإلهي الظاهري الذي هذب اليهودية وصنع المسيحية وكان الإسلام آخر ثمراته. ورغم أن جميع فلاسفة الإغريق أسهموا في بناء التوحيد الفلسفي لكن أفلاطون ينفرد في وضع هيكلٍ تراتبي مقنع نشأت عنه كل حركات التوحيد اللاحقة والغنوصية بشكل خاص.

كان أفلاطون مصدر الأفكار المثالية والروحية لفلاسفة العصر الهلنستي، فهو سبب نشوء التوجهات التي اعتنت بالنفس والروح وخلودهما، لكن الشرق كان التربة الخصبة للعودة إلى هذه الأفكار الروحية وإعادة إنتاجها بنسغ ديني شرقي.

مكتبة الفكر الجديد

لن نخالف الحقيقة إذا قلنا إن أفلاطون كان توفيقياً في منهجه فهو يوفق وينسق مناهج من سبقوه ولا يجد فيها تعارضاً، بل يراها مجموعة من الحقائق الجزئية التي تحتاج إلى جمع وتنسيق ووضعِ هيكل شامل لها، وهذا ما فعله أفلاطون حين جمع موضوعات الفلاسفة الإغريق الذين سبقوه وعاصروه في هيكل فلسفي واحد أصبح هو الهيكل الأفلاطوني في الفلسفة والذي يحتوي على رياضيات فيثاغورية وتغير هيراقليطي ووجود بارمنيدي وجوهر ديموقريطي وعناصر أنبيديقلية وعقل أنكسوراسي وجدلية سقراطية. ولذلك نرى أن أفلاطون كان شخصية نموذجية بالنسبة إلى العصر الهلنستي الذي امتاز بالتوفيقية في منهجه.

ويمكننا القول أن أفلاطون أدّى أكبر الأدوار في تطوير الأديان القديمة وتهذيبها، فقد كان فيلسوفاً يميل إلى الجوهر الديني، ولعله كان المحفز على التوحيد بصورة غير مباشرة، فقد كان له أكبر الأثر في إعادة هيكلة العقائد الدينية المتعددة الآلهة باتجاه العقائد العرفانية كالهرمسية والغنوصية بشكل خاص.

يضع لنا أفلاطون (427-347 ق.م) ما يشبه الميثولوجيا الفلسفية في محاورة (تيماوس) بشكل خاص ينظر فيها على طريقة الفلسفة للخليقة والتكوين، ولذلك سنسعى هنا إلى محاولة الكشف عن هيكل أفلاطون التكويني لمعرفة فكره الديني العميق الذى تحتوية فلسفته المثالية. يتكون هيكل أفلاطون التكويني من ثلاث طبقات، هي: (الله، الطبيعة، النفس).

1- الله

نستطيع، بشيء من الحذر، أن نقول بأن أفلاطون كان موحداً ولكن توحيده كان مشوباً ببعض أفكار التعدد. لكنه نزه الخالق الواحد تنزيهاً عظيماً فهو يرى أن الله واحد عاقل محرك يمثل الخير والجمال والحق بأقصى صورها كمالاً، وهو بسيط لا تنوع فيه، كله في حاضر مستمر.

يمكننا القول إن أفلاطون هو مؤسس التوحيد الفلسفي الذي كان له أكبر الأثر في نشوء التوحيد الغنوصي والذي أثر في أجيال الفلاسفة الهلنستيين، كان لتصور بارمنيدس عن الله أثره الكبير في رسم صورة الله عند أفلاطون، كان أفلاطون مؤمناً

مكتبة الفكر الجديد

بوجود إله متعالٍ بعيد غير قابل للوصف سماه (الواحد) و(الخير) و(الحق)، وكان يراه لوحده لا شريك له ولا بداية له ولا نهاية ولا وسط، ولذلك فهو غير محدود وهو ممتنع عن الوجود في مكان أو زمان وهو ليس بساكن أو متحرك.

والغريب أن تصوير الله ومقابلته بالشمس (وهو أمر رواقيّ) كان قد أشار له أفلاطون، يقول أفلاطون في طيماوس: «ولكن الكشف عن صانع وأب هذا العالم يحتاج إلى بحث شديد، وحتى إذا كشفنا عن حقيقته فمن المستحيل أن ننقل العلم به إلى الجميع». وهذا هو السبب في غموض كلام أفلاطون عن الله، والسبب في اصطناعه التشبيهات والأساطير. وأول هذه التشبيهات أن الله هو مثال الخير. فالشمس إله موجود في السماء وعلة رؤيتنا المحسوسات التي تضيئها بنورها. والشمس (Helios) «ابن الخير ولده على مثاله، وإن صلته (أي الشمس) في العالم المرئي بالبصر والمرئيات كصلة الخير في العالم المعقول بالعقل والمعقولات». فإذا كانت الشمس إلهاً فمن باب أولى أن يكون الخير، وهو الأب، الإله الأولى. حقاً لم ينص أفلاطون على التوحيد بين مثال الخير والإله، ولكن لا مناص لنا من هذا الاستنتاج بالضرورة. بل إن ماهية الخير لم يكشف عنها النقاب (الأهواني 1991: 125).

نقرأ في محاورة **طيماوس** لأفلاطون ما يلي:

«نفس عالمية» تحرك العالم. نفس تتأمل المثل، عقل إذن ينظم العالم. إن هذه النفس هي إله العالم وقانونه ومبدأ الحياة فيه. أما النفس في حياتها الانسانية، فوظيفتها مرسومة أمامها وكذلك مصيرها. عليها تأمل الأفلاك، ومعرفة حركتها ونظامها وقوانينها. ومصيرها تبعاً لهذا التأمل، هو محاكاة النفس العالمية، ومحاكاة العقل المدبر للعالم والمنظم له. تعرف الإله فتتشبه به وتحيا حياة الآلهة.

وفي كتاب **النواميس** (القوانين) يرى أفلاطون أن للإلحاد مصدرين أساسيين: الأول يأتي من الفلسفة الطبيعية، حيث يرى الماديون أن العالم والنفس هما من حركة المادة غير العاقلة والثاني يأتي من السفسطائيين الذين يرون أن الإنسان هو الذي وضع مبادئ الأخلاق وليس هناك خير بذاته وشر بذاته (أي إنها نسبية)، وبذلك لا يرجعونها إلى الله ولا يرون أن الشر هو خير أقل. السؤال الأهم فـ

مبحثنا هو هل عبر أفلاطون عن الله باعتباره فكرة أم باعتباره وجوداً؟ وهل كان يقصد بذلك التوحيد أم كان يعني الآلهة المتعددة؟

هذا السؤال في رأينا هو الأهم، ونرى أنه لم يكن موحداً بالمعنى المتداول والمعروف، ولكنه كان موحداً بالمعنى الفلسفي، فهو قد وضع الله في قمة هيكله المثالى، باعتبار أن العقول تتطلع إليه. وإنه لابد لهرمه المثالي من قمه يقع عليها واحد منزه وهو نموذج أو علة نموذجية تحتذى، وهو الجمال والخير من حيث هو علة غائية تحب وتطلب. وعنده أن آلهة الميثولوجيا (التي يسخر منها في الخفاء) مدينة للصانع الواحد الذي خلقها وجعلها خالدة وكذلك الهة الكواكب.

وهكذا فإن صفات الواحد ميزها أفلاطون بحسب المناسبات، وكان همه موجهاً لوضع المذهب الروحي (المثالي) ضد الطبيعيين والسفسطائين، ولم يكن لمسألة التوحيد في أيامه مثل ما صار لها من الأهمية فيما بعد، فلما أحل الأعداد محل المثل في دروسه الأخيرة عبر عن الله بالواحد أي بالعدد واحد «الواحد بالذات».

ويمكن أن نستخلص صفات الإله من مختلف المحاورات، فنقول إنه عظيم، موجود دائم الوجود، أصل وأب جميع الآلهة، خيّر، مريد، خالق، صانع. إنه أشرف علة (Aristos to aitios)، فعله بالعقل والتدبير والقضاء، يحذو حذو مثال أزلي. ونستطيع أن نضع إلى جانب ذلك صفات الحي المعقول، فهو النموذج الأزلي، مدرك بالعقل وحده، ثابت، كامل، يحوي جميع المعقولات الحية، أبهى المعقولات وأكملها، أحد، إنه الإله المعقول الذي يعكس العالم، الإله المرئي. وقد تساءل الأستاذ دييس فقال: أيمكن التوحيد بينهما، هل الله هو العقل؟ فقد ورث أفلاطون عن أنكساجوراس أن العقل ينظم كل شيء، وجاء في كثير من المحاورات أن الله الصانع منبع كل عقل وأصل كل علم. فالله هو الموجود الكامل، ودرجات الآلهة متناسبة مع مراتب الوجود. ومع ذلك فرأي أفلاطون الأخير، كما بسطه في القوانين أنه «لا يجب أن نجعل الإله الأسمى موضوعاً للبحث لأن ذلك يعد من الضلال والفجور» (الأهواني 1991 : 131).

يرى أفلاطون أن العالم تولد من انتقال من الفوضى إلى النظام، بتدخل من إله

فاطر. وقبل هذا التدخل كانت حالة الفوضى السابقة هي من المقام الأول مسرح (الضرورة)، وهي ضرورة غاشمة وعلة تائهة وغير خاضعة لأي اعتبار غائي، والخالق أو الفاطر هو في المقام الأول خالق نفس العالم، والنفس هي مبدأ الحركة. وإن نفس العالم سابقة على الجسم الذي يقيم فيه، والذي قدر لها أن تنفخ فيه الحركة والحياة.

وكان أفلاطون يوازي بين الإله الأعلى واللوغوس أو الكلمة، وهو منبع الطاقة الروحية، «وعليه فاللوغوس هو منبع الطاقة، وإليه ينبغي الالتفات، لا عندما يكون المنبع الشمسي حاضراً ويهدد بإحراق أعيننا إذا ما نحن ركزناها عليه فحسب، بل ينبغي أيضاً الاستدارة ناحية اللوغوس عندما تبدو الشمس في كسوفها غائبة. فإنما في موته أو انطفائه، أو احتجابه، يظل هذا الكواكب أكثر خطورة مما هو عليه أبداً. لندع هذه الخيوط أو هؤلاء الأبناء يهيمون. لم نتبعها/ نتبعهم حتى الآن، أليس لِندع أنفسنا نقاد من اللوغوس إلى الأب، ولنجمع الكلام بالـ Kurios، أي بالمعلم، بالسيد، هذا الاسم الآخر المعطى في الجمهورية للخير - الشمس- رأس المال- الأب». فيما بعد، في النسيج ذاته، وفي النصوص ذاتها، سنسحب خيوطاً أخرى، والخيوط نفسها من جديد، لنرى إلى مقاصد أخرى، وهي تتلاحم فيها أو تتفرق (دريدا 2001: 36).

2- الإله الصانع (الديمورج)

الله إذن عند أفلاطون أزلي أبدي، وهو منزّه عن الحركة تنزيهاً مطلقاً، وكان مع الله صورته منذ الأزل، وهو كائن يدعى الديمورج «أي الصانع»، هو صورة الخير «أو صورة الله»، وكان الديمورج النموذج الحي بذاته، وهو الحاوي لجميع المُثل التي كانت الصور النموذجية لأشياء لم توجد، فهي أشبه بمخططات نموذجية لها.

وكان من الطبيعي أن يتأمل الله في ذاته، لأنه تعالى خيِّر. وكان من الطبيعي أن يريد بعد ذلك صنع عالمٍ خَيِّرٍ على مثاله. فأوكل هذه المهمة للديمورج الذي هو الإله الصانع أو الخالق، فقام الديمورج وصنع من المادة ورتب في عالم الحس

مكتبة الفكر الجديد

ترتيباً متوافقاً مع الخير الأعلى، وحوّله إلى النظام الذي تسمح به طبيعته. وأول ما ظهر من تأثير الديمورج، هو نفس العالم، ثم ظهر بعد ذلك جسمه. «والمُثل في نظر أفلاطون هي ماهيات الكائنات والوجود الحقيقي لها». وهناك من يرى أن أفلاطون اعتقد أن الله كان يتأمل في ذاته وصنع العالم بواسطة الديمورج. ويقول البعض الآخر إنه اعتقد أن الله كان يتأمل في صورة الخير.

هناك آراء مختلفة حول الديمورج وطبيعته ودوره، فقد كان غامضاً عند أفلاطون. وهناك من رأى أن أفلاطون وضع الله فوق الديمورج، وهناك من اعتبر الديمورج والله شيئاً واحداً، وآخرون اعتبروا الديمورج صورة الله، أو أنه الله خارجاً من عزلته... إلخ.

يشبّه أفلاطون الله بالصانع (Demiourgos)، ووجه الشبه أن الصانع لا يخلق المادة التي يصنع منها فنه، كصانع الآنية لا يخلق الطين ولكنه يصوغه في هيئة معينة. كذلك الله أخذ كتلة العالم وكانت فوضى، فبثَّ فيها النظام وهو أجمل ما في العالم. صنعه لأنه خير يخلو من الحسد فأراد أن يكون كل شيء شبيهاً به، وأظهر العالم وجعله مرئياً وأودع فيه النفس فأصبح العالم بقضاء الله حياً عاقلاً. ولم يصنعه على نموذج الفرد الحي، بل على مثال الحي بالذات (الأهواني 1991: 131).

لكن أفلوطين كان يرى أن الله لم يخلق العالم مباشرة، لأن هذا يتعارض مع طبيعته لأن الخلق عمل، والعمل يستدعي التغيّر، والله لا يتغيّر. ولذلك رأى أن تفكير الله في ذاته نشأ عنه فيض، وتكوّن العالم من الفيض. وأول شيء انبثق من الله هو العقل، ثم نفس العالم (النفس الأولى)، ومن هذه النفس انبثقت النفوس الجزئية أي النفوس البشرية ثم نفوس الحيوان والنبات.

3- العالم

صوّر أفلاطون العالم كائناً حياً عاقلاً لا على شيء حادث، بل على مثال الله، لأنه يمثل الخير والحق والجمال. والعالم لابد من أن يكون كذلك لأنه يتمثل بهذه الصفات وهي التي تضبط وجوده، ولذلك كان العالم واحداً لأن صانعه واحد

مكتبة الفكر الجديد

ونموذجه واحد، ولا يوجد خارجه ما يؤثر عليه ويفسده، وهو أبدي لا تصيبه شيخوخة أو مرض، (ولذلك أنكر أدوار العالم وانحلاله ثم عودته)، ورأى أنه كروي لأن الدائرة هي أكمل الأشياء، وهو متجانس يدور على نفسه في مكانه.

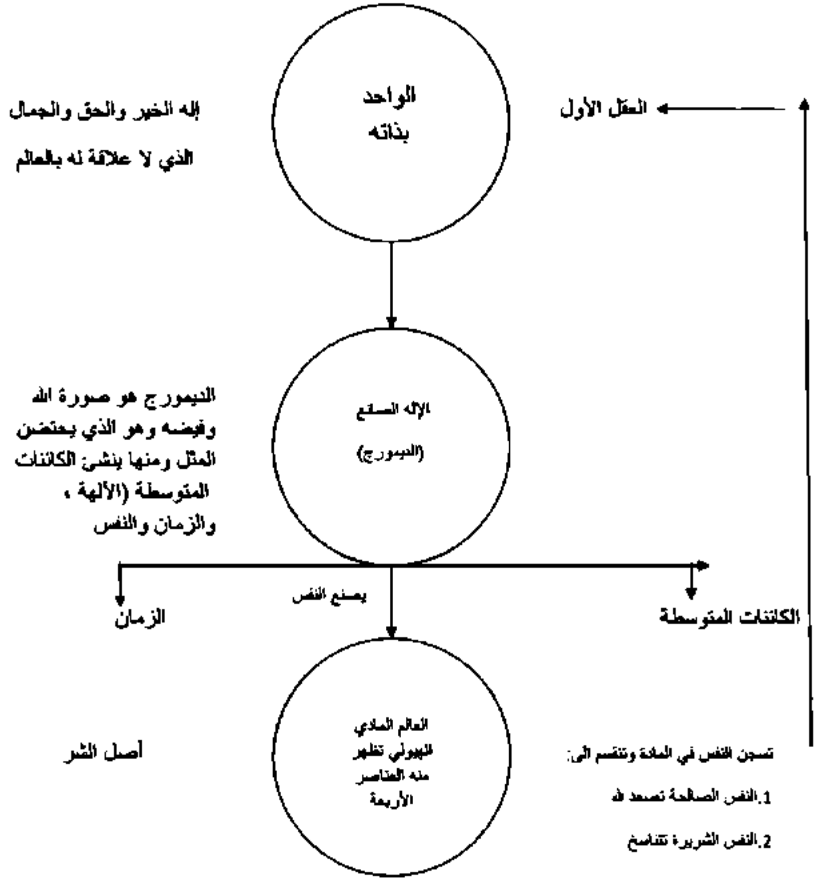

هيكل أفلاطون الفلسفي التوحيدي في خلق العالم

وإذ نظرنا إلى العالم بأسره، أي كرة السماء، وهي العالم الإلهي، رأينا أن أفلاطون يميز ثلاثة أنواع من علم الفلك: الفلك الحسي هو الذي يدرك بالعين في حركة الكواكب وانتقال الشمس وأوجه القمر، والفلك الرياضي الذي يقوم على النسب الرياضية في حركة الكواكب. والفلك الإلهي وهو السماء المعقولة التي تقوم عليها الحركات الرياضية للكواكب بحسب الأعداد الصحيحة. وتوجد خارج قبة السماء المثل الخالدة والعقل الخالد الذي يحكم النفس. هذا العقل هو العالم المعقول، هو الموجود الكامل (Panteloson)، هو (الإله) الواحد العاقل المعقول. أما النفس فهي الحي الأول المرئي، هي نفس العالم، وأصل حركته (الأهواني 1991: 130).

أما نفس العالم فهي سابقة على جسمه، صنعها الله من الجوهر الإلهي البسيط والجوهر الطبيعي المنقسم ومزاج من الاثنين، فكانت غلافاً مستديراً للعالم، تحويه من كل جانب وتتحرك حركة دائرية وتحرك الباقي وتدرك المحسوس المنقسم والمعقول البسيط وتنفعل بالسرور والحزن والخوف والرجاء والمحبة والكراهية، وتملك أن تخالف قانون العقل، فتصير شريرة حمقاء وتضطرب حركتها فتنزل النكبات بالعالم، وأما جسم العالم، فلما شرع الله يركبه أخذ ناراً ليجعله مرئياً وتراباً ليجعله ملموساً ووضع الماء والهواء في الوسط.

ويحتوي العالم على:

أ - المثل: هي الماهية المشتركة للموجودات التي ستخلق في العالم وهي نقطة ثابته فوق التغير وهي صور الموجودات الأولى.

ب - الزمان: وهو صورة متحركة للأبدية الثابتة وكان الزمان يتقدم على حسب قانون الأعداد وكانت الأيام والليالي والشهور والفصول ولم تكن من قبل.

ج - العناصر الأربعة: التي هي (الهواء والماء والتراب والنار)، وقد كان العالم قبلها (مادة رخوة) غير متعينة غامضة لا تدرك في ذاتها بل بالاستدلال. والعناصر ليست مبادئ الأشياء لأنها معينة ولأنها تتحول بعضها إلى بعض، ويشير هذا إلى صور مختلفة، تتعاقب على موضوع واحد غير معين في ذاته. فالماء إذا تكاثف صار

تراباً وإذا تغلغل صار هواء وريحاً، والهواء إذا اشتعل تحول ناراً، والنار إذا تقلصت وانطفأت عادت هواء، والهواء إذا تكاثف صار سحاباً.. .إلخ، وهكذا خلقت العناصر الأربعة متجاورة دون أن تركب منها الأشياء.

د - **الأجرام السماوية**: من النار صنعت الشمس والقمر والكواكب مشتعلة مستديرة، وجعل لكل منها نفس تحركه وتدبره، ولذلك فإن هذه النفس إلهية عاقلة يأتيها الخلود من صانعها.

إن الشكل الكروي للعالم وإن كون العالم فريد ونسيج لوحده نابعان من مجهود رمى إلى محاكاة نموذج الكمال والزمن المقسم إلى آمادٍ منتظمة، من أيام وأشهر وأعوام، والمرتبط بطواف الأجرام السماوية يحاكي بقدر المستطاع أزلية النموذج بارتداده اللامنقطع إلى ذاته.

كانت المثل أهم ما أورده أفلاطون في هذا العالم، بل كانت هي الصلة بين الله والعالم.

4- النفس

أخذ مزيجاً من جوهرين وقسمه على الكواكب وكلف آلهتها أن تنزل أجزاء في أجسام مهيأة لقبوله، وتضم إلى هذه الأجسام نفسين مائيتين هما انفعالية وغذائية، وهكذا تكون هناك نفس عاقلة من الصانع والكواكب، ونفس انفعالية غضبية وشهوانية تحس اللذة والألم توضع بين العنق والحجاب (أعلى الصدر)، ونفس غذائية توضع تحت الحجاب (في البطن). والنفس عند أفلاطون موجودة قبل أن تنزل إلى الجسد وهي تمثل توافق العناصر المؤلفة للجسد، فهي كالموسيقى تزيد عمل أعضاء الجسد، أما ما يحصل للنفس بعد الموت، فيمكن أن نقسمه إلى قسمين:

1 - **النفس الصالحة**: تصعد إلى الكواكب وتقضي هناك حياةً تشبه حياة إله الكواكب الذي نزلت منه، ونلاحظ هنا تأثير التنجيم البابلي على أفكار أفلاطون، ويتم صعود النفس بتخلصها من المادة المحبوسة فيها أي الجسد.

يقول أفلاطون على لسان سقراط إن هناك مذهب قديم يقول «إن النفوس الت.

تعيش في هذا العالم تذهب إلى العالم الآخر، ولكنها من جديد سوف تعود إلى عالمنا وتولد من جديد»، وبناء على ذلك فالأحياء تأتي نفوسهم أو أرواحهم من الموتى، وهذا دليل على خلود النفس في العالم الآخر لأنها لا يمكن أن تكون من جديد إلا إذا كانت موجودة، وهذا الدليل من جانب أفلاطون يمكن الرجوع به إلى الفلسفات القديمة، خاصة في فكرتين أساسيتين: الأولى، اعتماد أفلاطون في إقامة هذا الدليل على فكرة تعاقب الأضداد، وتلك الفكرة كانت سائدة في الفلسفة الطبيعية قبل سقراط فكان الحار والبارد والرطب واليابس، وتنتقل الموجودات من ضد إلى آخر بالتكاثف والتخلخل، فالنار تصبح هواءً ثم ماء ثم أرضاً وتعود الأرض وتصبح ماء، وهكذا فهناك حركة دائرية متنقلة بين الأضداد (إبراهيم 1999: 178).

2 - النفس الشريرة: تلد امرأة، فإن بقيت شريرة تلد حيواناً شبيهاً بخطيئتها، وهكذا حتى تتخلص من آلامها، ولا تعود إلى حالتها الأولى حتى يتغلب العقل على الشهوة وتصعد السلم فهي: المرأة، الطير، الدواب، الزحافات، الديدان، الأحياء المائية؛ أي إنها تنزل إلى الأسفل أكثر، وبذلك يكون أفلاطون قد آمن بالتناسخ، ويستمر بالتناسخ حتى النباتات والجذور.

ومن الموضوعات التي استهوت فناني الشرق الأدنى أيضاً تمثال إيروس. (كيوبيد) وهو يعانق الحسناء بسوخي (Psyche) أي «النفس»، فقد ربط بين عذاب الحب والنفس، وهذا يذكرنا بقول أفلاطون أن بسوخي تهبط من قصرها العلوي إلى سجنها الأبدي في قصرها المسحور، فهذه الربة. كانت رمزاً لمفهوم الروح الإنسانية وعذابها في سجن الجسد، وطموحها التحرر منه والعودة إلى عالم الخلود الأبدي، فإيروس - الذي وصفه أفلاطون في محاورة أجاثون (Agathon) «بأنه أصغر الآلهة ولكنه أكثرها سعادة، وأشدها عبثاً بقلوب البشر وبقلوب آلهة الأولومب» - بدأت تماثيله تكثر لأنه كان رمزاً لتأجيج الحب والعشق في عصر العواطف الجياشة (الناصري 1992: 303).

والحقيقة أن هذا الموضوع كان موجوداً في الميثولوجيا اليونانية بصورة قصة رمزية عن بسوخي (النفس) التي يجذبها الحب فتسقط من العالم الإلهي نحو

مكتبة الفكر الجديد

إيروس/ كيوبيد وتنسجن في قصرها الجسدي، وهي من الموضوعات التي شاعت في الفن الهلنستي لاحقاً.

وهكذا يقرر أفلاطون (خلود النفس) من طريق التناسخ، وكأنه يأخذ بعض العقائد الأورفية والفيثاغورية، حيث يقول: إذا كان صحيحاً أن النفس التي تولد في هذه الدنيا تأتي من عالم آخر كانت قد ذهبت إليه بعد موت سابق وأن الأحياء يبعثون من الأموات ينتج لنا أن النفس لا تموت بموت الجسم وهكذا تبعث الحياة من الموت، ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت الأشياء قد انتهت إلى السكون المطلق وإذن فقد كانت النفس قبل الولادة وستبقى بعد الموت.

وهكذا رأى أفلاطون أن النفس خالدة، لأنها إلهية، «ثم إنها تدرك المثل العقلية الخالدة ومن ثم فهي تشابه طبيعية المثل من حيث بساطة تكوينها فلا تتعرض للفساد أو للانحلال الذي يصيب الأجسام المركبة ومن هذه الأدلة أيضاً أن النفس تشارك في مثال الحياة وما شارك في مثال الحياة فلا يقبل ضدها وبالتالي لا يدركه الموت» (مرحبا 1983: 137).

يذهب أفلاطون في محاولة فيدون، شأنه في ذلك غيره من الفيثاغوريين إلى أن النفس الإنسانية كان لها وجود سابق على البدن بجوار الآلهة، لكنها سقطت إلى البدن وسجنت فيه بسبب ضعف أجنحتها وعدم قدرتها وعجزها على مسايرة الركب الإلهي، هذا ويصرح أفلاطون أن النفوس قبل هبوطها إلى البدن اجتمعت لمشاهدة المثل في عالم ما وراء الحياة وأن حظ كل نفس في الجسم الذي شغلته قد توقف على مقدار ما شاهدته من هذه المثل، وبالإضافة إلى هذا يؤكد أفلاطون في محاورة فايدورس على أسبقية النفس، وأنها كانت موجودة منذ الأزل تعيش مع الآلهة في العالم العقلي، حيث كانت تشاهد المثل الخالدة للجمال في ذاته، والخير في ذاته، وكانت تتبع موكب الآلهة في دورات معينة غير أنه نظراً إلى فقدانها توازنها تسقط في أجسام البشر، وما تنفك تسعى بعد ذلك إلى العودة إلى حياتها الأولى (إبراهيم 1999: 175).

والمطالع لمحاورة جورجياس وفيدون والكتاب العاشر من محاورة الجمهورية، يمكن أن يتعرف إلى رحلة النفس في العالم الآخر كما تخيلها أفلاطون

ومصير النفس الخيرة أو الصالحة، الذي يختلف بالتأكيد عن مصير النفس الشريرة، طبقاً للقانون الذي أذاعته الآلهة إزاء الناس منذ عهد كرونوس، وهو أن من يموت بعد حياة عادلة طاهرة بأكملها يذهب بعد موته إلى جزيرة السعداء، حيث يقيم بمأمن من جميع الشرور وفي سعادة كاملة، بينما تمضي النفوس الظالمة إلى مكان التكفير والعذاب وهو ما يسمونه هاديس (إبراهيم 1999 : 181-182).

2. الأفلاطونية الحديثة وإعادة إنتاج أفلاطون

كان أفلاطون هو المرجعية الكبرى للفلاسفة الهلنستيين، فقد عادوا إليه ووجدوا ضالتهم فيه، في هذا المُناخ الذي جمع الفلسفة اليونانية والأديان الشرقية، ولا ريب في أن إيقاع أفلاطون الديني كان متناغماً في فلسفته مع الجذور الدينية الشرقية التي انطلق منها لبناء فلسفته فضلاً عن المادة الأولية التي وفرها الفلاسفة الإغريق الذين سبقوه.

ولكن الأهم هو أن أفلاطون كان المرجعية الكبرى للغنوصية، وقد عملت فلسفته التي شرحناها أعلاه في تشكيل الهيكل الهرمسي ثم الغنوصي الذي يعود له الفضل الأكبر في نشوء التوحيد الباطني الذي كان أصل التوحيد الذي أخذت به الأديان الثلاثة بعد أن ربطته بالوحي.

ولأن العصر الهلنستي كان عصر التوفيق والتنسيق والجمع بين الاتجاهات، فقد أعاد فلاسفة العصر الهلنستي إنتاج أفلاطون بأربعة اتجاهات، وهي:

1. الجمع بين أفلاطون وزينون الذي جاء على يد العقل الرواقي الموسوعي الكبير لبوزيدونس.

2. الجمع بين أفلاطون وفيثاغورس الذي قام به نيومينوس الأفامي.

3. الجمع بين أفلاطون وأرسطو على يد أمونيو ساكاس وهو أستاذ أفلوطين ومبتكر الثيوصوفيا.

4. الجمع بين أفلاطون وكل هذه التيارات الثلاث السابقة على يد أفلوطين في نظام متماسك هو الأفلوطينية الذي هو أكبر وأهم تيارات الأفلاطونية الحديثة.

وهكذا أينعت الزهرة الصوفية البيضاء للأفلاطونية المحدثة، والمتطورة عن تعاليم أفلاطون الذي كان يقوم بالتعليم في أثينا قبل ذلك بستمائة عام، وكان يقول إن العالم الذي نعيش فيه يمثل نسخة ناقصة لعالم مثالي، وكان يقوم بتعليم أشياء أخرى أيضاً، ولكن كان هذا هو المعتقد الذي آمن به الأفلاطونيون المحدثون في الإسكندرية، وسعوا إلى التسامي به، والوصول به إلى نهايات صوفية (الناصري 1992 : 303).

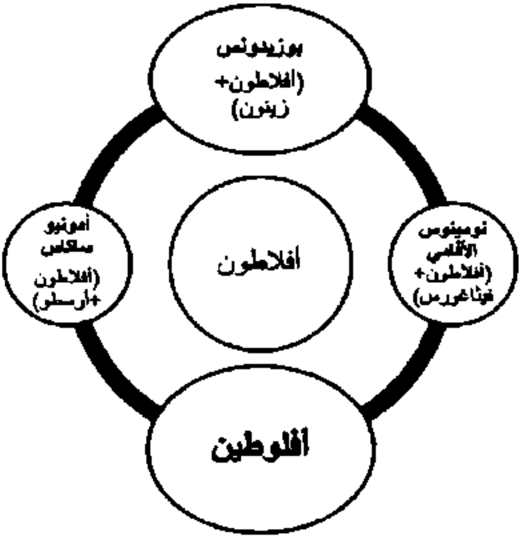

ولا شك في أن الأفلاطونية المحدثة كان تياراً مضاداً للحياة، فهي تهتم بالعالم الروحاني، شأنها شأن الغنوصية، وتهمل العالم الأرض اليومي وحياة الناس، وتلتقي في هذا مع مجمل ما تفعله الأديان في اهتمامها أما بعالم قبلي سماوي أسطوري أو بعالم بعدي آخروي إسكاتولوجي أو بالاثنين معاً.

الأفلوطينية

أفلوطين (205–270) م
http://www.wimbeurskens.nl/mens/ervaring/326/Column-Plotinus.html

تعتبر الأفلاطونية الجديدة نموذجاً للفلسفة الهيلنستية التي انتعشت في الشرق الروماني (الرومانستي) وأثرت في الحياة الفكرية لكل من الإغريق والرومان والأمم الشرقية بعامة، فهي بلا شك أعظم قمة فلسفية هيلنستية تناظر قمم أفلاطون وأرسطو في المرحلة الهيلينية.

ولد أفلوطين (205–270 م) في مصر في مدينة ليقوبوليس (أسيوط) ويعني اسمه (بلوتوينوس (Plotinus)) المبحر، وهو المبحر حقاً من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق فكراً وحياةً. وتتلمذ أفلوطين في الإسكندرية على يد الفيلسوف المصري الأصل اليوناني الثقافة (أمونيوس ساكاس) الذي حاول الربط بين أفلاطون وأرسطو والذي ابتكر وسمّى لأول مرة الثيوصوفيا التي هي الحكمة الإلهية واعتبرها أفضل من الفلسفة والدين معاً أو هي تجمعهما. أراد أفلوطين التعرف إلى فلسفة فارس والهند فذهب في جيش الإمبراطور الروماني جوردیان، لكن هذا هُزم ففرَّ هو إلى أنطاكيا ثم إلى روما، حيث أسس مدرسته الفلسفية هناك.

ترك أفلوطين فلسفته في (54) رسالة موزعة على ستة أجزاء يحتوي كلّ جزء على تسعة رسائل ولذلك سميت بـ **التاسوعات** وقد جمعها بعده تلميذه (فورفوريوس).

أصبحت الأفلاطونية الحديثة على يد سكاس مذهباً فلسفياً وروحياً جديداً، ولكن أفلوطين هو الذي جعل منه مذهباً شاملاً ذا نظام معرفي خصب، جعل من الأفلوطينيين نِحلة دينية مؤثرة.

كانوا إنسانيين وليس هذا فحسب، بل كانوا إسكندريين مثاليين، وجدت فيهم المدينة - في زمانها الأخير- تجليهم الأسمى. لقد تم تأسيس هذه المدرسة على يد «أمونيوس ساكاس» الذي بدأ حياته مسيحياً، يعمل حمّالاً على أرصفة الميناء، ولكنه تخلى عن كلا المهنتين لدراسة أفلاطون، وتعاليمه لا نعرف عنها شيئاً، ولكنه أنجب تلاميذَ عظماء أمثال، لونجينوس، واوريجين، وعلى رأسهم جميعاً (أفلوطين).

يتكون الهيكل الفلسفي لأفلوطين من بناء متماسك (انظر الشكل) يحتوي على أربع محطات أساسية تبدأ من الواحد ثم العقل الكلي ثم النفس ثم العالم المحسوس والمادة، وهناك في هذا الهيكل طريقان:

أ. طريق الصعود: وهو الطريق الصاعد الذي تحاوله بعض النفوس من الجسد المكبلة به إلى النفس الكلية ثم العقل المطلق ثم الواحد، وهو طريق ميتافيزيقي عقلي يتم عن طريق التجربة أو الجذب الصوفي والتأمل (وعلينا أن نحذر من وصفه بالمعرفة لأن النفس لا تصعد إلى أعلى بفعل المعرفة بل بفعل التأمل والفضيلة، ولأن الصعود بالمعرفة يكون في الغنوصية وليس في الأفلاطونية المحدثة).

ولنشرح بشكل مختصر جداً أقسام الهيكل الأفلوطيني:

أ. طريق الفيض (الهبوط)

1. الأقنوم الأول (الله، الواحد): كان أفلاطون أول من أشار إلى فكرة الله الواحد عند اليونان، وبخاصة في الباب السادس من **الجمهورية**، وجاء أرسطو وتناول فكرة الألوهية في الميتافيزيقيا وتكلم على المحرك الأول الذي يحرك ولا يتحرك على الإطلاق (أبو ريان وعطيتو 1999: 279).

وفي عصر أفلوطين وبسبب من الديانات الشرقية قام أفلوطين بصياغة فكرة فلسفية عن الله أبعد قليلاً عن إله الخير عند أفلاطون وأكثر سمواً من إله أرسطو الساكن. فالله عنده هو المصدر الأسمى للوجود ويسميه (الواحد، الخير، الأب، اللامتناهي، المعقول) «ولم ينعت أفلوطين الواحد بتحديدات إيجابية بل حاول أن يصفه بأوصاف سلبية فالواحد أو الله هو الشيء الذي لا صفة له ولا يمكن وصفه ولا يمكن إدراكه، لأنه متعالٍ وهو الغني بذاته والمكتفي بذاته، الغني كما أنه البسيط، ومعنى البساطة أنه لا يتحلل إلى أجزاء ولا يتركب من أي أجزاء، وهو يفوق العقل ويسمو عليه كليةً، فالجوهر والوجود والحياة لا يمكن إسنادها إلى الواحد لأنها كثرة وتعدد وإن هذا يتنافى مع طبيعة الواحدة غير القابلة للانقسام والتعدد» (أبو ريان وعطيتو 1999 : 280).

هكذا يرى أفلوطين أن الله عقل ووجود وفعل وأقنوم، ولما كان الله أو الواحد لا يمكن إدراكه مباشراً، وأعني أن تقال أو تطلق عليه صفة إيجابية، فإننا لا نستطيع في هذه الحالة أن نصفه إلا بالصفات السلبية، وهذا ما يسمى باللاهوت السلبي (Negative theology)، ويكمن في اللاهوت السلبي النفي النقدي لكل أنواع الإيجاب المختصة بالله التي يليها نفي آخر لنفينا (أبو ريان وعطيتو1999 : 283).

أما كيف خلق الله العالم والأشياء فيلجأ أفلوطين إلى صور واستعارات رمزية توضح ذلك، مثل نمو النبات من البذور وصدور الأشعة من الشمس وظهور الماء من الينبوع، حيث يرى أن الموجودات تصدر عن الواحد بضرب من الإشعاع، تماماً كما تفيض الأشعة عن الشمس، مع ثبات الشمس، وهنا نجد استعارة الضوء، فالواحد عندما يتعقل ذاته يلد مولوداً أقل منه في الكمال والنضج وهو العقل الذي يضمّ ضوء الواحد في طياته. والعقل هو صورة الواحد.

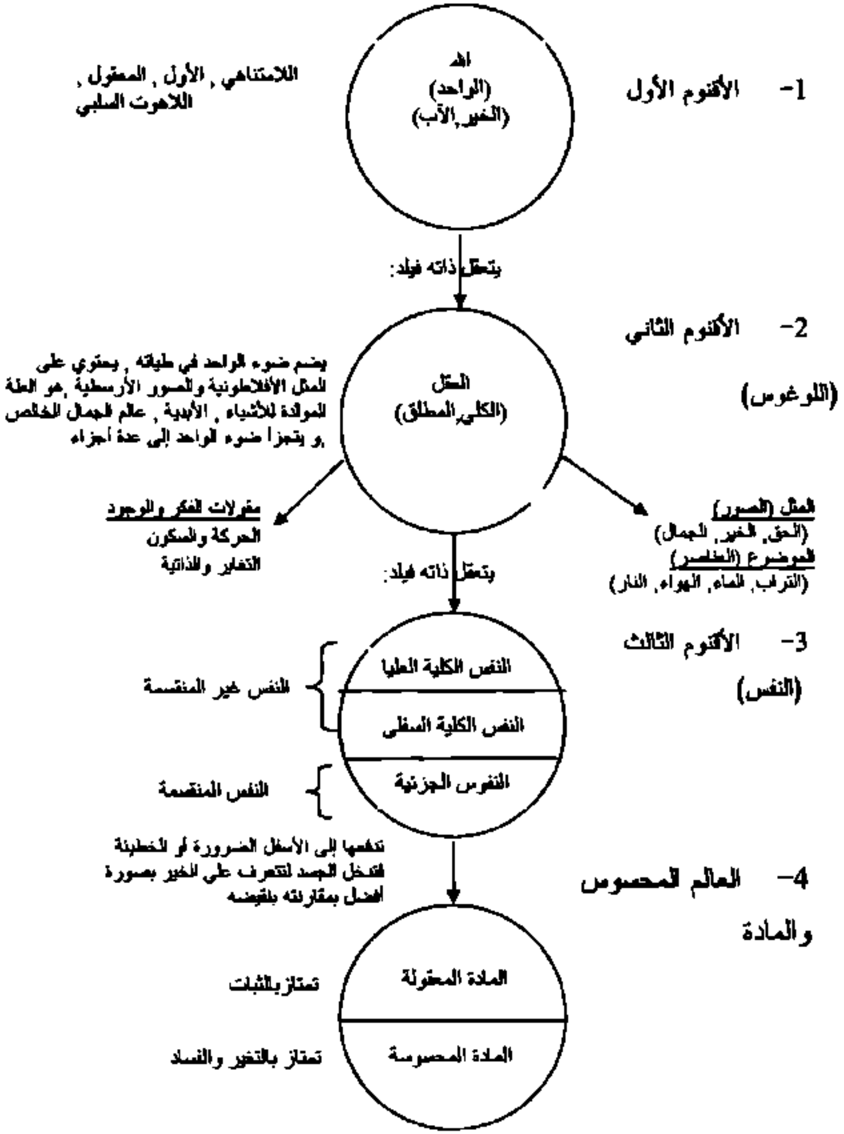

الهيكل الفلسفي لأفلوطين

2. **الأقنوم الثاني (العقل)**: ويسميه أيضاً (اللوغوس (Logos)) أو الروح عندما يفيض نور الواحد يظهر العقل الكلي (المطلق) في الكون، وينتشر فيه ويتصف العقل

الكلي بأنه وجود وعقل وعالم معقول أو روح. ويحتوي العقل على المثل الأفلاطونية (الحق والخير والجمال) وفيه تماسك كلي. ويحتوي أيضاً على العناصر الأربعة (الماء والهواء والنار والتراب)، ولا صورة لها لأن النفس هي التي ستمنحها الصورة المتعارف عليها، أي إنها في هيولي أولي ضمن العقل، وعندما تظهر النفس كصورة للعقل تظهر هذه العناصر الأربعة واضحة وذات كيان خاص.

والعقل عند أفلوطين هو كلمة ولوغوس الواحد، أي مبدأ وقوة ممثلة لهذا الواحد ومعبرة عنه في مستوى أدنى من الوجود. ويرى أن النفس هي لوغوس وكلمة العقل. وهذا يؤكد الاستمرار والوحدة بين مستويات الوجود المختلفة في المذهب الأفلوطيني (أبو ريان وعطيتو 1999: 293).

إن العقل الكلي يحوي في ذاته جميع الموجودات الخالدة في سكون سرمدي. ولم يحاول التغير ما دام خيراً؟ إلى أين يذهب ما دام حاصلاً على كل شيء ولم يحاول الاستكبار ما دام كاملاً؟ ولكن وحدته ليست كوحدة الواحد الأول (كرم د. ت: 292).

وكما احتوى العقل على المثل (الصور) التي عرفها أفلاطون وعلى الموضوع الذي تمثله العناصر الأربعة، فإنه احتوى على مقولات الفكر والوجود، مقولات الفكر التي هي (السكون والذاتية) ومقولات الوجود التي هي (الحركة والتغاير)، وكلها في وحدة منسجمة.

لا يوجد تعقل دون تغاير وذاتية وحركة وسكون: الحركة من حيث إن هناك تعقلاً، والسكون لأجل أن يبقى التعقل هو. والتغاير لكي يكون هناك عاقل ومعقولات متمايزة في ما بينها، أما إذا حذفنا التغاير فتكون الوحدة اللامتمايزة والسكون، وأخيراً الذاتية من حيث إن الأشياء المعقولة وحدة بالذات، وإن فيها جميعاً شيئاً مشتركاً، وفصلها النوعي هو التغاير. من كثرة هذه الحدود يولد العدد والكم، وخاصة كل موجود الكيف. ومن هذه الحدود معتبرة مبادئ تأتي سائر الأشياء (كرم د. ت: 292).

3. **الأقنوم الثالث (النفس)**: عندما يتعقل العقل ذاته يلد أو يفيض أو تصدر عنه النفس. يقسم أفلوطين النفس الكلية (غير المنقسمة) إلى قسمين هما النفس

الكلية العليا التي تصل بالعقل والنفس الكلية السفلى التي تتصل بالنفوس الجزئية الموجودة في العالم المادي أو المحسوس.

أما النفس أو النفوس الجزئية (المنقسمة) فهي التي تتوزع على مكونات العالم المادي، بل وتكون مصدر هذا العالم المادي، حيث تحبس فيه أملاً في التحرر منه والعودة إلى مكانها أو صعودها إلى الأعلى.

هكذا تعتبر النفس الكلية في أحد جانبيها مصدراً للعالم المحسوس في كلياته وجزئياته، كما تكون في جانبها الآخر مصدراً لإفراد البشر، وبذلك فإنها تشارك عالم العقل في طبيعته وشرف مقامه من جهة، وتشارك عالم الأبدان في خسته ودناءته من جهة أخرى، وبذلك تتحقق الصلة بل وتتوثق بين العالم المحسوس والعالم المعقول. (أبو ريان وعطيتو 1999: 297).

إن النفس الكلية هي التي خلقت جميع الحيوانات بأن نفحت فيها، الحيوانات التي تغذيها الرض والبحر، والتي في الهواء والكواكب الإلهية في السماء، خلقت الشمس والسماء الواسعة ووضعت فيها النظام، وأعطتها حركة دائرية (كرم د.ت: 292).

أما كيف تفيض النفس الكلية موجودات العالم المحسوس فيحصل كما يلي:

1. تفيض النفس الكلية الهيولي والأصول البذرية التي تعمل في الهيولي وتصورها دون علم، كما يطبع الخاتم صورته في الشمع.

2. تتحد الأصول البذرية مع الهيولي وينتج عن ذلك الأشياء التي في المكان والزمان.

إن النفس الكلية تدبر الكون وفق العقل بأن تشرق عليه هذه الأصول البذرية، إن ما له قيمة في البذرة ليس هو الرؤية، بل ما لا يرى فيها، أعني عدداً واصلاً بذرياً، والعدد صورة. فالأصول البذرية تدفع بالكائن إلى تحقيق ماهيته وكماله، فإذا قصر كانت المادة هي السبب بعدم مطاوعتها للمثال والنموذج، وحين يحل الأصل البذري في الهيولي يحدث الجسم، فإن الجسمية صورة، أو بذرة، ثم ينضاف إلى الجسم صور العناصر، وإلى هذه الصور صور أخرى، حتى ليتعزز استكشاف

الهيولي وهي مخبوءة تحت هذا القدر من الصور. فكل شيء هو صورة، إذ إن نموذجه صورة، وهو جملة صور (كرم د. ت: 293-294).

أ. عملية الفيض

1. عن طريق تعقل الذات يفيض الواحد العقل ويفيض العقل النفس وتفيض النفس المادة لكي لا تنسى الواحد فتقارنه بالأسفل وتتذكره.

2. الأشياء كلها متطابقة والأحداث متناسقة ويدل بعضها على بعضها الآخر، لذلك يمكن التنبؤ بهذه تبعاً لتلك. وإن بين الأشياء المتشابهة توافقاً، والأشياء المتضادة تنافراً؛ المحبة والكراهية أي التجاذب والتدافع يعملان في الكون (كرم د.ت: 94).

3. الحرية الإنسانية لا تتأثر بحركة السماء لأن حركة السماء تؤثر في الكيفيات الجسمية من حرارة وبرودة والأمزجة الناتجة عن ذلك، أما الخلق والفضيلة والعلم والاختراع فأمور مباينة للجسمية فكيف تحدثها الكواكب؟

ولذلك يقف أفلوطين ضد التنجيم والقضاء والقدر.

4. إن الجسم أخلاط وكيفيات محسوسة: فكيف يأتي منه الجهل، وتأتي الرغبات الرديئة؟ وإذا كانت النفس هي التي تصنع الشر بطبيعتها وأصلها البذري، كان الشر جزءاً من الوجود راجعاً إلى المبدأ الأول. حاشا أن يكون الأمر كذلك، الغنوصيون والمانويون هم الذين رجعوا بالشر على إله أعلى أو أدنى (كرم د.ت: 294).

5. الأقانيم الكبرى (الواحد، العقل، النفس) هي الخير وهي الموجودة، أما المادة فهي الشر وهي اللاوجود، فالشر عدم الصورة وعدم الحد أو الاعتدال والمادة عين جوهر الشر وليست النفس شريرة بذاتها. وإذن فالنفس الكاملة هي دائماً مفارقة لا تقارب المادة، فللشر وجود ذاتي ولكنه ليس إلهاً أو نفساً، وإنما هو المادة، والشر الذي في النفس يأتي من اتصالها بهذا الشر بالذات (وفي هذه النقطة كان أفلوطين متأثراً بالأورفية).

6. ولما كانت المادة عنصراً ضرورياً في نظام العالم لأنها آخر الصدورات وليس بعدها إلا اللاوجود المطلق، كان الشرّ ضرورياً في العالم كذلك.

ب. عملية الصعود

1. على النفس الجزئية للإنسان أن تنفصل عن الشر الذي هو المادة أولاً وأن تتفرغ لتأمل الواحد (الله) وعليها أن تكون خلواً من كل صورة لكي لا يمنعها مانع من أن تمتليء وتستنير بالموجود الأول. يقول أفلوطين: لنعتزل العالم الخارجي ولنتوجه بكليتنا نحو الداخل ولنجهل كل شيء حتى كوننا نحن الذين نتأمل.

2. على النفس الجزئية للإنسان أن ترتفع فوق الجسم بجزئها الذي لا يسبح فيه وترتبط بواسطة مركزها هناك بالمركز الكلي الذي سيؤدي بنا إلى النفس الكلية السفلى أولاً ثم العليا.

3. النفس الكلية التي أصبحنا فيها هي الآن موجود واحد تصعد إلى موجود أكثر وحدة هو العقل الحاوي في ذاته جميع الموجودات، وإن المعقولات مترابطة متضامنة وتقتضي عقلاً كلياً يحويها ويدرك ترابطها.

4. العقل الكلي يدفعنا إذا تأملنا وحدته إلى وحدة أشد مركزية منه وهي التي تدفعنا إلى الوصول إلى الله الواحد الذي هو بريء من كل صورة تصورناها (ونحن نصعد).

* * *

رغم أن أفلوطين كان وثنياً فقد كان أثره كبيراً على الديانة المسيحية فقد أخذ عنه القديس أوغسطين ووضع في ضوئه الأفلاطونية المسيحية. أما على الديانة المسيحية بذاتها فكان أكبر، حيث كان أساس ظهور عقيدة (الثالوث المقدّس) إذ ظهرت الأقانيم الثلاثة (الأب والابن والروح القدس) متكافئة مع أقانيم أفلوطين (الواحد والعاقل والنفس)، وجعل المسيحيون من هذه الأقانيم متكافئة في إله واحد، ثم إن فكرة اللوغوس أخذوها عنه وهي كلمة الله. وفي عصر النهضة ترجمت رسائله إلى اللاتينية فشاعت آراؤه ونراها في فلاسفة كثر.

رغم ميلنا إلى أن الثالوث المسيحي ظهر مبكراً على يد الآشوري طاطيان (تاتيان) ويسمى أيضاً ططيانس (110-180 م)، حيث تأثر به أوريجين وثبتته الكنيسة لاحقاً.

وأثر أفلوطين على الفلسفة الإسلامية عندما نقل المسلمون بعض تاسوعاته ع.

السريان وصار عنوانها خطأً (أوثولوجيا أرسطوطاليس) فتأثر بها الكندي والفارابي وابن سينا وإخوان الصفا.

التصوف الأفلوطيني

مهدت عملية الصعود الأفلوطيني (من المادة إلى الله) الطريق نحو وضع أسس نظرية وفلسفية للتصوف الهلينستي الذي كان أساس التصوف النظري في الأديان الموحّدة الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، خصوصيات وإضافات لها في كل دين بالإضافة إلى التأثير الغنوصي في نشوء التصوف، وهذا لا يعني أن التصوف ظهر مع أفلوطين بل سبقه بكثير، سواء في الشرق أو الغرب، ولكن أفلوطين وضع الأساس النظري الفلسفي له. والتصوف الأفلوطيني ليس عرفانياً بل هو تأملي.

إن جوهر التصوف هو التجربة الصوفية التي قوامها الجذب أو الاتصال أو الاتحاد بالله، والاتحاد أو الجذب فكرة صوفية محضة تقوم على تجربة الصعود والطبيعة السائلة للنفس كما أنها تتعارض مع الميتافيزيقا الشكلية أو الصورية (أبو ريان وعطيتو 1999 : 323).

يرى أفلوطين أن التصوف يتم عن طريق عملية الصعود عملياً، وأن هذا يتم أولاً بتخليص النفس من حاجات الجسد المادية والإبقاء على الحاجات التقليدية البسيطة فقط. فنصل بعدها إلى النفس الكلية التي تشكل الجسد، ثم تتوجه النفس نحو الأعمق بالتخلص من ملذات النفس وحاجاتها، وعلى النفس أن تعثر على الضوء الذي يوجد فيها ليقودها إلى العقل، وذلك عن طريق استبعاد كل شيء. وعندما نصل إلى العقل لا يعود هناك شيء محسوس بل كل الأشياء تبدو معقولة في العقل، ثم نبدأ داخل العقل بالتحرر من التفكير المنطقي، ثم نصل إلى حالة أشبه ما تكون بالجنون في العشق أو حالة النشوة في السكر، ويصبح كلُّ شيء في عماء، وهو ما سماه متصرفة الإسلام بحالة (الغراب الأسود) أو ما سماه المتصوفة المسيحيون بـ (الليلة الظلماء)، وهنا نصل إلى الواحد ونتحد به أو نذوب فيه، وهذه غاية التصوف كله. وعن هذا الاتحاد يقول أفلوطين (إننا نكون ما نرغب فيه أو ما نشتهيه أو ما ننظر إليه).

مكتبة الفكر الجديد

ويصف أفلوطين هذه التجربة النادرة التي مر بها أربع مرات في كل حياته، إذ تحققت له الرؤية الصوفية لله، يقول عنها:

لقد حدث مراتٍ عديدة أن ارتفعت عن جسدي على ذاتي وأصبحتُ بعيداً عن كافة الأشياء الخارجية الأخرى، وارتكزت في ذاتي ورأيت جمالاً رائعاً، وبعد ذلك، وأكثر من أي وقت آخر، تأكدت من الصلة مع أسمى نظام، فعشت أنبل حياة، وحزتُ على المطابقة مع القدس، أي (صرت أنا الله كلٌّ لا يتجزأ). (أبو ريان وعطيتو 1999: 125).

هكذا يصف هذا الرجل الذي لم يكن يهودياً أو مسيحياً أو مسلماً هذا الفعل الذي يثبت أنه كان مؤمناً بالله الواحد، وأنه يسعى إليه، بل سعى إليه واتحد معه، لكن هذا الاتحاد لم يكن مطلقاً بين النفس والله، وبذلك تكون الوحدة أو الرؤية الصوفية عنده تأملية أي وحدة تأمل أو تماثل أو محبة، أي شيء بعيد عن الامتصاص أو الاستغراق.

لقد آمن أفلوطين بالله مثل فيلو ومثل المسيحيين، ونظراً إلى أن إلهه كان يمتلك ثلاث مراتب، فإنه كان يقول: إنه يؤمن بالثالوث، ولكنه مختلف تماماً عن الثالوث المسيحي وأكثر صعوبة في الفهم؛ فالمرتبة الأولى والأسمى في هذا الثالوث كان يسميها «الواحد» هذا الواحد يعني الوحدة، ولا يمكننا التنبؤ بأي شيء آخر عنه، ولا حتى كونه موجوداً. إنه أكثر إبهاماً من (يهوه) فيلو، فهو ليس له صفات أو قوة مبدعة، وهو صالح فقط لأن يكون هدفاً لطموحاتنا، وبالرغم من أنه لا يخلق ولا يبدع (فورستر 2000: 108).

وهذا الإله هو الذي يناظر الإله الأسمى في الغنوصية أو الله الواحد الخيّر عند أفلاطون.

إلا أنه يفيض - وكأنه إلى حد ما ينبوع- ومن فيضانه أو فيضه تنبثق المرتبة الثانية من الثالوث وهي ما يسمى (المبدأ العقلاني)، وهذا المبدأ العقلاني أيسر فهماً من «الواحد» لأنه ذو علاقة بما هو بعيد عن حياتنا، فهو العقل الكوني الذي لا يحتوي كل الأشياء/ بل يحتوي كافة الأفكار عن كل الأشياء، وهو يبدع من خلال التفكير، ويفكر في المرتبة الثالثة أي (الروح الكلية) وهي التي طبقاً لهذا تصل إلى.

الكينونة، وبهذه الروح الكلية نقترب من مملكة الإدراك، إنها العلة الأولى في هذا الكون الذي نعرفه، وهي التي خلقت كل ما ندركه بالحواس، وفي المقام الأول آلهة الإغريق وغيرها من الآلهة، ثم أنصاف الآلهة، ثم الأرواح الحارسة (Demons)، ونزولاً في النظام التراتبي - يأتي الإنسان ثم الحيوانات والنباتات، فالأحجار ثم المادة الأولية، وهي التي تبدو لنا هامة جداً فهي آخر وأضعف ثمار الروح الكلية، وهي النقطة التي تتوقف عندها قوة الخلق. وهذه المراتب الثلاث: وهي الواحد، والمبدأ العقلاني، والروح الكلية يصنعون ويؤلفون معاً كينونة واحدة وهي الله، الذي كان ثلاثة في واحد، وواحداً في ثلاثة... وهو الهدف من كل الخلق (فورستر 2000: 109).

وهنا يكون الاختلاف الكبير بين الأفلاطونية والمسيحية، فالمسيحية تعد الإنسان بأنه سيرى الله، بينما الأفلاطونية المحدثة شأنها شأن الفلسفة الهندية تعد الإنسان بأنه سيكون الله، ربما وعلى أحد أرصفة الإسكندرية، تحدث أفلوطين مع تاجر هندي أتى إلى المدينة. وعلى كلٍّ فإن نظام أفلوطين يمكن أن يتوازى مع الكتابات الدينية الهندية... لقد أصبح أقرب من أي فيلسوف إغريقي لفكر الشرق. كان بورفيري - وهو المريد الورع لأفلوطين- فيلسوفاً ذائع الصيت... واستمرت المدرسة الأفلاطونية المحدثة في الازدهار على امتداد القرن الرابع الميلادي وظل اتجاهها الرئيس كما هو... لقد كان تشاؤمياً في ما يتعلق بالعالم الواقعي والإنسان الحالي، ولكنه كان متفائلاً بالنظر إلى المستقبل، لأنه اعتقد أن العالم بكل ما فيه فيض من الله، وأن الله قد منحنا سبل العودة إليه، وأن هذا العالم أدرك وجود الشر، ولكن ليس هذا الوجود أبدياً، وبالتالي فقد كان هذا الفكر دعماً عملياً لمعتنقيه، وآخرهم هيباتيا التي دعمها أثناء استشهادها.

عندما أفكر ملياً في كتابتك

وفيكِ أنتِ

يا هيباتيا المبجلة

عندئذٍ...

أركع لمرأى
وطن العذراء المزدان بالنجوم
وهناك في السموات
أتعرف إلى أعمالك
وكلماتك الحقة
كنجمٍ ساطع.
(من الوصايا الحكيمة)

هكذا كتب أحد المعجبين المجهولين في بداية القرن الخامس الميلادي. ولم يتم قطُّ حفظ أي من محاضرات هيباتيا... ولكننا نعرف أن بها وبأبيها الروحي... انتهت كل تعاليم أفلوطين العظيمة في الإسكندرية... (فورستر 2000: 111).

الفصل الخامس

الاتجاهات الروحية الباطنية في العصر الهلنستي

(المسارية والهرمسية والغنوصية كحاضنات للتوحيد)

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر الجديد

المبحث الأول
الباطنية الهلنستية ونزعتها التوحيدية

Esoterism
رمز الباطنية

كان لابد للاستبداد الديني الشرقي أن ينكمش بسبب أجواء الحرية التي سادت في العصر الهلنستي، وكان لابد للتيارات والتجمعات الدينية السرية والباطنية أن تظهر، وقد نشأت في المرحلة الهلنستية مجموعة من التيارات الباطنية استطاعت أن تعيد صياغة الأديان الوثنية القديمة والفلسفات الدينيةِ الشرقيةِ الأصل في إطار فلسفي هلنستي جديد، ظهر كما لو أنه كان جديداً لكنه، في حقيقة الأمر، يمتد بجذوره إلى أعمق ديانات الشرق القديم.

ومن خلال قراءتنا الواسعة لثقافة العصر الهلنستي لاحظنا أن هناك ثلاثة تيارات باطنية أدّت دوراً رئيساً في الانتقال من عبادة الآلهة المتعددة إلى التوحيد، وهذه التيارات هي: المسارية والهرمسية والغنوصية.

هذه التيارات الدينية السرية الباطنية كانت تسري تحت القشرة المعلنة للأديان التعددية والتفريدية، وكانت قد ابتكرت نوعاً من التوحيد الباطني الذي كان حكراً على جماعات سريةٍ صغيرة كانت تمارس طقوسها وتعاليمها بحذر شديد.

لابد، أولاً، من عرضها وشرح مبادئها ثم التطرق إلى دورها في صناعة

التوحيد وتحويل الأديان المتعددة الآلهة إلى أديان توحيدية، لابد من التطرق إلى الفروق بينها رغم ما يجمعها من عوامل مشتركة فلطالما تداخلت الهرمسية والغنوصية وأصبحا شيئاً واحداً، لكنهما في حقيقة الأمر يتمتعان باستقلالية تضمن لكلٍّ منهما حقلاً منفصلاً ومشتركاً بينهما في الوقت نفسه.

الهرمسية هي تعاليم هرمس (الإله أو النبي أو الحكيم) وهذه التعاليم مدونة في مجموعة من النصوص المصرية القديمة واليونانية واللاتينية.

أما الغنوصية فسلوك وتيار أشمل يعود في أصوله إلى ديانات وادي الرافدين القديمة وديانات شرقية أخرى، وتشكل الهرمسية إحدى روافده، وقد أُعيدت صياغة الغنوصية فلسفياً قبل القرون الميلادية الأولى كفلسفة هلنستية، وكانت الغنوصية رحم التوحيد النهائي في العصر الهلنستي، وكانت المسيحية هي الوليد النموذجي لها.

أما المسارية أو(ديانات الأسرار) فقد أدّت دوراً مهماً هي الأخرى في تكوين الجانب الطقسي للتوحيد، وعملت على تجسيد فكرة القربان والذبيحة الإلهية.

ومما له دلالته أن مثل هذه الشمولية «التوحيدية» تمجد بخاصة الآلهة المثيرة للشفقة بامتياز أمثال ديونيزوس وأوزيرس. وفي ما يتعلق بإيزيس وأوزيرس، فإن تفسيراتهما الأخيرة وإعادة تقييمهما من قبل لاهوتيي الأسرار ومن قبل الفلاسفة الأفلاطونيين الجدد، الذين كانوا معتبرين، خلال قرون من الزمن، كمنيرين للحقيقة ولأعمق عبقرية دينية مصرية (إلياد ج2 2006: 322).

ويمكننا جمع تطور التيارات الثلاثة، وهي تنحدر من ماضيها البعيد لتكون نسقاً واحداً مؤثراً في العصر الهلنستي كما يلي:

1. في العصر السومري كانت طقوس تموز تجمع التيارات الثلاثة في شكلها العفوي البذري الذي لم يفصح عن هويته الكاملة والاصطلاحية، فقد كان الإله (دموزي) السومري أصل المسارية التي تقضي بنزوله إلى العالم السفلي وموته الفجائعي في أسطورته الشهيرة مع (إنانا) وكان أصل طقوس المناحات والندب والأسرار. كما أنه كان يعبر عن الشخصية الأولى لـ (هرمس) التي ظهرت في ما بعد عند كل الشعوب القديمة تقريباً من خلال كونه الوجه الآخر للإله (ننكشزيدا)

صاحب الكادكيوس الأفعواني والذي ظهر ملازماً له في العالم الأسفل وفي السماء. وهذا يشير إلى دورته في هذه المستويات الثلاثة (السماء، الأرض، العالم الأسفل) في دورة تشبه دورة النفس أو الروح في الغنوصية، فضلاً عن كونه إله الخلاص والمنقذ والمنتظر كل عام.

2. أخذت فكرة (دموزي) بالتناسل بين الشعوب حتى وجدنا ها في فارس بصيغة إله الضوء والخير الفارسي (أهورامزدا) الذي تحور عند الإغريق بصيغة (هرمس) وكانت الزرادشتية التي ضمته قد تبنت تقسيم العالم إلى نظام ثنائي للخير والشر والنور والظلام ومعالجة موضوع الشر، وكان أفلاطون قد اطلع على الدين الزرادشتي في مصر التي احتلها الفرس قبل الإسكندر المقدوني، وتأثر بها، ونظن أن فكرته عن الله الواحد الأسمى الواحد وعن الإله الصانع وشرّ المادة ونزول الروح فيها قد أخذها من الزرادشتية.

وفي بلاد الإغريق نشأت أولى ديانات الأسرار (المسارية) في اليوزيس ثم نشأت الأورفية التي تأثر بها فيثاغورس وأنشأ فلسفته المسارية كنظام فلسفي.

3. اختلطت فلسفة أفلاطون عن الله وخلق العالم مع أفكار التنجيم والخيمياء الشرقية فنشأ عن ذلك الهرمسية التي كان أحد أهم نصوصها هو نص (هرمس طوط) المصري، ثم نص المدونة الهرمسية اليوناني (بوامندريس)، وكان هناك اتجاهان رئيسان في الهرمسية، الأول روحاني يؤكد إهمالَ الجسد لتجنب الخطيئة، والثاني كان حسياً يرى في الجسد مصدر تحقير يجب أن ينهك بالحسية والجنسية.

4. اختلطت فلسفة فيثاغورس مع ديانات الأسرار والتطهير في العصر الهلنستي ونشأت المسارية كتيار ديني واضح شمل عدة آلهة مساريين في العالم الهلنستي، واتخذت المسارية طابعاً جسدياً حسياً وطابعاً روحانياً.

5. نشأت الغنوصية من التقاء التيار الروحي للهرمسية والمسارية، ففضلاً عن فكرة دورة النفس الهرمسية ظهرت فكرة الخلاص القربانية و/ أو المبعوث السماوي الذي يفتدي البشرية. وكان للغنوصية التي نرى فيها لمسات أفلاطون وفيثاغورس التأثير الأكبر في ديانات العصر الهلنستي، ونرى أنها هي التي أعادت صياغة اليهودية

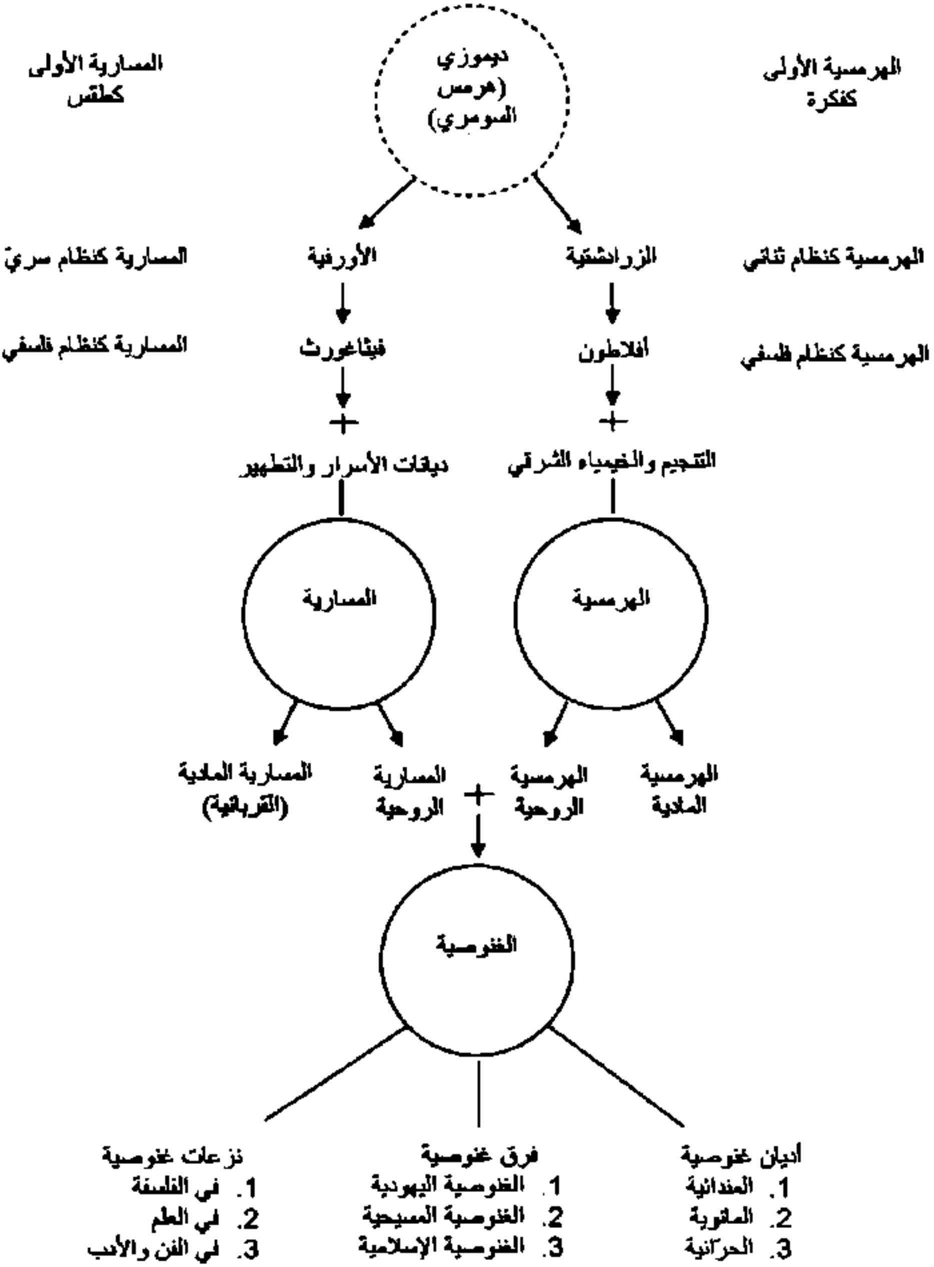

تطور المـــارية والهرمـــية والباطنية

وابتكرت المسيحية الأولى وصنعت التوحيد بوضوح، وكانت هناك أديان غنوصية مثل (المندائية والمانوية والحرانية)، وبل وتعدت هذا لتظهر في الفلسفة والعلم والأدب والفنون.

وبذلك تكون الغنوصية هي الرحم الذي ولد التوحيد ودفع به إلى العالم، لكنه، وكما يخبرنا التاريخ، كان يجب قتل الأم ورحمها الذي ولد التوحيد وسرقة الطفل (التوحيد) والقول بأنه نزل من السماء.

أما جغرافيا انتشار الحركات الباطنية الثلاث في العاللم الهلنستي فيوضحها الجدول الآتي:

جغرافيا الباطنية في العصر الهلنستي

الباطنية	فارس	وادي الرافدين	الشام	مصر	الأناضول	اليونان	روما
العسارية	المثرائية	تموز وعشتار نبو	أدونيس وعشتروت بعل وعناة	إيزيس وأوزيريس	أتيس وسيبل	ديونيسوس أورفيوس	باخوس إيزيس
الهرمسية	الزرادشتية	هرمس نبو هرمس البابلي الكلداني (كلواذا) الحرّانية	أخنوخ	هرمس تحوت	هرمس	هرمس شفيع المسافرين والبحّار	مركوري (عطارد)
الغنوصية	الزرادشتية المانوية	الشيثية المندائية المانوية الصابئون (ساميسيون) الbarديصانيون	أورفانية شيثية ساتورنيتوليون هيراقليطيون بوتلميون	باسليديوس فالنتينون مرقيونيون	قوتيون	الغنوصية المسيحية	الغنوصية المسيحية

المبحث الثاني
المسارية (المستيريا) Mysteria
(ديانات الأسرار، الديانات الغامضة)

رمز المسارية

المسارية هي عقائد وديانات الأسرار (Mystery) والغموض (Mystère) وكانت، في أغلبها، ديانات خلاص، فضلاً عن كونها كانت تضع أحد الآلهة موضوع الاهتمام وتجعله مخلصاً.

وكانت هذه الأديان تعتمد فكرياً على معتقدات دينية بجعل إله معين محور الخلاص، وكان هذا الإله ينحدر في أغلب الديانات المسارية من الآلهة الزراعية والديانات الزراعية القديمة، وهو يحمل عادة ذكرى الإلهة الأم التي دحرتها التقاليد الذكورية في الدين.

تحمل المسارية الهلنستية ذكرى ديانات الخصب القديمة وتعمل على إعادة إنتاجها وفق الفكرة الخلاصية التي أصبحت هاجس الهلنستية كلها.

الديانات المسارية كلها من أصلٍ شرقي، وقد تبناها الإغريق الهلنستيون وأعادوا إنتاجها وفق ما يمكن أن نسميه بروح العصر زتكشت (Zeitgeist) التي سادت العصر الهلنستي الرومانستي والتي تسلقت إلى بلاد اليونان وروما بمنتهى السرعة والقوة.

مكتبة الفكر الجديد

كل الأديان المسارية خلاصية وزراعية الأصل ومعادٌ تركيبها، وهي ديانات أسرار غامضة لها طقوسها ومعتقداتها وآلهتها الخاصة وتميل، نوعاً ما، نحو التوحيد بحكم تركيزها على إله أو إلهة معينة أو على كليهما كزوجين متحدين.

إن الأسرار الهلنستية تذكر بتصرفات طقوسية قديمة جداً - موسيقى متوحشة، رقصات هيجانية، أنواع الوشم، امتصاص نباتات للهلوسة- بهدف إجبار قرب الألوهية، لا بل الحصول على التوحد الروحي في أسرار آتيس، وإن الصيام المفروض على التلامذة يتألف أساساً في الامتناع عن الخبز، لأن الإله هو «السنبلة المحصودة خضراء»، وإن الوجبة المسارية الأولى ترد في مجملها لتجربة القيمة القدسية للخبز وللخمر، تجربة قلما تكون مقبولة لدى السكان المدينيين (إلياد ج2 2006: 316).

ويمكننا تصنيفها حسب أصولها القديمة كما يلي:

المسارية الرافدينية: تموز

المسارية المصرية: إيزيس

المسارية الفريجية: سيبيل وآتيس

المسارية الفينيقية: أدونيس

المسارية الإيرانية: مثرا

المسارية الإغريقية: ديونسيوس

المسارية الرومانية: باخوس

المسارية الليبية: حامون وتانيت

المسارية النبطية: أترغاتس وحدد

الطقوس المسارية (المسارة)

طقوس التلقين: كانت طقوس التلقين تجرى في احتفالات دينية سرية تقتصر على المؤمنين بهذا الدين ومن رجال الدين بشكل خاص، حين يزاد تلقين المرشح الديني الجديد الذي يجب أن يتلقى التاريخ السريّ للأسطورة الأساسية للإله.

ورغم أن هذه الأسطورة معروفة للجميع ومنهم المرشح، لكن على هذا المرشح أن يعيشها بنفسه وأن يصل إلى تفسير باطني خاص بها يتم فيها كشف المعنى الحقيقي لتراجيديا الإله/ الإلهة.

وكان على المرشح أو المجموعة المرشحة أن تقوم قبل طقس التلقين بإكمال الصيام الخاص بهذا الإله والتضحية التي تجري خلال الطقس مثل ذبح الحيوانات. وكان طقس الموت والبعث ضرورياً لاكتمال حكاية أو طقس التلقين، إذ إن المريد أو المرشح يمر بهذا الموت وبنوع من الولادة أو البعث الروحي الجديد الذي هو بمثابة نوع من الخلود، لأنه كان يتضمن التحاماً بالجسد الذبيح أو الميت للأضحية (التي ترمز للإله) والانبعاث من دمها أو دخانها أو رائحتها. وخلال الحفلات كان التلميذ الجديد يتأمل أو يمسك بعض الأشياء المقدسة. وكان يصل إليه في الوقت ذاته تفسير رمزيتها، وعلى الأرجح كان يتعلق بتفسير باطني يوضح ويبرر قيمتها الانقاذية، وخلال فترة من مساراته، كان المتلقي يشارك في مأدبة طقوسية. وفي الثغرة التي نبحثها، كان لهذه الممارسة التي لا يمكن تذكرها، بصورة خاصة، دلالة أخروية وفي أسرار ميثرا، كان يقدم الخبز والخمر للمتلقي ليعطيان القوة والحكمة في هذه الحياة، والخلود السامي في الآخرة، وبفضل المسارة كان المتلقي يصبح المماثل للآلهة. فالتعظيم لدرجة التأليه وعدم الموت... تلك هي المفاهيم المألوفة في كل ديانات الأسرار (إلياد ج2 2006: 309).

وتسمى طقوس العبور (Initiation) بطقوس التلقين، ولكن قد تلتقي طقوس التلقين مع طقوس العبور، وقد تفترق قليلاً في كونها تذهب بعيداً في نقل المرشح من حال إلى حال، وفي طقوس العبور يتم منح المرشح أسراراً خاصة.

يجب أن يمنح السرّ معلمٌ مؤهل، يسميه الهندوس (غورو) (الطاعن في السن) ويسميه الأورثوذوكس جيرون (Geron) وله المعنى نفسه، والمسلمون يسمونه (الشيخ) ويقوم تجاه التلميذ بدور أبٍ روحي، من حيث إن البداءة أو المسارة ولادة ثانية، يرافق تلميذه في الصعوبات التي تعترضه في تطبيق النهج المرسوم له. أما المعارف النظرية فلكل تنظيم (طريقة) أسلوبه في ما يسمح بتدريسه منها (بنوا 1998: 31).

مكتبة
الفكر الجديد

والقسوة وهي تساعده على اجتياز عوائق الدخول إلى العالم القادم.

2. المساتير (الأسرار) الكبرى

الأهداف: الخروج من العالم المادي والوصول إلى العالم الروحي أو الميتافيزيقي وقد تسمى هذه الغاية بـ (الرؤيا المبهجة، النور العظيم، الهوية العليا).

المواهب والوسائط: الكنز الداخلي (النفسي والروحي) هي أهم هذه المواهب وعلى المرشح أن يعثر على كنزه الروحي والداخلي. وأن ينشّط في داخله موهبة الكشف وتلقي الوحي.

الطقوس: وتسمى بطقوس الولادة الثانية، حيث ينزل فيها المرشح إلى العوالم السفلى، ويصعد إلى العوالم العليا، أي إنه يمارس قوتي (المبدأ والميعاد) روحياً (وهو حيّ)، حيث يتحول إلى شكل من أشكال ما يعرف عموماً بـ (الإنسان الكامل) المهيء لدخول عالم الآلهة.

3. مساتير الاندماج أو الالتماس (Adaptation): وهي طقوس الولادة الثالثة وتسمى بـ (الخروج من الكهف)، حيث يتحرر المرشح من العالم المادي ويحلّ في عالم الآلهة، حيث يتحد هناك بالإله أو الإلهة.

المواهب والوسائط: تعينه موهبة الكشف والتجريد على الالتحام مع العالم الإلهي، وهذا يعني أنه قد كشف الإله الذي في داخله واتّحد به نهائياً.

الطقوس: كانت الطقوس الباطنية في هذه الدرجة تصل إلى التماهي مع الإله المعني، أو زواج المرشح من الإلهة، وهذا ما نراه في طقوس الإغريق الإليوسية والأورفية ثم في الباخوسية ونجده أيضاً في الطقوس الأوزيرية وطقوس آتيس وسيبيل وميثرا... إلخ، ويسمى هذا الزواج بالزواج المختلط (Hieros gamos) والذي سيمثله رمزياً عضو التذكير المخبوء في مكان سريّ يظهر في نهاية المسارة.

تميل هذه الطقوس لاتخاذ آلهة فيها ميول بشرية وليست سماوية مطلقة، مثل ديونيسيوس (أمه امرأة ضاجعها زوس) وغيرها لكي يضمن إمكانية التحوّل لها بسبب التكوين البشري للمرشح أو المريد.

كانت هذه الطقوس تجري في جمعيات يمكن أن نسميها الأخويات (Confréries)، وهي أماكن تلقين الأسرار، وبعكس ما نتصوره عن حفلات القصف

والإباحية الديونسيوسية (الباخوسية) يمكننا إدراك البعد الديني والروحي لهذه الأماكن.

ومع ذلك يبقى المركز الجنسي للمسارات هو الأساس ولكنه يأخذ طابعاً مقدساً وروحانياً وذات أبعاد دينية.

وقد استخلص فريدريك ماتز (Fredrick Matz) في بحثه حول المشاهد التصويرية متبعاً في هذا مثال علماء آخرين، إن العمل المركزي للمسارة كان يتكون في الكشف عن عضور التذكير المخبأ في سلة ليكنون (Liknon)، ومن المرجح أن هذا المشهد الذي اشتهر على نطاق واسع، كان له أهمية طقوسية، غير أن بويانسيه (Boyance) قد برهن بشكل ملائم على أن النصوص تذكر الليكنون بأنه ذي علاقة مع كل أنواع المسارات وليس مع مسارة ديونيزيوس وحدها (إلياد ج2 2006: 311).

ديونسيوس/ باخوس

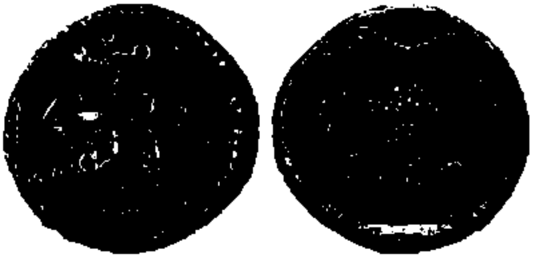

ديونسيوس (Dionysus) (ويسمى عند الرومان باخوس) هو إله النبيذ (خمرة العنب) معنى ديونسيوس في الإغريقية هو (من يعبد زيوس). وهو إله أصله من تراقيا ووفد متأخراً على بلاد اليونان ويبدو من شخصيته وصفاته بأنه إله مشرقي وفد من فينيقيا، وهو من المرجح الإله أدونيس، ثم تحور لفظه إلى ديونسيوس رغم أن هناك إلهاً منفصلاً عند الإغريق اسمه (أدونيس) وهو عشيق أفروديت... لكن أدونيس وهو يتحول إلى ديونسيوس اكتسب صفات جديدة له فقد أصبح الها للخمر والتهتك والمتعة والقصف في صورته الدنيوية وأصبح أيضاً إلهاً في العالم الأسفل

يشفع لمريدية في صورته الأخروية، وهو يؤكد ما ذهبنا إليه، لأن أدونيس أصله من تموز وأوزيريس اللذين لهما صورتان دنيوية وأخروية قريبتان من ديونسيوس.

لقد تراجع دور الإله (زوس) باعتباره إلهاً تفريدياً مهماً في الحياة الهيلينية ولم تعد له تلك الأهمية وبرز دور الإله ديونسيوس إله الخمرة واللذة وهو إله ذو أصول شرقية نزح إلى الإغريق في عصور مبكرة، حتى اكتسب صفات الآلهة الإغريقية، كان أهم الآلهة الإغريق طراً في ذلك العصر، خارج بلاد الإغريق هو ديونسيوس الذي قام الفنانون الديونيسيون بنقل عبادته إلى كل أرجاء العالم، وكأني بالفن والأدب قد منحاه موكب نصر تقدم به عبر آسيا على غرار موكب نصر الإسكندر (تارن 1966 : 360).

قفز الإله ديونسيوس إلى مقدمة الآلهة عن طريقين الأول هو طريق اللذة والسعادة التي كانت هدف العصر الهلنستي أخلاقياً، وكان هذا الإله يمثل أعلى أشكالهما، أما الطريق الثاني فكان عن طريق النحل أو الملل السرّية التي كانت تمثل باطن الديانة الإغريقية... فقد كان الإله ديونسيوس العامل المشترك بين هذه الملل والنحل على اختلاف أسمائها مثل (الإليوزيسية والديونسيوسية والأورفية...إلخ) وسرعان ما تحول ديونسيوس إلى إله مساري واحد تقام له طقوس الأسرار ويبتغي منه العابد خلاصاً وأملاً.

ولنحاول إلقاء الضوء على هذه النقطة بالذات، إذ كيف يتحول إله يترافق مع الطقوس السرّية الرامية للتوسل أو للاتحاد مع آلهة المدن لضمان الخلاص الآخروي إلى إله للذة والسعادة وإلى إله شامل يطغى على بقية الآلهة...؟

كان الإله ديونسيوس يمثل عقائد الآخرة، فهو الإله المدفون في الأرض والذي له علاقة بحكم الموتى هناك، ولذلك كان الأحياء يتوسلونه في طقوس سرّية وغامضة لضمان رضاه عنهم بعد الموت... لكنه كان إله الحياة والعنب والخمرة والمرح في الوقت نفسه، أي إنه جمع الحياة والموت في آن واحد. ولذلك كان مرشحاً لأن يكون الإله الأكثر شمولاً والأكثر تفريداً في العصر الهلنستي.

ثم إن ديونسيوس بمجيء الإغريق إلى الشرق لاقى جذوره التي خرج منها، ذات يوم، وذهب إلى اليونان. فهو شكل من أشكال أعظم آلهة الشرق الأدنى القديم

مثل دموزي السومري وتموز البابلي وأدونيس الفينيقي وأوزيريس المصري. وكانت هذه الآلهة ما زالت تمضي بشعبية كبيرة بين الناس، بل إن الديانات الرسمية لشعوب الشرق كانت قد ذوت بينما ظل توهج هذه الآلهة الشعبية قائماً.

وهكذا أنعش ظهور ديونسيوس هذه الآلهة كما أنها أعطته غطاء جماهيرياً واضحاً ليكون أكثر الآلهة انتشاراً. إن هذا الإله لم يكن بحاجة إلى عرش أو زعامة أولمبية أو قمة هرم إلهي ليتربع على ظهور الآلهة الآخرين، فهو إله طافح بالحيوية ويكفيه أنه يمثل قوة الحياة لا قهرها، ويمثل الشغف بالحاضر عبر المجون والجنس واللذة ولا يمثل الزعامة السياسية الصاعقة الكاسحة التي كان يمثلها (زوس) مثلاً. وهو ما كان عليه إيقاع الحياة الهلنستية الطافحة بنشدان ينابيع الحياة والسعادة واللذة. وقد ارتفع مقامه التفريدي منذ ولاية بطليموس الرابع.

ويؤكد هيرودت أن هناك إلهاً آخر اسمه زلموكيس (Zalmoxis) كان يعرفه لفيثاغورس هو صورة أخرى من صور ديونسيوس ليتم الربط بين العقائد الفيثاغورية والديونسيوسية والأورفية.

وحين رحل ديونسيوس من تراقيا إلى بلاد اليونان حل في دلفي قرب أبولون ونافسه وأخذ بعض صفاته كما سنرى.

أسطورة ولادته

أحب زوس سميلا (سيميليه) ابنة قدموس ملك طيبة وأقسم لها بأن يحقق لها كل ما تريد، فعرفت زوجته هيرا بذلك واستدرجت سميلا وطلبت منها أن تقول لزوس بأن يتجلى بكل عظمته الإلهية لها.

وافق زوس وجاء إلى قصر قدموس محفوفاً بعظمته فاهتزت الصواعق في يده واضطرب القصر وترنحت أركانه وولدت سميلا وهي في نزعها الأخير طفلاً هزيلاً عاجزاً عن الحياة هو ديونسيوس، لكن شجرة لبلاب خرجت من الأرض واحتضنت الوليد وحمته من النيران، ثم قام زوس بشق فخذه ووضعه فيه وخاط فخذه حيث اشتدّ وولد ثانية من فخذ زوس. ثم أعطاه زوس إلى إينو وزوجها أتامانت ملك أورخومين (في بيوتيا على شاطئ بحيرة كابابيد) ليرعياه. فعاقبتهما هيرا فأرسلت

الجنون إلى الملك وهربت الزوجة عن ولدها ورمت نفسها من صخرة على البحر لتتحول هي وولدها إلى إلهين بحريين مازالا في البحر.

وقام هرمس برعاية ديونسيوس وأعطاه للجنيات فبذلن جهداً في تربيته، فكافأهن زوس بأن رفعهن إلى السماء ثواباً لما قمن به وعرفن في السماء باسم (هياد)، وهن نجوم بين مجموعة أوريون التي تعد واحدة من أكثر المجموعات تألقاً في السماء.

صباه وشبابه

أتقن ديونسيوس في صباه الزراعة وخصوصاً زراعة الكروم وتقطير النبيذ من عصير العنب فأصبح إله الخمر وإله خصب الطبيعة معاً.

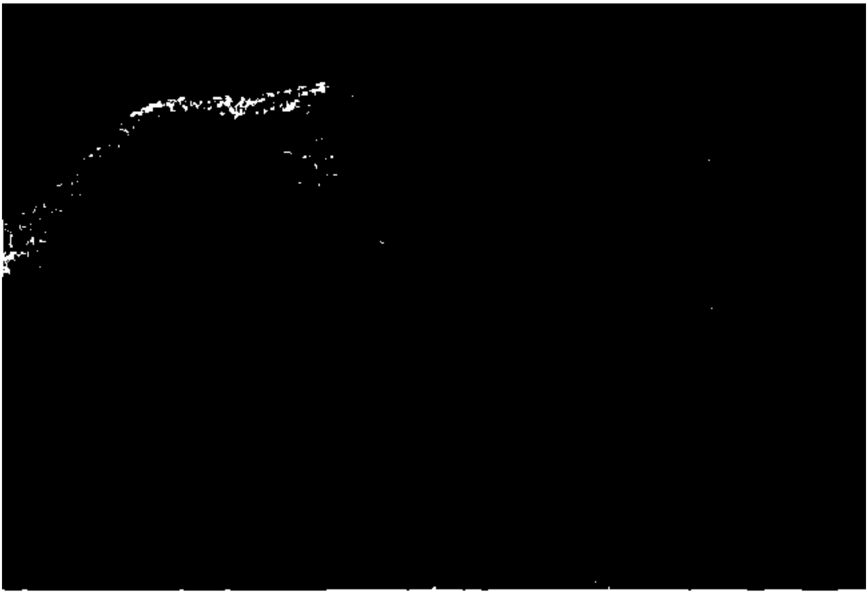

ديونيسيوس/ باخوس الروماني إله الخمر واللذة في روما

http://www.crystalinks.com/bacchus.html

لاحقته هيرا بغضبها وجعلته لا يستقر في بلد فطاف بلدان العالم على مركبة تجرها النمور ويرافقة الساتير العجوز السكير (سيلينوس) راكباً جحشاً ومحوطاً

بمجموعة من الخدم والمايناديس والمعربدين الذين لهم قرون الماعز والمعربدين الذين يحملون أغصان الكروم المتوجة بثمار الصنوبر، وحصلت له مجموعة من المغامرات والأساطير التي نذكرها هنا موجزة:

1 - في فريجيا: استقبله ميداس ملك فريجيا وطلب منه أن يمنحه القدرة على تحويل كل شيء إلى ذهب حال لمسه فاستجاب له، لكنه لمس طعامه وشرابه فلم يستطع الأكل والشرب لتحوُّلهما إلى ذهب، وكاد يموت من الجوع والعطش فأسرع إلى ديونسيوس ليعطل هذه القدرة عنده، فأرسله إلى نهر باكتولوس ليستحم به وتذهب عنه هذه القدرة.

2 - في تراسيا: لم يستقبله الملك ليسورغ وأراد أسره فهرب ديونسيوس إلى الإلهة البحرية (تيتيس) فأسرع ليسورغ موكب حراسته من إناث الشياطين فهربن بقوة سحرية فأصاب الملك الجنون فتناول فأساً وتوهم أنه يقطع دوالي الكرم ولكنه في الواقع يضرب فخذه ويبتر عضوه الذكري. ولدى صحوته من جنونه اكتشف أن البلاد أصيبت بالعقم فأمر العراف بقتل الملك وتقطيعه إرباً.

3 - في الهند: مغامراته تشبه فتوحات الإسكندر في الهند.

4 - في طيبة: تضايق منه (بينتيه) إله طيبة ومن منظر العابدات الصارخات المذعورات فمنع عبادته وبينما كان يراقب على قمة سيثرون تحركات إناث الشياطين تناولته أمه وقطعته إرباً، معتقدةً أنه أسد. . . وازدادت عبادة ديونسيوس.

5 - في أرغوس: اتهمت بنات الملك بروتيوس ديونسيوس بالهذيان فرحن يتهن في الجبل معتقدات أنهن تحولن إلى عجلات حتى التهمن أطفالهن.

6 - في أرخومين: رفضت بنات الملك مينوس في أرخومين الاعتراف بعبادة ديونسيوس فدخلن المنزل وانصرفن للغزل والحياكة، وما أن بدأت احتفالات ديونسيوس ليلاً حتى استحالت خيوط الغزل في أيديهن أغصاناً من الكروم وتدلت منها العناقيد وظهرت في البيت أضواء المشاعل ودبَّ الرعب وضمرت أجساد الفتيات واكتسبت بالوبر الأسود ونمت فوقها أجنحة لزجة الجلد بدلاً من الذراعين واستحالت الفتيات إلى وطاويط تختفي في المغاور والكهوف الرطبة منذ ذلك اليوم.

7 - في تيرينا: شاهد قراصنة تيرينا (الأتروسكيون في إيطاليا) ديونسيوس واقفاً

مكتبة الفكر الجديد

على الشاطئ فاختطفوه كي يبيعوه دون أن يعرفوا أنه إله، فصفدوه بالسلاسل، لكن السلاسل سقطت من يده فطلب منهم موجه السفينة أن يتركوه وشأنه، لكن القراصنة أصروا على ذلك، فتدفقت الخمور في السفينة، فذعر القراصنة وتحول ديونسيوس إلى أسد ومزقهم ورماهم إلى البحر، فتحولوا إلى دلافين وأكرم موجه السفينة بعد أن كشف له شخصيته.

8 - في أتيكا: رحب إيكاريوس بديونسيوس في إتيكا فأكرمه بكرمه ليصنع من عنبها الخمر فصنع وأطعمها لرجاله فتصوروها سماً فقتلوه ورموا جثته بين الجبال، فقامت ابنته (بريغونا) وكلبتها بالبحث عنه ولما وجدته شنقت نفسها مع كلبها، فرفعهم ديونسيوس إلى السماء وهم نجوم فولوباس والعذراء والكلب الأكبر.

أسطورة زواجه

لم يكن ديونسيوس كثير المغامرات مع النساء مثل أبولون وهرمس، ولكنه أحب (أريادني) ابنة مينوس ملك كريت عندما وجدها نائمة على شواطئ ناكسوس فتزوجها وقدم لها هدية القرس تاجاً يضم سبعة أحجار كريمة ورفعها إلى السماء بعد موتها وصارت الكوكبة المعروفة باسم (الإكليل). أما والدته سيميلية فقد هبط إلى العالم الأسفل ورفعها إلى الأولمب فغدت إلهة تعبد باسم (ثووني).

ديونسيوس وأبولو

وفدت عبادة ديونسيوس إلى دلفي ونافست عبادة أبولو من طريق كهانة النبوءة التي كانت تمارس من قبل المتعبدات اللائي يغبن عن الوعي بعد شراب النبيذ ويتصورون كأن روح الإله تملكتهن أو أنهن اتحدن بها تماماً، فيصرن (مجذوبات) أو (مجنونات). وكانت كاهنات أبولو يفعلن الشيء ذاته تقريباً... وهكذا كان لابد من تصالح العبادتين وتعايش الإلهين سلمياً في دلفي" وقد ساعد ذلك على نشر عبادة ديونسيوس وعلى الأخص بين النساء والعبيد والفقراء، هكذا لقي ديونسيوس ترحيباً في حرم دلفي المقدس بل أصبح شريكاً لأبولون في معبده حتى لقد قيل في ما بعد إن السرة أو الحجر الموجود في قدس أقداس المعبد كان يضم رفات ديونسيوس".

ديونــيوس مع الساتير
http://www.crystalinks.com/bacchus.html

فى كتاب نيتشه مولد المأساة من روح الموسيقى يتحدث عن الإلهين ديونسيوس وأبولو، ويرى أن الفن والروح اليونانية يتجسدان في اتحاد المثالين الأعليين... اتحاد القوة الرجولية القلقة المتبرمة؛ قوة ديونسيوس، والجمال الأنثوي الهادئ؛ جمال أبولو. فهو يرى أن ديونسيوس إله الخمرة والعربدة والمرح والحياة المتصاعدة والغبطة في الفعل، إله الانفعال الانذهالي والوحي، إله الغريزة والمغامرة والمعاناة الجسور، إله الغناء والموسيقى والرقص والدراما، أما أبولو فهو إله السلام والفراغ والطمأنينة والهجوع والانفعال الجمالي والتأمل الفكري، إله النظام المنطقي والهدوء الفلسفى إله التصوير والنحت والشعر الملحمي. وكان ديونسيوس ملهم الجوقة في الدراما وأبولو ملهم الحوار، وقد نمت الجوقة مباشرة من موكب المتعبدين لديونسيوس ذوي الألبسة الساتيرية، أما الحوار فكان رأياً دبرياً ذيلياً تأملياً لخبرة انفعالية.

ألقابه

1 - المولود مرتين ديترامبوس (Dithyrambos)، ومنه اشتقت أغاني الديثرامب التراجيدية.

2 - إله البهجه (Polygethes).

3 - إله السرور (Charma).

4 - إله الشعب (Demotikos).

5 - الإله المحرر (Lusios).

أتباعه

1 - الساتير: وهو كائن خرافي نصفه الأعلى بشر له قرون، ونصفه الأسفل يشبه الماعز ويدل على المجون والرغبة الجنسية العارمة، ويسمى عند الرومان بـ (فارتوس) أي (جان الغاب).

2 - السيلينوى: وهو ساتير هرم علم ديونسيوس الموسيقى والغناء.

3 - مايناديس: الراقصات وهن حظيات (رفيقات) ديونسيوس.

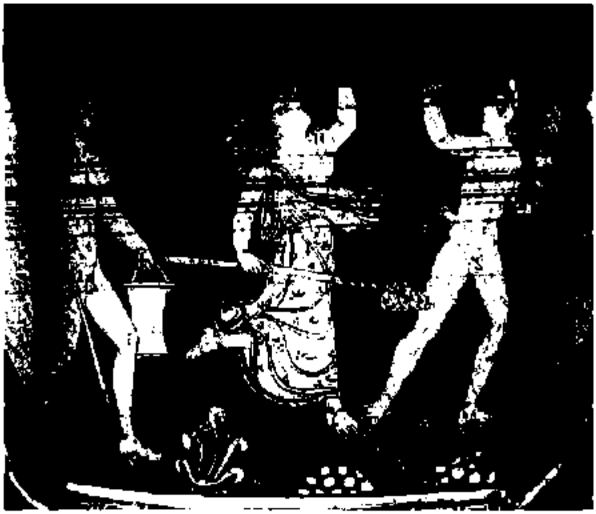

مينادة تتوسط ساتيران

http://en.wikipedia.org/wiki/File:Satyroi_Mainade_Louvre_K19.jpg

4 - الثياديات (Thyiades): وهن النسوة المتفانيات في عبادته واللائي كن يطفن بمرتفعات جبل برناسوس، وهن في حالة جذب من فرط السكر والعربدة خلال الاحتفالات التي كانت تجري (مرة كل سنتين) خلال ثلاثة أشهر الشتاء، إذ يتغيب أبولو عن معبده في دلفي ليقضي هذه الفترة مع شعبه الغريب المختار المسمى بالهيبربوريين، وكان يحل محله ديونسيوس.

كان زيوس قد أنجبه من المرأة (سيميلي) ابنة قدموس الملك الفينيقي الأصل الذي هو الآن ملك طيبة ومؤسسها في بلاد الإغريق، وبسبب من أصله البشري والإلهي معاً فإن اللعنة حلّت عليه خصوصاً أنه أكمل مدة نموّه الجنيني، بعد وفاة أمه التي أبهرها منظر زوس فماتت، في فخذ والده.

ويعتبر ديونسيوس (باخوس) كإله للخمر مصدراً للشهوة واللذة الجسدية، وهو يعبر عن النشوة التي تظهر في أعماق الإنسان وتصعد به إلى الأعالي وكأنه إله، وهذا ما يفسر الطبيعة البشرية الإلهية المزدوجة لديونسيوس (باخوس).

الاحتفالات الباخوسية

الديانة الصارية

http://arthuride.wordpress.com/2010/12/25/christmas-origin-and-development/

وكانت الباخوسيات مجموعة من النساء المتوحشات اللائي يقمن احتفالات ماجنة وغريبة في الغابات مع مريديه من الشعراء الذين ينظمون مرثيات (ديثورامبوس) والخمريات المستوحاة من جلساته.

هذه الطقوس الديونسيوسية هي مصدر نشوء المسرح عن الإغريق والتراجيديا بشكل خاص.

أما مأساته الخاصة فقد نشأت عن تمزيق التيتان له عندما كان على هيئة ثور، بعد أن حوّل نفسه له هرباً منهم. وأصبحت مأساة موته موضوعاً لمرثيات الديثورامبوس، بل إن الدين الإغريقي تطور كثيراً من خلال طقوس موته التي كانت تقام في أعياد ديونسيوس في شهر آذار من كل عام، حيث تخصص ثلاثة أيام في أثينا وغيرها لعروض مسرحية ولطقوس تقوم بها أخويات باخوس.

وتُظهر بعض الآثار ديونسيوس وثلاثة شخصيات أخرى مع سلة تحمل أربعة ألعاب روحية هي (الدوّامة، المعيّن، الكعوب، المرآة)، وهي الألعاب التي جذب بها التيتان الطفل ديونسيوس زاغروس وذبحوه وقطعوه إلى أجزاء.

ويبدو أن التباهي بالقضيب كان يشكل جزءاً من هذه الشعائر الرهيبة التي تسبق المرور للحضرة الإلهية، ويظن بويانسيه (Boyance) أن من كان يستطيع أن يوجد الإيمان في المتلقي، واليقين بدعم إلهي، قادرٌ بأن يضمن له في الآخرة مصيراً متميزاً، لم يكن يستطيع أن يحصل على رؤية شيء كهذا، فالعمل المركزي للمسارة كان الحضور الإلهي الذي يغدو محسوساً بالموسيقى والرقص، التجربة التي تولد (العقيدة برابطة صميمية تقام مع الإله) (إلياد ج2 2006: 312).

كان ديونسيوس إلهاً للقمح والكرم والأشجار المثمرة، وعبرت عنه رموز مثل القمر والثورة والماعز ذو القرنين. وكان يظهر أحياناً ككائن حامل للذكورة والأنوثة معاً، أما طقوس الاحتفال به فكانت تتضمن إحضار ثور يقوم المحتفلون بتمزيقه وهو حيّ، ثم يؤكل لحمه نيئاً ويشرب دمه، وكانت تستعاد أسطورته وهو يتحول إلى ثور وينزل للعالم الأسفل للبحث عن أمه واستعادتها (لاحظ التشابه مع أورفيوس الذي يحاول استعادة حبيبته من العالم الأسفل ويتم تمزيقه من قبل النساء). وفي كل هذه الطقوس كان يجري اقتناء الخمر من براميل خمر معتقة قبل عام. وكان

المحتفلون يسيرون في مواكب وهم يحملون تماثيله ومتوجين بحلية مخروطية تحيط بها أوراق الكورم وحبات العنب.

ولعل ما يلفت الانتباه أن شخصية ديونسيوس (باخوس) ومسارته تحمل في رحمها شخصية المسيح ومسارته أيضاً فالاثنان ولدا في يوم 25 من شهر ديسمبر (ك1)، والاثنان ولدا في مكان متشابه وكان يطلق عليهما اسم (الطفل المقدس) وتنسب لكليهما معجزة تحويل الماء إلى خمرٍ وكذلك النهاية الدموية لكليهما وقيامتهما بعد الموت في تاريخ واحد تقريباً.

إن ولادة ديونسيوس محاطةٌ هي الأخرى بألغاز كثيرة، فولادته غير الكاملة من سيميلي أو من غيرها مثل (برسفوني أو ليثي) تشير إلى غرابة ولادة السيد المسيح من مريم العذراء. كما أن ديونسيوس ظهر كثيراً وهو يركب الحمار كما دخل المسيح أورشليم وحولهما الجموع تلوّح بالأغصان، وهناك من يقارن أتباع ديونسيوس من الشعراء والديونيسيات بأتباع المسيح.

إن هذا التشابه لم يكن وليد مصادفةٍ بل هو يطابق ما ذهبنا إليه من أن المسارية كانت واحدة من ثلاثة أمور صاغت البدايات التوحيدية للمسيحية بشكل خاص.

وكان بطليموس الرابع من أشد المتحمسين لعبادة الإله ديونسيوس وادّعى أنه ينحدر في سلالته من هذا الإله، بل وذهب إلى أبعد من ذلك عندما ادعى أن شخصية هذا الإله تتمثل فيه، فاتخذ لقباً رسمياً آخر هو ديونسيوس الجديد (Neos Dionysos)، كما فعل في ما بعد ذلك بطليموس الثاني عشر (الزمّار) أب كيلوباترا السابعة.

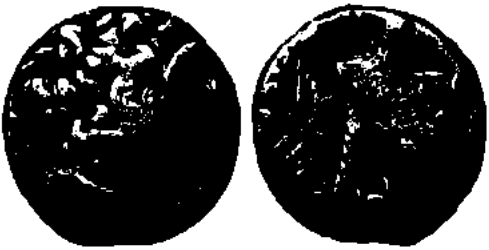

نيوس ديونسيوس الزمار

http://www.muenzauktion.com/khouli/item.php5?id=949&lang=n

آتيس وسيبيل

كانت سيبيل أو سيبيلي بمثابة الإلهة الأم والإلهة العذراء في الوقت نفسه لأنها تلقب بـ (الإلهة الكبرى) و(الإلهة العذراء) و(سيدتنا)، وقد ظهر في هذا الوقت ما يسمى بـ كتاب تنبؤات سيبيل الذي كان يضم ما يشبه الأبوكريفا أو الأبوكلبسيا الوثنية التي بدت وكأنها مقدمات ظهور التنبؤات الخاصة باليهود أولاً ثم المسيحيين.

وهناك من يرى أن مؤلف تنبؤات سيبل هي كاهنة بهذا الاسم تسمت على اسم الإلهة، وهي مكتوبة بلغة يونانية وبشعر سداسي الوزن بقي منها حوالي 12 كتاباً، كانت متداولة بين القرنين الثاني والخامس الميلاديين، وهي كتب تقدم معلومات مهمة في الغنوصية والمثولوجيا والأدب الرؤيوي (أبوكلبسيا) وغيرها.

لكن سيبل وآتيس شكلا ما يمكن أن نسميه بـ (الديانة المسارية) التي تعتمد على طقوس التنشئة والعبور والأسرار، وكانت ديانة شعبية زراعية الجذور تختصر الآلهة بإلهة كبرى و/ أو إله واحد. وهناك من يجد أن طقوس الختان هي واحدة من بقايا عبادة سيبل.

استحوذت عبادة سيبيل على عقول الناس باعتبارها الأم الكبرى.

كانت عبادةُ الإلهة «سيبيل» [كيبيلي] (Cybele) منتشرةً في سورية. كانوا يقيمون أسرارَها المأساوية في الربيع. كان الطوافُ بالأواني الجنائزية [خوابي الأموات] (Cannophores) يجري على ذكرى الإله آتيس (Attis) الذي وُجِدَ طافياً على المياه وسط قصب نهر السنغاريوس (Sangarius). كان هذا الإله الشاب يمثّل

على هيئة فتى وسيم كان يعيش في جبال فريجيا ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بدورة الفصول من خلال تجسيده لطاقات الطبيعة. كان الخيال الشعبي يراه على هيئة راعٍ صالح منهمك في رعي ماشيته. حدثَتْ في ذلك الحين مأساةٌ دفعَتْ آتيس للتضحية برجولته ومن ثم للموت. يقوم في ما بعد من بين الأموات حتى لا ينفصلَ عن «سيبيل» أمّ الآلهة التي أشركَتْه في مجدها (سمير عنحوري، بلاد الشام ولاية رومانية، موقع معابر http://www.maaber.org/issue_july08/lookout2_a.htm)

سيبلي فريجيا في آسيا الصغرى

http://tekgnostics.blogspot.nl/2012/04/castre-kristos-anesti.html

كان قطعُ أعضاء آتيس وجنازته وقيامته هي المظاهر الاحتفالية الثلاثة الكبرى للعبادة؛ إذْ كانت تقام بفاصلٍ عدة أيام في ما بينها، وتقوم بإحياء آلام الإله وانتصاره فصلاً فصلاً. كان تصوُّفُ المؤمنين يجد فيها مادةً تشفي غليلَهم وتحمُّسَهم. ونظراً إلى استحالة تقديم حفلة المأتم إلى جسد الإله، فإنهم كانوا يتوجهون بها إلى شجرة

الصنوبر، الشجرة التي ضحَّى تحتها آتيسُ برجولته. كانوا يأخذون الخشبَ المقدَّس ويلفونه بشرائط صغيرة ويزينونه بالبنفسج. ونظراً إلى رغبتهم وإرادتهم في الاتحاد بالألوهة، يقوم الغالوسيون (Les galles)، وهم كهنة عبادة سيبيل، بضرب وتشطيب أنفسهم، وحتى غالباً ما يقومون بقطع بعض أعضائهم. شيئاً فشيئاً حصل هناك مذهب توفيقي. فقد تم دمج عدة مذاهب ومعتقدات. لقد تحوَّلَتْ احتفالاتُ أعياد الآلهة المتعلقة بالإله «بعل» في بلاد الشام (Baalath) إلى عيد أمّ الآلهة، نظراً إلى شعبية «سيبيل» الكبيرة. واتخذَت الإلهاتُ المحلياتُ هيئاتِ رحيًّا (Rhea) «سيبيل»؛ فلبسَتْ تاجاً وأحاطت عرشَها بأُسُود. (سمير عنحوري، بلاد الشام ولاية رومانية، موقع معابر http://www.maaber.org/issue_july08/lookout2_a.htm)

والغالوسيون هم كهنة سيبيل المَخصيّون؛ ربما تسموا بنهر «غالوس» في غالاسيا والذي كان يجري قرب معبد سيبيل الأصلي والذي يقال إنه يجعل كلَّ من يشرب منه مجنوناً، وبما هم بقايا كهنة الكالا السومري المنشأ، ويعمل هؤلاء على إخصاء أنفسهم بدموية، اقتداءً بـ «آتيس»، شريك سيبيل.

وهذا يعني أن الختان هو ترميز لعهد مع هذه الإلهة، أصبح يقتصر على قطع قطعة جلد صغيرة في العضو الذكري بدلاً من قطع الخصيتين.

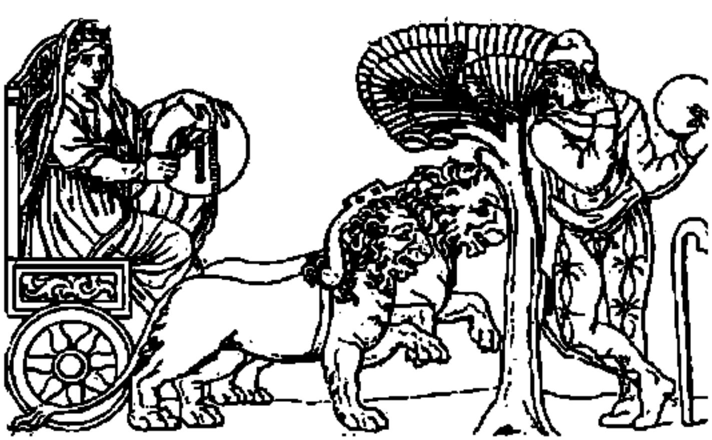

سيبلي وديونسيوس
http://www.mlahanas.de/Greeks/Mythology/Cybele.html

هناك من قارن آتيس بالسيد المسيح أيضاً، وعقد المقارنات بينهما من حيث الشخصية والسيرة وتاريخ الولادة، والولادة من عذراء والنهاية الدموية والقيامة بعد الموت بثلاثة أيام... وغير ذلك مما سنذكره في سيرته.

إن هذه الميثولوجيا الموغلة في القدم والشعائر الدموية التي سنشير إليها تشكل الأرومة لدين إنقاذي أصبح شعبياً لدرجة كبرى في العصور المسيحية الأولى في كل الإمبراطورية الرومانية. ومن المؤكد أن السيناريو الأسطوري الطقوسي كان قد أوضح «السر» للنبات. إن الدم والأعضاء الجنسية المقدمة لسيبيل كانت تضمن الخصوبة للأرض الأم. ولكن هذه العقيدة القديمة قد غذيت مع الزمن بدلالات دينية جديدة، وهذه الطقوس الدموية غدت وسائل للغفران (إلياد ج2 2006: 314).

الإله آتيس هو إله فريجي ليدي (وهي إغريقية شرقية في بلاد الأناضول) يوصف بأنه نصف إله محلي وأنه كان ابناً للملك كروسيوس ملك ليديا وأنه كان راعياً في فريجيا، وقد حلم والده بحلم، حيث رأى ابنه (آتيس) وهو يقتل برمح حديدي، بينما كان يصطاد خنزيراً برياً، وحين طلب (آتيس) أن يصطاد الخنزير، رفض والده ذلك بسبب حلمه السيء، لكن آتيس أقنعه بعد ذلك فذهب للصيد، لكن الأب ظل قلقاً فقام بتأجير شخص اسمه (أدرياستوس) وطلب منه أن يتبع آتيس ويحميه من الخنزير البري... فتبع (أدرياستوس) آتيس، وحين لمح الخنزير البري وجه الرمح نحوه، وبدلاً من أن يصيبه أصاب آتيس وقتله. هذه الأسطورة رواها (هيرودوت).

ولا شك في أن هذه الأسطورة تذكرنا بأسطورة قتل تموز البابلي الذي هو أصل هذا النوع من الشخصيات والأساطير.

وفي أسطورة أخرى: كان آتيس ابن (نانا) الفريجية العذراء وقد أحبته الإلهة (سيبيل) وجعلته أحد أتباعها واشترطت عليه أن لا يخونها وإلا فإنها ستجعل منه مجنوناً، وذات يوم التقى بالإلهة ابنة نهر (سنجاريوس) وضاجعها، فجعلته سيبيل مجنوناً وحين أراد أن ينتحر حوّلته إلى شجرةٍ ناريةٍ وأخذت تبكي عليه وأمرت كهنتها أن يخصوا أنفسهم كل عام.

أما الأسطورة الثالثة فتروي أنه كان أحد كهنة سيبيل وكانت تحبه، لكنه هرب منها والتجأ إلى ملك فريجيا الذي قام بتوجيه ضربة له أردته قتيلاً، وحاول أتباع

مكتبة الفكر الجديد

سيبيل أن ينقذوه وهو تحت شجرة النار لكنهم لم يستطيعوا، وحين مات أمرت بحمل مواكب حزن مهيبة له، وأن يقوم كهنتها بإخصاء أنفسهم سنوياً له. ويذكر أن آتيس قام من قبره بعد ثلاثة أيام. وهناك روايات أخرى لا تخرج في محتواها عن ما ذكرناه.

وبطبيعة الحال هناك من رأى تماثلاً بين آتيس والمسيح في النقاط الآتية:

1. ولادة آتيس في 25 كانون الأول وكذلك المسيح
2. ولادة آتيس من نانا العذراء وكذلك المسيح من مريم العذراء
3. جرح آتيس وموته وكذلك صلب المسيح وموته
4. قيامة آتيس بعد موته بعد ثلاثة أيام وكذلك السيد المسيح
5. أتباع آتيس يأكلون جسده كالخبز ومقارنة ذلك بالعشاء الرباني.
6. إخصاء أتباعه لأنفسهم يقارن بتبتل رجال ونساء الدين المسيحي
7. تقدمة الثور أو الجدي التي كان يستحم في دمها آتيس تشبه الاغتسال في دم الحمل وبعض الطقوس المسيحية.

تتحدث الأساطير عن أن الكائن المزدوج الجنسي (هرمافروديت) والذي اسمه (أجديتيس) جاء إلى الوجود من حجر ملقح من قبل زوس (وهذا الحجر هو رمز قديم للإلهة الأم الأرض)، وقد اتخذت الآلهة قراراً بتحويل أجديتيس إلى أنثى فعملت على زوال ذكورته عن طريق إخصائه وتحويله إلى سيبيل. وهكذا تحتوي سيبيل أصلها الذكوري آتيس في داخلها. وكان آتيس يعتبر تجلياً للإلهة الأم الكبرى الخنثى وهو ابن وحبيب وضحية للإلهة سيبيل.

ومن الراجح أن الوظيفة المتعلقة بوجود فادٍ في العبادة كانت معروفة منذ وقت سابق. ففي بسيونونت (Pessiononte) كان يوجد (كونفريرية) مغلقة من نموذج ديانة الأسرار. وقبل إدخالها إلى روما بزمن طويل، كانت عبادة آتيس وسيبيل قد انتشرت في اليونان، حيث إنها تحملت على ما يرجح العديد من التغيرات. وفي اليونان كما في روما فإن نفور الكهنة الخصيان تجاه الشعائر الدموية جعل اعتماد آتيس في وضع تابع مرذوس. وخلال زمن طويل، لم يستفد هذا الإله في روما من أي عبادة عامة، مع أن عدداً من التماثيل الصغيرة من الطين المشوي التي ترجع إلى القرن الثاني

ق.م تؤكد وجوده. ولم يرتفع آتيس وطقوسه إلى المستوى الأول إلا تحت سلطة كلوديوس وخلفائه وسنشير إلى أهمية هذا الحدث (إلياد ج2 2006: 314).

كانت الاحتفالات السيبيلية تقام في حدود (15- 23) آذار في روما، بعد أن دخلت عبادة سبيبل إليها في حدود 204 ق.م من أجل إنقاذ روما من قرطاج... وأقيم لها نصب حجري أسود.

وكانت هذه الأعياد تسمى أعياد القصب، حيث تحمل جثة رمزية من القصب المقطع إلى معبد سيبيل، وفي 24 آذار الذي هو يوم الدم كان كهنتها يمارسون رقصات وحشية على صوت الطبول ويصلون إلى ذروة النشوة الروحية، فيجلدون أنفسهم حتى تسيل دماؤهم، وأحياناً يقطعون لحم أطرافهم بالسكاكين ويقدمونها هدية للإلهة، وبعضهم كان يقطع أعضاءه الذكرية. وفي نهاية يوم الدم يعلن الفرح ويقوم الإله صباح اليوم التالي، وكان يسمى هذا الفرح بهيراليا.

ثم يكون يوم للاستراحة، وبعدها يجري طواف المحتفلين عند ضفاف النهر وتُغرق تماثيل سيبيل فيها، ومن ثم يمسح الكهنة المرشحون الجدد أجسادهم بدم الثور أو الكبش، حيث يكونون مثل أزواج لسيبيل وهو نوع من الختان الرمزي.

كانت هذه الطقوس تعطي وعداً بالخلود (وهو منتهى الخلاص) وخصوصاً عندما يلتحم المريد بالربة سيبيل عندما يغتسل بدم الضحية.

وهناك ما يدل على أن بعض الأباطرة الأنطونيين شجعوا عبادة سيبيل الفريجية للوقوف بوجه انتشار المسيحية، وبسبب ما تحمله من شعائر الخلاص والقيامة والبعث كتلك الموجودة في المسيحية.

ادونيس

أدونيس إله فينيقي له جذور سامية عميقة، فهو دموزي السومري وتموز البابلي أوزوريس المصري وهو قريب جداً من جاؤوس القبرصي (أوس) ومن بعل حدد الآرامي ومن الإله التوسكاني (أتونيس) والفريجي (أتيس).

أصبحت أسطورته الإغريقية هي الأكثر شهرة، فقد قيل أنه ولد من عذراء وأنه صلب أو مات مذبوحاً وسال دمه، وأنه يرمز للشمس أيضاً، وأنه يبعث في شقائق النعمان الحمراء.

ولد أدونيس من العذراء مورا أبنة الملك سينيراس ملك قبرص الذي كان مخموراً فضاجعها وهي في فراش أمها، وحين علم والدها أراد قتلها فهربت وهي حامل بأدونيس، ثم تحولت إلى شجرة المرّ التي خرج الطفل منها. وكان أدونيس جميلاً فأحبته أفروديت وخبأته عند برسفوني (ملكة العالم الأسفل) وحين كبر أحبته برسفوني، وتنازعت عليه وحكمت الحورية (كاليوبي) بأن يعيش ثلث السنة الأول مع برسفوني تحت الأرض والثلث الثاني مع أفروديت فوق الأرض والثلث الثالث كما يشاء هو. لكن برسفوني حرضت (أريس) إله الحرب لكي يبعث خنزيراً برياً فيقتل أدونيس وتكون أفروديت له، وخرج الخنزير لأدونيس فقتله أدونيس لكن الخنزير جرح أدونيس جرحاً مميتاً فمات وسال دمه، وفي كل مكان سال الدم نبتت زهرة شقائق النعمان، ورفض (هادس) رب العالم الأسفل عودته إلى الحياة. ولكن أفروديت هددت بجدب الحياة فوافق (هادس) على عودته روحاً بلا جسد ليقضي نصف السنة الأول على الأرض ونصفها الثاني تحت الأرض.

أدونيس وأفروديت للفنان تيتيان

http://en.wikipedia.org/wiki/File:Venus_and_Adonis_-_Titian.png

ويبدو أن البطالمة منذ بطليموس الثالث ادعوا أنهم أبناء وأحفاد الإله أدونيس (Adonis) الذي هو الشكل الفينيقي للإله ديونسيوس كما أنه إله إغريقي قريب من ديونسيوس ومن أفروديت.

إيزيس

إيزيس غنية عن التعريف فهي إلهة الحب والأمومة والخصب عند المصريين القدماء وقد حافظت على مكانتها في العصر الهلنستي رفيقة لأوزوريس الهلنستي الذي هو سرابيس. ولهما حكاية مشابهة لبقية الآلهة المصارية لكن ولادة حورس كإله ابنٍ منهما هو الأمر الذي ميّز أسطورتهما ليكوّنا ثالوثاً عكس أثره على العقائد الروحية في العصر الهلنستي.

كانت طقوس العيدين الهلنستيين لإيزيس (المسمى قارب إيزس) وكان في الربيع، ولأوزيريس (المسمى بعيد أوزوريس قبيل بداية نوفمبر) هذه الطقوس تؤكد الالتحام بالإله وخصوصاً طقوس إيزيس، حيث يقوم المريد بالهبوط إلى العالم الأسفل ليرى الشمس مشعة في ظلام ما تحت الأرض وهو مكان مهيّأ سلفاً له للوصول إلى غرفة مضاءة بشدة، ثم يبعث المريد بعد امتحانات مسارية ويكون مرتدياً في الصباح 12 ثوباً شعائرياً ترمز للأبراج الاثني عشر، ويصل إلى تمثال إيزيس ورأسه محاط بتاج من سعف النخيل، ويكون هذا اليوم هو يوم لإعادة ولادته في حضن الأسرار. وكذلك طقوس التمثل بأوزويرس والالتحام معه والظهور كابن له (حورس) يعكس الأمر ذاته.

إن الشعبية الكبرى للأسرار المصرية في القرون الأولى من العصر المسيحي، وواقعة أن بعض ملامح الأيقونات وميثولوجيا العذراء مريم قد استعيرت من إيزيس، تدل على تعلق ذلك بإبداع ديني رسمي وليس بانبعاث مصنع ومستهلك. ويجب اعتبار آلهة الأسرار كتجليات جديدة لإيزيس وأوزيريس. وما هو أكثر من ذلك، تلك التفسيرات الهلنستية التي ستتطور من قبل اللاهوتيين الأورفيين الجدد والأفلاطونيين الجدد. إن أوزيريس الممثل بديونيزوس (الذي هو أيضاً قد قتل وقطع وبعث) أوضحت بإعجاب الثيولوجيا الأورفية الجديدة: التشكونية المدركة كتضحية ذاتية للإلوهة، مثل تبعثر الواحد في التعدد، المتبوع «بالبعث» أي بتجمع المتعدد في الواحد الأولي. إن التطابق المتبادل لكافة الآلهة يصل إلى «وحدانية» من نوع توفيقي، أثر لدى أصحاب النزعة الصوفية التي ترمي للاتحاد بالرب في العصر القديم (إلياد ج2 2006: 321).

مشهد من فسيفساء جداري في معبد بومبي، حيث (أيو) ترحب بالإلهة المصرية (إيزيس)

http://www.paganspace.net/group/seers/forum/topics/witches-of-the-blackberry-395

مِثرا

ينحدر الإله الإيراني (مثرا) من الإله الفيدي (مترا) الذي يعني (المعاهدة، الرباط) وكلاهما من أصل هندو إيراني أصيل.

في بلاد فارس عبد مثرا باسم (مثراس) وعُرف بأسماء كثيرة منها (ميثرا، ميترا، ميهرا، مهر، ميهير، مهرا) وهو إله قديم، ويعتبر ابن الإلهة العذراء أناهيتا (إلهة الماء والخصوبة) وتسمى بـ (أم الآلهة) وكان يعتبر ابناً للإله أهورا مزدا إله النور والخير، ولذلك فهو إله الشمس والصدق والعدالة والذي يتوسط بين البشر والإله الأعلى أهورا مزدا. وهو يقف حاجزاً بين النور والظلام (بين الإلهين أهورا مزدا وأهريمان) ويراقب عدالة العالم وهو قاضي الموتى يحاسب الأرواح بعد الموت ويحكم عليها فهي أما للفردوس أو للنار، وكان يرمز للتاج الفارجي الذي يلبسه الملوك الفرس وهو يمثل قرص الشمس المقدس.

ورغم أن مثرا هو الإله القومي للفرثيين بشكل خاص ولملوكهم، لكنه انتشر في عبادته حتى عند الرومان الذين عبدوه أثناء احتكاكهم بالفرثيين، وتعدى ذلك فانتشر في كل أنحاء العالم القديم في زمن مقارب لظهور المسيحية وما بعدها. وقد كان زمن انتشار عبادته بين الرومان في حدود القرن الأول قبل الميلاد.

تُظهر الميثولوجيا الفارسية ولادة مثرا من حجر (كما في أجديتي الفريجي) في مغارة وكانت طقوس الملكية الإيرانية تظهر الملك على أنه (مثرا) جديد مُعاد تجسيده، ونجد أصداء مغارة مثرا في مغارة بيت لحم المنوّرة التي ولد فيها السيد المسيح. ولا يمكننا نسيان المسارة الشمسية لمثرا وكيف أنه يمثلها حين ولد في 25 من كانون الأول (ديسمبر)، وكانت طقوس ولادته في هذا التاريخ تجري مع ذبح

مكتبة الفكر الجديد

ثور تتولد من دمه النباتات ومن نخاعه القمح ثم الخبز ومن دمه العنب الذي ينتج الشراب المقدس.

كان الفرس يسمونه أيضاً باسم (يازور) أي (المخلّص) أو (الفادي) وكان له اثنا عشر برجاً تدور حوله باعتباره الشمس.

كان قسطنطين يعبد مثرا قبل اعتناقه المسيحية وكان مثرا إله الجنود الرومان المفضل وحين اعتنق قسطنطين المسيحية ادعّى أنه رأى صليباً تحت قرص الشمس (ليجمع بين الديانتين ويرضي المسيحيين والرومان المثرائيين).

وكانت المثرائية واسعة الانتشار بين حكام آسيا الصغرى الذين عرفوا باسم مثريدتس (Mitirdase) وحمل هذا اللقب اسم مثرا وأشهرهم مثريدتس الرابع (111-63 ق.م) المعارض للجمهورية الرومانية والذي كان مثرائي الديانة. ويتجلى الطابع الشمسي لمثرا في الطقوس التي كانت تقام له.

إن ذبح الثور كان يتم في المغارة، بحضور الشمس والقمر. وإن البنية الكونية للأضحية مشار إليها بالاثني عشر إشارة من الأبراج والكواكب السبعة السيارة ورموز الرياح والفصول الأربعة، وشخصيتان، كوتس وكوتوباتس، تلبسان كميثرا، وكل منهما يحمل مصباحاً متوقداً في يده، وهما ينظران بانتباه إلى عمل الإله الباهر، إنهما يمثلان تجليان آخران لميترا بصفته إلهاً شمسياً (إلياد 2006: 353).

وتفصح رسالة القديس جيروم عن سيناريو المسارة المثرائية ودرجاتها السبعة، وهي:

1. الغراب 2. العذراء 3. الجندي 4. الأسد 5. الفرس 6. ساعي المشي 7. الأب.

وكان قبول المؤمنين بها يبدأ من سبع سنوات للأطفال ثم يتدرجون، وكان التعميد أساسياً في الطقوس، ولكل درجة طقوس خاصة، وأن كل واحدة من هذه الدرجات كانت محمية بكوكب من الكواكب السبعة، وهي حسب التسلسل السابق (عطارد، الزهرة، مارس، المشتري، القمر، الشمس، زحل)، وترتبط أيضاً بسبعة أنواع من المعادن، هي (الرصاص، القصدير، البرونز، الحديد، الخلطة، الفضة، الذهب) وبسبعة أنواع من الآلهة وهكذا...

مكتبة الفكر الجديد

وحسب كاتب مسيحي من القرن الرابع، كانت تعصب أعين المرشحين، أثناء الإحاطة بهم من قبل جمع متهيج من الناس، بعضهم يقلد نعيق غراب محركاً جناحيه، وبعضهم يزمجر كالأسد. وكان على بعض المرشحين المربوطة أيديهم بمصارين الدجاج أن يقفزوا فوق حفرة مملوءة بالماء. ثم، كان أحدهم يحضر بعدئذٍ ويقطع المصارين ويُعلن محرراً. إن مشاهد المسارة المصورة في رسوم الميثروم (Mithraeum) لكابو تجعل بعض هذه التجارب المسارية محتملة. إن واحداً من المشاهد المحافظ عليها جيداً موصوفة من قبل كومنت، كما يلي: «التلميذ جالس وهو عار من الثياب، وعيناه معصوبتان، ويداه مكتوفتان خلف ظهره. والملقن (Mystagogue) يقترب منه من الخلف، كما لو أنه يود دفعه إلى الأمام. وفي مواجهته، يتقدم كاهن بثوب شرقي، معمم بطربوش عال فريجي، ومادا حربة صوب التلميذ. وفي مشاهد أخرى، يكون التلميذ عارياً راكعاً أو حتى ممدداً على التبار». ومن المعروف أيضاً أنه كان على التلميذ حضور موت صوري، ويعرض عليه حربة ملوثة بدم الضحية. ومن الراجح جداً أن بعض الشعائر المسارية كانت تقتضي معارك ضد فزاعة (إلياد 2006: 355).

مثرا يذبح الثور في المثريوم

http://www.flickr.com/photos/save_rome/4378967070/

كانت المثرائية موفقة جداً في كونها أكبر ديانة مسارية توفيقية في العصر الرومانستي فقد جمعت الديانات الفارسية والإغريقية والرومانية وهي أكبر شعوب العصر الهلنستي حضوراً وتأثيراً. وكان مقدراً لها أن تغزو العالم الهلنستي كله وتتحول إلى ديانة عالمية كلياً، ولنتذكر قول أرنست رينان الذي قال (لو أن المسيحية توقفت في نموها بأحد الأمراض القاتلة، لكان العالم أصبح مثرياً) فقد كانت المثرائية أكبر ديانة منافسة للمسيحية حتى القرن الرابع الميلادي، وقد أصبحت هكذا لأنها ديانة شمسية ناسبت إيقاع العصر الهلنستي الشمسي الإيقاع والفلسفة والروح، ولأنها خلت من الطقوس التهتكية والمنفّرة، ولأنها كانت ديانة الجنود لكن مقتلها كان بعدم السماح للنساء بالانتساب إليها.

المبحث الثالث

الهرمسية

رمز الهرمـــية

يعرّف مرسيا إلياد الهرمسية بأنها مجموعة المعتقدات والأفكار والتطبيقات المنتقلة في الأدب الهرمسي، والمقصود بذلك مجموعة من النصوص ذات القيمة غير المتساوية المحررة بين القرن الثالث قبل المسيح والقرن الثالث بعده. ويميز عادة بين صنفين منها: الكتابات العائدة للهرمسية الشعبية (تنجيم، سحر، علوم خفية، كيمياء. . .إلخ) والأدب الهرمسي العلمي، وبالدرجة الأولى، منه السبع عشر أطروحة باللغة اليونانية للمدونة الهرمسية. ورغم اختلاف القصد والمحتوى والإنشاء، فإنه يوجد بين المجموعتين نصوص فيها وحدة قصد (إلياد 2006 ج2: 209).

كانت النصوص الشعبية تاريخياً هي الأقدم، ويرجع بعضها إلى القرن الثالث ق.م، أما الأدب الهرمسي والفلسفة الهرمسية، فقد تفتحت بصورة خاصة في القرن الثاني بعد المسيح في الأجواء الهلنستية. ويقول مرسيا إلياد إن الأدب الهرمسي بممثليه وديكوره وأساطيره يبدو مصرياً، خاصة بالنسبة إلى النصوص القديمة، وقد عزز ذلك اكتشافات الكتابات المصرية في الفيوم عام 1930 في منطقة نجع حمادي.

وقبل التعرف إلى هذه النصوص، لا بد لنا من التعرف أو البحث في الشخصية التي تنسب إليها هذه النصوص وهو هرمس، فمن هو هرمس؟

هرمس مثلث العظمة ومدونته

http://www.wisdomlib.org/egypt/scripture/the-emerald-tablet-of-hermes-trismegistus/d/doc4919.html

هرمس (الإله، النبي، الحكيم)

يعتبر هرمس واحداً من أكثر الشخصيات غموضاً في التاريخ وقد تنازعت نسبه أمم كثيرة في روايات ومراجع مختلفة وسنقوم بتلخيص شديد الإيجاز لأصوله المتعددة هذه:

1. الأصل البابلي: حيث يروى أنه كان بابلياً، ويقرن ببناء بابل بعد الطوفان ويتعزز أصله هذا بارتباطه بعلوم الفلك والتنجيم البابلية وببناء الهياكل أو المعابد الخاصة بالكواكب والنجوم في بابل.

2. الأصل المصري: ويروى أنه كان مصرياً بعد الطوفان وأنه بنى الأهرام ويرتبط بشخصية (أمحتب) الحكيم والمهندس المصري الذي هندس بناء الهرم المدرج وكان وزير الملك المصري (الفرعون) زوسر من الأسرة الثالثة في مصر.

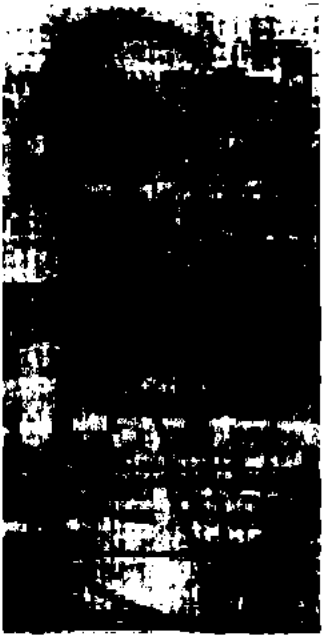

تحوت إله الكتابة المصري
http://kids.britannica.com/comptons/article-9313840/Thoth

3. الأصل الحرّاني: حيث يروي الصابئة الحرانيون (وهم ليسوا بصابئة بل عبدة كواكب من بقايا الدين البابلي) أن هرمس هو (بوذا سف) الذي بنى هياكل الكواكب في بلادهم.

4. الأصل العربي: الذي نادت به المراجع اليمانية، حيث رأت في هرمس أخنوخ أو إدريس، وهو قحطاني وأب لـ(صابي) الذي تختلط شخصيته بشخصية إدريس.

5. الأصل الفارسي: اسمه عند الفرس (أبجهد) وكان جده (جيومرث) أي آدم في التراث الفارسي القديم. لكن الإله (أهورامزدا) الذي يلفظه الإغريق بـ(هرمز أو هرمس) وهو إله الشمس وعلم الضوء والخير في الزرادشتية هو الأقرب كجذر من جذور هرمس.

أهورامزدا إله النور والخير والشمس الفارسي

http://www.norrispeery.com/photo.html

6. الأصل الإغريقي: الإله هرمس (رسول الآلهة) وإله اللصوص والمسافرين والتجار وهو ابن الإله زوس من الإلهة مايا وكذلك اختلطت شخصية بالإله (أسكلابيوس) إله الطب عند الإغريق. ويرتبط بكوكب عطارد (ميركوري) عند الرومان.

هيرمس الإغريقي

http://ancientmythsandhistory.blogspot.nl/2012/08/hermes-greek-olympian-god.html

7. الأصل الهندي: بوذا

والحقيقة أن هناك جدلاً واسعاً حول أصل هرمس وشخصيته المتراوحة بين الألوهية والنبوة والحكمة والملوكية، ويعتقد أن تسمية هرمس مثلث العظمة أو المعظّم ثلاثاً أو مثلث النعم أو مثلث الرحمة هي ألقاب يجمعها مصطلح (Hermes Trismegistus)، وقد أطلقت عليه لأنه جمع بين (النبوة والحكمة والملوكية).

هرمس مثلث العظمة

http://celestial-alchemy.com/about/alchemy/alchemists/famous-alchemists/hermes-trismagistus/

كما ذكره سفر التكوين في التوراة باسم أخنوخ وذكره الإنجيل بالاسم نفسه وذكره القرآن باسم (إدريس).

وتُجمع المرويات على أنه أول من اخترع الكتابة وأول من كتب الصحف وأول من خاط الثياب ولبسها، وفي صفاته ما يدل على اهتمامه بالحكمة والكيمياء والفلك والتنجيم والطب. . .إلخ، وأنه أول من حصل على الخلود وأول من صعد إلى السماء وغير ذلك كثير.

والحقيقة أننا لا يمكن التوسع، في هذا الكتاب، في البحث عن شخصية

هرمس الحقيقية رغم أن الأمر يستحق ذلك، لكننا توصلنا في كتابنا **موسوعة الفلك عبر التاريخ** إلى أن هرمس هو أحد ملوك قبل الطوفان، خلافاً لكلّ الآراء المطروحة، وقادتنا المقارنات اللغوية والآثارية إلى الإله السومري (إنكي) أو (إيا) إله الماء والحكمة والسحر في سومر والذي كان يرمز له بإنسان يلبس ملابس سميكة، ظهر في زمن أحد ملوك ما قبل الطوفان وهو الملك (أمينون) وأعطى له معارفه وشرائعه، ثم أعطى هذا الملك تلك المعارف والشرائع إلى ملك آخر هو إيفيدوراكوس الذي سبق (أوبار توتو) والذي جاء بعده (زيو سورا) أي نوح السومري... ولذلك ينحصر بحثنا عن هرمس السومري بين (أمينون) و(إيفيدوراكوس) وهما يقابلان الملكين الثالث والسادس من ملوك سومر قبل الطوفان. (الماجدي 2003: 69-70).

ويبدو أن هذه الشخصية انتشرت شرقاً وغرباً؛ ففي مصر ارتبطت باسم الإله (تحوت) وباسم الوزير (أمحوتب) وباسم الفرعون خوفو (حيث كان هرمس يسمى خنوفيس الذي يتطابق مع خوفو)، وتنسب لهؤلاء بناء الأهرام (لاحظ كلمة هرم لها علاقة بهرمس) وفي بلاد فارس طوبق مع (أبجهد) حفيد آدم الفارسي، وكذلك مع (أهورا مزدا) إله النور الذي يقترب من لفظ (هرمز).

وفي اليونان ظهر هرمس بمثابة الرسول الملكي... وهكذا.

ويتضح من اطلاعنا على المراجع التي ذكرت هرمس وأهميته أن هذه الشخصية تتمتع بأهمية كبيرة في علوم الأقدمين وتعزى لها الكثير من المنجزات. لكننا نشك في أن تعاليمه كانت مدونة منه مباشرة بل تمّ تدوينها في القرون الثلاثة قبل الميلاد في العصر الهلنستي، في مصر وتحديداً في الإسكندرية، وظهرت هذه المدونات كمرجع أساس لمدونات أخرى باللغة اليونانية ثم اللاتينية ثم السريانية ثم العربية والعبرية! وكلها نصوص موضوعة على لسان هرمس أو إدريس أو أخنوخ، ولكنها ليست بالنصوص الأصلية أبداً... فقد طوى الدهر هرمس ما قبل الطوفان في حدود 3000 ق.م وما النصوص التي كتبت منذ القرن الثالث قبل الميلاد إلا نصوص موضوعة على لسانه ومنسوبة إليه.

ولكنها مع ذلك تشير إلى بعض الأسس التي يمكن اعتمادها كمنطلقات أولى.

للمباديء الهرمسية التي كانت أشبه بالعلوم أو التعاليم الخفية ثم أصبحت في العصر الهلنستي أساس الفلسفة الهلنستية الأفلاطونية الجديدة وأساس الغنوصية.

الهرمسية الهلنستية

لعلّ أفضل من درس الهرمسية الهلنستية هو أندريه جان فيستوجير André-Jean Festugière (1898-1982) الذي حقق النصوص الهرمسية وترجمها إلى الفرنسية في أربعة مجلدات.

ثم درس الهرمسية في أربعة مجلدات أخرى، وهو أوسع من قام بالبحث في الهرمسية وكشف نصوصها. وقد ظهرت دراسته على الشكل الآتي:

1- المجلد الأول 1944: مقدمة حول المناخ الفكري لظهور الهرمسية وعلم التنجيم والعلوم السرية.

2- المجلد الثاني 1949: النظرية الهرمسية حول الإله الكوني والإله الخالق.

3- المجلد الثالث 1952: النفس وأصلها وطبيعتها ومصيرها.

4- المجلد الرابع 1953: الإله المتعالي والغنوص.

كتاب فيستوجير عن هرمس مثلث العظمة

http://www.renaud-bray.com/Livres

وبطبيعة الحال لا يمكننا تلخيص أو شرح هذه المجلدات الأربعة لكن فيستوجير رأى أن جذور الغنوصية تكمن في فلسفة أفلاطون وأنها ظهرت كتيار فلسفي ديني داخل الإمبراطورية الرومانية بعد أفول العقلانية اليونانية في أثينا وظهورها كتيار لاعقلاني في الإسكندرية الهلنستية الرومانية بعد مرورها بأفاميا.

نهلت الهرمسية الهلنستية من منبعين أساسيين: هما هرمسية بابل وفارس وهرمسية الإسكندرية. فأما هرمسية بابل وفارس فقد عرفناها كيف انحدرت من سومر إلى بابل وفارس ودور المندائيين في حملها وإيصالها إلى الإغريق السلوقيين بشكل خاص. وأما هرمسية الإسكندرية فسنستعرض أهم أفكارها.

والأدب الهرمسي العلمي، وبالدرجة الأولى منه، السبعة عشر أطروحة باللغة اليونانية للمدونة الهرمسية (*Corpus Hermeticum*). ورغم اختلاف القصد والمحتوى والإنشاء، فإنه يوجد بين المجموعتين نصوص فيها بعض الوحدة في القصد، وهذا ما يعيد إلى الذاكرة العلاقات بين التاوية الفلسفية والتاوية الشعبية أو الاستمرارية بين العبارات «الكلاسيكية» و«الشاذة» (Baroques) لليوجا. وحسب التسلسل التاريخي فإن النصوص الهرمسية الشعبية هي الأكثر قدماً وبعضها يرجع حتى القرن الثالث ق.م، أما بالنسبة للهرمسية الفلسفية، فقد تفتحت بخاصة في القرن الثاني بعد المسيح. وكما كان متوقعاً فإن هذا الأدب، يعكس قليلاً أو كثيراً التوفيقية اليهودية- المصرية (إذن بعض العناصر الإيرانية كذلك) وكان يعرف إضافة إلى ذلك تأثير الأفلاطونية، إلا أنه بدءاً من القرن الثاني ق.م أصبحت الثنائية الغنوصية هي السائدة (إلياد ج2 2006: 322).

لقد حركت النصوص الهرمسية الهلنستية الحياة الفكرية والروحية في الشرق الهلنستي والتي يرى فيستوجير أنها من تأليفات القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد في دائرة الثقافة الهلنستية نافياً إرجاعها إلى هرمس المعروف عند اليهود بأخنوخ وعند المسلمين بإدريس. ولعل من الأسماء المبكرة التي مهدت لهذا التراث الهرمسي الهلنستي هي نومينيوس الأفامي ويامبليخوس وسيردون السوري والسيبياد زعيم طائفة الكيسيين أو الخاصيين، ثم ظهر كبار المؤلفين الهرمسيين لهذه الأدبيات والنصوص.

مكتبة الفكر الجديد

وهم بولوس ديمقريط (200 ق.م) ومانيطون المنحول (القرن الأول والثاني ق.م) ثم أبولونيوس الذي أسماه العرب، في ما بعد ، باسم بلينياس.

تنسب الهرمسية إلى هرمس (المثلث العظمة) لأنه كان (نبياً وحكيماً وملكاً) وربما كان لكل أمةٍ قديمةٍ هرمسها فهو عند المصريين الإله (تحوت أو طوط) وهو عند السومريين (أنميدار آنا) وعند الفرس الإله أهورامزدا (هرمز) وعند الإغريق الإله (هرمس) وعند اليهود (أخنوخ) وعند المسلمين (إدريس).

لكن النصوص الهرمسية لا تنتمي لأيّ من هؤلاء بل هي نصوص كثيرة مكتوبة باللغة الإغريقية أُلفت في القرنين الثاني والثالث للميلاد وقد كتبت في الإسكندرية من قبل الإغريق أو الأقباط الذين يجيدون الإغريقية، ويرى فيستوجير أن هذه النصوص خليطٌ من الفلسفة والتنجيم والكيمياء والفلاحة، وهي ذات جذور شرقية موضحاً أن هذه الجذور هي كما يلي:

1- جذور النصوص الفلسفية الدينية الهرمسية هي من الفلسفة الفيثاغورية الحديثة والأفلاطونية الحديثة بشكل خاص.

2- جذور النصوص التنجيمية هي من علوم الفلك والتنجيم والفلاحة البابلية الكلدانية.

3- جذور النصوص الكيميائية هي من الكيمياء النظرية اليونانية ومن صناعة الذهب المصرية وكيمياء أستانس الزرادشتية.

4- جذور النصوص الفلاحية هي من نصوص سالومون والإسكندر وبطليموس وأبولونيوس.

وهذا يعني أن الهرمسية مركبٌ فلسفي ديني علمي قائم على أساس سحريّ فهي نظرةٌ سحرية كاملة للعالم وضعت نظاماً نظرياً شاملاً للسحر بعد أن كان ممارسة عملية محضة عند الأقوام القديمة. ويبدو أن متنها الفلسفي والديني هو الذي شكّل أساس الغنوصية. ولذلك يكون الفرق بين الهرمسية والغنوصية هو شمول الهرمسية على الفلسفة والدين والعلم، بينما الغنوصية هي اقتصارٌ على الفلسفة الدينية حصراً، وكون الهرمسية ذات طابع نظري أما الغنوصية فستتحول إلى ديانات وفرق لها طقوسها الخاصة.

ولعل أهم ما عالجته الهرمسية هو هبوط الروح أو النفس وصعودها إلى السماء، ومصيرها المتنوع.

عرض واحد إذن للشمائل الخاصة بالنفس عند الهرامسة وعند سابقيهم المباشرين، ومعاصريهم ولاحقيهم من الأفلاطونيين، بل حل واحد في فحواه لتلك المسائل. ثم اختلاف في أسلوب المعالجة وغايتها. بين جميع هذه المؤلفات الأفلاطونية، والمؤلفات الهرمسية، اتفاق في تقسيم المسائل الرئيسية المتعلقة بالنفس، وفي ترتيب تلك المسائل وهي أربع: طبيعة النفس وأصلها، حلول النفس في الجسم، مصير النفس في حياتها البدنية، عودة النفس إلى أصلها واتحادها بالإله (بلدي 1962: 100).

الهرمسية تبدو وكأنها مرحلة بين الأسطورة والفلسفة، فهي ترصد نزول وصعود النفس في أدبياتها القديمة من خلال الأساطير والكائنات الأسطورية بينما الفلسفة (وخصوصاً عند أفلاطون) تعرض بواسطة المفاهيم والمجردات، ويبدو أن هذه هي وظيفة الفلسفة أساساً في بدايتها.

وفي الكلام على طبيعة النفس في أصلها، الموقف واحد من الناحية الموضوعية. ولكن الجو الروحي مختلف، وكذلك أسلوب العرض ذاته. فعند الأفلاطونيين نجد الحجة المعروفة - من وقت أفلاطون - على الأصل الإلهي للنفس: فالنفس مخالفة للبدن في أفعالها وطبيعتها، مستقلة عنه. إنها غير معرضة مثله للانحلال والموت. إنها إذن من أصل إلهي - بدلاً من هذا العرض الذي يتخذ عند الأفلاطونيين صيغة القياس، ويعتمد على المقدمات، نجد الهرامسة يعتمدون على الأساطير، فيصفون ميلاد إنسان سماوي كامل، مشابه من جميع الوجوه لأبيه السماوي، ومتمتع بجميع مزايا الإله. ثم نجد تلميذ الهرامسة يؤمن بتلك الأسطورة، ويتعرف عندئذٍ عدم تعرض النفس للانحلال، وخلودها (بلدي 1962: 101).

ويبدو أن أصل النفس ومصيرها هو جوهر الهرمسية في جانبها الفلسفي، ونرى أن هذا الأمر قد تحول في الهرمسية من تلك الأساطير القديمة التي كانت تجعل الآلهة يرحلون إلى العالم السفلي ويصعدون ما الأرض إلى السماء أو يهبطون من

السماء إلى الأرض هي أصل هذه الفكرة لكن التماس مع الفلسفة الأفلاطونية هو الذي جعلها تتحدث عن هذا الأمر بلغة اقتربت من لغة الفلسفة.

وعي النفس بحلولها في الجسم، هو الذي ينبهها إلى أصلها الإلهي، وهو الذي يدفع بها، بعد معرفتها لأصلها، إلى البحث عن مصيرها في هذه الدنيا، وعن مآلها بعد الموت، وهو الذي يوجهها نحو الأساطير الخاصة بالتجسد، نحو تصديق بعضها دون بعضها الآخر. ولعل التعبير الهرمسي عن وعي النفس هذا، كان أقوى التعبيرات الأفلاطونية عن مسألة النفس، إذا استثنينا أفلاطون نفسه وأفلوطين. فبينما يصف الأفلاطونيون المعاصرون للهرامسة حال النفس في تأثرها بالأجسام بوجه عام، وبالجسم الذي حلت فيه بوجه خاص، مكررين أقوال أفلاطون في محاورتي «فايدروس» و«فيدون»، بصدد سقوط النفس من العالم العلوي، وفقدانها الصفة الملائكية في هذا السقوط، واعتمادها أثناء هذه الحياة على التذكر، لغاية الاتصال الجديد بالعالم العلوي، وبينما يعرض هؤلاء الأفلاطونيون المواقف الفلسفية المختلفة، من سقوط الجسم وأسبابه، عرضاً موضوعياً بحتاً، نجد الهرامسة يضعون مشكلة التجسد في أسلوب رائع، وينتقلون بعد ذلك إلى عرض أسطورة سقوط النفس، محاولين في هذا العرض، التوفيق بين مواقف مختلفة متنافرة، ومتجهين في نهاية الأمر، إلى موقف يقترب في فحواه أشد الاقتراب من موقف أفلوطين (بلدي 1962 : 101).

نفس الإنسان في الهرمسية تتشبه بالآلهة القديمة وتهبط من الأعالي ثم تصعد، هذا هو التحول الحاسم.

وقد رأينا الفلسفة اليونانية، والأفلاطونية بنوع خاص، تتحول، تحت تأثير عدة عوامل، إلى فكر ديني، تغلبت فيه صفة الإيمان على صفة البحث والمناقشة، وصفة الوحي على تعاليم العقل، والصيغة الأسطورية على «القول» الفلسفي. وقد كان التأليف الهرمسي في نهاية التحول الذي اختفى عنده التفلسف وحل محله التصوف. وكانت غاية التصوف، كما رأينا، أن يخرج الإنسان من نفسه ليحقق مساواته بالإله. وتتم تلك المساواة عندما يصبح الوجود الإنساني وجوداً فكرياً إلهياً (بلدي 1962 : 123).

مكتبة الفكر الجديد

ولا نشك اليوم في أن التصوف الهرمسي يلتقي مع التصوف البوذي والاثنان يسعيان إلى الوصول للإله الذي في الإنسان وليس للإله الذي خارجه.

التصوف الهرمسي - وخاصة هذه الناحية منه التي يتحول الإنسان عندها إلى وجود فكري إلهي - وراء فلسفة أفلوطين، ووراء العناصر التي أعدت مباشرة فلسفة أفلوطين، سواء أكانت هذه العناصر قائمة في تعليم أمونيوس بالإسكندرية، أم كانت موجودة عند أفلوطين قبل أن يبدأ الاستماع إلى أمونيوس، أم كانت متضمنة في المطالعات التي عملها بعد ترك مدينة الإسكندرية. فهذا «الفكر» الذي قالت به الهرامسة، والذي يندمج فيه الوجود الإنساني، ويصبح فيه وبفضله مقارناً للوجود كله، هو «العقل» الذي تكلم عليه أفلوطين. ولم يكن العقل عند هذا الأخير قدرة على التحليل والتركيب والاستدلال، ولم يكن أيضاً قدرة على تحقيق الفضيلة والحكمة الفردية. إنه كان قبل كل شيء «العالم المعقول» كله، أو بعبارة أدق المعالم المعقولة للوجود، لوجود لا تنفصل فيه الأشياء بعضها عن بعض ولا تتجزأ، لا تتغير ليختفي بعضها ويحل محله البعض الآخر، كما هو الأمر في عالمنا هذا، بل وجود يخرج فيه الجزء من الكل ليعود إليه، وجود تكون فيه المظاهر الجزئية أصداء ومرايا بعضها لبعض، وأصداء ومرايا للكل. هذا ما لا بد من توضيحه في ما بعد، وهذا في نظرنا الثمرة الفلسفية الأولى للتعليم الهرمسي (بلدي 1962: 123).

الفلسفة الدينية للهرمسية

1. الثيولوجيا (اللاهوت)

تقدم الهرمسية الفلسفية الدينية نظرية كونية تقولُ إن هناك إلهين في هذا الكون، هما:

1. الإله المتعالي الذي لا يقبل الوصف والمنزه الذي لا تدركه العقولُ والأبصار والموجود فوق النجوم الثابتة متربعاً على قمة الكون، وهو لا يعرف إلا بالسلب ولا يشبه أيّ شيء في العالم، كما أنه لا يهتم بشؤون الكون (وهو نظرية أرسطية معروفة) وهو لا يعلم أو يتدخل بهذا الكون لأنه لا يملك علاقةً مع كونٍ ماديٍّ ناقصٍ. ويتبع كل هذا أن التعرف إلى هذا الإله مستحيل عن طريق التأمل أو

الفكر أو الحواس، أي إن المعرفة الفلسفية والدينية والعلمية لا توصل إليه ولأن الكون كلّه لا يدلّ ولا يرشد إليه لأنه لا علاقة له به.

2. الإله الخالق وهو الإله الذي تولى صنع العالم السماوي أولاً، فوضع فيه الكواكب السبعة وأفلاك البروج وخلق العالم الأرضي الذي جعله تحت سيطرة العالم السماوي، ثم خلق الإنسان على الأرض على وفق الكواكب السبعة، ولذلك يُصنفُ البشر إلى سبعة أنواع كلّ نوع يتبع كوكباً في السماء. وقد خلق الإله الخالق الإنسان من جسم مادي شرير ميت ومن نفس (أو روح) تنحدر من العقل الكلي (الكوني) وهي جُزءٌ خيّر سماوي حيّ، حيث تعيش النفس صراعاً مع أهواء ورغبات الجسد.

3. أما الإله الوسيط (هرمس) فهو الذي يتوسط بين الإله المتعالي والإنسان بتوسط العقل الكلي ليحاول تخليص النفس من الجسد فهو إله الخلاص وموضّح طريق النجاة.

ولكن الخلاص لن يكون للجميع بل لقلّة من العارفين الذين أشرقت في نفوسهم معرفةٌ لأصلها وتصعد إلى السماء بينما تندمج أجسامهم، بعد الموت، مع جسم الكوكب الذي انحدرت منه وحين تصعد النفس تشاهد ملائكة كثيرين مثل ملاك الحياة، المادة، الفرح، الراحة، الخوف، والإله المنزه عن الرغبات والإله الأورفي (أورفيوس) وتشاهد البرزخ الفاصل بين عالمي السماء والأرض. وقد تسقط بعض النفوس الغير الطاهرة بزوابع جوية تنزل بها إلى سحيق جهنم لكن النفوس الناجية تخترق السماوات السبع (يقودها الإله هرمس) ثم تصل إلى السماء الثامنة (العليا) محفوفة بجوقة من الملائكة حراس الأجواء العليا.

وحين نقرأ أسطورة الخليقة الهرمسية في (المدونة الهرمسية) سنجد هذا النظام الإلهي كاملاً، حيث يمثل الإله المتعالي (بوامندريس) وهناك الإله الخالق أو الصانع، أما الإله الوسيط (هرمس) فربما تشير له الكلمة الإلهية المقدسة (اللوغوس). وقد يتوحّد (يتطابق) الإله الخالق مع الإله الوسيط في شخصية واحدة، وبذلك يكون هرمس هو الوسيط الغنوصي في ما بعد والمسيح الغنوصي الذي يكون رسلاً من الإله المتعالي إلى العالم المادي أو الأرض لكي ينقذ الإنسان ويفديه.

مكتبة الفكر الجديد

2. الكوزمولوجيا (علم الكون)

إن علم الكون الهرمسي يقضي بوجود عالمين أساسيين هما عالم النور وعالم الظلمة، حيث يحتضن عالم النور عناصر الخير والألوهية وهو عالم لا مادي بل هو عالم أثيري. ويحتضن عالم الظلام عناصر الشر والشيطانية وهو عالم مادي حسيّ. ويرى بعض الهرمسيين أن عالم النور أقدم من عالم الظلام بينما يرى البعض الآخر أنهما أزليان في قدمهما. ويسود عالم النور والظلام صراع أبدي خلاصته كيفية حلول النور في الظلام وكيفية انتزاع النور من الظلام. وخلال ذلك الصراع نشهد انتصارات متناوبة للعالمين على بعضهما.

وتوضح لنا أسطورة الخليقة الهرمسية كيفية خلق الكون وهذين العالمين في المدونة الهرمسية، حيث يروي هرمس مشاهداته الإشراقية في إحدى رؤياه أو أحد أحلامه، والحوار الذي جرى بينه وبين الإله المتعالي (بوامندريس) الذي سمي النص باسمه. وبسمى القسم الأول من المدونة بـ(المبدأ) أي (الخليقة الهرمسية)، وهي المراحل التي تشتمل، كالعادة، على خليقة الكون وخليقة الآلهة وخليقة الإنسان. وما يهمنا هنا هو خليقة الكون أما خليقة الآلهة فقد شرحناها في الفقرة الأولى وخليقة الإنسان سنشرحها في الفقرة الثالثة.

ويمكننا أن نلخص خليقة الكون بالمراحل الآتية:

1. خلق عالم النور والكلمة والعناصر الأربعة (البذور الأولى للنور والظلام): حيث يرى هرمس في بداية رؤياه نوراً يغمر كل شيء ثم يبدأ بالصعود إلى أعلى فتظهر الظلمة في الأسفل. ثم يظهر من النور الكلمة الإلهية المقدسة (اللوغوس) بينما تظهر الرطوبة (الماء) من الظلام وبعد ذلك يظهر من عالم النور النار والهواء بينما يظهر من عالم الظلام الماء والتراب (الأرض) ممتزجين متحركين بفعل الكلمة المقدسة.

أما تأويل هذه الأحاديث فهو أن النور هو العقل (الإله المتعالي: الأب) أما الكلمة فهو ابن العقل، والعقل والكلمة غير منفصلين لأن اتحادهما هو الحياة.

2. خلق كائنات عالمي النور والظلام: تظهر كائنات النور على شكل قوى لا

تحصى من المُثل وينفصل النور عن النار التي تنزل إلى الأسفل وتشكل عالم السماء. أما الكلمة الإلهية (اللوغوس) فتنزل إلى الأرض (عالم الظلام) وتتوزع إلى نفوسٍ على الكائنات الأرضية مقلدة بذلك عالم المثل البهي.

3. أنجب العقل الأول عقلاً ثانياً صانعاً هو إله النار والنفس فصنع المدبرات (الكواكب السبع) التي تغلف بدوائرها العالم الحسي ويسمى تدبيرها القدر. أما الكلمة الإلهية فصعدت من الأرض واتحدت بالعقل الصانع (لأنهما من جوهر واحد)، وبذلك نزلت العناصر إلى أسفل الطبيعة متروكةً لنفسها محرومةً من العقل فبقيت مجرد مادة.

4. أحاط (العقل الصانع المتّحد بالكلمة) المحيط بالدوائر الفلكية والذي يدورها ومن حركة الدوائر الفلكية خلقت حيوانات بدون عقل مكونة من العناصر السفلى (الهواء والماء والأرض) فأنتج الهواء ذوات الأجنحة والماء الحيوانات السابقة والأرض الحيوانات البرية.

ثم تأتي مرحلة خلق الإنسان (النفس) أو السايكولوجيا.

إن أهم مبادئ الكوزمولوجيا الهرمسية هو وحدة الكون والتأثير المتبادل بين أجزائه، فالكون عبارة عن دوائر بعضها داخل البعض الآخر، وذات مركز واحد هو الأرض، وتشكل كواكب الدوائر السبعة وأفلاك بروجها أهم هذه الدوائر، والأرض خاضعة لتأثير هذه الكواكب ومداراتها، بل إن الإنسان نفسه يخضع لتأثير الكواكب ومداراتها. أما طريقة التأثير فتكمن في عملية (التجاذب والتنافر) فكل شيء في الكون يخضع لهذه القاعدة، حيث تسري روح واحدة في الكون تتناوب على هذا التجاذب والتنافر.

3. السايكولوجيا (النفس)

كان هناك من يرى (من الهرمسيين) أن العالم، رغم الفوضى والشر، إلا أنه محكوم بإرادة خيّرة شاملة تحكمه من الداخل بقوة، وكان هناك من يرى أن العالم شرّيرٌ وأنه بحكم طبيعته المادية مكمن الشّر والفوضى، لكنهم يرون أن النفس هي الجوهر الخيّر الإلهي الساكن في الجسد المادي الشرير، وهذا ما يكون طرفي

مكتبة الفكر الجديد

2. الكوزمولوجيا (علم الكون)

إن علم الكون الهرمسي يقضي بوجود عالمين أساسيين هما عالم النور وعالم الظلمة، حيث يحتضن عالم النور عناصر الخير والألوهية وهو عالم لا مادي بل هو عالم أثيري. ويحتضن عالم الظلام عناصر الشر والشيطانية وهو عالم مادي حسيّ. ويرى بعض الهرمسيين أن عالم النور أقدم من عالم الظلام بينما يرى البعض الآخر أنهما أزليان في قدمهما. ويسود عالم النور والظلام صراع أبدي خلاصته كيفية حلول النور في الظلام وكيفية انتزاع النور من الظلام. وخلال ذلك الصراع نشهد انتصارات متناوبة للعالمين على بعضهما.

وتوضح لنا أسطورة الخليقة الهرمسية كيفية خلق الكون وهذين العالمين في المدونة الهرمسية، حيث يروي هرمس مشاهداته الإشراقية في إحدى رؤياه أو أحد أحلامه، والحوار الذي جرى بينه وبين الإله المتعالي (بوامندريس) الذي سمي النص باسمه. ويسمى القسم الأول من المدونة بـ(المبدأ) أي (الخليقة الهرمسية)، وهي المراحل التي تشتمل، كالعادة، على خليقة الكون وخليقة الآلهة وخليقة الإنسان. وما يهمنا هنا هو خليقة الكون أما خليقة الآلهة فقد شرحناها في الفقرة الأولى وخليقة الإنسان سنشرحها في الفقرة الثالثة.

ويمكننا أن نلخص خليقة الكون بالمراحل الآتية:

1. خلق عالم النور والكلمة والعناصر الأربعة (البذور الأولى للنور والظلام): حيث يرى هرمس في بداية رؤياه نوراً يغمر كل شيء ثم يبدأ بالصعود إلى أعلى فتظهر الظلمة في الأسفل. ثم يظهر من النور الكلمة الإلهية المقدسة (اللوغوس) بينما تظهر الرطوبة (الماء) من الظلام وبعد ذلك يظهر من عالم النور النار والهواء بينما يظهر من عالم الظلام الماء والتراب (الأرض) ممتزجين متحركين بفعل الكلمة المقدسة.

أما تأويل هذه الأحاديث فهو أن النور هو العقل (الإله المتعالي: الأب) أما الكلمة فهو ابن العقل، والعقل والكلمة غير منفصلين لأن اتحادهما هو الحياة.

2. خلق كائنات عالمي النور والظلام: تظهر كائنات النور على شكل قوى لا

تحصى من المُثل وينفصل النور عن النار التي تنزل إلى الأسفل وتشكل عالم السماء. أما الكلمة الإلهية (اللوغوس) فتنزل إلى الأرض (عالم الظلام) وتتوزع إلى نفوسٍ على الكائنات الأرضية مقلدة بذلك عالم المثل البهي.

3. أنجب العقل الأول عقلاً ثانياً صانعاً هو إله النار والنفس فصنع المدبرات (الكواكب السبع) التي تغلف بدوائرها العالم الحسي ويسمى تدبيرها القدر. أما الكلمة الإلهية فصعدت من الأرض واتحدت بالعقل الصانع (لأنهما من جوهر واحد)، وبذلك نزلت العناصر إلى أسفل الطبيعة متروكةً لنفسها محرومةً من العقل فبقيت مجرد مادة.

4. أحاط (العقل الصانع المتّحد بالكلمة) المحيط بالدوائر الفلكية والذي يدورها ومن حركة الدوائر الفلكية خلقت حيوانات بدون عقل مكونة من العناصر السفلى (الهواء والماء والأرض) فأنتج الهواء ذوات الأجنحة والماء الحيوانات السابقة والأرض الحيوانات البرية.

ثم تأتي مرحلة خلق الإنسان (النفس) أو السايكولوجيا.

إن أهم مبادئ الكوزمولوجيا الهرمسية هو وحدة الكون والتأثير المتبادل بين أجزائه، فالكون عبارة عن دوائر بعضها داخل البعض الآخر، وذات مركز واحد هو الأرض، وتشكل كواكب الدوائر السبعة وأفلاك بروجها أهم هذه الدوائر، والأرض خاضعة لتأثير هذه الكواكب ومداراتها، بل إن الإنسان نفسه يخضع لتأثير الكواكب ومداراتها. أما طريقة التأثير فتكمن في عملية (التجاذب والتنافر) فكل شيء في الكون يخضع لهذه القاعدة، حيث تسري روح واحدة في الكون تتناوب على هذا التجاذب والتنافر.

3. السايكولوجيا (النفس)

كان هناك من يرى (من الهرمسيين) أن العالم، رغم الفوضى والشر، إلا أنه محكوم بإرادة خيّرة شاملة تحكمه من الداخل بقوة، وكان هناك من يرى أن العالم شرّيرٌ وأنه بحكم طبيعته المادية مكمن الشّر والفوضى، لكنهم يرون أن النفس هي الجوهر الخيّر الإلهي الساكن في الجسد المادي الشرير، وهذا ما يكون طرفي

مكتبة الفكر الجديد

الصراع الدائم بين الجسد والنفس، ولذلك ينسبون صنع العالم الشرير إلى الإله الخالق وينزهون الإله المتعالي عن ذلك.

وقد صور الهرمسيون اتصال النفس بأصلها الإلهي المتمثل بالإله الخالق عن طريقين:

الأول (Extraversion): هو الاتصال الخارجي، حيث تسعى النفس لتتحد بالله (الإله الخالق)، إذ يذوب الإنسان في الله وينشأ عن هذه السعي والاتصال بالله ما يعرف بالأيون الذي هو مشكل هذا الاتصال. وقد اصطلح المتصوفة (الإسلاميون بشكل خاص) على هذا الاتصال بمصطلحي (الفناء) أو (وحدة الشهود).

الثاني (Introversion): هو الاتصال الداخلي، حيث تعي النفس حقيقة أصلها وطبيعتها الإلهية بوصفها جزءاً من الإله الخالق، حيث يشعر الإنسان بأن الله حالٌّ فيه، وهذا الشعور مهم جداً إذ لولاه لسكن الشيطان في نفسه. ولذلك يشعر الإنسان بأن نفسه هي محراب الله أو مسكنه. وقد اصطلح المتصوفة على هذا النوع من الاتصال بمصطلح (الحلول)، حيث يصل الإنسان في نهايته إلى مرحلة الكشف والإشراق (Illumination) أي إشراق الله في نفسه.

ويرسم الهرمسيون طريقاً لاتصال النفس بالله أثناء الحياة أو بعد الموت يسمى طريق المعاد حيث تعرج النفس إلى الله. في حين يسمى حلول النفس في الجسد بطريق المبدأ حيث تنزل النفس من الله إلى الجسد.

ومن أجل هذا، فالإنسان وحده بين الكائنات الأرضية هو في آن واحد فان وخالد، مع ذلك بمساعدة المعرفة، يستطيع الإنسان أن «يصبح إلهاً» وهذه الثنائية، التي تبخس العالم والجسد، تشير إلى الهوية بين الإلهي والعنصر الروحي للإنسان، وتماماً كالألوهية، تتميز النفس الإنسانية (نوس (Nous)) بالحياة وبالنور. وبما أن العامل هو «كلية الشر»، فإنه يجب أن يعود «غريباً» إلى العالم بهدف إكمال «ولادة الألوهية»، وعلى ذلك، فإن الإنسان المجدد يحوز جسداً خالداً، لأنه «ابن الله، الكل في الكل» (إلياد ج2 2006: 325).

وهناك من رأى أن النفس لا يمكن لها أن تسعى (في الحياة) إلى الله وتتحد به

قبل أن تتعرف، وهي في العالم، على أصلها الإلهي. ولذلك وضعوا شرط المعرفة قبل العروج.

النفس إذن تبدأ بالتعرف إلى الجوهر الإلهي الكامن فيها عن طريق التطهير والصلاة والصوم والتقشف والزهد والأدعية فتنكشف لها حقيقتها الإلهية، وبذلك يمكنها العروج إلى الله عبر مراحل تشرحها المدونة الهرمسية.

4. الإبستمولوجيا (علم المعرفة: العرفان الهرمسي)

يتطلبُ الاتصال بالله أن تعرف النفس أصلها الإلهي، ويسمى هذا النوع من المعرفة بـ (العرفان) أو (الغنوص)، وهو نوع خاص من المعرفة، فهي معرفة إلهية وليست معرفة علمية أو أدبية، ولذلك فإن تحصيلها يختلف عن تحصيل الفلسفة أو العلم أو الأدب. فالمؤمن يحصل عليها بالكشف الذوقي أو بالإشراق المفاجئ في القلب، أي إنها ليست معرفة عقلية، بل شعورية (وربما شعرية)، ولكي يحصل المرء على هذا النوع من المعرفة (العرفان)، عليه أن يتطهر ويتخلى عن ملذاته ولا يلبي حاجات جسده كما يجب وأن ينصرف للتأمل في ذات الله.

إن هذا النوع من المعرفة لا يتطابق مع المعرفة التي نألفها فهي معرفة وجدانية تعتمد على الإشراق والكشف لا على تراكم المعلومات وتحليلها.

ثم إن هذا النوع من المعرفة يقتضي النظر إلى النصوص الدينية (بشكل خاص) على أن لها مستويين: الأول (ظاهر) وهو ما يدركه العامة وهو البيّن الواضح من هذه النصوص، والثاني (باطن) وهو ما يدركه الخاصة والمحمل بالرموز والذي نصل إليه بالتأويل.

وتتحدث (المدونة الهرمسية) عن المعرفة باعتبارها صنو العقل والخلود، بحيث إن الذين يبقون في الجهل يحرمون من الخلود، حيث يخاطب الله هرمس ويقول له: إذا كنت قد انتبهت فقل لي لماذا استحق الموت أولئك الذين فارقوا الحياة؟ فيرد هرمس: لأن الأصل الذي منه الجسم البشري هو الظلمة القاتمة التي خرجت منها الطبيعة الرطبة، هذه التي منها تكوّن الجسمُ في العالم الحسّي، الجسم الذي يرتوي منه الموت. ثم يسأله الله: لماذا كان من عرف نفسه يعود إلى نفسه كما قال

مكتبة الفكر الجديد

الله؟ فيرد هرمس: لأنه من النور والحياة ربّ كلّ شيء، الرب الذي أنجب الإنسان، قال: أنت تقول النور والحياة... ذلك هو الله الأب الذي منه كان الإنسان فإذا تعلمت أن تعرف نفسك بوصفك مصنوعاً من الحياة والنور ومكوّناً من هذين العنصرين، فإنك ستعود إلى الحياة (الجابري 2010: 266-267).

وتؤكد الإبستمولوجيا الهرمسية على أنه ليس هناك فصل بين العلم والدين، وبذلك تكون الهرمسية قد أعادت الوحدة بينهما (مثلما كان في الحضارات القديمة) وعادت بالأمور إلى ما قبل ظهور الفلسفة الإغريقية عندما انفصلت الفلسفة (بوصفها إنجازاً علمياً) عن الدين، أي إن الهرمسية عادت إلى دائرة الدين بل وإلى دائرة السحر تحديداً.

المتون الهرمسية (الهرمسيات) (Hermetica)

تعرف مجموعة النصوص الهرمسية الشعبية والأدبية (الفلسفية) بالمدونات الهرمسية التي يبلغ عددها حوالي 17 نصاً مكتوباً باللغة الإغريقية وهناك نص مكتوب باللغة المصرية والكتابة الهيروغليفية يعتبر هو أصل تلك النصوص.

أما الكتب الإسلامية فقد ذكرت عدة نصوص منها ما ذكرها القفطي في كتاب **تاريخ الحكماء** وغيرها.

المدونة الهرمسية المصرية منسوبة للإله (تحوت) إله المعرفة والحكمة المصري القديم وهي تجعل من الإله أتوم بمثابة الله الواحد الخالد الخالق الذي يسمى أيضاً العقل الأول وهو الذي خلق عقل الكون الذي خلق الكون، وهذا خلق الشمس والإنسان على صورة الشمس:

«الخالق الذي ندعوه أتوم لعجزنا عن تسمية أفضل عندما خلق الملاك الثاني الذي هو الكون كان مبتهجاً لقد كان خلقه جميلاً مترعاً بالإحساس فأحبه كابن له ولرحمته أراد أتوم أن يكون هناك مخلوق قادر على الإعجاب بجمال خلقه فخلق بمشيئته الإنسان كي يقلد حكمته الربانية وحبّه الإلهي وسأل أتوم كل ملاك في السماء: ماذا يمكنك أن تقدم للإنسان الذي سوف أخلقه؟

فقالت الشمس إنها سوف تسطع طول النهار تغذي بالضحكة والفرحة عقول

مكتبة الفكر الجديد

الفانين والعالم أجمع» (فريك وغاندي 2002: 57-58).

ويصف هذا النص فيض الخليقة من أتوم على الإنسان ثم يعود ليرفع هذا الإنسان من كينونته المادية عن طريق ارتفاع روحه عن الجسد المتحلل الفاني (وهذا يخالف اللاهوت المصري القديم بخلود الروح والجسد معاً) ثم ترتفع إلى الفضاء وترتقي السماوات السبع حيث تتطهر في كل واحدة من واحدة من صفاتها المادية، وحين تصل على الطبقة الثامنة وتتحد بالإله أتوم وتصير من ملائكته وتفوز بالخلود فيهلل الملائكة لها ويسبحون بانتصار الروح. وتوصي التعاليم المصرية أن يدرب الإنسان روحه على هذا الصعود طالما كان حياً حتى لا يضل طريقه إذا دخل الحياة الأخرى وبذلك يكمن الأمل في حياة الخلود.

أما المدونات الإغريقية فأشهرها رؤيا هرمس المسماة **المدونة الهرمسية** (*Corpus Hermeticum*) والتي تعرف عادة بـ (نص بوامندريس)، وتكاد تشكل هذه المدونة الأساس النظري للهرمسية الهلنستية التي ألقت بظلالها الواضحة على التصوفين المسيحي والإسلامي.

وتصف هذه المدونة رؤيا هرمس في (32) مقطع تتبع عبر طريقين الأول نازل يسمى (المبدأ) الفلسفة الهرمسية النشكونية حيث يلد العقل (النور والأب) ابنه الأول الذي هو الكلمة أو الإله الصانع ثم يلد هذا العالم وهكذا، أما الطريق الثاني فهو الصاعد ويسمى (المعاد) حيث تعود النفس إلى خالقها عبر طريقٍ تتخلص فيه مما علق فيها من الجسد.

ويتضح لنا من هذين الطريقين أنهما اصل الأفلاطونية الجديدة التي وضعها أفلوطين.

والحقيقة أن الفلسفة الهرمسية النشكونية هي صورة ميثولوجية كانت موجودةً ضمناً في شجرة أنساب الآلهة الشرقية ثم الهيلينية، وقد تحولت بدلاً من أسماء الآلهة إلى مفاهيم فلسفية مثل العقل والكلمة والنفس، وقد جرى هذا كله بسبب تأثير الفلسفة الإغريقية على العالم الهلنستي.

ولننظر في هذا المقطع العاشر من المدونة:

«وفي حين انطلقت كلمة الله واتحدت مع العقل الصانع (لأنها جوهر واحد)

مكتبة الفكر الجديد

تاركةً العناصر تنزل إلى أسفل صوب الناحية التي صارت خاصة بالطبيعة التي صنعت الآن. ولذلك صادرت العناصر السفلى من الطبيعة متروكة لنفسها، محرومة من العقل، فبقيت مجرد مادة» (الجابري 2010: 265).

الفلسفة الهرمسية

تشكل الهرمسية أو الفلسفة الهرمسية أساس الأفلوطينية والغنوصية وجوهرهما فقد سبقت ظهور الأفلوطينية عندما كانت في صورتها المصرية الأولى المنحدرة من تعاليم هرمس القديم بل ومن أسطورته تحديداً، حيث صعد إلى السماء ونزل إلى الجحيم، كما تروي الأساطير.

والفلسفة الهرمسية ذات هيكل ميثولوجي خفي تستر بالمفاهيم الأفلوطينية وأحياناً الأرسطية فهو خليط فلسفي أسطوري يبدو وكأنه يروي قصة هبوط إله وصعوده، حيث ينشأ عن هبوطه خلق العالم والإنسان والروح وينشأ عن صعوده نهاية الإنسان والعالم وعودة الروح إلى هذا الإله...

طريق المبدأ أو الخليقة

1. **العقل الأب**: تبدأ حركة العقل الأول من حركة (النور) الذي يناظر العقل الأول حيث يرتفع النور إلى أعلى وتظهر ظلمة داكنة رطبة مرعبة إلى الأسفل كأنها أفعى (وهذا تشبيه أسطوري يذكّر بالأفعى الأولى في الأساطير السومرية وهي نمّو ونون المصرية والكاؤوس الإغريقية... إلخ) ينتج عنها ظهور النار، أما من النور فينتج عنها الكلمة التي تحتضن الطبيعة (وتمثل الإله الابن الصادر من الإله الأب الذي هو العقل الأول أو النور) ثم تصعد النار إلى الأعلى ويتبعها الهواء بينما يتكون في الأسفل الأرض والماء.

2. **العقل الابن**: بما أن العقل الأب ذكر وأنثى في الوقت نفسه فقد أوجد:

أ. **العقل الصانع**: وهو إله النار والنفس الذي صنع المدبرات (الكواكب) السبع التي تغلف بدوائرها العالم الحسي، ويسمى تدبيرها: القدر. ثم اتحدت كلمة الله مع العقل الصانع (لأنها من جوهر واحد) تاركة العناصر تنزل إلى أسفل صوب الناحية الخاصة بالطبيعة والتي تركت لوحدها محرومة من العقل فبقيت مجرد مادة.

وعندما دارت دوائر الأفلاك ظهرت حيوانات في الطبيعة بدون عقل أي إنها مكونة من العناصر التي كانت تتجه إلى أسفل (الهواء والماء والتراب) فأنتج الهواء ذوات الأجنحة وأنتج الماء الحيوانات السابحة وأنتج التراب أو الأرض الحيوانات البرية والأليفة.

ب. **الإنسان السماوي**: أنجبه العقل الأب (وهو أخ الإله الصانع)، وكان شبيهاً بالأب فأُعجب الأب بابنه لأن الله أحب صورته في ابنه وسخّر له جميع مخلوقاته.

دخل الإنسان السماوي كرة عالم الخلق فرأى مصنوعات أخيه من الكواكب السبع فأشركته معها في تدبيرها ورتبتها فاطلع على ماهيتها وشاركها في طبيعتها أي اكتسب منها نورها ثم اخترق مداراتها، وإذا به وجهاً لوجه مع الطبيعة، فلما رأت الطبيعة (عالم المادة والكائنات الفانية والمحرومة من العقل) لما رأت هذا الكائن السماوي المضيء وقد تحلى بالجمال الخالد ابتسمت له حباً وعشقاً، ورأى هو صورته المنعكسة على الماء فأحبها وأراد أن يسكن هناك، فلما فعل ذلك وسكن الطبيعة المرحومة من العقل واحتضنته الطبيعة فاتحدا لأنهما كانا يحترقان عشقاً أحدهما إلى الآخر وهكذا حصلت الخطيئة بالحب.

3. **الإنسان الأرضي**: أنجبت الطبيعة من الإنسان السماوي سبع كائنات آدمية، تناظر بعددها طبائع المدبرات السبع، كان كلٌّ منها ذكر وأنثى في آن واحد، وقد ولت وجهها جميعاً نحو السماء.

انفصلت الحيوانات والكائنات الآدمية السبع، التي كانت كلها ذكراً وأنثى في الوقت نفسه، انفصلت إلى صنفين صنف الذكور وصنف الإناث وأمرها الله بالتزاوج فتزاوجت وتكاثرت بمساعدة العناية الإلهية وبتوسط مجموع الكرات السماوية.

وهكذا تكون الجسد البشري الذي هو الظلمة القاتمة التي منها خرجت الطبيعة الرطبة، ولكن داخل هذا الجسد هناك نور (ولا تسميها النصوص نفس أو عقل)، وهذا النور الذي يحملُ طبيعة الإنسان السماوي والعقل الأب محبوسٌ داخل الجسد وعليه أن يعود إلى أصله.

مكتبة الفكر الجديد

طريق المعاد أو المعراج السماوي

1. إذا كان الإنسان متوجهاً نحو الشهوات غارقاً فيها فإنه عندما يموت لا تتحرر روحه إلى الأعلى فيقوم الشيطان برشقه بسهام من جهنم وبذلك يستمر هذا الإنسان في توجيه رغباته نحو الشهوات بدون حدود، يقتل في الظلام دون أن يشبعه شيء، وهذا ما يعذبه ويُلهب باستمرار النار التي تحرقه.

أما الإنسان الذي عرف نفسه وابتعد عن الشهوات فإنه عندما يموت يفسد جسده وتختفي صورته فيترك للشيطان أناه العادية التي تتعطل عن الشعور وتعود قواه الغضبية والشهوانية على الطبيعة المحرومة من العقل، أما هو فيصعد بحواسه الجسمانية إلى السماء ليصادف الكواكب.

2. في عالم الكواكب وهياكلها يترك الإنسان حواسه في كل كرة كوكبية وكما يلي:

أ. القمر: يترك فيه قوة النماء والنقصان

ب. عطارد: يترك فيه قوة الخبث والاحتيال

ج. الزهرة: يترك فيها وهم الرغبة

د. الشمس: يترك فيها كبرياء الحكم

هـ. المريخ: يترك فيه التهور الكافر والادعاء الكاذب

و. المشتري: يترك فيه الشهوات المحرمة التي يولدها الغنى

ز. زحل: يترك فيها الكذب الذي يكيد كيداً.

3. يصل إلى السماء الثامنة متحرراً مما خلقته فيه طبائع الكرات الفلكية، لا يملك غير قوته الذاتية فيسبّح للأب مع القوى التي يسمعها تسبّح، ويتوجه مع الحضور ويصعدون، في نظام بديع، نحو الأب مسلّمين أمرهم للقوى فيصيرون مثلها ويتحدّون بالله، لأن ذلك هو النهاية السعيدة لمن يملكون العرفان، نهاية أن يصيروا هم الله.

هذا هو شرح خلاصة النص الهرمسي (بوامندريس) الذي كان على ما يبدو أساس الأفلوطينية والغنوصية معاً.

الهيكل الهرمسي (المبدأ والميعاد)

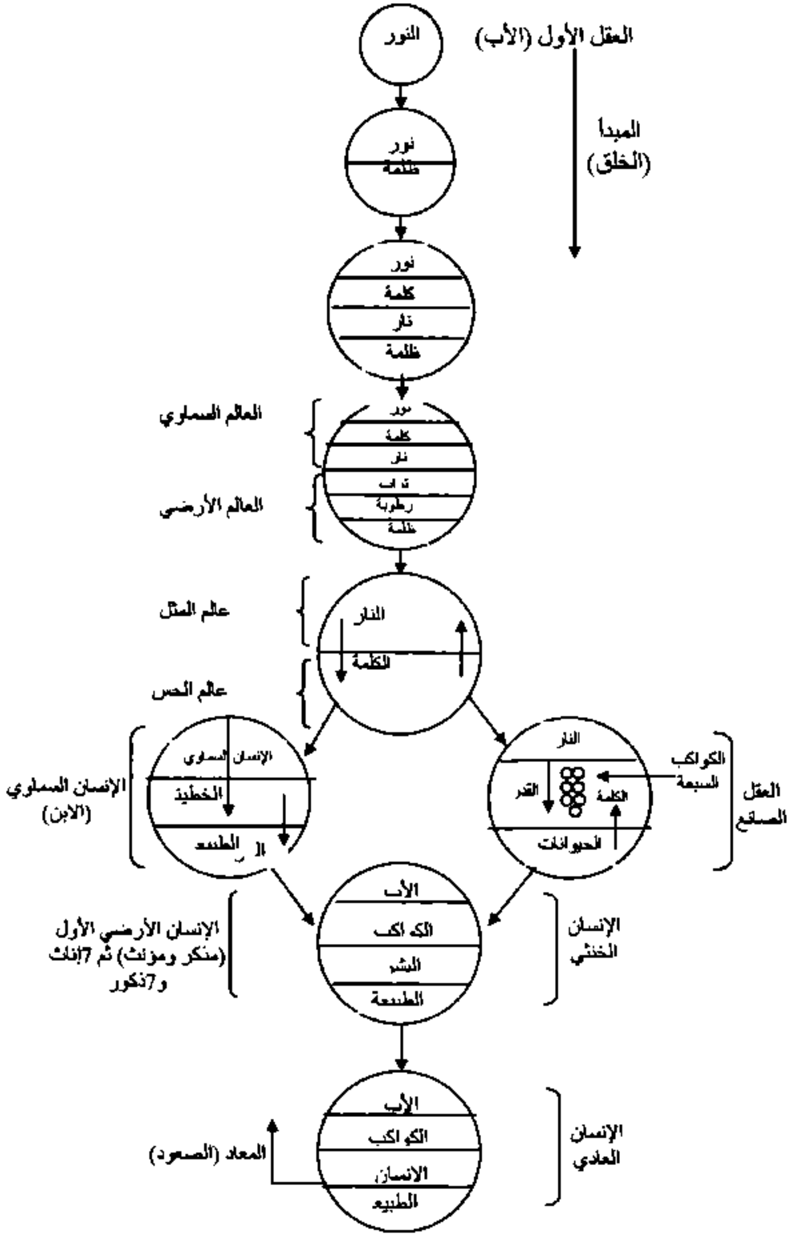

العلوم الهرمسية

لم تكن الهرمسية نزعة فلسفية فقط بل كانت منذ بدايتها، مع هرمس، مركباً للحكمة التي تحتوي الفلسفة والدين والعلوم. . . ولعل أكثر العلوم ارتباطاً بها هي السحر والكيمياء والتنجيم والطب والرياضيات وكل مؤلفات هرمس منحولة ومنسوبة لهرمس وهي تمثل الهرمسية لا هرمس بذاته.

أثرت الفلسفة الهرمسية على العصر الهلنستي بأكمله وصبغته بلونها، فقد كانت الأساس القوي الذي بنيت عليه الغنوصية والأفلاطونية الجديدة، خصوصاً الأفلوطينية منها إضافة إلى الفيثاغورية الجديدة.

كما أثّرت الهرمسية في نمط الحكمة وأنواعها واشتهرت أقوال هرمس في الموعظة وزجر النفس والحكمة فقد كان هناك مؤلف مهم له كتاب اسمه **معادلات النفس** أو (زجر النفس) ترجمه من اليونانية إلى الفارسية أفضل الدين كاشاني بعنوان **ينبوع الحياة** ونشره بترجمة عربية فليمون (P. Philemon) في بيروت سنة 1903، وأعاد نشره الدكتور عبد الرحمن بدوي في القاهرة 1955 في مجموع **الأفلاطونية المحدثة عند العرب**.

ومن كتبه في السحر كتاب **الاستماجينس والفلكيات الكبرى** وشرح هرمس على كتابه **العلم المخزون في أسرار العالم المكتوم**.

أما الكتاب المقدس لهرمس، ولا شك في أنه كتاب منحول، فقد ظهر في **صحائف إدريس** التي أوردها المجلسي في كتابه الموسوعي **بحار الأنوار**.

وهناك أيضاً كتاب **العظة الكاملة** (*Perfect Sermon*) أو **أسكلابيوس** (*Asclepius*) التي فقد أصلها اليوناني وعثر على الترجمة اللاتينية لها. وهناك كتاب **خلاصات ستوبايوس** (Stobaeus) السبع والعشرون وهو الفيلسوف الذي عاش بين أواخر القرن الخامس وأوائل السادس.

أما في الكيمياء فيعد هرمس مؤسس الكيمياء القديمة (الخيمياء أو السيمياء) فقد ذكر برتلوت (Berthelot) جدولاً بمؤلفات في الكيمياء القديمة نسبها إلى هرمس (Berthelot 1893).

وكذلك قام شتينشنايدر (Steinschneider) بوضع جدول موسع يشمل ستة عشر كتاباً كيميائياً لهرمس مترجمة إلى العربية.

(194-187 :1897 Steinschneider)

ويمكننا العثور على آثاره السميائية في كتاب سر الخليقة لجابر ابن حيان والذي نقله إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي سلنستر دي ساسي عام 1798.

أما مؤلفات هرمس في التنجيم فكثيرة منها **كتاب السبع كواكب السيارة**. وذكرت مؤلفات هرمس في الطب والرياضيات وغيرها في المكتبة الإغريقية (1791 Biblotheca Graeca).

وهكذا تكوّن الهرمسية ديناً وعلماً وحكمة وفلسفة منظومة شاملة تمثل المعرفة القديمة انتشرت من سومر إلى مصر ثم على العالم كله وضاعت أصولها القديمة، حتى إذا ما جاء العصر الهلنستي واختلطت ثقافات الغرب بتراث الشرق ظهرت الهرمسية من جديد وأصبحت مصل المعرفة الهلنستية وأُعيدت صياغتها من جديد.

المبحث الرابع
الغنوصية

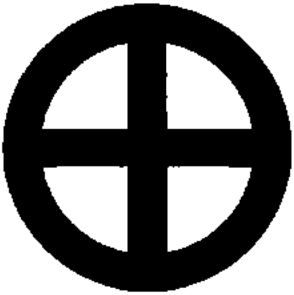

رمز الغنوصية

الغنوصية طريقة نظر وفهم خاصة للعالم والمعرفة والدين. والغنوصية كظاهرة تمتد إلى أديان الشرق القديم، أما كجهاز معرفيّ وكفلسفة ورؤيا متكاملتين فهي من نتاج العصر الهلنستي، وقد ظهرت قبل المسيحية وأثرت على الأديان السماوية الكبرى (اليهودية والمسيحية والإسلام) وكذلك على الفلسفات والعلوم منذ العصر الهلنستي ثم العصر الوسيط.

الغنوصية (Gnosticism) أي العرفانية مشتقة من الغنوص (Gnose) وهي كلمة يونانية الأصل (Gnosis) معناها المعرفة، وقد استعملت أيضاً بمعنى العلم والحكمة وتترجم إلى العربية بصيغة (العرفان) الفرق بين العرفان (Gnose) والعرفانية (Gnosticism) هو أن العرفان حالة خاصة بصفوة معينة من الناس تعني معرفة الأسرار الإلهية، أما العرفانية (الغنوصية) فهي المذاهب الدينية التي ظهرت في القرن الثاني للميلاد تحديداً والتي تدّعي أنها مشيدة على نوع من المعرفة فوق المعرفة العقلية وأسمى منها، معرفة باطنية، ليس بأمور الدين وحسب، بل أيضاً بكل ما هو سريّ وخفيّ كالسحر والتنجيم والكيمياء... إلخ (الجابري 2010: 354).

والغنوصية مفهوم ديني يرتكز على أسطورة الخلاص من الخطيئة، وذلك من

خلال المعرفة (Gnosis)، وكان لها أصولها قبل المسيحية، ولكنها انتشرت في القرن الثاني الميلادي واتخذت صوراً مسيحية ووثنيةً. المهم في هذه النظرية (من حيث اشتقاقها اللغوي) أن الخلاص فيها يتم عن طريق المعرفة أو الـ Gnosis التي اشتقت منها الغنوصية، وبالتالي فالغنوصي هو ذلك الـ Gnostikos أي (العارف أو العالم) و(الغنوصية) هي الـ Gnostike أي تلك المَلَكة (وهي الاسم المقدر Dynamis الذي يصفه هذه الصفة) المعرفية، فهذه المَلَكة المعرفية أو الطاقة المعرفية هي، كما يرى أتباعها، طريق الوصول للخلاص من الخطيئة (عبد الغني 1999: 231).

الغنوص وأصوله

ينحدر الغنوص (العرفان) من أصول شرقية بعيدة تصل إلى الديانة السومرية التي كان (دموزي) يشكل أحد أهم رموزها الروحية، وتمثل حالة اختفاء (دموزي) ونزوله إلى باطن الأرض أو العالم الأسفل (في أسطورته الشهيرة مع إنانا) أول إشارة لنزول إله أو رجل متأله مثل دموزي (الذي أصبح تموز عند الأكديين والبابليين) إلى العالم الآخر الباطني العميق والخفي كذلك تمثل أسطورة صعوده إلى العالم السماوي أول إشارة إلى العالم السماوي والرحيل إليه.

دموزي الإله الراعي في سومر

http://wordpress.danieltubau.com/?p=10768

والعرفان أو الغنوص هو عدم الإيمان بالعالم الظاهر وعدم المشاركة في العالم المنظور والإحساس بالغربة عنه، حيث يجد (العارف) نفسه غريباً عن العالم كلّه، عن الكون الذي يجد نفسه داخله ومطوقاً به، هو غريب عنه لأنه يشعر بأنه ليس منهن بأنه يختلف عنه جوهراً وطبيعة، وبالتالي فالوصف (غريب) ينسحب أيضاً على العالم وعلى القوى التي صنعته وتحكمه (الجابري 2010: 256).

ونرى أن العرفان نشأ من رفض العالم المنظور والتعلق بعالمين غير منظورين أحدهما باطني، حيث الأسرار والخفايا، والثاني سماوي، حيث الإله الواحد الذي يجب اللحاق به والاتحاد معه.

كان الإله السومري (دموزي) إله الحظائر والمراعي ثم تحول إلى إله الخصب عندما تزوج إلهة السماء (إنانا) ثم تحول إلى أحد آلهة العالم الأسفل عندما نزل فيه، وهناك ما يشير إلى صعوده إلى السماء.

ونرى أن (عبادة دموزي) كانت أصل العرفان والغنوص كحالة قائمة في الشرق القديم. ومعروف أن عبادة دموزي انتشرت في الأمم المجاورة بأسماء أخرى (تموز البابلي أدونيس الفينيقي، أوزيريس المصري، أتيس الفريجين زيونسيوس الإغريقي. . .إلخ)، وقد حملت عبادة هؤلاء الآلهة العرفان سرياً معهم في العبادات السرّية والخاصة.

ويقيناً أن الكهنة طوّروا مفهوم العرفان على مستوى الطقوس والشعائر التي ظهرت في تلك التراجيديات والكوميديات الشعائرية بمناسبة النزول إلى الأعماق أو الصعود إلى الأعالي.

ونرى أن العرفان الذي ظهر في سومر في العقيدة الديموزية بلغ ذروته وأخذ شكل الديانة والعقيدة العرفانية في عهد آخر ملك بابلي وهو نبونائيد (556-539) ق.م ويسمى أيضاً نبونيد أو نبوناهيت الذي ترك ديانة بابل الرسمية القديمة (ديانة مردوخ) وحاول إرساء ديانة أخرى بديلة عنها، كان الإله سين إله القمر أساساً لها، بل كان إلهها الوحيد، ونرى أنه كان نبياً موحداً ورث العلوم الدينية عن أمه أدد-كبي كاهنة إله القمر في حرّان.

نبونائيد (آخر ملك بابلي)

http://en.wikipedia.org/wiki/Nabonidus

وقام نبونائيد بصياغة عقيدته الجديدة بعد تأمل طويل في عقائد سومر وبابل القديمة وتوصل إلى أن الخلاص لا يتم إلا بتنقية النفوس والإيمان العميق بالروح الإلهي داخل الإنسان وتتبع مسراه حتى العودة به إلى خالقه الأعلى والابتعاد عن الطقوس الشكلية لجمهرات الآلهة المتعددة، وكانت عقيدة دموزي (تموز) قد نضجت على يده في صيغة هبوط وصعود للنفس البشرية من أجل الخلاص، وربما اقتبس من عقائد عبادة أوزيريس، المقابل لتموز، فأدخل العقاب والثواب والجنة والنار والحساب في ديانته. وهكذا اكتملت على يديه عقيدة تموز/ البعل/ أوزيريس.. في هيكل قمري ينبضُ بالأنوثة ويذكر بالديانة الأمومية وجعلها بسيطة خاليةً من الآلهة المتناسلة، حيث الإله الأب (القمر) الذي يرسل ابنه الإله المخلّص (تموز) أو (الابن) لينذر البشر ويقصّ عليهم قصة الخلق والميعاد أو الهبوط والصعود ويخلص أرواحهم من أجسادهم الفانية... أي إنه طرح مفهوم خلود الجسد المصري جانباً، وأخذ بمفهوم خلود الروح الرافديني، ولكن في بناء إسكاتولوجي مصري.

لكن هذا الملك النبي لاقى مقاومة شديدة من قبل كهنة مردوخ والديانة البابلية الرسمية ووجد صدى لعقيدته عند أسرى يهوذا في بابل، ونرى أن العقيدة اليهوذية تحولت إلى عقيدة يهودية بفعل تلاقحها مع تعاليم نبونائيد العرفانية. . . أما نبونائيد نفسه فقد قام بالتبشير بديانته خارج وادي الرافدين فذهب إلى حرّان (التي كانت معقل الهرمسية)، ثم ذهب إلى سوريا الشمالية والجنوبية ووصل إلى شبه جزيرة سيناء في مصر، ثم توجه باتجاه جزيرة العرب نحو واحدة تيماء وجعلها عاصمة دينية له، وكلّف ولده (بلشازار) بحكم بابل نيابة عنه. كانت تيماء قريبة من الحجاز وتلقت دعوته وأصبحت مع بلاد فلسطين مركزاً لنشر دعوته العرفانية.

انتشرت دعوته في جزيرة العرب عند ترحاله إلى مدن يثرب وخيبر وددان وتخبرنا الآثار عن وجود عدة معابد أنشأها هناك.

وعندما سقطت بابل على يد كورش الفارسي الأخميني (539 ق.م) أُسر نبونائيد ورُحِّل إلى بلاد فارس، لكنه استطاع أن يفرّ من الأسر ويعود إلى جزيرة العرب ليواصل دعوته هناك.

ونرى أن الدعوة العرفانية التي قام بها نبونائيد استمرت بعد وفاته، وظهرت في نزعات ومذاهب التوحيد في جزيرة العرب وفي العراق والشام. وستكشف الآثار والبحوث التاريخية عن أهمية هذا الرجل ودعوته ذات يوم.

لقد عبّر العرفان عن نفسه في محاولة الخلاص التي شبّعت العقائد والمذاهب الشرقية القديمة السرّية منها بشكل خاص عن طريق تلك الطقوس الغامضة التي كان يخضع لها المتعبدون ويمارسونها.

الغنوصية وأصولها

العرفانية (الغنوصية) رؤية خاصة للعالم مبنية على أساس معرفي محكم، حيث ترى العرفانية أن العرفان الحق لا يتم من خلال العلم الظاهري أو الفلسفة حيث الاستدلال والمعاني المجردة، وإنما من خلال معرفة النفس لذاتها ولأصلها السماوي ولطريق تخلصها من المادة والجسد وطريق عودتها إلى الله والاتحاد معه، لأنها جزءٌ إلهي في الإنسان.

مكتبة الفكر الجديد

إذن، هي معرفة النفس لأصلها وخلقها ومبدأها ومعادها، وهذا النوع من المعرفة خاصٌ جداً لا يعرفه أو لا يحصل عليه إلا أولئك الذين اختارهم الله وهم صفوة من الروحانيين الذي يختلفون عن النفسانيين أصحاب النفوس الفقيرة والجسمانيين أصحاب الشهوات الجسدية.

ولا تحصل هذه المعرفة عبر تدرج معرفي وتعلمّ متسلسل، وإنما تحصل في النفس عن طريق الكشف والإلهام.

ويكون مطلب (العارف) هو توظيف الدين والمعارف الدينية للدفع بالموقف العرفاني إلى أقصى مداه إلى طلب الخلود، إلى الرجوع إلى موطنه الأصلي، ويرى بأن هذا (السقوط، الذي أصابه، والذي يتمثل في مغادرته عالم الخلود والارتماء في هذا العالم المملوء شراً، لا بد أن يكون نتيجة لذنبٍ، نتيجة لخطيئة، ولذلك لا بد من العمل من أجل الخلاص وهكذا يزداد شوقاً وحنيناً إلى العودة إلى حاله الأصلية. إنه يتصور (البعث والنشور) على أنه رجوع إلى حال سابقة سامية، حال من الحرية الكاملة، حال ينزع فيها عنه ثيابه وكل ما يشدّه إلى هذا العالم ليعود إلى الحال التي كان عليها قبل ميلاده، لا قبل تكونه الجسماني. إنها (النشأة الأخرى (Regeneration) أو الميلاد الجديد (Renaissance) إنه المعاد) (الجابري 2010: 257).

ونرى أن نبونائيد اعتمد في عقيدته العرفانية على الهيكل الهرمسي الذي يمثل القمر أساساً له (وليس الشمس كما الهرمسية اليونانية)، وهو ما تركه في أهمية هذا الإله في مصر، وكيف شكل تحوت (إله القمر المصري وهو إله المعرفة والحكمة) أساس البرديات الهرمسية قبل العصر الهلنستي، حتى إذا ما جاء العصر الهلنستي وطغت الفلسفة الهيلينية الممزوجة بالأديان الشرقية ظهرت المدونات الهرمسية والعرفانية المهجنة بين الهيلينية والمصرية وأهمها على الإطلاق مدونة (هرمس تحوت أو هرمس طوط) التي هي أصل المدونة الهرمسية بوامندريس.

العرفانية إذن ذات جذور بعيدة قد يكون أبعدها العرفان السومري، لكن نبونائيد هو الذي صاغ النظرية العرفانية (الهرمسية القمرية أو الهرمسية السينية)، ثم ظهرت الفلسفة العرفانية الهلنستية، وبينهما تمّ ظهور دين عرفاني مهم هو (المندائية) الذي قام بربط العرفان النبونائيدي مع العرفان الهلنستي.

والمندائية ديانة غنوصية (مندا تعني عرفان أو معرفة في اللغة الآرامية) ظهرت في جنوب العراق وهي ذات جذور قديمة لكن الصياغة الغنوصية لها حصلت بعد نبونائيد.

وفي العصر الهلنستي كانت الغنوصية قد أخذت شكلها النهائي وجمعت، هي الأخرى، بين أديان الشرق القديمة والفلسفة الهيلينية، ونرى أنها (أي الغنوصية الهلنستية) كانت الرحم الذي ظهرت منه المسيحية خصوصاً في عقائد الخلاص اللاهوتية وأقانيمها الثلاثة. مثلما ظهرت اليهودية من (الغنوصية النبونائيدية) إبان الأسر البابلي لأهل يهوذا.

أما الأصل الهيليني الذي أسهم في صياغة الغنوصية صياغة هلنستية فنعثر عليه عند أفلاطون (الذي ترجع فلسفته المثالية إلى أصول هرمسية فيثاغورية).

مكونات الغنوصية

قالت الغنوصية إن العالم والجنس البشري ظهرا نتيجة لخطأ فادح ومشؤوم. فالله لم يخلقنا ولم يرد لنا أن نُخلق... بل نحن من صنع إله وضيع، هو ذلك الخالق للكون الذي يعتقد في نفسه خطأ أنه إله، ونحن محكوم علينا بالفناء ولكن الله بالرغم من كونه ليس مسؤولاً عن وجودنا، أخذته الشفقة بالكون وأرسل مسيحه ليبطل جهل هذا الخالق، وليهبنا المعرفة.

فالمسيح هو الصلة بين الإلهي وذلك الخطأ التعس المسمى بالإنسان، ودار الغنوصيون حول هذه الفكرة، سيرينثس الذي تعلم في الإسكندرية قال: إن يسوع كان إنساناً، أما المسيح فهو الروح التي غادرته عند الوفاة، باسيليدس - وهو زائر سوري- قال: إنه كانت هناك ثلاث شرائع وهي ما قبل اليهودية واليهودية والمسيحية. وكان لكل حاكم من حكام هذه الشرائع ابن، وهذا الابن كان يدرك عن الله أكثر مما كان يدركه أبوه. فالأوفيتيون عبدوا الثعابين لأن الأفعى في عدن كانت حقاً رسولاً من الله وهي التي دفعت حواء لتعصي خالق الكون يهوه، وبالتالي إذا رغبنا في أن نكون طيبين فعلينا أن نكون خطاة... (فورستر 2000: 116).

ظهرت الصياغة الهلنستية للفلسفة الغنوصية قبل ظهور المسيحية وتناولت ثلاث مشكلات أساسية سنطرحها هنا بإيجاز:

1. **مشكلة الشر في العالم**: كما قلنا في الفقرة السابقة قام اكسنوقراطيس بتطوير فكرة الإله (الواحد) أو الخير المحض وشطره إلى إلهين؛ الأعلى هو (الواحد) المبرأ من الدنس وهو الخير المحض، والذي بعده وهو بمثابة ابنه هو (الاثنين) وهو المشوب بالشر الأقل كمالاً وينسب له صنع المادة.

قام الفلاسفة الغنوصيون بتطوير هذه الفكرة ووضعوا هيكلاً فلسفياً فسروا من خلاله مبدأ التكوين والخلق فلسفياً، وتكوّن تشكيل هذا الهيكل الفلسفي الغنوصي كما يلي:

1. الهيكل الغنوصي الأول

استقر الهيكل الغنوصي الأول على أساس وجود ثلاث مراتب فيه، هي:

1. الإله المتعالي الواحد (العقل الأول): وهو الإله المنزّه الذي لا علاقة له بالعالم (لم يخلق العالم)، وهو الخير المحض اللامدرك السكون الرؤوف الرحيم، وهو الهاوية، وهو ذكر وأنثى معاً.

2. الإله الصانع (العقل الكلي): وهو الذي ولده من ذاته الإله المتعالي الواحد ليقوم بصنع العالم وهو إله مشوب بالنقص ويعتبر مصدر الشر، ولذلك فهو إله شديد العقاب.

3. المادة الأزلية: التي هي الشرّ كله وهي من صنع الإله الصانع والإنسان ينغمس فيها، حيث الإنسان روح إلهية من العقل الأول، لكنها موضوعة في جسد مادي ومحبوسة فيه، أي إنها خير داخل سجن من الشر.

ويقيناً إن هذا الهيكل الثلاثي يشبه إلى حد كبير ذلك الهيكل الثلاثي الميثولوجي الذي انتهت له كل أنساب الآلهة الشرقية القديمة؛ المصرية والكنعانية والآرامية التي وصلت إلى مشارف العصر الهلنستي بهذا الإيقاع الثلاثي، رغم أن هذا الثالوث الإلهي الشرقي كان مركباً بصيغة أخرى وهي (الأب والزوجة والابن) باستثناء الثالوث الآرامي الذي كان مركباً من (سيميون وسيما وسوما)، حيث سيميون الأب البحري وسيما وسوما أقنومان ذكري وأنثوي ربما مثّلا الجسد والروح. . .

أما فكرة الإله الأب المتعالي وابنه الشاب الصانع فقد كانت من أكثر الأمور شيوعاً في الميثولوجيا الشرقية.

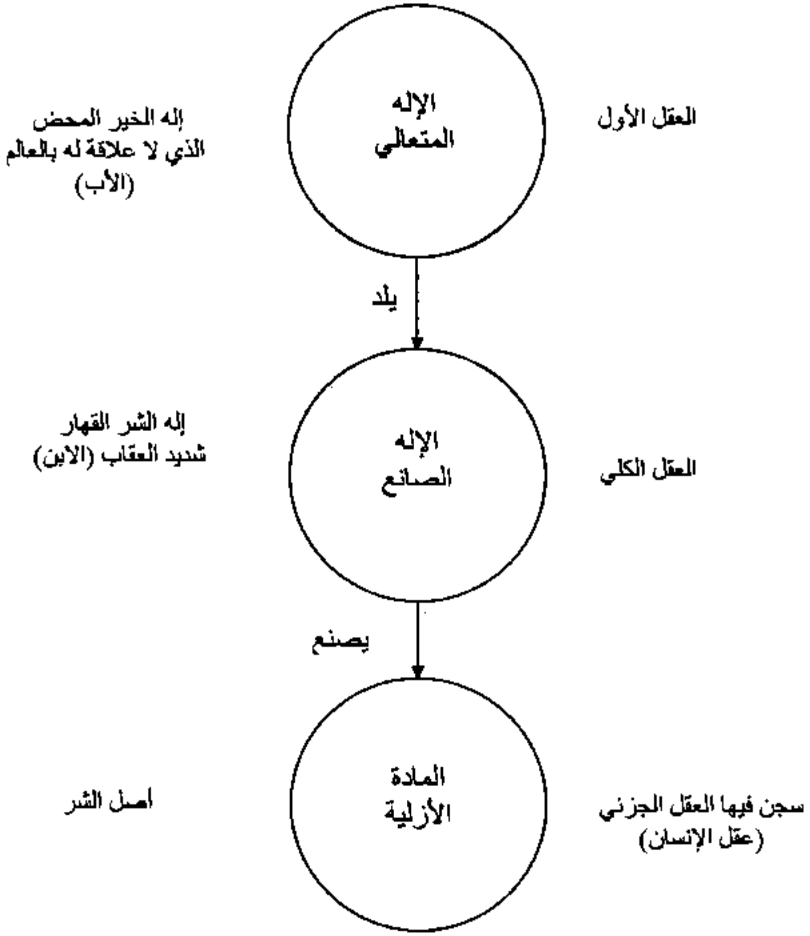

الهيكل الغنوصي الأول

2. مشكلة الخلاص

قلنا في فقرات سابقة إن جميع الأديان والعقائد والمذاهب السرية نشأت بسبب مشكلة الخلاص سواء في الحياة أو الموت، ورأينا كيف أن مشكلة الخلاص بعد الموت قد سيطرت على العقائد الإسكاتولوجية المصرية ثم العقائد الشرقية والإغريقية القديمة السرّية الطابع.

ولا شك في أن الغنوصية كانت قد نشأت أولاً بسبب فكرة الخلاص أيضاً (خلاص دموزي من العالم الأسفل)... ولكنها مع الصياغة الهلنستية كانت قد توصلت إلى أفكار جديدة تماماً.

ولكي تكتمل فكرة الخلاص الغنوصي لا بد من وضع هيكل تفصيلي للغنوصية في المبدأ والمعاد يكون قادراً على تفسير الخلاص فلسفياً، ولأجل تحقيق هذا استعانت الغنوصية بالهيكل الهرمسي الذي وضعته الهرمسية البابلية، حيث يقول سيرجي هوتن «لقد أخذ العرفانيون من البابليين الأسطورة التنجيمية الكبرى (Le grand mythe astrologique) الخاصة بهبوط النفس وصعودها: النفس تهبط من السماء العليا عبر الدوائر الفلكية السبع فتتلقى في كل منها استعدادات خاصة، وبعد الموت تتم العملية العكسية فتصعد النفوس تاركة في كل دائرة فلكية ما سبق أن أخذته منها. أما فكرة المخلّص الذي يخلص نفسه (Le sauveur sauvé)، المنقذ الذي ينقذ أجزاءه النورانية المشتتة في المخلوقات الدنيا (الجسم، المحسوسات) وهو بذلك ينقذ نفسه، هذه الفكرة أصلها إيراني» (Hutin 1959: 83).

وكان هذا الأمر يستدعي تعديلاً أو تفصيلاً في الهيكل الغنوصي الأول الذي كان مصدره المباشر أفلاطوني محوّر. وبالعودة إلى الهيكل الهرمسي نجد أن هناك أربعة مقامات للعقل الأول (الأب) والثانية للعقل «الثاني» (العقل الصانع + الإنسان السماوي) ثم الإنسان (النفس) ثم المادة. وهكذا ظهر الهيكل الغنوصي مختلفاً عن الهيكل القديم والهيكل الهرمسي:

1. العقل الأول (الواحد، الخير، النور) وصفة النور هذه مصدرها هرمسي.

2. الأيونات والأراكنة (الأركونات) وهي أرواح إلهية تصدر عن العقل الأول زوجاً فزوجاً (ذكراً وأنثى)، متضائلة في الألوهية كلما ابتعدت عن المصدر، ويمكن

القول إن هذه الأيونات تشكل ما يقابل (العقل الصانع)، وكانت تعتبر بمثابة آلهة الكواكب أو الكواكب نفسها، وكان بعضهم يسميها الكلمات والبعض يجمعها في (الكلمة)، ويسميها فيلون الإسكندري بالملائكة أو القوات وغيرهم يسميها الجنّ وغيرهم يسميها الوسطاء (ويروي الغنوصيون عنهم قصصاً غامضة وغريبة).

3. وقد حاول أحد الأيونات (الأركونات) أن يرتفع إلى مستوى العقل الأول (الله) فطرد من العالم المعقول وعن هذا (الأيون الخاطئ) صدرت أرواح شريرة مثله ثم صدرت المادة أو العالم المحسوس.

4. قام الأيون الخاطئ بحبس النفوس البشرية (الصادرة من الأيونات الصالحة، داخل المادة وهي الأجساد وهكذا خُلق الإنسان).

5. أصبحت هذه النفوس تتوق للخلاص من سجنها الجسدي وذلك بالتطلع إلى الكواكب ودحر الشهوات الجسدية والتحرر منها وحرب الشياطين والشر، ثم الالتحاق بالأيونات ثم بالعقل الأول، وهذا هو طريق الخلاص الغنوصي.

ويقسم الغنوصيون الناس إلى ثلاث طوائف «متمايزة بالطبيعة لا بالنية والإرادة فحسب: الطائفة الأولى هم الروحيون وهم من أصل إلهي يكفل لهم النجاة، أولئك هم الغنوصيون صفوة البشر، والطائف الثانية الماديون المركبون من المادة، وهي التي تعوقهم عن الصعود فوق العالم السفلي، والطائفة الثالثة الحيوانيون وهم الذين يؤلفون طبقة وسطى قابلة للارتفاع والسقوط، للنجاة والهلاك... ووسيلة النجاة قهر الجسم وإطراح كل ما يثقل النفس ويمنعها من بلوغ المقر الروحاني النوراني الذي هبطت منه» (كرم د.ت: 244-245).

3. الظاهر والباطن

المبدأ الثالث من مبادئ الغنوصية، يترتب على تصنيفها الأخير للناس فعامة الناس من الماديين والنفسانيين يأخذون المعرفة من العلوم الظاهرة كالفلسفة والعلم التجريبي أما خاصة الناس من الروحانيين الغنوصيين فيأخذون بالعلم العرفاني الذي هو العلم الباطني.

والعلم الظاهر هو الأخذ بالأشياء والظواهر والنصوص كما هي ويتم تلقي هذا العلم بالخطوات التعليمية التدريجية. أما العلم الباطن فهو الغوص في أعماق الأشياء

والظواهر والنصوص وكشف أسرارها الحقيقية (لا معانيها الظاهرة) ويتم تلقي هذا العلم بالكشف والإشراق المفاجئ في الألباب والقلوب... وسرّ هذا الكشف سببه أن النفس أو الروح الغنوصية أو الباطنية الطابع تتلقف بسرعة وبنوعٍ من الومض أسرار المعرفة الإلهية (بشكل خاص) لأنها مصنوعة من مادة روحية خفيفة مرتبطة بالله أو بالعقل الأول.

وهذه النفوس في تشوق متبادل مع الله هي تريده وتريد معرفته وهو يريدها ويريد جذبها ولذلك تختفي الحواجز بينهما، ويمكن تفسير فكرة الوحي على هذا الأساس، فالنفوس الشفافة الإلهية الطابع هي القادرة على تلقي الوحي بدرجة أعلى بكثير من النفوس المادية الظلامية الطابع المكبلة بلذاتها وماديتها.

شفافية النفوس الخاصة هي التي تصلها بالله مباشرة، وأحياناً عن طريق الوحي (عند الأنبياء مثلاً). أما أصحاب النفوس المظلمة الهابطة في المادة فلا تتطلع إلى الله بل تعرفه معرفة العابر وتسحبها دونيتها إلى المادة والملذات والشر والشيطان والعالم الأسفل.

يرى البعض أن الغنوصية رغم ابتكارها لنظام روحي جديد، إلا أنها انجرفت في جدل عقيم وتناظر هندسي مرهق في أشكال الأيونات والأرخونات وحركتهما، ويصف مؤرخ الفلسفة إميل برهييه ذلك بالهذيان.

حسبنا أن نقرأ هذا الهذاء الذي يرهن مصير الإنسان بمشاحنة زوجية، ميتافيزيقية، حتى ندرك كم تختلف ذرية الأيونات، تلك الموجودات الأزلية المتولدة عن أزواج من الآلهة، كما تصفها الغنوصية، عن ذرية الأقانيم الأفلوطينية، وكم يبعد هذا الفداء الذي تكون فيه النفس غنيمة تتنازع عليها القوى المصطرعة (تصور شعبي سيعمر طويلاً في الحكايات الخرافية) عن الخلاص الأفلوطيني (هذا إن جاز بعد أن نطلق اسم الخلاص على ما لا يعدو أن يكون معرفة متبصرة بنظام عقلاني).
على هذا النحو نرى الغنوصية التي تمخضت من جهة أولى عن خرافات وحكايا أسطورية تتسع لجميع الصور الدينية التي تسكن عقل الشرقي، ومن جهة ثانية عن عبادات وممارسات تطيرية ترامت أنصابها وآثارها على امتداد الإمبراطورية الرومانية، نراها لا تعقد إلا صلات غير مباشرة بتاريخ الفلسفة (برهييه ج2 1988: 310).

مكتبة الفكر الجديد

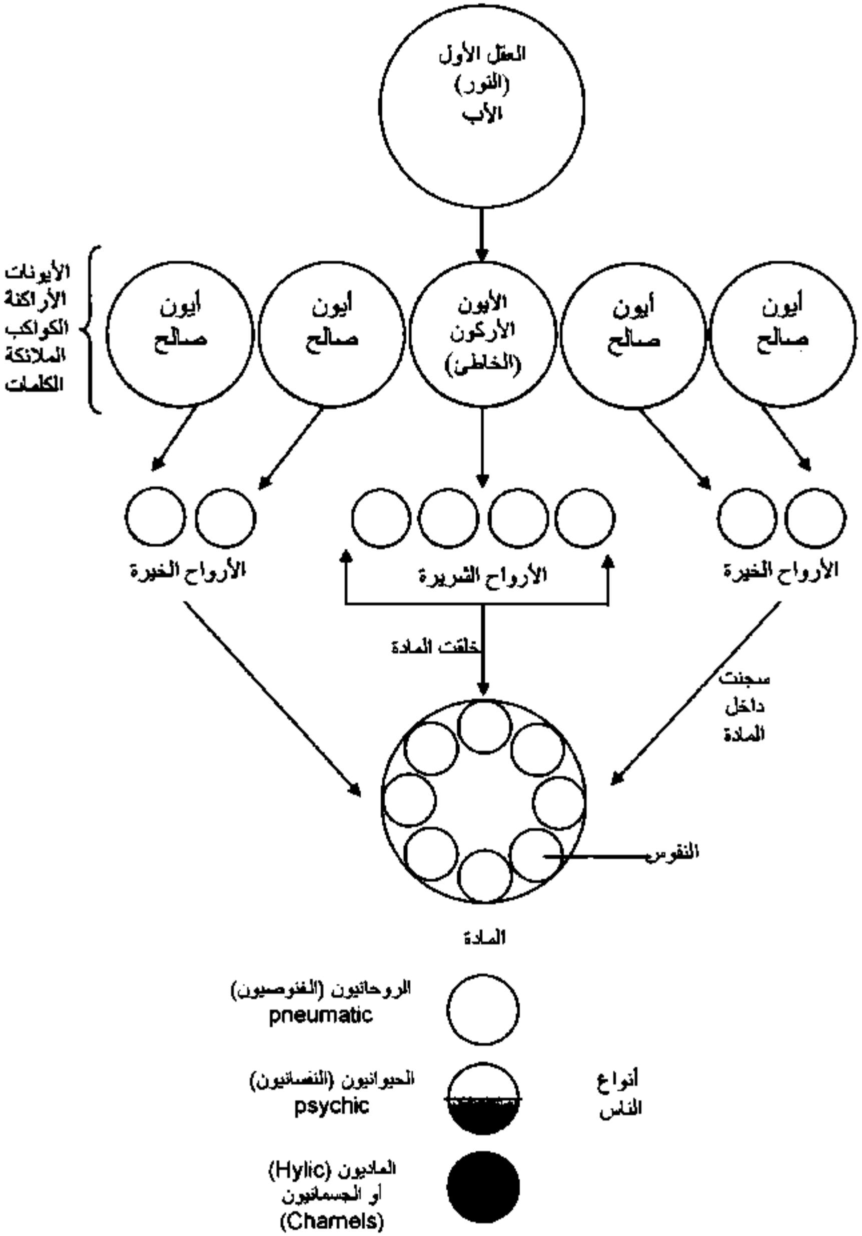

الهيكل الغنوصي المفصّل

المبحث الخامس
تاريخ الغنوصية القديمة

1. الغنوصية العتيقة (الوثنية)

ما زالت الآراء متضاربة في وجود أو عدم وجود غنوصية وثنية، فهناك شبه إجماع يقول بأن الغنوصية نشأت مع بداية المسيحية، بل إنها أصل المسيحية كما نرى.

لكننا نقول، في أكثر من مكانٍ ومناسبةٍ، إن الغنوصية كفكرةٍ موجودة في الأديان الشرقية القديمة، فالأديان الرافدينية حفلت بها وهي في باطن الأساطير. إن الدين السومري الذي يرى في دموزي الإله الذي ينزل إلى باطن الأرض في الخريف والشتاء (في العالم الأسفل) ويصعد إلى الأرض في الربيع والصيف يشكل دورة نزول وصعود الروح (النفس)، حيث يتجلى ذلك في صعود قطرة الماء على شكل دامو في نسغ النباتات.

وتكتمل الصورة الدائرية سماوياً عندما نجد ديموزي (تموز) ونظيره ننكشزيدا وهما في السماء قرب (آن) (انظر أسطورة آدابا).

هذه الدورة السماوية الأرضية السفلية للإله دموزي هي دورة الروح (النفس) التي منها انطلقت فكرة الصعود والهبوط (أو البدء والمعاد) الهرمسية لاحقاً والتي شكّلت أساس الفكر الغنوصي.

وفي إيران نجد خيوطاً أخرى من الغنوصية تكمن في إله النور (الخير) وهو أهورامزدا أي الإله الأعلى وإله الظلام (الشر) أهريمان وهو الإله الأسفل وبمثابة الشيطان ويدور صراع بينهما حتى ينتصر إله النور. وهذه الثنائية بوجود إله أعلى (خيّر) وإله أسفل منه (شرير) سنجد صداها في النظام الغنوصي المتطور لاحقاً.

وفي الشرق الأقصى شكّلت فكرة ونظام (بوذا) مصدراً من مصادر الغنوصية وستلهم سيرة بوذا كتّاب سيرة المسيح المنتظر في صياغة غنوصية واضحة.

كل هذه المصادر كانت خيوطاً متناثرة للغنوصية الوثنية.

مكتبة الفكر الجديد

لكن الصياغة الأولى لهذه الغنوصية الوثنية (الشرقية) جاءت من اليونان على يد أفلاطون الذي كان مطّلعاً على التراث الديني الشرقي والذي ألهمه فلسفته.

في المرحلة الأولى لفلسفة أفلاطون، تكون معرفة الإله بتطهير النفس من أدران البدن، وسلطان الحس والخيال. يبلغ الفيلسوف هذه المعرفة، بفضل جدل صاعد يترك فيه العالم المحسوس، ويرقى إلى مثل هذا العالم ومبادئه العليا في صورها الرياضية والميتافيزيقية، مبتعداً عن المحسوسات، وعن العالم الواقعي المحسوس، وما فيه من حركة وتغير مستمرين، فيصل إلى ما وراء المثل ذاتها، إلى مبدئها الأسمى وأصلها المطلق، إلى الخير، إلى «الواحد»، حيث تستقر النفس وتثبت ثبوتاً نهائياً (بلدي 1962: 62-63).

ثم تطور موقف أفلاطون وأدرك أنه يجب معرفة الإله من العالم ذاته وهي محاولة لإنشاء دين عالمي يهتم بالعالم ليرقى إلى الإله. واهتدى شيئاً فشيئاً إلى أن الروح (النفس) هي القوة الكبرى في هذا الوجود وهي التي تربط العالم الغيبي مع العالم المادي، فهي حاضرة كلياً في العالم الغيبي الميتافيزيقي، والنفس البشرية، ومن يمثلها، حاضرة في العالم المادي. وهكذا اهتدى أفلاطون إلى وضع أسس دين فلسفي عالمي، فهو يقول في محاورة **طيماوس**: وهو ما يؤيد ظننا بأن أفلاطون كان بمثابة النبي الفلسفي (غير المرسل)، وقد أثرت صورة هذا الإله الأفلاطوني في أرسطو (كدين فلكي سماوي فلسفي) ثم في مدرسة الإسكندرية في العصر الهلنستي.

فبعد أن أنشأ أفلاطون نظامه الفلسفي المثالي في أكاديمية أثينا وبعد أن توفي تولى أمر الأكاديمية الأفلاطونية إسبوسيبوس، ثم تولاها أكسانوقراطيس وقام هذا الأخير، بشكل خاص، بتحويل فلسفة أفلاطون إلى رياضيات وأدخل عليها تأويلاً ثنائياً، حيث قام بتطوير فكرة أفلاطون عن الإله (الواحد) الذي كان كله خيراً محضاً، أما الشر فكان ينتج عن خطيئة في النفس ارتكبتها في حياتها الأولى فقال أكسانوقراطيس (ربما بتأثير الثنوية الفارسية عن إلهي الخير والشر) بأن الإله الواحد الخير أنجب إلهاً هو الإله (الصانع) الذي يشوبه نقص قياساً بالإله الواحد (حيث كان أفلاطون يرى أن الكمال أول والنقص تضاؤله)، وأن هذا الإله الثاني هو الذي صنع العالم والنفس اللذان يشوبهما النقص، وهكذا جعل أكسانوقراطيس مبدأين أولين:

أحدهما خير هو (الواحد) والآخر فيه نقص فهو مصدر الشر وهو (الثاني). وهكذا وضع الله (الواحد) في مكان قصي ونزهه عن المادة... وقال إن النفس لا تدركه بالتدرج بل بالإشراق المفاجئ.

هذا التطوير الإكسانوقراطي كان الجذر المناسب الذي تتحور فيه الأفلاطونية لتتناسب مع الغنوصية الشرقية. وينتج عنهما النظام الغنوصي الهلنستي.

يضاف إلى ذلك الأصل الفارسي الذي ظهر في عقائد الثنوية المزدية ثم الزرادشتية التي تقول بإلهي الخير والشر ويمسك بناءها النظام الهرمسي.

كل هذه الأصول انحدرت من الماضي لتتفاعل مع بعضها في بوتقة العصر الهلنستي الجامع لعقائد الأمم الشرقية والغربية، ومن كل هذا تظهر الغنوصية الهلنستية التي كانت ذروة العقائد الغنوصية.

هكذا نقل أفلاطون ثم أرسطو الفكر الديني للمدينة الإغريقية إلى فكر ديني عالمي (عن طريق الفلسفة)، وسيكون لهذا الفعل صداه الكبير عندما يعلّم أرسطو تلميذه الإسكندر المقدوني وعندما يفرش هذا الأخير الأرضية لنشوء دين عالمي جديد يتمخّض عن حركة التوحيد التي تبدأ فلسفيةً ثم تنشأ غنوصيةً ثم تعود أدراجها شرقيةً ينتج عنها يهوديةً موحدة (وليس تفريدية كما كانت)، ثم مسيحية موحدة (غنوصية ثم ثائرة على الغنوصية)، وإسلاماً توحيدياً خالصاً ورافضاً للأصول الفلسفية للتوحيد.

وهكذا مهد الإسكندر بفتوحاته إلى تحول فكري حقيقي سيصل إلى ظهور أديان توحيدية في الشرق وإلى فكرة المدينة العالمية والدين العالمي في الفلسفة الرواقية في الغرب والإسكندرية.

وإذا كان أفلاطون وسلالته قد أعطوا البذور الأولى للصياغة الغنوصية فلا شك في أن (الهرمسية) بصيغتها المصرية الإغريقية هي التي أعطت الغنوصية هيكلها الروحي المعروف. لكن ما بين أيدينا من نصوص هرمسية يعود أقدمها إلى القرن الميلادي الثاني وهي فترة بدأت فيها الغنوصية المسيحية بالظهور، إذن لا بد من البحث في جذور أبعد من ذلك.

إن نصوص التنجيم والخيمياء المصرية والرافدينية هي الأقرب إلى أن تكون

المادة الأولية للهرمسية الشرقية والتي أعاد صياغتها الإغريق ليعطوا الهرمسية هيكلاً واضحاً وخصوصاً فيثاغورث ثم زوسيموس. والهرمسية سابقة لأفلوطين، وقد راجعنا في الفصول السابقة تفاصيل الهرمسية الهلنستية.

2. الغنوصية الهلنستية المبكرة

ظهرت قبيل المسيحية، سواء من خلال اليهودية أو غيرها، وكانت غنوصية متفرقة اهتم بعضها بموضوعات متعلقة بموضوعات في العهد القديم مثل (آدم، شيث) وهناك نوريا (Norea) التي يعتقد أنها أبون آدم أو زوجة نوح أو ابنة حواء والتي اعتبرت بمثابة صوفيا (الحكمة) التي سقطت من العالم الروحي وأسست العالم المادي وهي شخصية غنوصية توراتية.

وقد تكونت، بالإجمال، مجموعة من الرؤى الغنوصية لموضوعات توراتية منها ما يخص التكوين أو الآباء الأوائل أو الطوفان.

وكان ظهور يوحنّا المعمدان في القرن الميلادي الأول كمعلم من معلمي الحق أو كنبيّ معمداني خارج على الطرق اليهودية أو كعضو في فرقة أسينية أو كزعيم للمندائيين أثره الكبير على انتعاش الفكر الغنوصي ونموه.

وهناك أيضاً أشخاص مهمون غيره مثل باركوبا (باركوف (Barcoph)) وباركبّاس (Barkabas) اللذين ذكرا من قبل باسليدس وإبيفانوس، وهناك أيضاً الكتاربوكراتيون وهم نحلةٌ فيثاغورية وأفلاطونية.

وهناك الكثير من الآراء حول المسيح المنتظر وكتابات فيلون ونصوص زرادشت ومدونة هرمس مثلث العظمة (الهرمسية)، فضلاً عن النزعة الروحية للمعتقدات السارية التي كانت قد بدأت منذ أورفيوس ونحلته مروراً بفيثاغورس.

كل هذه الأمور أدّت دوراً في تهيئة المناخ لظهور الغنوصية المبكرة كنظام روحي جديد سيكون له الشأن الكبير في صياغة الديانة المسيحية بشكل خاص.

3. الغنوصية المسيحية في القرون الميلادية الأولى

كان الجو الغنوصي قد ملأ الأوساط الاجتماعية والروحية والثقافية مع القرن

الميلادي الأول وكان الكثيرون (ربما بلغو 12 شخصاً) قد ادّعوا في هذه الفترة أنهم المسيح المنتظر (ماشيح أو مشيّا) الذي بشرت به التوراة أو خارج ذلك.

وحين ظهر المسيح (يسوع) كان يبدو كما لو أنه قائد للغنوصيين، وكذلك للرسل مثل توماس الرسول (Thomas the Apostle) (الذي يعني اسمه في الآرامية التوأم - توما-) وكان أحد الحواريين الاثني عشر للمسيح والذي سافر، في ما بعد، خارج الإمبراطورية الرومانية ونشر المسيحية في الهند.

وتعتبر مريم المجدلية أحد مظاهر الغنوصية المسيحية المبكرة كما جاء في (إنجيل مريم). ويعتقد أن هناك مؤثرات غنوصية واضحة في تعاليم ورسائل بولس، وكذلك تلميذه (ثيودس) في القرن الميلادي الأول.

والنيقولائيون (Nicolaitans) ينظر إليهم كذلك كغنوصيين وهم أتباع نيقولا الأنطاكي وإيزابيل الثياتيرية.

وفي القرن الميلادي الثاني ظهرت مدارس غنوصية تلبست بالمسيحية مثل الشيثيون (Sethians) وظهر فلانتينوس وفرقته الفلانتينتية وهو فيلسوف غنوصي مسيحي، وقبله كان قد ظهر سرنثيوس وباسليدس وبعده مرقيون.

وفي القرن الثالث ظهر النبي ماني في بابل وأسس الديانة المانوية المتأثرة بالمندائية والبوذية والزرادشتية والمسيحية.

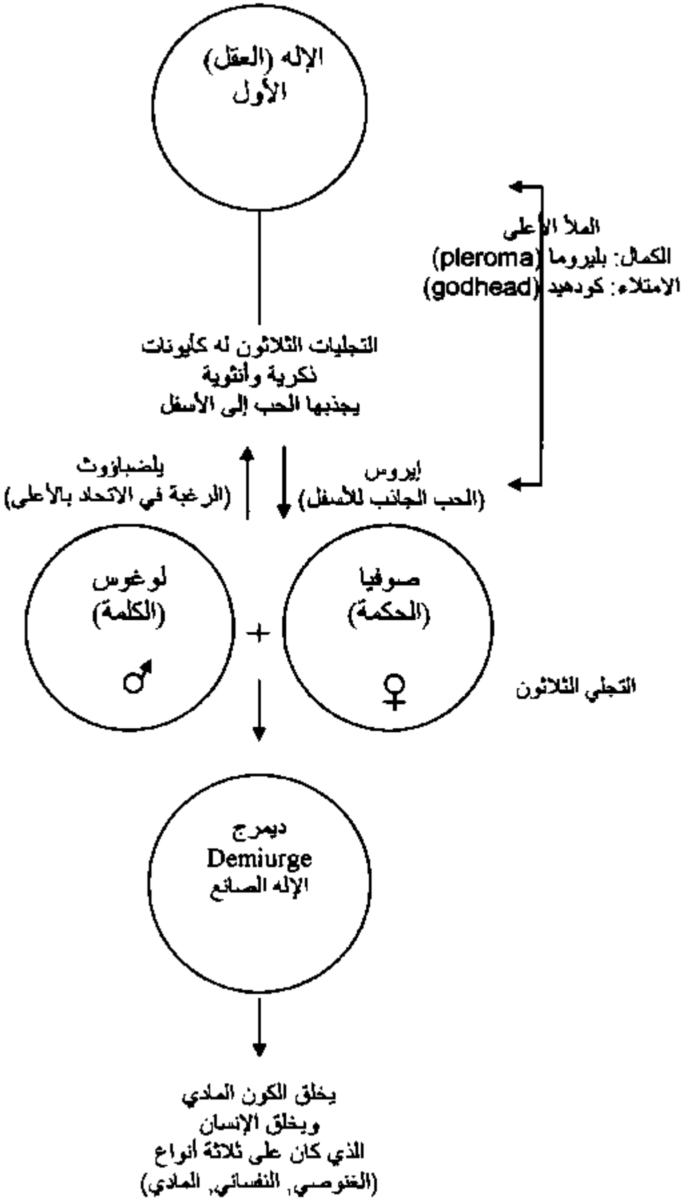

أسطورة صوفيا ولوغوس الغنوصية

4. المدارس الفكرية للغنوصية

أسس سرنثيوس (في نهاية القرن الميلادي الأول وبداية الثاني) مدرسة غنوصية ذات طابع فلسفي، وذلك عن طريق إعادة إنتاجه للأبيونية التي انتشرت كطائفة محلية مسيحية مبكرة لم تدخل عليها أفكار بولس، وقد أشار إلى (الله الأعلى) ولكنه لم يميّزه بشكل واضح من (الإله الصانع) أو الديمورج أو يهوا، وعزا له خلق العالم.

وفي القرن الثاني الميلادي أسس كاربوقراطس مدرسته الغنوصية، وكان فيها طلابه مارسلينا وابنه إيبفانيس (وهو ليس إيبفانس من سلاميس ناقد الغنوصية). وظهر كذلك باسليدس وخلفه ابنه إيزادور في حدود 150 م وسيردو وهو معلم روماني، ثم ظهر مرقيون وتلميذه أبيليس.

ورغم أن الشيثية ازدهرت في القرن الثاني لكنه ربما تكون قد نشأت وبدأت قبل ظهور المسيحية دون أن نعرف من هو مؤسسها، لكننا إذا عدنا إلى كتاب **الفلاحة النبطية** لابن وحشية، فإننا سنجد أن جذور هذه الطائفة في وادي الرافدين قديمة جداً وأن مؤسسها هو شخصية غامضة لم نتحقق من وجودها التاريخي وهو (ماسي السوراني) من مدينة (سورا) قرب بابل، حيث يرى مؤلف **الفلاحة النبطية** الأول (قوثامي) بأن ماسي السوراني هو «أحد الحكماء الكبار الأجلاء القدماء من حكام الكلدانيين الموثوق بآرائه ووفور عقله، ولي في مثله فخر، وأحب أن يحوز الفضائل كلها» (ابن وحشية: ص 1106).

وهناك ما يشير إلى ماسي السوراني كان وثنياً، ولكنه كان على علاقة مع يهود بابل خصوصاً الغنوصيين من جماعته الوثنية مع الغنوصية اليهودية كانتا على اتفاق واضح في زمن ما «على أن من الواضح أن قوثامي يلاحظ نوعاً من التحالف بين الغنوصية الشيثية الوثنية والغنوصية اليهودية التوحيدية، وحين يرى التقاءهما في الغنوصية والعرفان، فهو ينفي استمرار هذا الالتقاء لوجود تناقض بين الديانتين، والمؤكد أن التحالف بين الغنوصيات استمر طوال العهد الفرثي، ربما من القرن الثاني ق.م، حتى نهاية العصر الفرثي في منتصف القرن الميلادي الثاني، وإلى هذا التقارب يجب أن نعزو طائفة قمران التي عثر على مخطوطاتها في منطقة البحر الميت» (الغانمي 2010: 104).

مكتبة الفكر الجديد

الطوائف الغنوصية القديمة (40 طائفة)
بين (القرن الأول - القرن السادس الميلادي)

الغنوصية الرافدينية–الفارسية	الغنوصية السورية المصرية	الغنوصية اليهودية المبكرة	الغنوصية المسيحية المبكرة	الطوائف الغنوصية المتفرقة
- الشيثيون.	- القوقيون	- المركابا	- الأبيونيون	- الأبيلونيون
- الكسدانيون	- الباسيليديون	- البيرشيت	- السردونيون	- الأغابيتيون
النبط	- الشيثيون	- هيخالوت	- المراقيونيون	- أنجليسي
- المندائيون	الفاليسيون	- كنيسة الآباء	اللوقيانيون	- أنتيتاكتي
- المانويون	- الساتورنيوليون	- فيثاغوريو	الأبليكوس	- الأكواري
الديهوريون	- القوماسيون	الكرمل	- الكولورباسيون	الأرخونتيون
البانتسيزيون	- الفالنتيون	- الشافيون	- السايمونيون	- الأسكودروتيون
الأساتي	الهيراقليطيون	- اليوئيليون	- الميناندريون	- البوبوريون
الشنانج	البوتلميون	- الشيثيون	- الدوسيثيون	الكودّيون
- الصابئون		- القاينيون		ستراتيوتيتون
(السامبسيون)				الليفتيسيون
- الباردیصانيون				الفيبونيتيون
- الحرّانيون				- القاينيون
				- الكاريوكراتيون
				- سرنثيون
				الآدميون
				مارسيليون
				- ماركوسيون
				- ميساليون
				- الأوفاتيون
				الناسيوينس
				البيراتين
				- البريسنيالية
				- السكيوندیون
				- السلوقيون

وهذا يشير إلى أن الغنوصية ظهرت قبل المسيحية في الطائفة الشيثية بين نبط وادي الرافدين وأنها قد تكون سبباً في ظهور الغنوصية اليهودية في بابل. . .

وهذا ما يجعلنا نفكر أن الغنوصية كانت قد ترعرعت ونمت في وادي الرافدين أثناء العصر الفرثي وربما قبله منذ العصر السلوقي في العراق، وهو ما يجعلنا نعيد البحث عن جذورها خارج منطقة انتعاشها المسيحية في بداية القرن الميلادي الأول، وهذا يجعلنا نميل بوضوح إلى وجود غنوصية وثنية في العراق القديم امتدت بعد بابل وحوّلت بعض اليهود إلى غنوصيين يهود نقلوا غنوصيتهم إلى بلاد الشام فظهرت الغنوصية هناك مع قلّة من اليهود ثم المسيحيين وتأسست مدارسها الفكرية بين الشام والإسكندرية وروما.

5. الديانات الغنوصية

رغم أن الغنوصية أثرت في الديانات والمذاهب جميعها الوثنية واليهودية والمسيحية والإسلام وتدخلت في الفلسفة وصبغتها بلونها وظهرت علوم غنوصية كثيرة إلا أن هناك أربع ديانات غنوصية ظهرت كلها في العراق القديم (وادي الرافدين)، وهو ما يعزز افتراضنا الذي وضعناه حول نشوء الهرمسية والغنوصية في العراق القديم. . . بل ويعزز افتراضنا حول إعادة هيكلة الغنوصية (العرفانية) على يد نبونائيد الملك والكاهن البابلي الكبير والأخير.

كان العراق القديم بعد سقوط بابل قدراً هائلاً تتخمر فيه عقائد وأديان الغنوص والهرمسيات ولو أن التاريخ قيضّ للعراق آنذاك مدرسة كبرى مثل الإسكندرية في مصر، لكانت عقائد وأديان العراق والشرق (وتحديداً الشرق الأقصى) المدفونة في طيات الزمن قد ظهرت وتفاعلت وكوّنت أعظم تيارات الثقافة والمعرفة. ورغم ذلك ورغم تمزق الهوية الدينية والروحية بل والقومية للعراق القديم، لكنه أظهر لنا أربع ديانات غنوصية متميزة، ثلاث منها ظهرت قبل المسيحية وواحدة بعدها وهي (المندائية، الحرّانية، الإيزيدية، المانوية).

1. المندائية

لم تكن الديانة المندائية وليدة العصر الهلنستي، بل هي ذات جذور أبعد من هذا العصر فهي ترتبطُ بوشائج عميقة مع ديانة الأسرار السومرية، خصوصاً بعد أن اختفت الديانة السومرية، وقد بحثنا في كتابنا **جذور الديانة المندائية** عن الأصول السومرية للديانة الصابئية المندائية.

لقد ظهرت بدايات هذه الديانة في شكلها الصابئي من بقايا الديانة السومرية وعناصرها المعروفة (الهواء والماء، النور والظلام، عالم ما بعد الموت)... إلخ.

لكن الديانة الصابئية تعرضت لضغط الكثير من العقائد الدينية التي ظهرت في العراق القديم مثل الديانة البابلية والآشورية وقبلهما الأكدية ونرى أن إعادة صياغة شاملة لها تمت بعد سقوط بابل على يد عناصر كلدانية وآرامية وعلى أساس العرفانية النبوئايدية التي ظهرت منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد. ولأن هذه الصياغة تمت باللغة الآرامية وبإحدى لهاجاتها التي هي (المندائية) فقد أطلق على هذه الديانة المندائية أو الصابئية المندائية، وربما كانت العقيدة الدينية هي السبب في إطلاق تسمية المندائية، لأن كلمة (مندا) باللغة الآرامية تعني (العارف)، ولذلك يكون المندائيون هم العارفون أي العرفانيون على وجه الدقة.

وها نحنُ نجد مصطلحاً آرامياً عربياً دقيقاً للغنوصية ظهر قبل ظهور مصطلح الغنوصية اليوناني وهو مصطلح (المندائية).

إن المندائية هي الغنوصية وهي العرفانية بأدق وأكمل أشكالها، وإن من حسن حظِّ الأديان والثقافات البشرية أن هذه الطائفة العريقة ما زالت حتى يومنا هذا تمارس عقائدها وطقوسها وتعاليمها في جنوب العراق وفي الأحواز بشكل خاص.

المندائية تحتوي، في طياتها، على أقدم عقائد الغنوصية ممثلةً بالنبض السومري فيها وعلى الصياغة الغنوصية النوعية لنبونائيد ممثلة بالمندائية الآرامية... ولذلك فهي دين عرفاني خالص يمكن مشاهدته حيّاً اليوم ودراسته عن كثب والخروج منه بنتائج في غاية الأهمية عن أصل التوحيد وعن الديانات العراقية القديمة وعن المذاهب الهلنستية التي خاض بحورها حتى عبر بعدها لجج الأديان الموحدة وصولاً إلى العصر الحديث.

للمندائية لاهوت وأساطير وطقوس، كلها، ذات طبيعة غنوصية وكلها نضال ضد الشر وتوجه نحو الخير والنور وكلها توجه نحو خلاص النفس البشرية قبل الموت وبعده، من عالم الظلام (آلمي دهشوخا) باتجاه الالتحاق بعالم النور (آلمي دنهورا).

المندائية والغنوصية

قلنا، في أكثر من مكان، أن المندائية هي أصل الغنوصية وهي شكلها النيء الأول قبل أن تتحول إلى فلسفة وتيارات فكرية غلّفت العصر الهلنستي، ثم أنبتت بذرة التوحيد الذي أصبح وعاء اليهودية والمسيحية في ما بعد.

بعد سقوط بابل 539 ق.م استمرت الديانة البابلية الكلدانية ديانةً لشعوب وادي الرافدين، لكنها اختلطت بعقيدتين وفدت رياحهما قبيل سقوط بابل وبُعيده. لقد أتت الديانة اليهوذية مع أسرى السبي الأول والثاني لأهل يهوذا وكانت ديانة تفريدية وليست توحيدية، عمل في بابل الكاتب عزرا على إعادة صياغتها مع الكثير من الأحبار والكهنة الكبار المسبيين، ثم ولدت اليهودية في بابل بعد أن كانت ديانة يهوذا واحدة من تنويعات الديانة الكنعانية.

أما العقيدة الوافدة الثانية فهي الديانة الزرادشتية التي كانت، آنذاك، [illegible]

الديانات الثنوية الفارسية، والتي أصبحت ديانة الغزاة الفرس الأخ[illegible]

الرافدين والشرق الأدنى وكانت هذه الديانة تؤمن بعالمي النور والظلام وبوجود إله وإلهة على رأس كلٍّ منهما وبالصراع الدائر بينهما.

كانت الديانة البابلية الكلدانية قد تحوّلت إلى ديانة كوكبية بدت وكأنها تخرج من العالم الأسفل المظلم، حتى أن (مردوخ) كان يرمز إلى كوكب (المشتري) وابنه (نبو) إلى (عطارد) وابنته (عشتار) إلى (الزهرة)... إلخ، وهكذا وصمت الديانة البابلية بكونها ابنة الظلام، أما الديانتان الوافدتان فقد ظهرتا وكأنهما تمثلان المضاد الأكبر للديانة البابلية. فاليهودية تبنت أدوناي ويهوا ووصف الأول بأنه إله الشمس والثاني بأنه إله العاصفة والطقس والزرادشتية تبنت أهورامزدا سيد النور والشمس وأناهيت ربّة الخصوبة.

وهكذا بدأت تتقوض أركان الديانة البابلية من جهة وتتبلور الزرادشتية واليهودية من جهة أخرى. ولكن نبتاً سرياً خصباً كان ينمو تحت كل هذه الأنقاض والأديان المعلنة، وهو (المندائية) التي هي الخميرة المعتقة الأصلية لعقائد وادي الرافدين، إذ إنها تجمع في نسيجها مادة الديانتين الجديدتين فعالما النور والظلام فيها وجذور التوحيد فيها، لكنها لا تكشف عن نفسها لأنها إذا أعلنت تعاليمها وأسرارها فستموت: هكذا قرر كهنتها وعرفانيوها الكبار آنذاك.

عندما أتى الإسكندر المقدوني برياح الهيلينية إلى وادي الرافدين تخصبت عقائد وادي الرافدين بالثقافة الكلاسيكية الإغريقية، ولكنها لم تفقد خصوصيتها الروحية. فإذا كان قد طُوبق بين (زوس) الإغريق و(مردوخ) البابلي وبين (أفروديت) الإغريقية و(عشتار) البابلية، وهكذا بقية الآلهة، فإن بقية الأديان أثارت فضول الإغريق كالزرادشتية واليهودية، أما المندائية فقد كان إغواؤها كبيراً وسحرها أخاذاً، لأنها لم تكن مألوفة قط في الثقافة الإغريقية أو محيطها... وهكذا صعدت من القيعان السرية لها رائحة الدهشة، وتعرفوا لأول مرةٍ إلى شيء اسمه المندائية الذي ترجموه إلى الغنوصية، وكان يعني في الحالين (العرفان) أو (المعرفة الإلهية).. ونقلوا أفكار هذه الديانة إلى فلاسفتهم الذين نظروا إليها كديانةٍ خلاصية وناظروها مع عقائد الخصب السرية والخلاصية كالأورفية والإليوزيسية، لكن المندائية كانت تنفرد بغنوصيتها العميقة فأصبحت الفلسفة الغنوصية، بعد حوالي قرنين، واحدة من أكبر

التيارات الفلسفية الهلنستية، وتمت دراستها وإشاعتها في الإسكندرية والرها وحرّان. أما هي (المندائية) فكانت تتناسل ذاتياً في الكرخة وميسان والطيب.

من النقوش السريانية المكتشفة في المناطق المجاورة للرها نتعرف إلى أن صور العبادة البابلية وأشكالها المتأثرة بعقيدة العرفان (الغنوصية) بدأت تتخذ بالتدريج أشكالاً أكثر تجديداً. ومن الأهمية بمكان اكتشاف الحركة التوفيقية السريانية - الإغريقية فيها، إذ إن التمازج بين المصطلحات الفنية واستعارة بعضها من الإغريقية ممتع ومفيد، فهنا نجد كلمات مستعارة مثل: (Bolos) أي البرد و(Hula) أي المسألة، وناموسا (Namosa) أي الشريعة أو القانون ومثل هذه التعابير قد ازدادت أهميتها في الفترة اللاحقة (نغرين د. ت: 23).

فوجئ الإغريق أن آلهتهم ضعيفة جداً قياساً إلى آلهة الشرق الغنية المكتنزة ولم تعد محدودية المساحة التي كانت هذه الآلهة تغطيها مغريةً قياساً إلى التوسع الشامل لهم وتكوينهم لإمبرطورية عالمية فكانوا بحاجة إلى آلهةٍ أكثر تجريداً وأكثر عالمية فوجدوا ضالتهم في آلهة شرقية عريقة مثل (مردوخ وآمون وأهورامزدا والإلهة السورية ديا).

كما أن الشرق تفاعل بجدية مع الفكر الإغريقي الفلسفي بشكل خاص والعلوم الإغريقية المنظمة والواقعية وبذلك بدأت الأفكار اللاهوتية السميكة المحيطة بالفلسفة والعلم في الشرق تتقشر تدريجياً ويعاد صياغتها. فالتنجيم البابلي أصبح يتجه كثيراً نحو علم الفلك أما شحنته الفلسفية والدينية فكانت توضع في عالم الظلام المزدكي أو المندائي وتزداد من جهة أخرى المفاهيم الفكرية والذهنية للثنويات المتضادة كالخير والشر والمادة والنور والملائكة والشياطين... إلخ.

وهكذا نشأت الحركة التلفيقية أو التوفيقية (Syncretism) التي كانت سمة العصر الهلنستي المهمة فكانت عقائد الشرق والغرب تقصُّ وتقطّع وتُمنتج وهي تختلط مع بعضها حتى يُصار إلى ظهور عقائد جديدة كانت في بدايتها واضحة الخلط، لكنها سرعان ما تبلورت عن عقائد نوعية مثل الغنوصية والأفلوطينية والأبيقورية والرواقية.

وكانت الرواقية، بحق، هي سمة العصر الهلنستي الفلسفية بما احتوته من

مكتبة الفكر الجديد

تأكيدات على اللوغوس وهي الروح أو الكلمة الخالقة للكون والتي تحل في أدق التفاصيل وبشيء من صفاء النفس يمكن اكتشافه وهو يسري في داخل الإنسان وفي الكون. لكن هذه الرواقية كانت تجري كتعاليم ظاهرية وكأنها امتدادٌ للمثالية الإغريقية المخططة بروح الشرق، أما النسغ السري الباطن فكان في الغنوصية (التي كانت قد ظهرت بسبب المندائية ولكن الإغريق أعادوا تصنيعها فلسفياً)، وكان أهم ما في الغنوصية آنذاك، هو بحثها عن (الخلاص) ومحاولة تشخيصها لطبيعة (المخلص) القادم. وصارت الأفكار الخلاصية هي سمة العصر، وبدا أن هذا المخلص سيكون عالمياً وانشغل الجميع بالبحث عنه أو بصياغته وبعثه بالقوة.

كان اليهود يرون في المسيح الذي بشّر به أرميا هو المخّلص القادم، وكانت الأوساط الرسمية البابلية تنظر إلى (نبو) إله الحكمة كمخلص قادم، أما الإيرانيون فقد نظروا إلى الـ (فارقليط) كمخلص قادم والأوساط الشعبية في وادي الرافدين ما زالت تحن إلى (تموز) كمخلص أبدي، أما المندائيون على تخوم الأنهار الجنوبية في وادي الرافدين فكانوا ينظرون إلى عالم النور وإلى رسوله (مندا إد هيي) ليقوم بهذه المهمة ولم ينظروا إلى فرد بشري أو نبي ليقوم بها، لقد كانوا الأكثر مثالية بين هؤلاء جميعاً.

ولم يفز بهذه المنافسة سوى (يسوع) الذي هو عيسى بن مريم رغم ظهور أكثر من اثني عشر مدّعياً صفةَ مخلِّص. وعندما نمت المسيحية بعيداً عن اليهودية وصار لها أهلها واصطدمت أول ما اصطدمت فكرياً بالغنوصية على قاعدة الأفكار الخلاصية. فقد شعر الغنوصيون أن المسيحية سرقت أفكارهم الخلاصية فقام المسيحيون بالصراع معها من خلال طروحات جوستين (100-165 م) ثم إيرانوس (132-202) ثم هيفسبوس (150-180) في فلسطين، ثم كليمانص (150-215) في الإسكندرية ثم هيبولبتوس (170-236)... وغيرهم. كلّ هؤلاء شكلّوا الدرع الواقي للمسيحية بوجه الغنوصية. وكان من الواضح أن الغنوصية قد أثرت تأثيرات كبيرة في المسيحية وفي طريقة ظهورها الأولى.

وهكذا تضمّخت الغنوصية بروائح وشموس عصرها وبدت كما لو أنها مطبوخةً، أما المندائية فقد ظلت غنوصية نيئة تقبع في الأدراج السرية للمياه بعيدة

مكتبة الفكر الجديد

عن الظهور والتداول وضاع حقها في كونها الأم الكبرى للتيارات الغنوصية والخلاصية والباطنية التي ظهرت في المرحلة الهلنستية.

تؤكد الغنوصية على ما يلي:

1. تتم المعرفة على شكل إلهام وكشف وليس عن طريق التعلم والتحليل مثل الفلسفة والعلم، فهي تتم من خلال الرؤية المباشرة للحقيقة.

2. نوع هذه المعرفة هو معرفة إلهية وضعها الله في القلب الطاهر أو يصل إليها المؤمن بالتنزه عن المادة والشر.

3. هناك أسرارٌ خفية لا يعرفها إلا العرفانيون (الغنوصيون) هي التي تنير لصاحبها طريق الخلاص وتمكنه من التغلب على القوى الشريرة.

4. أهم عمل غنوصي هو تحرير (تخليص) النفس أو الروح الإنسانية من أسر الجسد الدنيوي، ويتم ذلك بتذكيرها بأصلها الإلهي. فإذا عرفت ذاتها عرفت خالقها (الله) لأنها جزءٌ منه، وبذلك تعرف الروح ما يلي (من أين جاء الإنسان، كيف أصبح إنساناً، أين كانت روحه قبل أن يُخلق، أين وضع بعد خلقه، أين نحنُ ذاهبون، كيف نذهب في الطريق الصحيح، كيف ستنبعث الأرواح. . .إلخ).

هذه الأسئلة تكتشفها الروح لوحدها عندما تدرك ذاتها، وقد يقوم الوسيط السماوي بإيصال هذه المعرفة لمن يمتلك روحاً طاهرة عارفة.

5. يسمى هذا الوسيط السماوي بـ (المخلص) ويعتبر الجسد البشري بمثابة العالم الأسفل فيهبط (المخلص) إليه ليعرّف الروح بأجوبة هذه الأسئلة (العرفان)، لكي يسهّل لها طريق الصعود إلى العالم السماوي وهو (الخلاص). وقد يكون الخلاص قبل الموت عن طريق النشوة العرفانية، حيث ينكشف النور الإلهي ويلتحم به العارف، أو بعد الموت حيث تصعد الروح (مع المخلص) إلى السماء، وتلتحم بالله إلى الأبد.

6. لا يصل كل إنسان إلى الخلاص ويساعده المخلص، بل الذي طبّق الجانب العملي من العرفان والذي يكون بأداء مجموعة من الطقوس والشعائر مثل التعميد أو التسلح بالأسماء السرية (حفظ هذه الأسماء) وأداء الصدقات وغيرها.

7. العرفان هو معرفة الباطن أما العلم فهو معرفة الظاهر، ومعرفة الباطن هي

معرفة الأسرار التي صار السحر والتنجيم والعرافة والكيمياء أساسها، في حين أن الباطن هو الأسرار الإلهية الخفية. أما العلم فهو معرفة الظواهر العيانية وإدراك أسبابها ونتائجها وهو متاح للجميع.

8. يطغي على الأدبيات العرفانية الأسلوب الأسطوري الفلسفي، حيث تتحول أساطير الخلاص القديمة إلى لغة فلسفية تعم فيها المفاهيم الذهنية مثل وجود الإله المتعالي والمادة وبينهما الإله الصانع أو الوسيط، وأسطورة مصدر الشر التي تُرجع الشرّ إلى الكائن السماوي الذي ارتكب الخطيئة الأولى التي تضطره للاتحاد مع المادة فتولد الكائنات المكبّلة بالشر (المادة)، ويصار إلى تخليصها من هذا الخطأ وكل هذه الأفكار ضمّتها المندائية في متونها كما سنرى.

9. لا نعتقد أن **المدونة الهرمسية** (*Corpus Hermeticum*) هي مصدر هذه الفلسفة الغنوصية كما يذهب إلى ذلك أغلب الباحثين، بل **نعتقد أن المدونة المندائية** (*Corpus Mandean*)، ونعني بها الـ (كنزا ربّا) هي المصدر الأول للفلسفة الغنوصية. أما المدونة الهرمسية التي تُنسب إلى هرمس فهي مدونة إغريقية متأخرة قياساً إلى المدونة المندائية.

2. المانوية

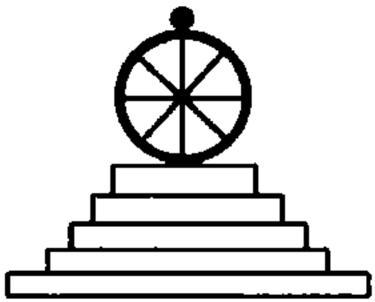

صليب المانوية (صليب النور والحياة)

سيرة ماني (216–276)

ولد النبي ماني من أب اسمه (فاتك) وهو اسم يحمل تركيبةً سامية، لكن

الأساطير التاريخية تجعل منه أميراً فرثياً أشكانياً سكن في همدان، وهذا أمرٌ خيالي بعيد، فقد سكن فاتك في منطقة طيسفون/ سلوقيا الهلنستيةِ الماضي بامتياز، وكان اسم والدة ماني هو (مريم) وهو اسم يوحي بانتماء منداثي مسيحي يهودي. ولعل ما يؤكد ذلك هو أن ديانة فاتك هي المندائية.

التحق فاتك بالمندائيين (المغتسلة) في نواحي دست ميسان مع زوجته مريم وعاشا هناك وتنقلا في هذه المنطقة، وولدت مريم ولدها البكر (ماني) في قرية تسمى (مردينوس) من نهر كوثي الأعلى في بلاد بابل الشمالية وعاش ماني معهما على الدين المندائي الذي كان له أكبر الأثر في تكوين عقائده الروحية لاحقاً.

ماني

http://webspace.ship.edu/cgboer/romanempire.html

وتذكر سيرة ماني أن الوحي نزل أول مرة على ماني وهو في سن الثانية عشر أي في عام 228 م، وكان هذا الوحي من (ملك حدائق النور) وهو تعبير منداثي عن الله. وقد كان اسم الملاك الذي نقل إليه الوحي هو (توما) ومعنى اسمه (التوأم) أي الأخ، وقد طلب منه توما أن ينفصل عن المندائيين ويعتزل لمدة طويلة.

ويبدو أن هذه العزلة الطويلة كانت ضرورية للفتى لكي يدرس العقائد والأديان التي كانت سائدة في وادي الرافدين فقد درس المندائية والغنوصية السريانية (الديصانية والمرقيونية) والديانة البابلية.

وبعد 28 سنة من العزلة والدراسة نزل إليه الوحي مرة أخرى عام 240-241 ليقول له بأن الله اختاره ليكون رسولاً إلى الناس.

كان ماني نبياً بابلياً متأخراً عمل على جمع التراث البابلي المتأخر بين المندائية والسريانية الغنوصية والبابلية ليظهر بدين جديد هو المانوية. وقد ورد على لسانه هذا الوصف (أنا الرسول الشكور المبعوث من أرض بابل).

أصبح (توما) هو القرين السماوي للرسول أو للنبي ماني، وقد أبلغ ماني عائلته برسالته ونبوته وحرص والده على تمتين علاقته بأهله المندائيين لينال دعمهم. وبدأ ماني التبشير بديانته في أصقاع بابل، ثم رحل إلى الهند في مناطق النفوذ الفارسي، وهناك تعرف جيداً إلى الديانة البوذية ونهل منها وعاد إلى وادي الرافدين في بابل وميسان والأحواز حين أصبح شابور ملك الإمبراطورية الفارسية، وقد حضر (ماني) مراسيم تتويجه ومنحه الملك الحماية، وضمن له حق التبشير بديانته.

الكهنة المانويون

HTTP://WWW.ALAWAN.ORG/%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A-216-276-%D9%85.HTML

مكتبة الفكر الجديد

وفي الوقت الذي أعاد شابور الاعتبار للديانة الزرادشتية وظهر الرهبان والمجوس بدأ ماني بالتبشير الواسع لديانته في أصقاع الإمبراطورية انطلاقاً من بابل. وقد استطاع ماني أن يضم إلى ديانته أخوي شابور وهما (فيروز ومهرشاه)، لكنه خلق أعداءً له في البلاط الفارسي وعلى رأسهم (كارتير) رئيس طائفة الرهبان المجوس. وكادت المانوية أن تكون الديانة الرسمية للإمبراطورية الساسانية، لكن (كارتير) وقف بالمرصاد دون حصول ذلك.

أرسل (ماني) رسله إلى الدول والبلدان، فوصل دعاته إلى مصر وإلى خراسان التي أصبحت منطلقاً لديانته نحو الشرق الأقصى. ووصل دعاته إلى بيت جرمي شرق دجلة عام 261.

ويبدو أن ماني على صلة بالإله مثرا أو بكهنته، وقد وجدت عملة معدنية مكتوبة بالمندائية تحمل هذه الإشارة، ويبدو أنه حصل على مكانه في (شرسين) و(ميسان). ثم ظهر على أنه رسول يسوع المسيح.

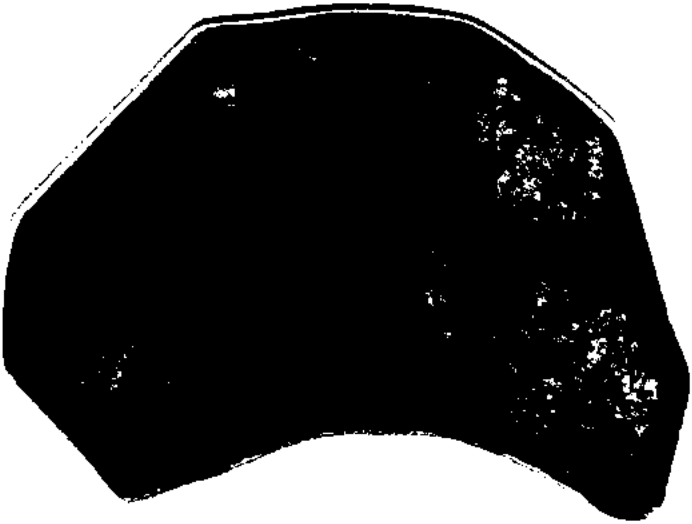

كهنة مانويون (القرن العشر -الحادي عشر للميلاد) من جدارية موجودة الآن في متحف الثقافة الهندية في برلين/ دهلم.

Photo credit: Gryffindor via Wikipedia.

http://judithweingarten.blogspot.nl/2011/07/zenobia-and-manichean-convert-part-ii.html

وبعد وفاة شابور خلفه ولده هرمز الأول الذي حكم لمدة عام ثم أخوه بهرام الأول ويبدو أن موظفي البلاط وجهوا له تحذيراً في عدم التبشير في بعض المناطق مثل كوشان، وكان (كارتير) يتآمر على ماني ويشوه صورته أمام الإمبراطور الجديد، وهكذا استدعاه الملك الفرثي وأعلن قراره في ما يشبه المحاكمة بأن يموت ماني صلباً. وهكذا مات بحضور كاهن مانوي اسمه (عزاي) وانتشر خبر موته في مدينة (بيت لابات) وأمر الملك بغرز مشعل نار في جسده ثم مزقت جثته وقطع رأسه وعلق على بوابة المدينة ودفن ما تبقى من جسده في طيسفون.

الينابيع الغنوصية السبعة لديانة ماني

1. لا شك في أن أكبر الينابيع الغنوصية لديانة ماني كانت من المندائية التي هي ديانته وديانة أهله، والمندائية هي الدين النموذجي للغنوصية (العرفانية) التي تكون معرفتها بالله عن طريق القلب والمعرفة الذوقية والعميقة وليس عن طريق الوحي، والتي ترى في عالم النور أول العوالم ثم عالم الظلام والخطيئة ثم عالم الأرض الفانية.

2. أما الينبوع الغنوصي الثاني فكان في الغنوصية المسيحية السريانية التي مثلها بامتياز بارديصان الذي استقى غنوصيته من علوم الفلك والتنجيم البابلية ومن الإنجيل وأراد أن يجمعهما في إطار واحد... وقد ساعده حسّه الأدبي على أن يكون كذلك. وقد كانت أسطورة اللؤلؤة (نشيد الروح) أهم الشواهد على تأثر ماني ببارديصان.

3. أما الينبوع الغنوصي الثالث فكان في الغنوصية المسيحية الأرثوذكسية التي مثلها مرقيون السينوبي (120-160) وهو ابن أسقف سينوب في إقليم البنطس (على شاطئ البحر الأسود)، وكان له أتباع كثيرون وهو على عكس الغنوصيين الفلاسفة الكبار مثل (باسليدس وفالنتينوس) استقى غنوصيته من الكتاب المقدس وليس من الفلسفة.

4. الينبوع الغنوصي الرابع هو الرسول توماس (توما) الذي كانت له (أعمال توماس) التي هي بمثابة أعمال أبوكريفية (غير رسمية) تؤكد التعميد وسيلةً كبرى

للتخلص من الذنوب والشرور، وكذلك الدهن بالزيت الذي هو بمثابة زيت شجرة الحياة في الجنة. وكان الرسول توما أحد الرسل الاثني عشر الذين اختارهم الرسول.

5. الينبوع الغنوصي الخامس هو الغنوصية الفارسية المثرائية التي ألهمته في الكثير من تعاليمه.

6. أما الينبوع الغنوصي السادس فكان الغنوصية البابلية التي كانت ماثلة تحت رماد الدين البابلي بعد نبونائيد.

7. الينبوع السابع يأتي من البوذية المهاينية ويتمثل ماني بوذا وسيرته وتعاليمه وقد أفادته زيارته للهند للتعرف إليها عن كثب.

التراث المانوي

يشير كتاب (*Acta Archelai*) إلى كتاب بابلي، والمعني بهذه التسمية (بابل) بلاد الرافدين السفلى حيث ترعرع ماني فيها، وأوضح أنها شهدت بداياته وذلك بقوله: «أنني رسول شاكر، قائم من أرض بابل». وعندما يتكلم ماني على كونه بابلياً، ويتم وصفه على أنه حامل لكتاب بابلي، فذلك يعني أن لغته كانت لغة آرامية، وكذلك كتابتها (وبدقة أكثر كانت آرامية شرقية) ارتبطت عن قرب بالسريانية الرهاوية، وهي اللغة الأدبية التي تطورت في الرها، كما أن الكتابة التي استنبطها ماني واستخدمها - وهي التي تم اعتمادها في مناطق الكنيسة الشرقية حتى تركستان- قد تألفت من نموذج من الحروف المكتوبة المتقاربة في الاستواء مع تلك الحروف التي طورت في الرها، غير أنها رسمت بشكل أقرب إلى الصيغة القديمة للخط المندعي. ويقدم هذا برهاناً آخر حول الارتباط التاريخي الوثيق بين المانوية والعقيدة المندعية المعمدانية، والحقيقة الواضحة هي أن ماني لم يستفد من نموذجي الأحرف الآرامية اللذين كانا مستخدمين على النقود المعدنية، وفي مقرات الملوك الساسانيين والفرثيين (أو الأمراء في فارس) (نغرين 1984: 99-100).

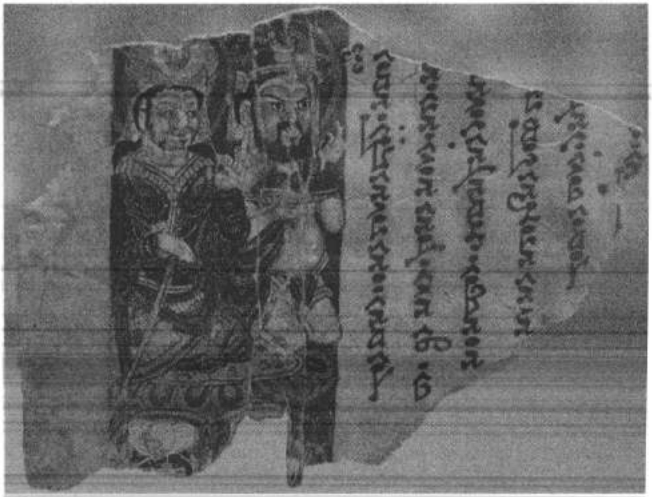

ورقة من مخطوطة مندائية، بحيرة طورفان القرن العاشر

. Paper. MIK III 4614. ViaWashington.edu
http://judithweingarten.blogspot.nl/2011/07/zenobia-and-manichean-convert-part-ii.html

وكذلك كان كل التراث المانوي الذي كتبه ماني أو أتباعه في وادي الرافدين فقد كان باللغة السريانية وبالخط السرياني اللتين ظهرتا في الرها، بل إن ماني كان يحتذي حذو بارديصان الرهاوي ونستطيع هنا أن نفهم بشكل جيد استحواذه على الكلام الذي قاله ابن ديصان ورغبة ماني بكل وضوح أن يحل محله، وذلك كيما يصبح معروفاً تماماً من خلال هذه الكتابات المتداولة، كما أن قطع الشعر المانوي التي احتفظ بها ثيودور يارقونية من الجائز أنه نقلها عن خط ماني نفسه، فهي منطوقة باللهجة الرهاوية، وينطبق الشيء نفسه على البقايا الصغيرة من الأدب المانوي المكتشف في مصر، وذلك على الرغم من عدم وجود أي دليل يبين في هذه الحالة: متى تمت كتابتها، ومن كتبها؟ ومع ذلك فإن الكتابة والمادة هما مانويتان بشكل قاطع ثابت، كما أن الانحرافات الطفيفة عن اللغة الرسمية السريانية الرهاوية لا تؤثر على هذه المسألة، ذلك أن معرفتنا غير تامة حول اللغة الرهاوية الولى، ومن المستحيل التمسك بفكرة أن الكلام المتداول في هذه القطع متطابقة عملياً مع اللغة السريانية الفصحى للرها (نغرين 1984: 100-101).

ويمكننا أن نفسر عدم لجوء ماني إلى لغتين قريبتين من موطنه هما البابلية التلمودية أو المندائية أو الفارسية بأنه اختار اللغة السريانية الرهاوية لأنها لغة الكنيسة الشرقية التي تتمتع بأوسع نطاق في ذلك العصر.

وقد كتبت كل كتب ماني باللغة السريانية باستثناء كتاب واحد هو **(الشابورقان)** الذي أهداه للملك شابور الأول وكتبه باللغة الفارسية الوسيطة المكتوبة بحروف آرامية أيضاً.

التراث المانوي

بعد أن توفرت لدينا العديد من مؤلفات ماني وأتباعه المقربين وضعنا خطةً محكمة لتصنيف هذا التراث على أساس المكونات الأساسية والثانوية للدين المانوي. المكونات الأساسية للدين المانوي هي (المعتقدات، الأساطير، الطقوس) أما المكونات الثانوية فهي (الشرائع والأخلاق، السير، الكنيسة أو الجماعة) وعلى هذا الأساس تم تصنيف التراث الأدبي والروحي المانوي من أجل دراسته وكما يلي:

التراث المانوي

كتب المكونات الأساسية

1. العقائد واللاهوت:

الكتب المقدسة: 1. إنجيل ماني

2. الإنجيل الحي

3. كنز الحيّ (الحياة)

كتب اللاهوت: 1. كتاب الصورة (آر دهنك)

2. سفر الأسرار

3. الشابورقان

4. كتاب المبادئ للسامعين

5. كتاب وهب الحياة

كتب المكونات الثانوية

1. الأخلاق والشرائع:

1. براجماتيا

2. الرسالتان القبطيتان

2. السير والتراجم:

كفالايا

مكتبة الفكر الجديد

أطروحة العنصرين

2. الأساطير: سفرة الجبابرة

3. الطقوس (الأدب الروحي):

1. مزامير ماني
2. مزامير توماس
3. بارلام ويوساب
4. أدب الاعتراف

3. الجماعة والكنيسة (أتباع ماني)

ورقة من مخطوطة مانوية، بحيرة طرفان (معبد خوجو) القرن الميلادي الثامن-التاسع
. MIK III 4959. Via Washington.edu
http://judithweingarten.blogspot.nl/2011/07/zenobia-and-manichean-convert-part-ii.html

المانويون شبهوا الخليقة بأنها تشبه السجن ونحن داخل هذا السجن محاصرون في أجسادنا التي صممها الأراكنة لنا (Archons) وهم يرون أن الأراكنة أو الأرخونات، ومن ضمنهم يهوا أمير الظلام، خلقوا السماء والأرض من جلودهم ولحمهم والجبال من عظامهم وكذلك أجساد البشر، ثم طمروا فيها الروح وسجنوها في داخلها، وهكذا وجدت الروح نفسها في سجن الظلام وعليها أن تكافح طويلاً للخروج من هذا السجن.

الفصل السادس

إعادة صياغة اليهودية في العصر الهلنستي

(من التفريد إلى التوحيد)

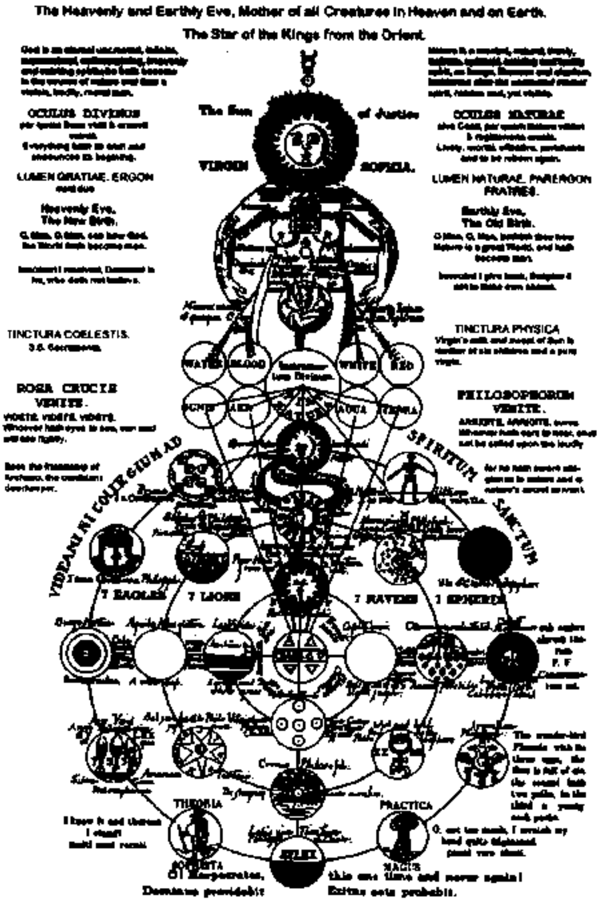

الشجرة الغنوصية للحياة

المبحث الأول
اليهودية من ديانة مشركة إلى ديانة تفريدية ثم توحيدية

1. اليهودية التي ظهرت في بابل أولاً

نشأت الديانة اليهودية في بابل بعد الأسر البابلي ليهوذا وأورشليم، وقد كان شعب يهوذا وأورشليم كنعانياً وديانته (اليهوذية) ديانةً كنعانية بكل ما في هذه الكلمة من دلالة، فهم يتعبدون أدوناي ويهوا والبعل وإيل وعشيرا وغيرهم من الآلهة الذين لهم زوجات وأزواج وأولاد.

في السبي البابلي وعندما وضع هذا الشعب في مدينة (نيبور) وهي (نفّر) الحالية قرب مدينة عفك، وتبعد 25 كم شمال شرق الديوانية، في العراق وسمح لهم باصطحاب عوائلهم وممتلكاتهم ومواشيهم. تعلموا هناك الحرف والصناعة والكتابة والحكمة واطّلعوا على التراث الرافديني الديني والأدبي وأخذوا منه، وأصبح بعضهم من الأثرياء، في مجال الزراعة والري والتجارة.

بتأثير وإيحاء من فكرة الإمبراطورية البابلية التي بدأوا يعيشونها كحقيقة على الأرض، واندماج الأمم والشعوب فيها وبسبب من فقدانهم الأرض الخاصة بهم والعيش كمواطنين عالميين في إمبراطورية كهذه قرروا رفع الإله القومي لهم لمنزلة تفريدية وتوحيدية وجعله إله العالم ولكنه، في الوقت نفسه، إلههم القومي وهم شعبه المختار.

وبسبب من عدم وجود معابد لآلهتهم وإلههم الخاص (يهوا) فقد قرروا جعله في السماء إلى الأبد فهو مكانه السرمدي ومعبده هناك، وهو ما حفز ظهور فكرة (الإله السماوي) بقوة أكبر، خصوصاً أن معبده لم يعد له وجود ولا يمكن إقامته في أرض بابل وهم أسرى.

وبعد سقوط بابل بيد الفرس الأخمينيين (539 ق.م) لم يعودوا جميعهم إلى يهوذا وأورشليم وبشكل مباشر، بل استطاع النابهون منهم (مثل عزرا الكاتب) أن يكتبوا أول أسفار التوراة وهو سفر الشريعة من أجل تنظيم أحوالهم وحياتهم.

مكتبة الفكر الجديد

في بابل ونفرّ تحوّل مسبيّو يهوذا إلى ما عرف بعدئذٍ بـ (يهود) وظهر أكبر أنبيائهم وهم حزقيال ودانيال وعزرا وناحوم ونحميا وحجي وزكريا وحبقوق وكتبوا أسفار التوراة الخمسة الأولى متأثرين بالدين البابلي، وظهر ملوك لهم في بابل مثل يهوياقين، صدقيا، زروبابل، وأفرج الملك البابلي أويل مردوخ عن يهوياقين بعد 37 سنة من الأسر في بابل وأكرمه.

وفي بابل كتبوا التلمود (متأثرين بلوح سومري لأقدم تقويم زراعي عثر عليه في نفّر ومكوّن من 108 أسطر).

الدين اليهودي دين بابلي أعاد صياغة مواد أولية كنعانية مع سيرة مبالغ فيها لمجموعة من العائلات الكنعانية المنشقة والمعارضة لكل من حاول حكمهم بشكل عام.

وقد ظلت هذه الديانة محكومة بالتعدد الإلهي أولاً ثم بالتفريد الذي جعل من أدوناي أو يهوا إلهاً مركزياً مع غيره من الآلهة.

يهودية ما قبل الهيكل، لم تكن مفاهيمها أو عقائدها الدينية قد تبلورت، بل كانت هذه المفاهيم تحتوي على أفكار ثنوية وتعددية كثيرة. وقد أسهم انتشار اليهود على هيئة جماعات مشتتة داخل تشكيلات حضارية شتّى، في مدن البحر الأبيض المتوسط وبابل، إلى زيادة عدم تجانس اليهودية بل إلى تنافرها وتحوُّلها إلى عقائد عديدة أو ديانة مُهجَّنة. ويظهر هذا في كثير من العقائد اليهودية الثنوية (مثل: عزازيل، وميتاترون، وقوة الملائكة والشياطين، وحدود الإله، والنزعة العدمية في سفر الجامعة، وإنكار البعث في كثير من كتب العهد القديم). وقد عُثر على أحجار في صحراء النقب عليها نقوش تتحدث عن عشيراه زوجة إله يسرائيل، وكان يهود إلفنتاين يعبدون يهوه وزوجته عنات (المسيري 1999: ج1).

أثرت الديانة الزرادشتية التي هيمن أصحابها سياسياً على الشرق الأدنى القديم لحوالي قرنين ونصف وتسربت منها إلى الديانة اليهودية عناصر كثيرة، فقد أصبح يهوا مع زوجته عشيرا أساس التفريد، وهذا يشبه ما هو حاصل في الديانة الزرادشتية، حيث أهورامزدا وأناهيت. وانتقلت عناصر كثيرة أخرى من الزرادشتية إلى اليهودية، وكتبت أسفار جديدة من التوراة والتناخ.

مكتبة الفكر الجديد

بعد سيطرة الإسكندر المقدوني على الشرق الأدنى وبدء العصر الهلنستي بعد موته، طرأت تغييرات جديدة على اليهودية، فقد دخلت العناصر الهلنستية وأعادت صياغة اليهودية وجعلت منها ديناً توحيدياً بتأثير مباشر من التيارات الباطنية التي انتعشت في هذه الفترة وبالفلسفة الهلنستية وبالتسامح والرعاية لهذه الديانة من قبل الكثير من الملوك الهلنستيين، وسنقدّم عرضاً لهذه العناصر.

2. يهوا من الشرك إلى التفريد إلى التوحيد

لم يعد جديداً القول إن الإله يهوا إله قديم ظهر قبل اليهود وقبل مقاطعة يهوذا التي عبدته، حيث يظهر كأحد أسماء إنليل الإله السومري على شكل حمامة، وهو إله كنعاني عبد من قبل بعض القبائل الكنعانية، وهو إله منطقة مدين... إلخ.

وقد كان ليهوا عند اليهود الأوائل وعند الذين سبقوهم زوجة وأبناء، وهو محاط بحاشية من الآلهة الأخرى، وهو أمر مألوف في الديانات المتعددة الآلهة.

وقد عثر على صورة له على ختم كنعاني وهو يجلس على عجلةٍ مجنحة ويحمل على كفه الأيسر طائراً وهو ما يشير إلى أنه إله للهواء، ولنلاحظ أن اسم يهوا له علاقة بالهواء باللغتين العبرية والعربية.

يهوا والعجلة والطير على عملة نقدية

http://cosmiccogitations.blogspot.nl/2012/10/genocide-is-ok-if-true-god-commands-it.html

منذ الأسر البابلي أصبح الإله (يهوا) بلا معبد خاص به، ولذلك قرر أسرى يهوذا أن يجعلوا السماء مقراً أبدياً له، وهكذا بدأت فكرة الديانة السماوية.

لم يعد (يهوا) ساكناً في هيكل أو معبد بل هو ساكن في السماء ومن هناك كان ينظر إلى شعبه (الخاص). وهذه الخطوة أفردته وجعلته سماوياً، لكن عادات الشرك والتعدد ظلت سارية.

إن وجود اليهود في نسيج إمبراطوريات متتالية (البابلية، الإخمينية، المقدونية، البطلمية) جعلهم يتأثرون بفكرة الإمبراطور الواحد للعالم ويعززون بها فكرة الإله الواحد للعالم. وهكذا تشذب يهوا شيئاً فشيئاً من الشرك والتفريد باتجاه التوحيد.

وكذلك الفلسفة الهيلنية والهلنستية كانت تتحدث عن إله واحد خالق للعالم وهو ما أثر في كل ديانات المنطقة التي وقعت تحت تأثيرها ومنهم اليهود.

3. الثنوية اليهودية (Jewish dualism)

عندما أصبح اليهود تحت الحكم الفارسي الأخميني بدأت العقائد والأديان الفارسية بالتسرب إلى الدين اليهودي، وهو ليس مجال بحثنا الآن، لكن الثنوية (Dualism) التي هي مبدأ أصيل في الأديان الفارسية وخصوصاً في الزرادشتية انعكست بوضوح على اليهودية، وأصبحت جزءاً من عقائدها الباطنية التي تتفجرت بقوة في العصر الهلنستي.

والثنوية ترى أن الوجود يتكون من بنيتين رئيستين هما (الخير والشر) و(النور والظلام) و(الإله والشيطان)، وهما لا يلتقيان ولا يتصارعان من وجهة نظر اليهود بل ربما يكملان بعضهما، فهما متوازيان (في الزرادشتية متصارعان وينتصر الخير في النهاية).

وقد ظهرت نتائج هذه الفكرة في كتب يهودية مثل القابالا والتلمود حين ظهرت أفكار عن (يهوا وعزازيل) (الإله والشيطان) وانعكست في طقوس أعياد الفصح وغيره.

ظهرت في القابالا ثنوية (الإله الخفي) مقابل (التجلي النوراني) وثنوية (الشر) مقابل (الخير) وثنوية (الإله) مقابل (شخيناه) وهي المقابل الإنثوي للإله يهوا.

4. التوحيد الغنوصي المندائي

لعلّ العامل الأهم الذي أسهم في تنقية التوحيد اليهودي هو (التوحيد الغنوصي) الذي أتت به التيارات الباطنية للشرق في وهلة انتعاشها إبان العصر الهلنستي وما قبله بقليل.

كانت المندائية وهي ديانة غنوصية في جنوب العراق ذات أثر كبير في نشر التوحيد وجعله مذهباً وتوجهاً أساسياً في أديان المنطقة.

المندائية كانت آخر صياغة للديانة الناصورائية القديمة في وادي الرافدين وهي صياغة آرامية اللغة والتراث جعلت من الناصورائية ديانة قابلة للإنتشار والتاثير والتأثر بحكم اللغة الآرامية التي هيمنت على المنطقة.

واستطاعت المندائية باحتكاكها السلبي والإيجابي مع اليهود أن تؤثر في نزعتهم التوحيدية وتجعلها أكثر نقاءً. ورغم أن الجهاز العرفاني للمندائية كثير الثراء والتركيب، لكنه يوفر نوعاً من الفهم العميق للتوحيد في معناه النفسي والروحي والكوني.

هكذا يمكننا أن نقول إن التوحيد العميق هو توحيد غنوصي عرفاني كانت المندائية قد بنته عبر جهاز اصطلاحي منحوت من الديانات الرافدينية والزرادشتية أما التوحيد الظاهري الذي هو شأن (اليهودية ثم المسيحية والإسلام) فهو توحيد تبسيطي قائم على حذف أغلب عناصر التوحيد الباطني (العميق) واستبدال العرفان بالوحي.

هذا هو ما حصل بالضبط وهو أن تقوم الأديان التوحيدية الظاهرية وأولها اليهودية بسرقة فكرة التوحيد الغنوصي الأولى وتسطيحها وحذف عمقها الروحي والفلسفي والاكتفاء بما يقتنع به عامة الناس من علاقة بالخالق الواحد عن طريق الوحي والأنبياء (حيث لا وحي ولا أنبياء في الغنوصية).

أعيدت صياغة الدين اليهودي غنوصياً مع حذف العناصر الغنوصية الأساسية وتبني صبغة التوحيد الشكلانية وأفكار الخير والشر والنور والظلام وغيرها.

مكتبة الفكر الجديد

المبحث الثاني
الكتاب اليهودي المقدس (التناخ): الأسفار الداخلية والأسفار الخارجية

1. الترجمة السبعونية للتناخ (العهد القديم) (Septuagint)

كان اليهود يشكلّون خُمس سكان الإسكندرية في حدود 200 ق.م وكانوا فئةً إشكالية لهم وضعهم الخاص ومشاغباتهم ومشاكلهم الدينية والسياسية فضلاً عن عدم اندماجهم الكامل في المجتمع الهلنستي الذي كان يقوده الإغريق. ورغم أنهم نسوا لغتهم الآرامية والعبرية وأصبحوا يتكلمون لهجة خاصة هجينة يونانية (مكونة من اليونانية واليهودية والمصرية).

اقترح ديمتيروس الفاليري على بطليموس الثاني أن يترجم كتاب اليهود المقدس من اللغتين الآرامية والعبرية إلى اللغة اليونانية لكي يدمج اليهود في المجتمع الهلنستي الجديد وستساعد الإغريق على فهم هؤلاء اليهود وتراثهم الروحي.

أرسل بلطيموس مساعدَين له وهما (أريستايوس وأندرياس) إلى أورشليم والتقيا هناك الرأس الأكبر لليهود وهو أليعازر، وطلب منه إرسال المخطوطات الدينية مع ممثلين من قبل اليهود فأرسلت لبطليموس الذي كلّف مجموعة من المترجمين الذين ترجموها.

والحقيقة أن هذا الحدث هو حدثٌ فاصل في تاريخ الديانة اليهودية، ونحن نعتبره الحدث التأسيسي الثاني لليهودية بعد الحدث التأسيسي الأول الذي هو كتابة عزرا لأسفارهم.

تنطوي أهمية الترجمة السبعينية، من وجهة نظرنا، إلى أن اليهود لم يكونوا قبل ذلك الوقت يمتلكون كتاباً واحداً شاملاً مقدساً لهم، بل كانت مجموعة أسفار (لا نعرف عددها وطبيعتها) وهي مخطوطات جلدية أو ورقية أو معدنية متفرقة ونسخٍ وخطوط ومضامين مختلفة ومتباينة؛ بعضٌ منها في بابل وبعضها في إيران وبعضها في فلسطين وبعضها في مصر. وقد كان عمل بطليموس الثاني، دون دراية منه، هو

توحيد وبناء الكتاب المقدس لليهود في لغة يونانية هلنستية (مصرية فلسطينية)، وكان أن بقي هذا الكتاب واندثرت الأسفار المتفرقة التي قبله والتي لم تؤلف كتاباً واحداً ذات يوم.

في هذه اللحظة التاريخية الهلنستية ولد الكتاب المقدس لليهود الذي هو التوراة وهي جزء من الكتاب الذي نسميه (تناخ) وهي كلمة اختزالية تدل على الأجزاء الثلاثة للكتاب وهي (ت: توراة، ن: نفيئيم أي الأنبياء الأوائل، أخ: أخرونيم وهم الأنبياء المتأخرين) أما مصطلح (العهد القديم) فهو تسمية مسيحية لكتاب الـ تناخ. لكن الترجمة السبعينية لم تحتو على جميع أسفار التناخ (العهد القديم) الحالي، فقد ضمت بعض أسفاره الأولى مع بعض الأسفار التاريخية، ويحتاج هذا الأمر لتدقيق علمي لكي نقف على الإضافات التي تلت الترجمة والتي جعلت من التناخ كتاباً بالشكل الذي هو عليه الآن.

والحقيقة هي أن الإغريق البطالمة هم الذين صنعوا هذه اللحظة التاريخية التأسيسية، وكانت بمثابة عولمة لليهودية أو جعلها ديانة عالمية وإخراجها من قمقمها الضيق الذي ولدت فيه، فهي الحادثة التي رفعت الديانة اليهودية إلى ديانة عالمية مؤثرة في العالم الذي كان أغلبه هلنستياً آنذاك.

أما الأسطورة التي تتحدث عن وجود (72) مترجماً أنجزوا عملهم في (72) يوماً في جزيرة فاروس فهو أمر مشكوك فيه تماماً.

ويرى سارتون أن هذه الحكاية أسطورية، إذ إن المختصين يرون أن اللهجة التي ترجمت بها التوراة أو الأسفار الخمسة مكتوبة بلغة يونانية يهودية ركيكة جداً، وأن تلك اللهجة «أقرب لأن تكون مصرية منها إلى فلسطينية» (النشّار: 1995: 54).

وهذه اللهجة كانت جزءاً مما يعرف بـ (كوين)، وهي الإغريقية الكوينية (Koine Greek).

ولا شك في أن اليهود منذ ذلك التاريخ نظّموا كتابهم المقدس (المكتوب باللغة العبرية) وفق تسلسل وتكوين الـ (المكتوب باللغة اليونانية) وأضافوا له ما أضافوه، لكن السؤال الهام هو: هل توقف اليهود عن كتابة أسفار جديدة سواء كانت مشتقة من مادة التناخ أو من خارجها؟ والجواب نجده في الكم الهائل من الكتب والأسفار

اليهودية التي سميناها خارجية (أي خارج التناخ) وهي (الأبوكريفية، والمنسوبة، ومخطوطات البحر الميت، والضائعة) والتي تشهد على الأثر الهلنستي الباطني البليغ الذي ظهر في اليهودية وجعلها تبدو وكأنها ديانة ظهرت في هذا العصر.

2. ظهور الأسفار اليهودية غير القانونية (أبوكريفا (Apocrypha))

أبوكريفا كلمة يونانية قديمة تعني حرفياً (الأشياء التي أُخفيت) أو (المخفيات) واستعملت اصطلاحياً لتشير إلى: النصوص الدينية غير المعترف بها رسمياً من المؤسسة الدينية، وقد أخذت هذه الكلمة طابعاً سلبياً عندما أصبحت تشير إلى النصوص المحرّفة والمنبوذة. وأصبحت المسيحية، بشكل خاص، تشير بهذا المصطلح إلى النصوص التي لم تقرها المجامع الكنسية الرسمية. ويمكن أن نسميها بـ (غير القانونية)، وهناك حول الكتاب المقدس بجزئيه القديم والحديث (اليهودي والمسيحي) الكثير من نصوص وكتب وأسفار الأبوكريفا.

أبوكريفا (الكتب الخارجية، الكتب الخفية، الكتب غير القانونية) اليهودية كانت كتباً باطنية حملت المؤثرات المسارية والهرمسية والغنوصية التي صنعت يهودية العصر الهلنستي. وقد كتب معظم هذه الكتب بين (200 ق.م - 100 م وبعده بقليل) وتقع هذه الفترة ضمن العصر الهلنستي (الإغريقي والروماني). وكان حاخامات اليهود قد أوصوا بعدم اطلاع العامة على كتاب واحد، أما البقية فقد استبعدت لأسباب أخرى ربما يتعلق بمستواها أو موضوعها.

تنقسم أبوكريفا التناخ (العهد القديم) التي يعترف اليهود بأنها أبوكريفا إلى:

1. أسفار تاريخية ورؤيوية، مثل:

عزرا الثاني (أسبراس الأول) في الترجمة السبعينية

أسبراس الثالث في ترجمة الفولجاتا

المكابيون الأول والثاني

الإضافات لسفر دانيال (نشيد الفتية الثلاثة المقدسين، تاريخ سوسنا،

تاريخ انقلاب بيل (بيل والتنين)

بقية سفر أستير

باروخ الأول

رسالة أرميا (التي تظهر كجزء من باروخ الأول)

صلاة منسَّى

2. أسفار قصصية أسطورية

1. سفر باروخ
2. سفر طوبيت
3. سفر يهوديت

3. أسفار تعليمية

1. سفر حكمة سليمان
2. سفر حكمة يشوع بين سيراخ

لكن هناك كتب أبوكريفا كثيرة أخرى ظهرت نذكرها في ما يلي:

أبوغريفا العهد القديم (التناخ)

1. رؤيا إبراهيم
2. عهد آدم، إبراهيم، إسحق، يعقوب، أيوب، سليمان
3. رؤيا آدم
4. كتاب آدم
5. صراع آدم وحواء مع الشيطان
6. حياة آدم وحواء
7. وصايا الآباء الإثني عشر
8. ألسن الملائكة
9. رؤيا دانيال
10. أدب الرؤيا (أدب نهاية العالم)
11. باروخ 2، 3، 4
12. بقية كلمات باروخ
13. كتاب ندم آدم

14. رؤيا دانيال (بالإغريقية)
15. رؤيا إيليا
16. كتاب أنوخ 1، 2، 3
17. رؤيا حزقيال
18. إسدراس
19. رؤيا عزرا (بالإغريقية)
20. أسئلة عزرا
21. مشاهدة (رؤيا) عزرا
22. تاريخ الأسر في بابل
23. تاريخ الريكابتيين
24. كتاب الحكمة
25. صعود أشعيا
26. سلم يعقوب
27. رؤيا صفنيا
28. ندم يامبنس وممبريس
29. رسالة إرميا
30. عهد آيوب، سليمان
31. يوسف وأسينيث
32. صلاة يوسف
33. اليوبيلات
34. أسطورة رود
35. رسالة ارستيس
36. حياة الأنبياء
37. سفر المكابيين 3، 4، 5
38. صلاة منسّى
39. ميكابيان

40. رؤيا موسى
41. سيف موسى
42. عهد موسى
43. تولِّي موسى
44. كتاب نوح
45. أوسيديلوس
46. كتاب القصائد
47. العملاق أوجياس
48. المزامير 55- 151
49. مزامير سليمان
50. شبه حزقيال، فيلو، فوسليدس
51. رؤيا سيدراخ
52. تنبؤات سيبيل
53. سيراخ
54. رؤيا زربابل

3. السيديبغرافا (Pseudepigrapha) الأسفار المنسوبة

وتعني الأسفار (المنسوبة خطأً لغير مؤلفها) أو (المزيفة النسب) أو (المنحولة)، حيث إن بعض هذه الأسفار منسوبة لرموز دينية كبيرة قديمة جداً، مثل (باروخ، أخنوخ، عزرا، نوح. . .إلخ)، وهي لا تضم إلى الكتب القانونية للعهد القديم في الترجمة السبعينية اليونانية أو الفولجتا (الترجمة اللاتينية)، وهي ليست كتباً خفية (أبوكريفية)، وهي أكثر من كتب الأبوكريفا.

يسيطر على أغلب الكتب المنسوبة توجه آخروي (إسكاتولوجي) وهي موجهة إلى الخاصة لا العامة، وهناك آراء تقول بأن الأسينيين هم الذين كتبوها، على العكس من الكتب الخفية (التي يقال إن الفريسيين هم الذي كتبوها). وكانت الكتب المنسوبة ذات طابع طائفي وليست مثل الكتب الخفية (أبوكريفا) التي فيها حس

شعبي عام، وقد تبنت الكنيسة الكاثولويكية بعضاً منها في قائمة الأبوكريفا الكاثوليكية. أما كتب الأسفار المنسوبة فهي:

1. أسفار إنوخ 1، 2، 3، 4
2. أسفار باروخ 2، 3، 4
3. أسفار عزرا 3، 4، 5، 6
4. أسفار المكابيين 3، 4، 5، 6، 7، 8
5. أسفار رؤيا (أبوكاليبس) آدم، ابراهيم، دانيال، إيليا، حزقيال، زيفانياه، عزرا اليوناني، السماوت السبع.
6. نهاية العالم من سدراخ
7. أبوكريفون حزقيال، القبائل العشر، إرميا القبطي، يعقوب ويوسف، ملكي صادق
8. كتاب نوح
9. إلداغد ومودداد
10. تاريخ يوسف، تاريخ الركابيين
11. أسنة ويوسف
12. اليوبيلات
13. سلم يعقوب
14. رسالة أرستيا، سام، رحبعام
15. حياة آدم وحواء
16. شهادة وصعود إشعيا
17. قصائد سليمان
18. صلاة يعقوب، يوسف، منسّى
19. مزامير سليمان
20. أسئلة عزرا
21. وحي عزرا
22. أوحية سيبيل (تنبؤات سيبيل).

23. شهادة إبراهم، آدم، أيوب، موسى، الآباء الإثني عشر
24. عهد إسحاق، يعقوب، سليمان
25. حياة الأنبياء
26. رؤيا عزرا
27. اوكتيبارتيت آدم
28. كتاب العمالقة افنوخي، آسف
29. كهف الكنوز
30. كلمات غز الرائي
31. رفع موسى
32. صعود موسى
33. سيف موسى
34. علامات القضاء
35. رؤى السماء والجحيم
36. دليل الانضباط
37. شيفا زوتاري
38. كتابا موسى السادس والسابع (سيدويحرافيا حديثة)

4. كتب قمران (مخطوطات البحر الميت)

وتسمى أيضاً مخطوطات (قمران) وهي أكثر من 850 قطعة مخطوطة ما عدا الجذاذات بعضها موجود في الكتاب المقدس وبعضها كانت مفقودة وبعضها غير معروف أساساً، وقد اكتشفها راعٍ فلسطيني اسمه محمد الذيب ثم اكتشف غيرها في كهوف صحراوية قريبة بين عامي (1947-1956)، وبلغ عدد الكهوف أحد عشر كهفاً، وجميعها يعود إلى الفترة الزمنية ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الميلادي الأول، أي الخاصة بالعهد القديم (التناخ) وفي الفترة الهلنستية تحديداً.

كتبت هذه المخطوطات طائفة يهودية اسمها (الأسينيون) وهم فرقة غنوصبة

باطنية مبكرة ظهرت في الديانة اليهودية وقاومت هيلنة الدين اليهودي وجعله تابعاً للحكام الإغريق وسنشرحها في الفقرة القادمة.

كتبت هذه المخطوطات على ورق البردي بالدرجة الأساسية وبعضها كتب على الجلود وصفائح النحاس ووجدت محفوظة ومخبأة في جرار فخارية مغلقة.

تنقسم هذه النصوص إلى ما يلي:

30% من نصوص التناخ ما عدا سفر إستر.

25% من نصوص خارج التناخ مثل (سفر أخنوخ وشهادة لاوي) وهي من الأبوكريفا

30% من النصوص الخاصة بتفسير العهد القديم

15% بعضها غير مترجم وبعضها الآخر ما زال مجهولاً.

وأغلب النصوص مكتوبٌ بالعبرية وبعضها بالآرامية وقليل منها باليونانية. سنتجاوز النسخ التناخية لأنها مقاربة لما نعرفه من التناخ أو بعضه وما يهمنا هو النصوص الخاص بالأسينيين وهي ما نسميه هنا بـ (الكتب المخفية)، وهي كما يلي:

1. سيرخ هايجاد: وهو ميثاق أو دستور الأسينيين.

2. مخطوط (حرب أبناء النور وأبناء الظلام): التي تبدأ بمقطع يتنبأ بمجيء حرب ثم تصف أساليب الاستعداد لهذه الحرب من قبل أبناء النور وهم في النص مجموعة من (سبط لاوي ويهوذا وبنيامين) أما أبناء الظلام فهم من الأمم كما جرت عادة تسمية الشعوب غير اليهودية عند اليهود، وكانوا يعنون بهم تحديداً (الآشوريون، الأدوميون، المؤابيون، العمونيون، الإغريق) أما موعد حصول الحرب فيكون بعد عودة أبناء النور من (صحراء الأمم) في دمشق، وبمعونة ملائكة وجنود من الله. وتتحدث المخطوطة عن انتصار أبناء النور على أبناء الظلام ثم الاستيلاء على العالم كله.

3. مخطوطة لامك: وهو كتاب أبوكريفي (أبوكريفون) أي غير قانوني يتحدث عن لامك حفيد أخنوخ (هرمس) الذي يشهد تحذيرات أخنوخ حول نهاية العالم، ومعروف أن لامك هو والد نوح، وفي النص قصة الخليقة وذكر الآباء الأوائل وولادة نوح من زواج الإنسان بأنصاف الملائكة.

4. مزامير التسبيح والشكر (هودايوت) وتترجم أيضاً باسم (أعمال النعمة)، ويبدأ بعبارة متكررة هي (إنني أمجدّك أدوناي)

5. عهد دمشق (الوثيقة الدمشقية) وهو شبيه بمخطوطة (جذاذات من وثيقة صدوقية) التي عثر عليها في القاهرة في معبد عزرا في الفسطاط عام 1890.

6. مخطوطة الهيكل: وهو مخطوط يتحدث عن بناء الهيكل والطقوس والأعياد.

7. لعنات الشيطان وجماعته.

8. لعنات ملكي ريشا

9. مقاسات معسّيه هتوراه

10. رؤيا مسائعية

11. مراثي

12. جذاذات شعرية عن القدس والملك يوناثان

13. كلمات الأنوار السماوية

14. أغاني لحرقة السبت

15. صلوات طقوسية، للأعياد، يومية

16. تبريكات

17. طهارة طقوسية

18. انتصارات الحق والصلاح

19. المغوية

20. تحريض على طلب الحكمة

21. عمل طقوس، حكمة

22. بارك نفسي

23. أغنيات الحكيم

24. تطوبيات

25. أبراج

26. تساوام

27. المخطوط النحاسي

وهناك كتب التفاسير التوراتية التي تبلغ 28 كتاباً أو نصاً.

ومن الملاحظ أن مخطوطات قمران تظهر بصفات روحانية وغنوصية خاصة من بيئتها الشرقية الخاصة وليس من المؤثرات اليونانية فهي أبعد ما تكون عن هذه.

ولا بد من التذكير أن الكثير من كتب الأبوكريفا والسيدبيغرافيا موجودة ضمن مخطوطات البحر الميت (مخطوطات قمران).

5. الكتب المفقودة

وهي كتب ورد ذكرها في أسفار التناخ (العهد القديم) ولم يعثر عليها حتى يومنا هذا ويمكن أن نذكر أغلبها كما يلي:

1. سفر ياشر (أو كتاب العادل): مذكور في يوشع 10: 13 و2 صموئيل 1: 18. يظهر أنه مجموعة أشعار. هناك عدة كتب تدعي أنها هذا الكتاب لكنها مزورة.
2. كتاب حروب الرب: مذكور في سفر العدد 21: 14
3. أخبار أيام ملوك إسرائيل وأخبار أيام ملوك يهوذا: مذكورة في سفر الملوك الأول 14: 19 و14: 29.
4. كتب أخبار أيام: مذكورة في سفر أستير وسفر نحميا 12: 23.
5. شمعيا النبي وعدو الرائي: مذكورة في أخبار الأيام الثاني 12: 14-15.
6. كتاب العهد: مذكور في سفر الخروج 24: 7.
7. قضاء المملكة: مذكور في 1 صموئيل 10: 25.
8. أمور سليمان: مذكور في سفر الملوك الأول 11: 41.
9. أمور داوود الملك: مذكور في أخبار الأيام الأول 29: 29.
10. أخبار صموئيل الرائي: مذكور في أخبار الأيام الأول 29: 29.
11. أخبار ناثان النبي: في أخبار الأيام الأول 29: 29.
12. أخبار جاد الرائي: مذكور في أخبار الأيام الأول 29: 29.
13. أخبار ناثان النبي: في أخبار الأيام الثاني 9: 29.

14. نبؤة أخيا: في أخبار الأيام الثاني 9: 29.
15. رؤى يعدو الرائي: في أخبار الأيام الثاني 9: 29.
16. أخبار شمعيا النبي: في أخبار الأيام الثاني 12: 15.
17. أنساب عدو الرائي: في أخبار الأيام الثاني 12: 15.
18. مدرس أو قصة النبي عدو: في أخبار الأيام الثاني 13: 22.
19. سفر ملوك يهوذا وإسرائيل: في أخبار الأيام الثاني 16: 11 وأخرى
20. أخبار ياهو بن حناني: في أخبار الأيام الثاني 20: 34.
21. مدرس أو قصة سفر الملوك: في أخبار الأيام الثاني 24: 27.
22. أمور عزيا: في أخبار الأيام الثاني 26: 22.
23. رؤيا إشعياء بن آموص: في أخبار الأيام الثاني 32:32.
24. أعمال أو أمور ملوك إسرائيل: في أخبار الأيام الثاني 33: 18.
25. أخبار أو أقوال الرائين: في أخبار الأيام الثاني 33: 19.
26. مراثي يوشيا: في أخبار الأيام الثاني 35: 25.
27. سفر أخبار أيام الملك أحشويروش: مذكور في سفر أستير 2: 23 و 6: 1.
28. سفر أخبار أيام ملوك مادي وفارس: مذكور في سفر أستير 10: 2.

مكتبة الفكر الجديد

المبحث الثالث
من اليهودية المحلية إلى اليهودية الهلنستية

بدأت اليهودية الهلنستية بعد وفاة الإسكندر المقدوني وانتهت في القرن الثالث الميلادي. وكانت قد انتشرت في مناطق الإسكندرية في مصر وأنطاكيا (شمال سوريا، الآن في تركيا) في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد. وكان أهم مظاهر هذه الموجة تكمن في الترجمة السبعينية للتوراة وفي مظاهر أخرى متعددة سنأتي على ذكرها.

أما نهايتها التي ابتدأت في نهاية القرن الميلادي الثاني فقد نتج عنها بدايات المسيحية المبكرة حول أنطاكيا وظهور بولس الرسول وإلغاء شريعة العهد القديم.

وثمة نصوص عديدة في العهد القديم يمكن تفسيرها تفسيراً غنوصياً بكل بساطة. وقد كان الغنوصيون اليهود يشيرون إلى الإصحاح الأول في سفر التكوين (وخصوصاً الفقرة رقم 27 «فخلق الإله الإنسان على صورته، على صورة الإله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم»)، وإلى حزقيال 1/ 26 («وعلى شبْه العرش شبْهٌ كمنظر إنسان عليه من فوق»)، كما أن كتب الرؤى (أبوكاليبس) اليهودية دعَّمت الاتجاهات الغنوصية بتقسيمها الزمان وبكل حدة إلى زمان الفساد الحاضر وزمان الخير المستقبل، وبرؤيتها للتاريخ باعتباره ساحة صراع شرس بين قوى الخير وقوى الشر. كما أن النزعة الحلولية الكمونية القوية في هذه الكتب مهَّدت الجو لظهور الغنوصية. فعلى سبيل المثال، جاء في كتاب حكمة سليمان أن روح الإله (النيوما) توجد في كل الأشياء. وقد انتشرت كتب الرؤى في نهايات الألف الأخير قبل الميلاد، وكثير من عناصرها دخل الفكر الغنوصي (المسيري 1999: ج1).

وهكذا تكون اليهودية الهلنستية هي أساس تحويل الدين اليهودي من دين منعزل إلى دين عالمي بلغة عالمية هي لغة (الكوين) الإغريقية وظهور كتاب التناخ كاملاً في نسخة واحدة. فهي التأسيس الحقيقي لليهودية من وجهة بدايتها، أما نهاية اليهودية الهلنستية فقد شهدت، عملياً، نهاية اليهودية ونسخها بالمسيحية المبكرة

التي أسهم في تأسيسها بقوة الرسول بولس (اليهودي الأصل) ونسخ أو ألغى شريعة العهد القديم (التناخ) بشريعة جديدة هي شريعة العهد الجديد أو (الإنجيل).

وبين تلك البداية والنهاية جرت عمليات تحويل كبرى في اليهودية من خلال الحركات الباطنية بشكل أساسي وظهرت الأسفار غير القانونية (أبوكريفا) والأسفار المنحولة (سيديبابكريفا) وظهور اليهود الهلنستيين الكبار الثلاثة وهم (أرستبولس، فيلون، يوسيفوس) الأمر الجدير بالانتباه أن اليهودية كمصطلح (Judaism) لم يظهر مع بداية الدين اليهودي في بابل مطلقاً، بل ظهر في الفترة الهلنستية.

كان اليهود يطلقون على ديانتهم اسم (توراه) قبل العصر الهلنستي، وحتى قام يوسفيوس فلافيوس بإطلاق مصطلح (يهودية) و(يهود) على الديانة.

كان يدين سكان يهوذا آنذاك في مقاطعة (يهوذا) كتمييز لهم عن ديانة أهل هيلاس الإغريق الذين أطلق عليها اسم (هيلينية) وأصبح المصطلحان يطلقان أولاً على منطقتين جغرافيتين ثم على ديانتين. أما مصطلح (يهودت) فيعود إلى العصور الوسطى.

أصبح المصطلحان (يهودية) و(توراه) يستعملان مع بعضهما لكن (يهودية) أصبح يشير إلى اليهود كشعب أما (توراه) فيشير إلى الجانب الإلهي في الديانة اليهودية، فضلاً عن التسمية الأصلية التي تشير إلى الأسفار الخمسة الأولى من كتابهم المقدس (تناخ).

وقد يُجمع المصطلحان معاً (اليهودية التوراتية) بمعنى (اليهودية الأصلية) وهو يعني بالضبط اليهودية الأرثوذكسية أي التقليدية أو الراشدة.

1. المؤلفون اليهود الهلنستيون

أرستوبولس

مع أرستوبولس تبدأ المبالغات في دور اليهود في التراث الإنساني، فهو يزعم أن موسى هو أستاذ شعراء وفلاسفة الإغريق من هوميروس وهسيود إلى فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو.

والحقيقة أن القدماء أنفسهم سخروا من هذا الزعم وفنّدوه بدليل بسيط وهو أن

ما عرفه الإغريق عن اليهود لا يتعدى عصر غزوهم للشرق بعد الإسكندر المقدوني.

لا نعرف كثيراً عن أرستوبولس سوى أنه عاش في الإسكندرية حوالي عام 150 ق.م أيام حكم بطليموس السادس فيلوماتر (181-145 ق.م)، حيث كتب كتابه عن التوراة وأهداه لبطليموس السادس.

قام أرستوبولس بالتأويل المجازي للتوراة السبعينية المترجمة للإغريقية الهلنستية يبدو أن أرستوبولس هو يهودي من أصل ساميّ لكنه تأغرق ثقافةً ولغةً وفسّر التوراة تفسيراً فلسفياً منتفعاً بالإرث الفلسفي للإغريق.

كانت محاولته هي الأولى في مجال التوفيق بين التوراة والفلسفة الإغريقية، ولكنها كانت محاولة بسيطة استخدم فيها التأويل العقلي بدلاً من التأويل الروحي الذي ربما سبقه إليه بعض المفكرين من اليهود.

ولعل أهم ما حاوله هو جعله مفهوم (القدرة) وسطاً بين الله والعالم في تدبير شؤون الخلق، إضافة إلى ادعائه بأن موسى هو معلم أساطين الإغريق وهو ادعاء كاذب طبعاً.

فيلون الإسكندري (20 ق.م – 40 م)

فيلو، فيلون

مفكر يهودي حاول التوفيق بين الدين اليهودي والفلسفة الإغريقية، عاش في عصر الإمبراطور الروماني كاليجولا، أي في الزمن الثاني للهلنستية وهو الفترة الرومانستية. أما أهم مؤلفاته فتنحصر في ثلاث حقول متتالية زمنياً، وهي (فلسفية، تأويل التوراة، التبشير والرد على المخالفين).

الفلسفة التوفيقية لفيلون

هو فيلسوف دين، ولعله أول فيلسوف للدين اليهودي حاول رفع الدين اليهودي إلى مرتبة فلسفية دون أن ينتقص أو ينقد دينه، لكنه ارتفع بهذه الفلسفة إلى مستوى الفلسفة الدينية المحضة، وباختصار فإنه حاول أن يثبت أن الدين والفلسفة يقودان معاً إلى معرفة الله، فالله هو مصدرهما معاً. استخدم فيلون منهج التأويل الرمزي (Allegorical Method) في شرح التوراة، وقد استعار هذا المنهج من الفلاسفة الإغريق الفيثاغوريين والأفلاطونيين والرواقيين الذين كانوا يشرحون به الأساطير الإغريقية والعبادات المسارية (ديانات الأسرار).

والحقيقة أن هذا المنهج يقترب من المنهج الذي اتبعه الهرامسة والغنوصيون في توضيح وشرح (أساطيرهم) الخاصة بهم.

كان فيلون يرى أن عقائد الشعوب الشرقية القديمة كالإغريق ومصر خاطئة ولكنه، في الوقت نفسه، كان يستعملها ويستفيد منها في منهجه.

لقد رسخت هذا المنهج تيارات كالأفلاطونية والفيثاغورية والرواقية الجديدة وأصبح ميسراً لفيلون وغيره، وهو الذي كان يرى أن الآلهة هي عبارة عن مفاهيم تجسدت بصورة تشخيصية لتسهيل توصيلها للعامة. وكان منهج التأويل الرمزي هو بداية التأويل القديم، لكن أهمية فيلون تكمن في أنه أول من استخدم الديانة اليهودية بهذا الشكل الواسع، العقائدي حيناً (للدفاع عن العقيدة) والنفعي حيناً (لتسهيل فهم النصوص والطقوس).

التوحيد (التوفيقي)

لا شك في أن فيلون أسهم بوضع أسس فلسفية زاد بها الدين اليهودي توحيديةً

وحاول تخليصه من التفريد القديم الذي كان يعج به، لكنه سقط في الهياكل الغنوصية والأفلاطونية والهرمسية عندما جعل هناك وسطاء بين الله والعالم. فبدلاً من (التفريد) أصبحنا أمام مشكلة (التوسيط) التي ستبقى آثارها في الديانة المسيحية أيضاً بصيغة الأقنوم.

الله عند فيلون واحد لا متعين ولا يشبهه شيء وهو العلةّ الأولى للعالم ومفارقٌ له. وبذلك عيّن الله من خلال سلب صفاته أي إبعاد مفهومة عن أي تحديد أو تعيين (وهذه تقنية كلامية جديدة).

ولكونه يهودياً أصولياً، فقد عرض قضيته الفلسفية بلغة العهد القديم، هكذا: يهوه قد قال: «أنا هو أنا» بمعنى لا شيء يمكن أن يعلن عن الله إلا وجوده، فالله ليس له صفات ولا رغبات ولا شكل ولا مكان، ونحن حتى لا نستطيع أن نسمي الله بالله، لأن الله كلمة، ولا توجد كلمة تستطيع أن تصف الله، بينما اعتبار الله إنساناً هو ارتكاب لإثم أوسع من كل البحار، فالله يكون، ولا يوجد ما يمكن أن يقال عنه، ولكن هذه الكينونة التي لا يمكن الدنو منها هي التي خلقتنا... كيف... ولماذا؟

ومن خلال العقل أو الكلمة وهي اللوجس الخاص بفيلو، صار هو الحكيم والرسول الذي يمد الجسور إلى الهاوية. إنه التعبير الظاهري عن وجود الله، هو من أبدع العالم وأبقاه، وفيلو هو الذي استخدم اللغة الحقيقية للتقوى المتعلقة بالله، داعياً إياه إسرائيل الرائي، الرحيم، المقيم في أعماق الباطن- لغة تستثير الوجدان بالفطرة، وربما هي التي أوحت بافتتاحية إنجيل القديس يوحنا «في البدء كان الكلمة... والكلمة كان عند الله».

وربما كان فيلو هو من كتب هذا، ولكنه لم يستطع أن يكتب «وكان الكلمة الله» ولا أن يكتب «وفيه كانت الحياة» لأن هذا كما سنرى... هو تمايز المسيحية التي تعتقد أن الصلة بين الإنسان والله، يجب أن تكون هي ذاتها الله والإنسان، وبهذا المعتقد عن اللوغوس، أو الكلمة الأولى. استطاع فيلو أن يجعل من يهوه اليهودي إلهاً مفهوماً ومقبولاً من يهود الإسكندرية. إن هذا المعتقد غير موجود في العهد القديم، ولكي يستنتجه اضطر لاستخدام المجاز ولتحريف الكلمات عن

معناها الحقيقي، وهذا هو ما أعطى فلسفته مظهراً فاتراً، وروحاً هلعة، وحال دون سموها الحقيقي... (فورستر 2000: 106).

والله عنده بسيط وغير مركب وهو (الحيز الأعظم) و(الشمس المعقولة) و(المبدأ الأول للوجود) وهي تشبيهات أفلاطونية لله.

وحين نزّه فيلون الله وجعله طاهراً بالمطلق وجب أن لا يجعله ملامساً لأي شيء من هذا العالم باعتبار هذا العالم وما فيه مدنساً، ولذلك لا بد للنفس التي تريد معرفة الله من وسطاء.

ولعل طريقة الانجذاب تتحقق عند فيلون عن طريق مراحل يمر بها العارف المتصوف وهي تجربة من الاستغراق في التأمل تتعرف فيها الروح على الله بعد أن تتخلص من علاقتها بالعالم المحسوس والمعقول فهي تجربة باطنية لاهوتية.

ولأجل ذلك أيضاً اقترح فيلون وجود (الإله الصانع) مثلما فعل أفلاطون والاثنان قالا بأن العالم خلق من العدم.

ولعل أهم الوسطاء عند فيلون هم:

1. اللوغوس: كلمة الله وهو ابن الله ونموذج الخلق
2. الحكمة الإلهية (صوفيا، أو ثيوصوفيا)
3. رجل الله (الإنسان الإلهي) أو آدم الأول
4. الملائكة: كائنات غير جسدية بل روحية
5. النفس الإلهية (الروح الإلهي) مصدر فضيلة النفس الإنسانية
6. القوى الإلهية: كائنات نارية وهوائية كثيرة

أما العالم المادي فهو نسخة من العالم المعقول الذي هو نسخة من عالم المُثل الأفلاطونية واللوغوس، فهو يرى أن الله لم يخلق العالم المادي مباشرة لأن هذا العالم مليء بالشر.

ولذلك فالله ليس مصدر الأشياء وليس خالقاً للمادة الأولى، بل إن الوسطاء هم الذين خلقوا هذا العالم.

حاول فيلون أن يقسم درجات المعرفة وفقاً لغاية النفس وقدرتها للوصول إلى

مكتبة الفكر الجديد

الله والاتحاد به، ولذلك رأى أن المعرفة تتدرج من الأدنى إلى الأعلى كما يلي:

1. المعرفة الناقصة: حيث تعرف النفس موضوعات الله
2. المعرفة الوسطية: حيث ترتقي النفس سلّم الوسطاء
3. المعرفة اللوغوسية: حيث تصل النفس لوسيط اللوغوس
4. المعرفة الإلهية: حيث تصل النفس إلى الله وتدركه وهي درجة خاصة بأهل الكمال كما حصل لـ (موسى).

ويرى إميل برهييه أن فيلون قد استقى فكرته عن المعرفة الإيمانية من مصادر مصرية قديمة وعلينا البحث عن...

وهكذا يكون فيلون قد جمع في نظريته عن التوحيد والاتصال بالله عناصر توراتية مؤولة بالفلسفة الأفلاطونية والأساطير المصرية القديمة.

يوسفيوس فلافيوس (38–100 م)
(Josephus Flavius)

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Josephusbust.jpg

يسمى باللغة العبرية يوسف بن ماتيتياهو واليونانية يوسيبوس، وكان مؤرخاً وكاتباً يهودياً رومانياً، وقد أرّخ تاريخ مقاطعة (اليهودية) في القرن الأول للميلاد بشكل خاص والتمرد اليهودي ضد حكم الرومان لهم وخراب هيكل هيرودوس.

ولد في أورشليم من عائلة دينية يهودية وكانت أمه من نسل الحشمونيين (حكام منطقة يهودية حتى 44 م)، وعندما بلغ السابعة والخمسين من عمره انتمى لطائفة الفريسيين اليهودية وهي أكبر طوائف اليهود آنذاك.

سافر إلى روما وبقي فيها لعدة سنوات، وعندما عاد إلى فلسطين أنضمَّ إلى المتمردين ضد روما وأصبح قائد منطقة الجليل، واختلف مع القادة المتطرفين للتمرد بسبب اعتداله وحاولوا خلعه من منصبه. وعندما احتل الرومان الجليل انهزم هو ورجاله ولكن الرومان عثروا عليه مع قائد آخر معه وساءت سمعته بين اليهود لأنه أبدى تعاوناً مع الرومان.

حصل يوسفيوس على حريته بعد أن نجا من حكم الإعدام بفضل صداقته مع القائد الروماني (فسبازيان) الذي أصبح القيصر في ما بعد، وكان ذلك في 69 م وذهب إلى روما في 71 م وأصبح مواطناً رومانياً وأصبح اسمه الرسمي هناك (تيتوس فلافيوس يوسيبوس) حسب القانون الروماني.

فكره

هو الذي ابتكر مصطلح (اليهودية) كشعب وديانة بمقابل مصطلح (الهيلينية)، ولهذا يصعب قبول فكرة أن المسيح كان يهودياً، وأن اليهودية نشأت من إبراهيم وموسى وأنبياء اليهود.

تحمل مؤلفات يوسفيوس الكثير من المصداقية والعمق، وتكمن أهميتها بالنسبة إلى المسيحيين في أنه ذكر يسوع في كتاب (عاديات يهودا - الفصل 18) ويسمى هذا الذكر ليسوع بالشهادة الفلافينية (Testimanium Flavianum)، وهي الشهادة التاريخية الوحيدة من شخص غير مسيحي عاش في المكان والزمان نفسيهما (تقريباً الذي عاش فيه يسوع. ورغم مصداقية يوسفيوس يشكك المؤرخون في كلامه.

ورغم أن الفحص الدقيق لمصداقية يوسفيوس لا يقف لصالحه، فهو مؤرخ متناقض الأفكار، وهناك ما يشير إلى عدم حصول بعض الحوادث التي ذكرها، لكن المسيحيين واليهود مازالوا يجدون في كتاباته ما يؤيد بعض وجهات نظرهم، ويغضون النظر عن مصداقيته المثلومة «إذا من خلال تطبيق القواعد الأساسية

مكتبة الفكر الجديد

للبحوث التاريخية على كتابات يوسفيوس، لا بد لنا أن نخلص إلى أن؛ كتابات يوسفيوس لا يمكن أن تثبتها مصادر أخرى. الدليل الأثري يناقض بعض كتابات جوزيفوس بل إن كتاباته تناقض بعضها. يوسفيوس يقدم التاريخ لخدمة مصالح ذاتية، وتحتوي كتاباته على العديد من الأمثلة التي تزين ما بها لصاحب البلاغ. ولذلك في ضوء هذه الحقائق ينبغي لنا أن نتجاهل كتابات جوزيفوس كمصدر بأكملها. ولكن هذا لن يحدث أبداً، وسوف يتواصل استخدام جوزيفوس في المراجع التاريخية كمصدر. لماذا؟ قد لا يكون مفهوماً تماماً. هذه القضية قد يكون لها علاقة مع حقيقة ما أن جوزيفوس يعتبر مورداً هاماً لكلا الديانتين اليهودية، فضلاً عن الطوائف المسيحية. المسيحيون يعتبرونه الدليل الحي بجانب الإنجيل، على وجود السيد المسيح. اليهودية تعتمد عليه كثيراً في وضعها الراهن للهوية (بعد تدمير الهيكل)، كما هو الحال في القصة الأسطورية مسعدة التي أصبحت داخل عامة السكان اليهود، ورغم أن الأدلة تشير أن الأحداث لم تجري بالطريقة التي يصفها يوسفوس أو لم تجري على الإطلاق، فإنها تعتبر مقدسة من قبل بعض اليهود».

(عبير زياد: هل يصلح يوسفيوس كمصدر تاريخي وأثري؟ التاريخ: 2010-04-28 21:30:21 **وكالة النهار الإخبارية**)

http://www.alnaharnews.net/ar/news.php?maa = View&id = 20301

كتبه

1. **تاريخ حرب يهودا ضد الرومان حروب يهودا** عام 78م: باللغة اليونانية، وربما كتبه يوسفيوس بالآرامية أولاً ثم ترجمه إلى اليونانية.

والكتاب مكون من سبعة أجزاء، ويؤرخ للفترة ما قبل الحرب والأحداث التي تلتها، ومقدمة عن تاريخ اليهود، حاول يوسفيوس في هذا الكتاب إظهار نفسه في صورة اليهودي الحقيقي وإبعاد تهمة الخيانة عن نفسه.

2. **عاديات يهودا** (*The Antiquities of the Jews*) عام 94 م: باللغة اليونانية وفيه (20) فصلاً وفيه تاريخ أتباع الديانة اليهودية حسب ما توفر من تراث ومعلومات ومصادر عصره. ويقع في عشرين جزءاً ويشمل بداية خلق الكون وحتى عهد

نيرون، وكتبه باليونانية بمساعدة آخرين، وقد اعتمد علي التوراة، وكُتب الأبوكريفا اليهودية وأحياناً على مؤرخين آخرين، هذا باستثناء الأحداث التي عاصرها، معتمداً على التقليد الشفوي الذي كان يجيده كرجل فريسي، وحاول جاهداً أن يظهر الشريعة الموسوية في شكل إنساني وركز على الدور الأخلاقي للتوراة.

السطور التي أضيفت في كتاب يوسفيوس هي الآتية:

في نحو ذلك الزمان، جاء يسوع، إنسان حكيم، لو أمكن أن ندعوه إنساناً، لأنه كان يقوم بعمل معجزات عجيبة ويعلم الحق للباحثين عنه، فتبعه عدد كبير من اليهود ومن الأمم، فهو المسيح، ولكن زعماء أمتنا وشوا به لدى بيلاطس، فحكم عليه بالصلب، وأما الذين اتبعوه فظلوا على حبهم له، ولذلك ظهر لهؤلاء حياً في اليوم الثالث من موته، مثبتاً أقوال الأنبياء المختصة به وبمعجزاته التي لا حصر لها وتوجد حتى الآن جماعة باقية تدعى باسم «مسيحيين» نسبة له (الخضري 1981: 148-149).

تاسيتوس (حوالى 55 م - 117 م) مؤرخ يونانى أشار في أحدى كتاباته إلى Christus وهو يسوع المسيح - سجلات التاريخ (Annals): وبالتالي، للتخلص من التقرير، ربط نيرون الذنب وأوقع التعذيب الأشد قسوة في التاريخ على جماعة كانوا مبغضين منا، وهم المسيحيين المأخوذ اسمهم من المدعو المسيح، وهم (المسيحيون) عانوا من الاضطهاد في فترة حكم طيباريوس القيصر على يد بيلاطس البنطي (Pontius Pilatus)، بسبب خرافتهم المؤذية*، هؤلاء المسيحيين حتى هذه اللحظة، يزداد الإيمان بتعاليمهم التي مصدرها أرض اليهودية (Judea)، منبع الشر حتى وصلت إلى روما، حيث تنتشر في روما كل الأشياء المخزية وتتحول من أشياء فردية إلى أشياء شعبية.

المرجع، نسخة الكتاب الإنجليزية:

http://classics.mit.edu/Tacitus/annals.mb.txt

ولكن هذه الإشارة ضعيفة وتدل على المسيحيين وليس على المسيح.

3. **مخاطبات يوسفيوس حول حادس:** وهو كتاب منسوب إلى يوسفيوس خطأ وكاتبه الأصلي هو هيبوليتوس الروماني.

مكتبة الفكر الجديد

4. **يوسفيوس فلافيوس بمواجهة أبيون** 97 م: وهو دفاع عن مفاهيم الديانة اليهودية مقارنة بمفاهيم الديانة الرومانية المعاصرة.

5. **حياة يوسفوس فلافيوس** 99 م: وهي سيرة حياته بقلمه.

2. الهرمسية اليهودية

تتطابق شخصية هرمس مع شخصية (أخنوخ) في التراث التوراتي وقد تركت لنا إحدى الكتب اليهودية غير القانونية كتاب أو (سفر أخنوخ) الذي ينسب خطأ لأخنوخ المذكور في سفر التكوين التوراتي. ويرجح أنه كتاب آرامي الأصل كتب في (163-80) ق.م. وقد ترجم إلى اليونانية لاحقاً. والكتاب يتحدث عن (المسيّا) أو (الماشيح) المنتظر والدينونة الأخيرة، ولكن هناك كتاب آخر بنفس الاسم سمي (كتاب أخنوخ الثاني) بنسخة سلافية عن اليونانية يتحدث عن أخنوخ أو هرمس ورحلته أو معراجه إلى السماوات السبعة وإعلانات الله له. وتحذيرات أخنوخ لأبنائه من يوم القيامة القادم.

الأثر الهرمسي الآخر هو الكتاب الشفوي اليهودي (الهاجادة) الذي هو التفسير الباطني للتوراة وفيه قصص وتأويلات رمزية لقصص التوراة. نشأت الهاجادة في بداية العصر الهلنستي تقريباً ونضجت بين (100-150) م وكانت مستمدة من الآثار الهرمسية والرمزية والهيلينية وتفسيرات فيلون ويوسفيوس وغيرهم.

والحقيقة أن الهاجادة هي مصدر الروايات الخاصة برموز وقصص التوراة التي انتشرت في منطقة الشرق الأدنى وجزيرة العرب، وكانت مادةً من المواد التفسيرية التي دخلت في الثقافة الإسلامية منذ بواكيرها الأولى.

كتاب **أساطير اليهود** لمؤلفه (لويس جينزبرغ) الذي صدر بترجمة حمدي حسن السماحي بأربع مجلدات يذكر الكثير من الجوانب الهرمسية في اليهودية أثناء العصر الهلنستي، والتي أثرت في إعادة تشكيلها (جيزنبيرغ 2007).

3. الغنوصية اليهودية

عرفنا أن الغنوصية نشأت في وادي الرافدين أولاً من خلال دورات الصعود

والهبوط لديموزي، ثم تطورت هذه العقيدة مع عبادة الإله القمر الذي كانت دورته الشهرية تمثل وجهاً غنوصياً واضحاً فضلاً عن صراع النور والظلام وغيرها. ولعل المندائية التي ظهرت من الأنسجة العميقة للمعتقدات الدينية الرافدينية كانت هي الديانة الغنوصية الأهم التي أثرت تأثيراً نوعياً في تطور الغنوصية.

لا نستبعد وجود علاقة بين نشوء الديانة اليهودية بعد الأسر البابلي في بابل وآخر ملك بابلي كان يتبنى الغنوصية بصيغتها القمرية وهو (نبونائيد)، لكن هذا الأمر بحاجة إلى بحوث معمقة.

ما يهمنا أن الغنوصية تسربت إلى اليهودية من نبونائيد ومن المندائية ولعلها كانت الحافز الأولي لظهور الكابالا اليهودية لاحقاً.

ومن أهم ملامح الغنوصية اليهودية فكرياً هو الاعتقاد بأن شريعة موسى هي شريعة البشر الجسمانين والنفسانيين فهي شريعة العامة أما شريعة الروحانيين فهي شريعة الغنوصيين منهم.

وكانوا يشبهون تشتت اليهود في العالم مثل تشتت النور الذي سقط على الأرض وتشتت بين الشعوب المادية المظلمة.

واحتوت كتب الرؤى (أبوكاليبس) اليهودية على أفكار غنوصية تخص تقسيم الزمان إلى زمان حاضر فاسد وزمان خيّر مستقبل، وكيف أن التاريخ هو مكان للصراع بين الخير والشر. وكذلك كتاب (حمامة سليمان) الذي يرى أن روح الإله (نيوما) توجد في جميع الأشياء.

وربما كان (فيلون) الإسكندري مصدراً من مصادر الغنوصية اليهودية من خلال تأثيره للعهد القديم بطريقة فلسفية هلنستية تضم عناصر غنوصية كثيرة.

وهناك أيضاً (حزقيال تراجيكوس) وهو مسرحي يهودي هلنستي حاول المزج بين التراث التوراتي والهيليني.

وهناك من يرى أن بعض الجماعات المعتزلة قرب البحر الميت كانت غنوصية مثل الأسينيين.

العاصفة الغنوصية التي اجتاحت العصر الهلنستي نتج عنها بشكل مباشر

مكتبة الفكر الجديد

وواضح الدين المسيحي، لكن هذا الدين ما كان ليظهر لولا مؤثرات الغنوصية على الدين اليهودي.

ورغم المقاومة الظاهرية التي أبداها الدين اليهودي بوجه الغنوصية لكن فاعلية الغنوصية كانت تظهر بوضوح هنا وهناك على الدين اليهودي سواء في بداية العصر الهلنستي، حيث ظهرت بعض الفرق الصغيرة أو في منتصف العصر الهلنستي، حيث ظهرت كتب الأبوكريفا اليهودية التي تحمل طابعاً غنوصياً أو في نهاية العصر الهلنستي، حيث ظهرت (الكابالا) كخاتمة كبيرة ومؤثرة للغنوص اليهودي. ولذلك يمكننا تقسيم الغنوصية اليهودية إلى ما يلي:

1- الغنوصية اليهودية المبكرة: وقد ظهرت في حدود القرن الأول قبل الميلاد والقرن الميلادي الأول وعبرت عنها الفرق الغنوصية الآتية:
   1. الفيثاغوريون اليهود: وهم أصحاب العبادة السريّة في جبل الكرمل.
   2. الشافيون (Therapeutics): وهم نحلة يهودية طبية سحرية ظهرت في الإسكندرية.
   3. اليوثيليون: وهم جماعة الإله يوثيل (الإله الوكيل).
   4. الشيثيون: وهم غنوصيون لا نستطيع الجزم بيهوديتهم وربما كانوا الحلقة الرابطة بين الوثنية واليهودية.
   5. القاينيون: وهم الذين ظهروا في أعقاب الحركة الشيثية.

2- الغنوصية اليهودية الوسيطة: من القرن الميلادي الأول حتى القرن الميلادي الرابع وقد ظهرت مؤثراتها في كتب الأبوكريفا والسيدوبيجرافيا وكتب الرؤى الأبوكاليسية (الآخروية).

3- الغنوصية اليهودية المتأخرة: وتمثلها حركة (الكابالا) خير تمثيل فقد جمعت الغنوصية والتصوف اليهودي في أكمل صورهما.

4. الأسّينيون (Essenes)

تنحدر كلمة (الأسينيون) من كلمة (آسي) البابلية ثم الآرامية والتي تعني (الطبيب) أو (المؤاسي) وهو (آسو) الطبيب السريري عند البابليين. وتحولت في

الآرامية إلى (حاس) ومن هذه الكلمة جاء اسمهم واسمهم بالعبرية الحسديين (حسديم) (Hasidim) بمعنى المشفقين (الأتقياء) ويلتقي هذا الاسم مع اسم إغريقي بهذه الكلمة يعني (المقدس) أو (الصامت) وهو (هوسيوس).

أطلق الاسم على فرقة يهودية ظهرت قبل الميلاد في الفترة المكابية الحشمونية (150- 30) ق.م، وقد نأوا بجماعتهم بعيداً عن المؤثرات الإغريقية ومحاولتهم ممارسة ديانة يهودية أصيلة ذات طابع متقشف وصوفي، فسكنوا خربة (قمران) قرب البحر الميت وعاشوا في الكهوف والمغاور بعيدين عن الناس، ووضعوا دستوراً أو وثيقة لطريقة عيشهم وفق شرائع دينية محددة ودقيقة تعتمد على الطهارة والعبادة الروحية والعيش المشترك من أجل ديانة روحية خالصة، فلا نساء بينهم ولا عبيد ولا ثروات ولا ملكية فردية. أحبوا جميع الناس ولم يفرقوا بين اليهودي وغيره، وكانوا يرفضون تقديم الذبائح والقرابين ويدعون إلى السلام بين كل الشعوب. كانت حياتهم تكافلية فهم حين يستيقظون صباحاً يستحمون بمياه الينابيع وفق طقوس دينية (وهم بهذا يشبهون المندائيين) ويأكلون ما يزرعونه ويتطببون بالأعشاب التي يزرعونها أيضاً ويحرمون كل اللحوم ويلبسون الملابس البيضاء.

وقف الأسينيون سياسياً، بوجه هلينة الإغريق ثم هيمنة الرومان ورفضوا هلينة الدين اليهودي، ولهذا رفضوا سياسة دولة (يهودية) الحشمونية، لأنها كانت مع الهلينية. وقد يقول قائل كيف إذن يمكننا اعتبارها في المناخ الهلنستي، والجواب عن ذلك هو أن المناخ الهلنستي لم يكن هيلينياً صرفاً، بل كان هيلينياً ممزوجاً بالشرق، هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى فقد عمل هذا الجو على انتعاش الحركات الباطنية المحلية كالغنوصية والهرمسية التي اختلطت لاحقاً بمثيلاتها في الثقافة الهيلينية.

ونحن لا نستبعد أن تكون هناك مؤثرات باطنية وزرادشتية على هذه الطائفة. عاشوا حتى عام 68 م، وكانوا قد بدأوا قبل هذا الوقت بعقود ربما تمتد إلى ما قبل الميلاد.

كانوا يسمون تراثهم بـ (العهد الجديد) ويعتقد أن يوحنا المعمدان كان أحد زعماء الأسينيين ويسمى بـ (معلم الحق) الذي كان تقدمةً لظهور السيد المسيح. أما

مكتبة الفكر الجديد

الطقوس التي كانوا يمارسونها فهي (الطهارة، التبتل، رفض القربانية والذبائح، رفض المال، رفض الزواج والجنس، الطعام الجماعي الديني وطهارته) وكذلك صفات أخرى تشير إلى باطنيتهم مثل (المعرفة بأسرار التناخ وتفسيره بطريقتهم الخاصة)، المعرفة بالفلك والتنبؤ، اللون الأبيض كلباس وحيد، انقسامهم إلى 12 مجموعة بقيادة رئيس لهم اسمه (سيد العدالة)، ادعاؤهم بأنهم يعرفون الحقيقة دون غيرهم من اليهود وربما من البشر)، وكل هذه الصفات يشترك بها الغنوصيون خصوصاً والباطنيون عموماً، وتشير الصفات التي قبلها إلى سلوك الزهّاد والمتصوفين.

آمن الأسينيون بيسوع المسيح عندما ظهر باعتباره واحداً من أنبياء إسرائيل المصلحين وهناك من يرى بأن يسوع كان آسينياً منهم لكنه أراد أن يحول عقيدتهم من مخبأها الضيق إلى ديانة عالمية جديدة... ولذلك سلك سلوكهم في رفض المال والمرابين عندما دخل إلى الهيكل وطرد التجار والمرابين منه وقلب أغراضهم.

الأسينيون قبلوا بالمسيح كنبي يهودي منهم، لكنهم رفضوا عقيدة وأفكار بولس التي جاءت لتؤسس للمسيحية بعد صلب السيد المسيح.

كثيرون يجدون أنهم لم يتهلينوا ولكنهم تأثروا بالفكر الهيليني وخصوصاً بفيثاغورس وبآراء البراهمة والبوذية التي كانت ضمن البيئة الهلنستية.

الفصل السابع

المسيحية كديانة غنوصية

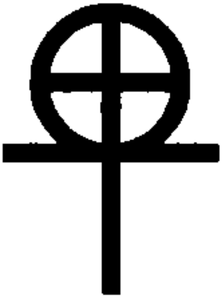

رمز الغنوصية المسيحية

صورة المسيح الغنوصي

مكتبة
الفكر الجديد

المبحث الأول
الثقافة الهلنستية وولادة المسيحية من رحمها

إذا كانت اليهودية قد تأسست قبل العصر الهلنستي ثم أسهم هذا العصر بإعادة صياغتها فإن المسيحية ولدت، تماماً، من رحم العصر الهلنستي بكل عناصرها تقريباً.

الهلنستية، والغنوصية تحديداً، هي مصدر المسيحية فضلاً عن المؤثرات الهلنستية الأخرى كالباطنية (الهرمسية والغنوصية والمسارية) وما نتج من تحولات جديدة في أديان الشرق الأدنى والدين الإغريقي والفكر الفلسفي الهلنستي، وقد قال الباحث الهلنستي الكبير ويلاموتيز مالندورف عن ظهور المسيحية في العصر الهلنستي: أخيراً عبرت اللغة الإغريقية عن تجربة روحية حيّة ومتقدة.

وسنستعرض الجوانب الهلنستية التي صنعت المسيحية وأدت إلى ولادتها.

وقبل البدء بفقرات هذه الجوانب لا بد لنا من القول بأن الغنوصية كانت ترى أن الخلاص يتم عن طريق فعالية روحانية فردية يقوم بها الغنوصي عن طريق التطهر والتأمل تقوده إلى معرفة الروح أو النفس التي فيه وكونها جزءاً من روح الكون والله، وهو ما يؤدي إلى إمكانية تحريرها من الجسد عن طريق تجنب نزواته أو الاتصال بالله عن طريق لحظة صوفية نادرة تعرّف الإنسان بحقيقته. وهذا ما يسمى بالكشف أو المعرفة الذوقية. وقد اقترحت الغنوصية المسيحية التي كانت هي مؤسسة الدين المسيحي (وليست فرقة هرطوقية كافرة كما يصفها آباء الكنيسة) اقترحت أن الله السامي المتعالي (الرب) أرسل (الابن) الذي هو (المسيح) والذي لا علاقة له مطلقاً بـ (ماشيح) اليهود، أرسله ليخلص نفوس الناس من سجنها الجسدي ويعود بها إلى الرب لأنها جزء منه.

الخلاص اليهودي كان عكس ذلك تماماً، فقد كان عن طريق الالتزام بالشريعة اليهودية وأداء الطقوس في حين أن الخلاص المسيحي أصبح، في النهاية، الإيمان بيسوع المسيح مخلصاً وفادياً للبشرية وبعودته في نهاية الزمان.

الغنوصية صارت ترى في إله اليهود (يهوا) معبراً عن كل الآلهة القديمة وهي

وهو رمز للشر والشيطان وما سماه أفلاطون ثم الغنوصية بالـ (ديميورج)، وهكذا نادت بإله واحد متعالٍ لا يمكن معرفة صفاته وهو إله الفلاسفة (أفلاطون وأرسطو) الذي يعيش في عالم من النور بعيداً عن السماء والأرض، وعندما ادعى المسيحيون لاحقاً بأن إلههم هو ليس يهوا بل إيل وصفهم الغنوصيون بأنهم استبدلوا الاسم فقط، وأن هذا الإله هو إله شرير أيضاً، فهما (يهوا وإيل) إلهان صانعان خلقا العالم المادي الشرير، وهما إلهان خاطئان خرجا على إرادة (الإله الأسمى) الذي يسكن إلى الأبد في عالم النور. فالعالم الذي نحن فيه هو عالم شر مادي ظهر نتيجة خطأ وعملية سقوط من عالم الألوهية الحقيقي (في عالم النور) تشبه سقوط الشيطان أو إبليس، وقد أدى ذلك إلى تكوين عالم أرضي وبشري خاطئ تورطت فيه الروح أو النفس الخيرة بالسجن دخل برائن المادة والجسد، وعليها الخلاص منه والعودة إلى عالم النور لتدع هذا العالم يفنى. فالغنوصية ترى أن كل عملية الخلق خاطئة وستزول يوماً ما، وأن البقاء الحقيقي هو لعالم النور الأعلى والأسمى من أي اسم أو تجسيد، وأن الأديان على خطأ حين تجسد هذا العالم وتتحدث عنه بأسماء وصفات من عالم المادة الشرير.

وهكذا، تكون بدايات المسيحية قد بدأت بالكنيسة الغنوصية التي أسسها سايمون الساحر، ثم ظهرت كنيسة الختان التي أسسها يعقوب ابن يوسف النجار الملقب بـ (يعقوب أخا الرب) الذي رأى أن أخيه غير الشقيق (يسوع) هو (الماشيح) اليهودي الذي من نسل داوود، وكانت كنيسته تقيم الختان وترى في المسيح نبياً يهودياً، جاء لتخليص اليهود والعالم من الخطيئة ونسميها (كنيسة الختان)، وسميت فرقته في ما بعد بـ (النصارى).

أما (كنيسة الأمم) فقد نشأت لاحقاً عندما تحول بولس عن ديانته اليهودية إلى المسيحية، ولكنه قرر أن لا يجعلها غنوصية خالصة، (رغم وجود الكثير من الأفكار الغنوصية في رسائله ومسيحيته)، بل أن يضيف لها عناصر ظاهرية معروفة، رغم أنه أبقى على فكرة نسخ شريعة اليهود وعدم الأخذ بها، لكن القديس بطرس هو من أسس فعلياً كنيسة الأمم وخلّصها من الغنوصية ومن التضاد مع اليهود، وكتاب العهد القديم.

ويمكننا إجمالاً وضع ما ذكرناه في هذا الشكل التوضيحي:

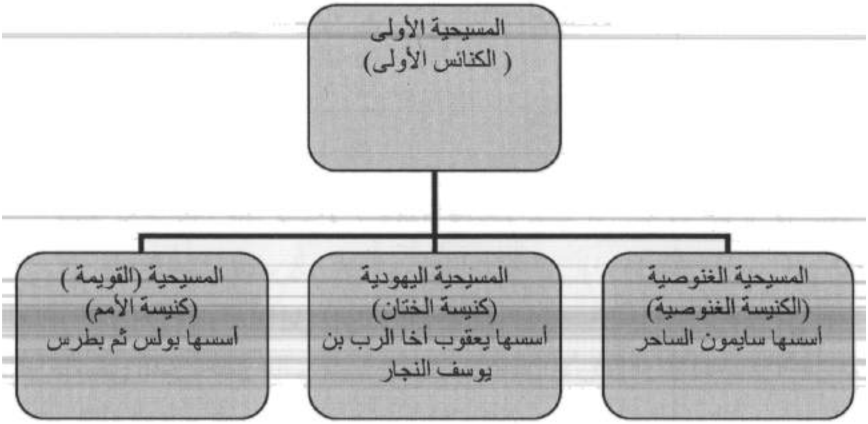

1. المسيح كشخصية غنوصية

هناك الكثير مما يشير إلى أن السيد المسيح كان شخصية غنوصية، فربما كان قد انتمى إلى حلقة من حلقات الأسينيين التي اعتزلت في كهوف البحر الميت (قمران)، وكان معلمه الأول هو يوحنا المعمدان. وهذا ما يؤكده اعتراف الأسينيين به كنبي من أنبياء إسرائيل يصحح مسيرة اليهود.

يرى المندائيون وهم أتباع دين غنوصي أصيل أن السيد المسيح كان مندائياً. وقد يجعلنا هذا نفكر بأن السيد المسيح ما هو إلا التجلي الأرضي للإله الأسمى، فإذا كان الـ (نشمثا) أو نسمة الروح مرسلة من قبل إله عالم النور فلا شك في أن السيد المسيح هو (نشمثا) كاملة مثلت الإله الأسمى وهبطت في جسد بشري مادي. لكن الأصل المندائي للمسيحية يبقى ضعيفاً لأسباب كثيرة منها وجود المندائية في جنوب العراق وطبيعة الغنوصية المندائية التي لا تجازف بتجسيد كائن (كالمسيح) مرسل من عالم النور.

لكننا نرجح احتمالات أخرى، سنذكرها لاحقاً، حول شخصية السيد المسيح الغنوصية.

هناك في إنجيل يوحنا، بشكل خاص، ما يشير إلى الشخصية الغنوصية للسيد

مكتبة الفكر الجديد

المسيح مثلما جاء في هذه الإصحاحات:

1. أنتم لا تعرفونني ولا تعرفون أبي، ولو عرفتموني لعرفتم أبي (يوحنا 8- 19)
2. أنتم من الدرك الأسفل وأنا من الملأ الأعلى، أنتم من العالم وأنا لست من العالم (يوحنا (8-23))
3. إنكم أولاد أبيكم إبليس، وأنتم تريدون شهوات أبيكم... من كان من الله سمع كلام الله، فإذا كنتم لا تسمعون فلأنكم لستم من الله (يوحنا 8-41-42)

كل هذه الجمل تشير إلى أن المسيح بمثابة ابن الله الأسمى وليس ابن الله الصانع الذي هو (يهوا) أو إيل (إليا)، فقد كانت الغنوصية تميز بين نوعين من الله: الله الأسمى الذي خلق عالم النور فقط ولم يخلق الأرض أو الأنسان والآخر هو الله أو الإله الصانع الذي راق له عالم الظلام فخرج على طاعة الله الأسمى وعالم النور وخلق عالماً هجيناً هو الأرض فيه ظلام كثير ونور قليل ومثله الإنسان فيه جسد مظلم مادي وروح/ نفس إلهية منيرة. وقد صار الإله الخالق هذا، في ما بعد، بمثابة الشيطان أو ممثل الشر. ولهذا تنظر الغنوصية للإله يهوا الذي يتعبده اليهود بأنه إله صانع أو خالق وهو شرير. أما المسيحيون الغنوصيون فلا يقبلون أن يكون (إيل) هو إلههم ويرون أن المسيح نزل من الإله الأسمى وليس من (إيل) أو (يهوا)، وهم يرون أنه لم يتعذب على الصليب ولم يصلب ولم يقتل.

في الكتاب الأبوكالبسي الغنوصي المعروف رؤيا يعقوب نقرأ ما يلي: (لم يتعذب على الصليب ولم ينله أي أذى من جلاديه).

وفي نص الأطروحة الثانية لشيت الكبير وهو كتاب غنوصي مسيحي نقرأ بأن يسوع لم يمت على الصليب وأن ما رأوه من موته لم يكن سوى مظهر خادع، وأنهم ما ضربوه وما أهانوه وما سقوه الخلّ والمرّ، وإنما فعلوا ذلك بآخر اتخذ شبهه، بينما كان هو على البعد يهزأ منهم ومن جهلهم.

وهذا الموقف سيتبناه الإسلام في روايته عن يسوع (عيسى بن مريم) وهو ما نراه تأثراً إسلامياً بالمدونات الغنوصية التي سيكون الكثير منها مصدراً من مصادر روايات وأفكار الإسلام، وهي التي كانت منتشرة بقوة في جزيرة العرب، وهو ما سنناقشه مفصلاً.

مكتبة الفكر الجديد

الوجود التاريخي للسيد المسيح

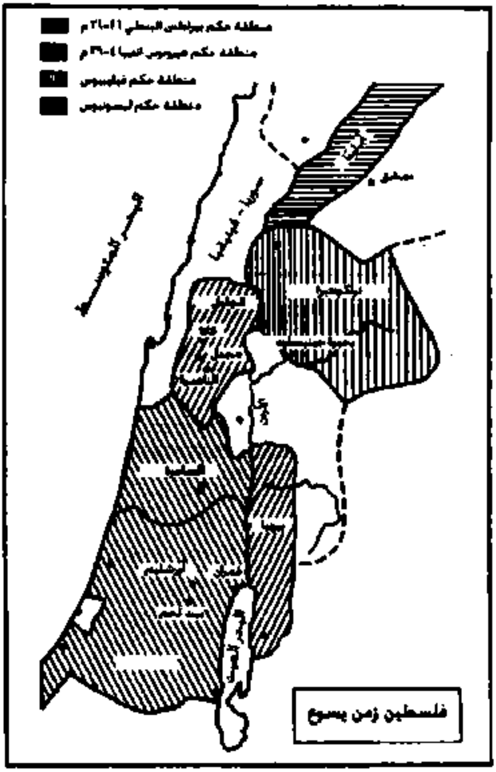

ما زال الوجود التاريخي للسيد المسيح يثير جدلاً واسعاً بين علماء الأديان والتاريخ وتميل أغلب الآراء العلمية بعدم التثبت، حتى الآن، من وجوده التاريخي، فالأناجيل الأربعة القانونية المنسوبة لـ (مرقس، متّى، لوقا، يوحنّا) نفسها أصبحت محطّ شكٍّ في كونها كتبت من قبل هؤلاء الأشخاص، فضلاً عن كون أصحابها، إن كانوا هم من كتبوها، لم يشاهدوا المسيح ولم يتعرفوا إليه مباشرة.

كُتب إنجيل مرقس في مصر، على أكثر التقديرات رجحاناً، في حدود 58-60 م أي بعد أكثر من ربع قرن من نهاية السيد المسيح ولم يشاهد هذا المسيح.

وكذلك إنجيل متّى في أورشليم الذي كتبه متّى العشّار جامع الضرائب والموظف الذي لم يستطع السفر مع المسيح.

أما إنجيل لوقا فقد كُتب في القيصرية حوالي (61-64 م) واعتمد على إنجيلي (مرقس ومتّى) كمصدر له، ولم يشاهد طبيب بولس وهذان المسيح.

أما إنجيل يوحنّا فقد كُتب في أفسس حوالي 85 م واعتمد على رؤية أخرى.

وهكذا يتبين لنا أن هذه الأناجيل لم تكتب في زمن السيد المسيح، ولم يشاهد أحد كاتبيها السيد المسيح.

ولا توجد إشارات وكتابات تاريخية دقيقة في زمن السيد المسيح تقول بوجود (يسوع)، أما ما يذكر من كتابات تاريخية ضعيفة أهمها الشهادة الفلافية وهي الإشارة **المقتضبة التي ذكرها فلافيوس يوسفيوس الذي عاش في زمن المسيح، في كتابه عاديات يهودا**، والتي يرى فيها العلماء أنها مضافة إلى كتاب يوسفيوس من قبل المسيحيين لإثبات وجوده وصلبه، بسبب عدم إتقان تزوير كاتبها ووضع هذا التزوير على لسان كاتب يهودي مثل يوسفيوس.

ولعل المطابقة بين شخصية السيد المسيح وشخصية سايمون الساحر تبقى محيّرة ومثيرة وجذابة، في الوقت نفسه، لكنها مازالت بحاجة إلى الكثير من الدعم والأسانيد.

2. بولس الرسول والغنوصية

إذا كان يسوع هو السيد المسيح المؤسس للديانة المسيحية كنبي مرسل من الله أو كابن للرب، فإن بولس هو المؤسس الثاني للمسيحية، فهو الذي قام بصياغة هيكلها الديني بمكوناته المعروفة.

ولد بولس الرسول في حوالي 3 ق.م في مدينة طرسوس (قليقية) في غلاطيه، وكان يهودياً (واسمه شاؤول) في أسرة يونانية الثقافة، وكان والده يحمل الجنسية الرومانية واسم (بولس) هو اسمه الروماني. فهو يهودي الديانة يوناني الثقافة روماني الجنسية وعبريّ الأصل، من سبط بنيامين كما يقول هو.

كان ينتمي شكلياً إلى المذهب اليهودي (الفريسية)، وهم فئة متشددة، فكان يعرف الآرامية والعبرية، لكنه كان قد درس في روما فقد أرسله أبوه الموظف الروماني إلى هناك لتلقي معارفه الهلنستية والرواقية والغنوصية، كان يجيد اللغة

اليونانية ويكتبها، ولم يكن هو في أورشليم أو غيرها خلال ظهور السيد المسيح داعياً لديانته الجديدة، بل كان في روما يتلقى تعاليمه الهلنستية الإغريقية اللغة.

كان معلم بولس في دمشق واسمه (حنّانيا) يحث بولس على حرب وإزاحة أتباع يسوع الذين آمنوا بأنه ملك اليهود الذي جاء ليخلصهم ويحكمهم... وكانت فكرته أن يتم تمويه ذلك بالقول إن يسوع لم يطالب بملك، بل جاء ليفتدي ذنوب البشر عندما رفع على الصليب ومات، ولذلك فهو لم يكن ملكاً لليهود يخلصهم من حكم الرومان بل هو مخلص كل الناس من ذنوبهم.

فكرة الخلاص هذه امتزجت مع الثقافة الهلنستية والرواقية والغنوصية لبولس، فجاءت جديدة مدهشة ولم يعد هناك شيء من فكرة (المشيّا) الذي نادت به التوراة، ولذلك كان لا بد من استعارة الهيكل الغنوصي الذي يعتبر المسيح ابناً للإله الأعلى الذي جاء ليخلص الإنسان من المادة والشر الذي صنعه الإله الصانع المادي.

أعاد بولس (تصنيع) يسوع أو المسيح المصلوب، طبقاً لثقافته اليهودية اليونانية، وأطلق عليه الفادي والمخلّص، بعد أن جمع فكرة (الشكينة اليهودية) و(اللوغوس اليوناني) كمؤنث ومذكر نتج عنهما الابن الذي توسط بين الله الواحد المتعالي والإنسان.

كان هذا نوعاً من تحوير الغنوصية باتجاه المسيحية البولسية التي أصبحت أساس الفكر المسيحي لاحقاً مع وجود التغييرات الكثيرة فيها.

كانت (الشكينة) هي إشارة وردت من فيلون وقال إنها المقابل الأنثوي لـ(لوغوس) اليونانية المذكرة، وتعني بالعربية (السكينة) فيما تعني اللوغوس (الكلمة)، وربما كانت أساس كلمة (لغة) العربية، لأن العرب والساميين عموماً يسمون اللغة بـ (اللسان).

إذن السكينة واللوغوس هما الحكمة المؤنثة والكلمة المذكرة في اتحاد دائم، وهو ما أنتج الابن الذي كان بمثابة الوسيط الفعال بين الإله والخلق. وهذه الاستعارة من الغنوصية التي قام بها بولس واضحة تماماً، وربما كانت من خلال فيلون اليهودي الغنوصي.

أما فكرة الفداء فلا شك في أنها فكرة مسارية معروفة. وهكذا أصبح الابن الفادي من مرجعية غنوصية مسارية. وكانت أحداث ولادته وموته وصلبه وبعثه قد حدثت منذ الأزل في السماء البعيدة قبل نشوء هذا العالم المادي، وهكذا تكوّن (مسيح آخر) كما يذكر ذلك بولس في رسالته إلى أهل غلاطيه (3: 24-28).

وهكذا أصبح (المسيح الآخر) هو غير المسيح اليهودي (المشيّا) الذي بشرت به التوراة، وهذا ما أراده بولس تماماً. وبذلك أبعد المسيحية عن اليهودية.

يستخدم بولس كثيراً مصطلح (الملأ الأعلى) وهو مصطلح غنوصي بامتياز وهو العالم الذي ظهر من الإله الأب.

ومن أمارات استخدام بولس للغنوصية هجومه العنيف على الجسد واعتباره من العالم المادي الشرير الذي يحمل الخطيئة فهو يقول (لأن الجسد زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة أوثان، سحر، وشقاق. أما الروح فصلاة ومحبة، فرح وسلام، صلاح وإيمان) (غلاطيه: 21 و19/ 5).

فكان يرى بولس ضرورة قمع الجسد ونزواته والمطالبة بالتحرر منه وهو ما كانت تعتقده الغنوصية تماماً.

وكذلك نرى الموقف الغامض لبولس من الزواج والذي يتذبذب بين كره الزواج واتخاذه وسيلة لقمع الشهوات، وهو ما ألقى بظلاله كثيراً على حياة المسيحيين وبشكل خاص رجال الدين منهم وما كان سبباً في نشوء الرهبنة والتبتل.

وكل هذا كان بسبب الأثر الغنوصي الذي بدأ مع المسيحية منذ بدايتها وتأسيس مكوناتها على يد بولس.

كانت سبل اتصال بولس بالرب عن طريق الحلم أو الرؤيا وهو أحد التقاليد الغنوصية المعروفة أيضاً.

وكان يشير إلى اليهود كعبيدٍ للآلهة وللحكام (الأراكنة)، وأن المسيح جاء ليحرر الناس كلهم، ومن ضمنهم اليهود، من الآلهة (التي يهوا على رأسها) ومن الأراكنة وهذه كلها مفاهيم غنوصية معروفة.

3. الأصل الغنوصي للرهبنة المسيحية

أسهمت الغنوصية والرواقية بقسط كبير في نشوء الرهبنة المسيحية، فقد كانت مبادؤها في اعتبار المادة والجسد أصلاً للشر والتعفف عن غرائز الجسد والامتناع عن الزواج والاتصال الجنسي (بل وتحريمهما) والهروب والعزلة عن الناس والشعور بالغربة في هذا العالم. كل هذه المبادئ الغنوصية كانت سبباً رئيسياً للرهبنة في أغلب الفرق الغنوصية وفي المسيحية.

ترى الغنوصية أن الكون بأكمله خُلق كحادثة شريرة قام بها الإله الصانع (الديمورج) الذي هو بمثابة الممثل عن آلهة الشرك القديم أزاء الله الواحد العالي المتفرد الذي يحتضن عالماً روحانياً نورانياً، لكن الإله الصانع الذي هو إله الشر أراد تقليد الإله الواحد فصنع عالماً مادياً (لأنه لا يستطيع صنع عالم روحاني نوراني بسبب هبوطه عن العالم الروحاني وخروجه عليه).

الرواقية هي الأخرى ترى أن المادة هي الشرّ بعينه، وهذا ما يجعلنا نؤكد أن الغنوصية احتقرت العالم ونفرت من المادة ومجّدت الروح وعالم الروح، وقد كان هذا المبدأ هو أساس الزهد والتصوف والرهبنة.

والغنوصي يشعر أنه إنسان غريب عن هذا العالم لأنه يحمل في داخله الروح أو النفس الإلهية المصدر والتي تشعر بغربتها عن العالم المادي وسجنها فيه، ولذلك يكون همّه الوحيد الوصول إلى العالم الروحاني الأعلى.

وكذلك فإن أغلب التيارات الغنوصية تمنع الزواج وتراه يتعارض مع نفورها من المادة والجسد (كالمانوية) أو إن بعضها تُقلل من أهمية الزواج وتتحاشى تشجيعه، لأنه إعمار لعالم الدنيا التي يجبُ الرحيل منها.

كل هذه الأمور انعكست في البداية الغنوصية للمسيحية ونجد صداها في سلوك السيد المسيح وحوارييه وبالأخص يوحنا صاحب الإنجيل الذي كان يلبس الوبر ويأكل الجراد والعسل البري متقشفاً عن الدنيا وما فيها، وكذلك يعقوب الذي هو أخ (يسوع) والملقب بـ (يعقوب أخا الرب) الذي كان أقرب إلى الزاهد والراهب. وكان تلاميذ وأتباع السيد المسيح يسلكون سلوك الزاهدين والذي كان نواة لنشوء الرهبنة المسيحية بالنسبة إلى المؤمنين رجالاً ونساءً.

4. فرق الغنوصية المسيحية الأولى

المشجّر الآتي يوضح لنا أسماء الفرق الغنوصية المسيحية الأولى التي أسست المسيحية والتي يصنفها الآباء المسيحيون كفرق هرطوقية:

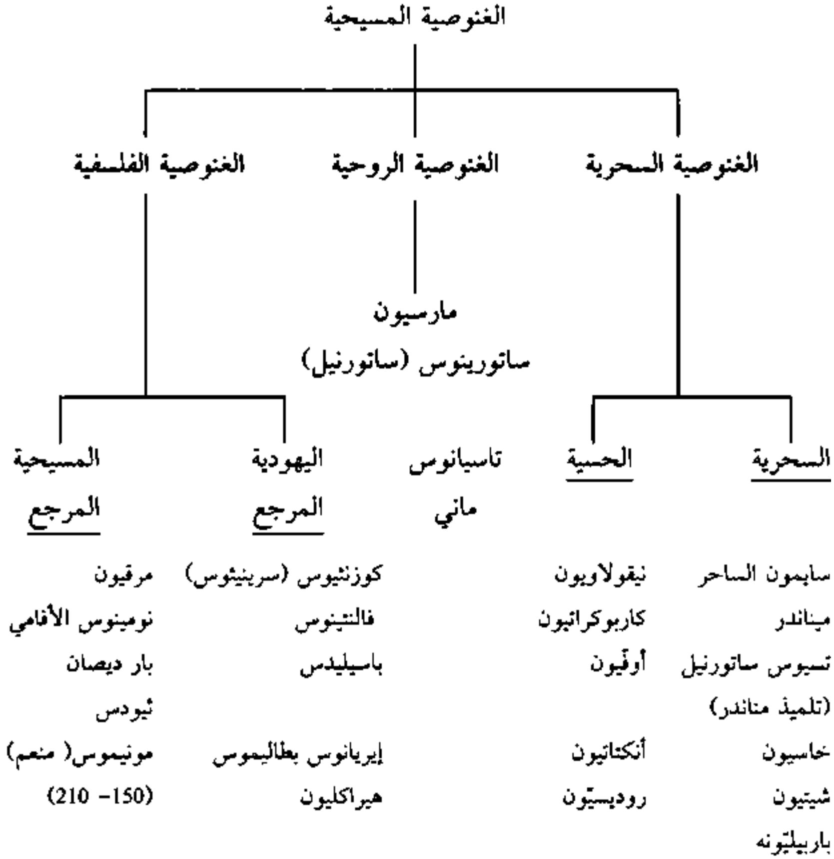

مكتبة الفكر الجديد

5. الغنوصيون المسيحيون الأوائل (الكنيسة الغنوصية)

1. سيمون الساحر (حوالي 67 م)

Simon Magus

سايمون الساحر (طبقاً للبعض بنسب وجه المسيح لوجه سايمون)

http://www.duepassinelmistero.com/simone_mago.htm

هو سايموس ماجوس أو سمعان الساحر أو شمعون الساحر، واسم سايمون أو سمعان تعني بالعبرية (سامع) وماجوس هو لقب أطلقه عليه أعداؤه لكي يحجبوا حقيقته ويعني (الساحر).

وردت قصته في الإصحاح الثامن من سفر الأعمال، وكما يلي: «وكان في المدينة ساحرٌ اسمه سمعان فتن السامريين من قبلُ بأعمال السحر وادّعى أنه رجلٌ عظيمٌ فكانوا يتبعونه جميعاً، من صغيرهم إلى كبيرهم ويقولون: هذا الرجل هو قدرة الله التي ندعوها العظيمة. وكانوا يتبعونه لأنه فتنهم بأساليب سحره من زمن طويل، فلما بشّرهم فيليبس بملكوت الله واسم يسوع المسيح آمنوا وتعمّد رجالهم

ونساؤهم وآمن سمعان أيضاً، فتعمد ولازم فيليبس. يرى ما يصنعه من الآيات والمعجزات العظيمة فتأخذه الحيرةُ» (أعمال 8: 9-13).

وهو مسيحي من السامرة من قرية جتّو ظهر في عهد كلوديوس قيصر وقضى طفولته في مصر، وكان يمتلك قوى سحرية جعلته يمزج السحر بالغنوصية والمسيحية ليكوّن له طريقة أو مذهباً أطلق عليه لاحقاً (السايمونية) الذي ظلّ حياً بأتباعه إلى منتصف القرن الميلادي الثالث.

مارس السحر والأعاجيب في السامرة ووصل صيته إلى روما حيث أقيم له فيها تمثال أقيم على نهر التيبر (في الجزيرة القائمة في وسط نهر التيبر وهي تحت تحت الفاتيكان بمسافة صغيرة) بين قنطرتين ونقشت عليها باللاتينية (سيمون الإله القدّوس).

الصراع بين بطرس وسايمون (الذي على اليمين ويرتدي ملابس سوداء)

لوحة Avanzino Nucci, 1620

http://en.wikipedia.org/wiki/Simon_Magus

مكتبة الفكر الجديد

ادعى النبوة أولاً، ثم ادعى الألوهية في السامرة وتبعه أغلب أهلها، وكان يقول إنه وفق النظام الغنوصي، الرب في السامرة والمسيح بين اليهود والروح القدس في الأمم الأخرى. وهناك من يرى أن سايمون هو السيد المسيح وأنه بداية الغنوصية المسيحية وأن أتباعه (السايمونيون) رأوا أن «الخلاص لا يأتي عن طريق الإيمان والحب وحدهما، ولكن عن طريق المعرفة التأملية المستوحاة، والحدس الخاص بالإصغاء وممارسة طقوس السحر، فهي تدعو إلى التوفيق بين المذاهب، وهكذا أخذت كل ما تعلّمه الديانات الفارسية (الزرادشتية) والمصرية والهيلينية (الفلاسفة)، وخصوصاً ما علّمته ثنائية زرادشت التي كانت تنادي بوجود صراعٍ دائم بين قوى النور والظلام وقوى الخير والشر، حتى أخذت من المسيحية فكرة الخلاص» (نافع البرواري: البدع والهرطقات في القرون الأولى للمسيحية: ج5، موقع منتديات عنكاوا www.ankawa.com)

اصطحب سايمون امرأة من صور اسمها (هيلانة) وادّعى أنها من بنات أفكاره وأنها (الفكرة الأولى) التي ظهرت منه وأنها أم كل الأشياء وبها خُلق الملائكة والعالم، وقد وضعها العالم في جسد بشري ومنعوها من الرجوع إليه، فصارت غانية ضالة، وجاء سايمون ليخلصها من سجنها المادي. وكان يطلب من الناس أن يتبعوه معها حتى يهتدوا إلى الخلاص.

لقد كان سايمون يقلّد سيرة السيد المسيح ويتشبّه به وبمعجزاته وحتى هيلانة كانت نظيرة مريم المجدلية في حياته.

اصطدم بالرسولين بطرس ويوحنا فقد ألقيا اللوم عليه وهو يمارس مثل هذه الأمور، ويقال بأنه اهتدى على يد فيليبس، لكننا لا نملك دليلاً على ذلك، بدليل نهايته التي ترسمها أغلب الكتب المسيحية.

كان يدعي أعمال المعجزات والسحر والشفاء ويقال إنه حاول الطيران، ولكنه سقط وأصيب بكسور، بل إنه حاول الصعود إلى السماء في عربة ذات لهب فسقطت به وانكسرت رجله ولذلك ألقى نفسه من على جبل ومات. وهناك من يرى أنه طلب أن يدفن حياً، في آخر حياته، حتى يقوم بعد ثلاثة أيام، ولكنه لم يقم ومات في قبره. وقبره الآن موجود في أريشيا (Ariccia) قرب روما.

سايمون وبطرس وبولس أمام نيرون: جدارية كنيسة البلاتين في باليرمو في إيطاليا، القرن الثاني عشر

http://www.sophiaproject.net/SIMON-MAGUS-THE-GNOSTIC-CHRIST.html

هاتان النهايتان تفنّدان موضوع هدايته على يد فيليبس، ولا تخلو مثل هذه المبالغات في سيرته من تدخل أيدي كتاب السيرة المسيحيين في تشويه حياته وأعماله، وكان لسايمون كتاب مقدّس **الوحدي العظيم** وصلت منه بعض الشذرات.

تأثر سايمون بالغنوصية الوثنية المبكرة وبالسحر، ورسم له سفر (أعمال بطرس) المنحول صورة أخرى، وهو يتبارى مع بطرس في روما، ويستطيع الطيران فوق روما والتجول في سمائها، لكن بطرس يعد بكشف أعمال سمعان السحرية. كان له تلميذان مهمان في السامرة هما (ميناندر ودتسيوس) اللذين غادرا إلى أنطاكية ونشرا الغنوصية المسيحية فيها.

كان بعضهم يرى أن شخصية سايمون هي شخصية مختلقة من قبل السيناتور مارشيلو الذي كان في عصر الإمبراطور الروماني نيرون (54-67 م).

لكن هناك الكثير مما يشير إلى وجوده التاريخي، وهو موصوم من قبل جميع مناصري الكنيسة بالكذب والزيف والسحر والشعوذة وبأنه مؤسس خلافة كاذبة من الزنادقة المستوحاة من الشيطان، وهو أبٌ لكل البدع.

هناك ما يشير إلى أن سايمون ينحدر من سلالةٍ كلدانية قدمت إلى السامرة ولم

يكن يهودياً، بل كان بابليّ الديانة وتخالط ديانته ثقافة مجوسية زرادشتية، فضلاً عن هذا إنه كان أيضاً تلميذاً ليوحنا المعمدان وقضى بعض طفولته وصباه في مصر.

في هذه الفترة كانت قد انتشرت الأخبار عن تعاليم (الأسينيين)، وكان هؤلاء يعتنون بتربية الأطفال والصبيان وفق تعاليمهم التزهدية والرافضة للديانة اليهودية التقليدية والداعين إلى ديانة عالمية وانضم إليها يوحنا المعمدان وبطرس وفيليب وبولس.

حين أتى فيليب (وهو غنوصي مسيحي له إنجيل أبوكريفي في مخطوطات نجع حمادي) إلى السامرة عرف أن سايمون يبشر بأنه المسيح وأنه (قوة الله في الإنسان) وكان في أورشليم كنيسة مبكرة هي كنيسة جيمس (أخ يسوع).

كان سايمون مؤمناً بأن للكتاب المقدس معانيَ رمزية وليست حرفية، وأصبحت فرقته (السايمونية) حافزاً لولادة فرقة الدوسيتية التي تؤمن بأن يسوع لم يمت جسدياً على الصليب.

أسس سايمون الكثير من الكنائس على طول الساحل الفلسطيني السوري من قيصرية إلى أنطاكيا وذهب إلى صور (حيث التقى هيلين) وطرابلس ثم إلى روما.

كانت وما زالت هناك شكوك قوية بأن سايمون هو المسيح الحقيقي الذي ظهر في فترة المسيح نفسها وحقق بعض المعجزات وكان غنوصياً، ثم نسجت حوله أسطورة أخرى عن المسيح المصلوب.

الهيكل الغنوصي لسايمون الساحر

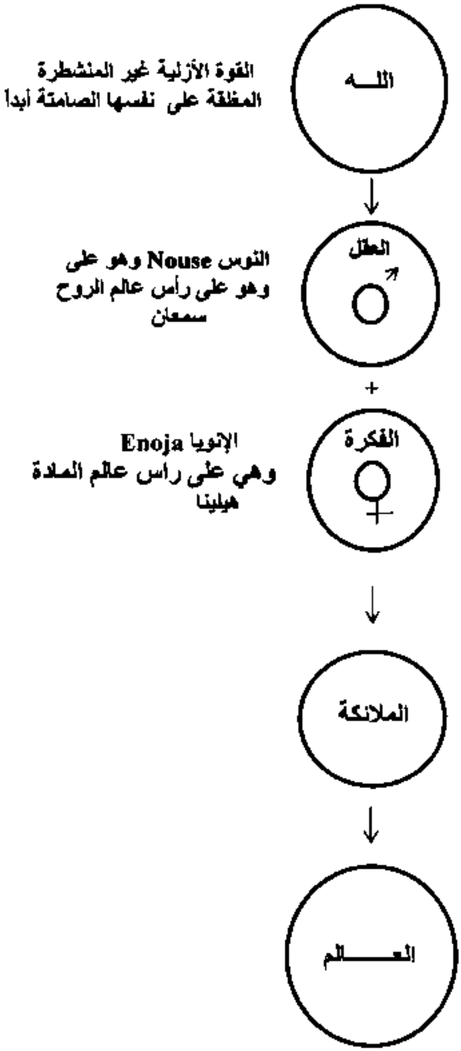

أما وفاته فقد حصلت بين (64-65 م) وهناك خمس احتمالات للطريقة التي مات بها:

1. بعد إجراء نوع من التحدي بينه وبين بطرس طار سايمون فوق روما لكنه سقط بعدها والتقطه بعض الناس، ورغم ما أشيع عن عدم موته، لكنه ربما كان قد أصيب بكسور أدت إلى موته، ثم وضع في تابوت حيث دفن في تيراسينا ومن ثم في أريشيا في حديقة فيلا (جيكي).

2. بعد أن سقط على الأرض ربما يكون قد انتحر.

3. ربما عثر عليه مكسوراً وطلب هو أن يدفن حياً ليقوم بعد ثلاثة أيام لكنه مات ولم يقم.

4. ربما يكون قد استخدم أجنحة إيكاروس (كما في الحكاية الإغريقية) لكنه سقط ومات.

5. هناك احتمال أنه أصبح في حلقة مسيحية تضم السيناتور المقرب من نيرون وهو مارسيلو، بل إن الإمبراطور نيرون ربما يكون في هذه الحلقة، وربما كانت مباراة التحدي بين سايمون وبطرس عملاً فاصلاً، وكان نجاح سايمون ثم سقوطه مثيراً، وهو ما جعل سايمون يُرجم من قبل الناس، في ما بعد، وقد اتُّهم بطرس بأنه، بهذا دبر قتل سايمون فسُجن وصلب، أما سايمون فقد أكرمته الإمبراطورية بعد وفاته، وكأنه إله، وصنعت له التمثال المعروف بـ (سايمون المقدس) والذي أمر به كلوديوس.

توفي سايمون في حدود 65 م وصلب بطرس رأساً على عقب (على الصليب مقلوباً)، لأنه كان يرى أنه ليس أهلاً ليكون مصلوباً كالمسيح، صلب في 67 م أما بولس (الذي كان يبشر في روما أيضاً) فقد أعدم بقطع رأسه بأمر من نيرون على أثر حريق روما الذي اتهم المسيحيون بإشعاله عام 64، ولذلك يؤرخ موته بـ (64-67 م).

بطرس وبولس في مواجهة سايمون أمام نيرون

لوحة رسمها Filippino Lippi 1481

http://en.wikipedia.org/wiki/Simon_Magus_in_popular_culture

سقوط سايمون

لوحة رسمها Benozzo Gozzoli 1462

http://en.wikipedia.org/wiki/Simon_Magus_in_popular_culture

2. دوسيثيوس (حوالي 70 م)
(Dositheos)

هو أحد الأتباع الثلاثين ليوحنّا المعمدان (فهو زميل سايمون الذي كان أيضاً أحد أتباع يوحنا). وهو رئيس طائفة الدوسيثيين التي يعتقد أنها أصل المندائيين (في هذه المرحلة الهلنستية على أقل تقدير).

ذكره ترتوليان في كتابه عن الهراطقة بأنه «أول من أنكر أنبياء بني إسرائيل، وقد دفع هذا إلى ظهور الصدوقيين، وجيروم يعطي الشيء ذاته، وهيبوليتس يبدأ تعداده للاثنين والثلاثين من الهراطقة بالإشارة إلى دوسيثيوس» (سباهي 1996: 152).

وهناك آراء متضاربة حول أصله وزمنه فهناك من يرى أنه ظهر قبل ظهور الإسكندر المقدوني، وهناك من يرى تشابه عقائده مع السامريين مثل (تقديس جبل كريزيم ورفض كتب أنبياء التوراة وإنكار البعث)، وهناك من يرى أنه كان معلماً لسايمون أو جاء بعده.

ويقول أوريجن (185-203 م) وهو أحد أساتذة اللاهوت الكبار في الإسكندرية، إن تلاميذ دوسيثيوس يحتفظون بكتبٍ له، وإنه كان يدعو نفسه بالمسيح وأن فرقته لم تزدهر يوماً ما، وأنها تكاد تختفي تماماً في زمانه، إذ لم يبق منها سوى ثلاثين شخصاً. أما المصادر الكهنتية في الإسكندرية فتشير إلى وجودهم هناك وبعدد كبير وأنهم كانوا يدخلون في جدالات مع رجال الدين المسيحيين (سباهي 1996: 153).

ربما كانت هناك علاقة للدوسيثيين بالشيثيين ولهؤلاء الاثنين بالمندائيين ولهؤلاء الثلاثة بالمسيحيين الأوائل، وكل هؤلاء، من وجهة نظرنا، كانوا فرقاً غنوصية أسهمت في ظهور المسيحية وطبعت أفكارها الأولى بطابعها.

3. ميناندر (حوالي 80 م)

ميناندر أو مندار الذي ظهر في السامرة أيضاً بعد سايمون الذي ربما كان معلمه، لكن ميناندر اختط له طريقاً غنوصياً خاصاً، كان من قرية كابراتيا في السامرة وبعد أن اتبع سايمون رحل إلى أنطاكية وهناك أسس مذهبه الغنوصي وصار له أتباع.

ادعى ميناندر أنه هو (المخلّص) الذي أرسل من الدهور الخفية لخلاص البشر، وأنه إذا عمّد الناس فإنه يمنحهم الخلود ويكونون مثل الملائكة التي خلقت العالم. وقد ذكره غيريناوس في كتابه **ضد الهرطقات**.

اتسع نفوذه في أنطاكية بين سنتي (70–100) ونشر الغنوصية في غرب سوريا، حيث أصبحت أهم مراكز الغنوصية لاحقاً، وبشّر في آسيا الصغرى عموماً. تميزت غنوصيته بالإصرار على التفريق بين الله المتعالي والطاقة أو الطاقات المبدعة، وهي (قوى الطبيعة)، ورأى أن الغنوصية لا تنال بالإيمان فقط، بل عن طريق العلوم الكونية والروحية، وكان ينادي بـ (السحر المتسامي).

وقد ثبت أن هناك صلة بين تعاليم ميناندر وبعض الأفكار الزرادشتية وخصوصاً ما يخص الأيونات التي هي إحدى مظاهر أهورامزدا، وربما كان هناك ما يشير إلى اهتمامه بها من خلال التراث المصري.

المبحث الثاني
الأناجيل المسيحية وتصنيفها

لكي نأخذ فكرة شاملةً عن حجم وسعة وتنوع الأناجيل داخل (العهد الجديد) وخارجه فسنحاول توضيح هذا من خلال التصنيف الذي يشير إلى البدايات المركبة والملتبسة لنشوء المسيحية، ويؤشر الكم الهائل للمؤثرات الغنوصية والباطنية التي رافقت نشوء المسيحية.

تنقسم الأناجيل إلى الأقسام الآتية:

1. الأناجيل القانونية (Canonical gospels) وما تبقى من الغنوصية فيها

الإنجيل كلمة معربة عن اليونانية (إيوانجلون) ومعناها (الخبر السار) أو (البشارة السارة) أو (بشرى الخلاص)، وهي تشير، عند المسيحيين، إلى مجيء السيد المسيح وتقديم نفسه ذبيحةً وفداء للبشرية على الصليب نيابةً عن الجنس البشري، ثم دفنه في القبر وقيامته في اليوم الثالث كما جاء في العهد القديم، وهو ما توضحه رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (الإصحاح 15 الأعداد 1-4).

الأناجيل القانونية هي التي أقرتها الكنيسة المسيحية ككتب مقدسة وأصبح غيرها من الأناجيل غير قانوني (بالنسبة إلى الكنيسة)، ولكن دراسة الأديان تعطيها أهمية كبيرة.

الأناجيل القانونية هي:

1- إنجيل متى: عدد إصحاحه 38 ويعتقد أن كاتبه هو متّى العشار في أورشليم (61-64 م).

2- إنجيل مرقس: عدد إصحاحه 16 ويعتقد أن كاتبه مرقس المبشّر في مصر (58-60 م).

3- إنجيل لوقا: عدد إصحاحه 24 ويعتقد أن كاتبه لوقا في قيصرية (61-64 م).

4- إنجيل يوحنّا: عدد إصحاحه 21 ويعتقد أن كاتبه هو يوحنّا في أفسس (85) م، والثلاثة الأولى تسمى الأناجيل الإزائية بسبب من إمكانية مقارنتها ببعضها ولاختلافها عن إنجيل يوحنّا.

القديس يوحنا المبشر وصاحب إنجيل يوحنا

http://www.devinrose.heroicvirtuecreations.com/blog/2009/05/09/authority-and-tradition-in-3-john/

مع أن في بعض منها تشابه في سرد الرواية والتعليم مع البشائر الأخرى، إلا أن كل واحد من البشائر تغطي جهة من حياة وتعاليم المسيح، فالبشير متى يغطي حياة المسيح كابن داوود، والبشير مرقس يغطي حياة المسيح كالخادم، ولوقا يغطي حياة المسيح كابن الإنسان، والبشير يوحنا يغطي حياة المسيح كابن الله. تؤمن الكنيسة بأن كاتب إنجيل متى هو التلميذ والرسول متى، وكاتب إنجيل مرقس هو مرقس الذي كان ابن أخت القديس برنابا وتلميذاً للقديس بولس، وأما كاتب إنجيل لوقا فهو لوقا الطبيب وهو أحد تلامذة ومساعدي بولس في رحلاته التبشيرية، بينما كتب

إنجيل يوحنا التلميذ يوحنا بن زبدي. غير أن التحقيق التاريخي لنسب كل إنجيل لصاحبه لم يحدث قط؛ خاصة وأنه لا يوجد أي إشارة من بعيد أو من قريب في المتون الإنجيلية إلى كاتبيها، وهذا ما دعى بعض الدراسات التاريخية الحديثة أن تنسب تلك الأناجيل إلى مجهول. (ويكيبيديا، الإنجيل /http://en.wikipedia.org wiki/List_of_gospels)

ما تبقى من الغنوصية في الأناجيل الأربعة

أقدم إشارة لمرقس ومتّى جاءت من أوزبيوس القيساري (القرن الرابع للميلاد) اعتماداً على الأسقف بابياس (القرن الثاني للميلاد) وفيه نقرأ أن متّى هو أول من جمع تعاليم يسوع في مؤلف سماه لوجيا (Logia) أي (الأقوال)، وقد شكك كيثون أن المقصود بمتّى هو (متّى العشار تلميذ يسوع) ونسبوه إلى (متّى) آخر.

الأناجيل الأربعة كتبت في مرحلة شيوع الأفكار الغنوصية، وقد تبنت بعضها، لكن الحذف والتعديل اللاحقين طالا هذه الأناجيل (من قبل الكنيسة القويمة)، ومع ذلك نلمحُ إشارات إلى الفكر الغنوصي فيها، منها أن:

يسوع هو المسيح الذي يختم التاريخ (وهو الزمان المدنس) ويفتتح ملكوت الله (وهو الزمان المقدس) يتقدمه النبي إيليّا في صورة (يوحنّا المعمدان).

ومفهوم ملكوت الله أساسي جداً في الأناجيل الإزائية ورسالة يسوع آخروية وليست دنيوية وتبتعد عن المعنى السياسي للمسيح المنتظر (في التوراة) أو (المشيّا)، وكذلك مصطلح (ملك اليهود) ولذلك فضلت هذه الأناجيل تسمية (ابن الإنسان).

أما إنجيل يوحنا فله علاقة أكبر بالغنوصية في نسيجه الحالي رغم أنه خضع للتعديل وهو يرتبط بغنوصية مرقيون الذي يرفض صلة المسيح باليهودية ويعالجه على أنه مبعوث (الإله الأسمى) وهو (ملكوت الله).

إن ما يظهره إنجيل يوحنا من مواقف حاسمة ليسوع في رفض اليهود واليهودية يدل على رسالة مسيحية صافية لم تطالها المداخلات اليهودية، إلا في الحد الأدنى، وفي هذا يقول ألبير بانييه، الباحث في سوسيولوجيا العهد الجديد: إن إنجيل يوحنا في شكله الأول يسير على النهج الذي عرفناه في مؤلفات الغنوصي مرقيون. وبعد

مكتبة الفكر الجديد

إدانة مرقيون وحرمانه من الكنيسة، أي بعد عام 144 م، خضع الإنجيل لتنقيحات مهمة غرضها إسباغ حلّة قويمة عليه (السواح 2002: 47).

ولعل أبرز شيء في إنجيل يوحنا هو الفصل بين المسيح (والمسيحية لاحقاً) واليهود، واعتبارهم أعداءً له، فكان يصفهم بأنهم أولاد إبليس وأنهم يريدون إتمام شهوات أبيهم (يوحنا ج: 31-44)، وهذا ما ذهبت إليه الغنوصية من اعتبار إله اليهود (يهوا) هو الديميورغ (الإله الصانع) الشرير الذي خلق العالم المادي وهو الشيطان أو إبليس الذي هو أبوهم حسب نظرية الخلق الغنوصية.

إن تأكيد إنجيل يوحنا على الكلمة (وهي مصطلح غنوصي) يأتي في هذا السياق، وكذلك الأصل السماوي للمسيح (أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق)، وأنه ليس من هذا العالم، وأن من يريد معرفة الله (الأب) فسيجده في نفسه.

كل هذه التلميحات ثقافة غنوصية كاملة. ولذلك نرى أن الأصل الغنوصي لإنجيل يوحنا هو أساس نشوء المسيحية وأن التعديل اللاحق الذي هذّبه وهذّب الأناجيل الإزائية الثلاثة هو أساس نشوء الكنيسة الرسمية والذي لا نستبعد تدخل اليهود الداخلين إلى الدين المسيحي في تكوينه المبكر.

وفي هذا الصدد لا يمكننا نسيان الجدل الواسع حول أحقية الكنيسة الرسمية (القويمة) أم الكنيسة الغنوصية في تمثيل المسيحية وبدايتها، وهناك ميل عارم، اليوم، لدى الباحثين إلى أن المسيحية ظهرت في أول الأمر من الكنيسة الغنوصية لأن السيد المسيح كان غنوصياً بدايةً، وليس صحيحاً الحكم على هذه الكنيسة بالهرطوقية هي ومن معها من الغنوصيين المسيحيين، باعتبارهم خرجوا عن الدين المسيحي القويم إلى الغنوصية، وهناك من ينظر إليهم على أساس أنهم من بدأ المسيحية أفراداً وكنيسة، لكن التقاليد الدينية الراسخة واليهودية هي التي ذهبت بالمسيحية باتجاه آخر وجعلت الغنوصية هرطقة منبوذة.

2. إنجيل الجدل (Controversial gospel)

وهو إنجيل توماس (ويعتقد أنه إنجيل غنوصي أو غنوصي مبكر. في القرن الأول أو منتصف القرن الثاني الميلادي وهو يجمع 114 قولاً من أقوال يسوع، منها 31 قولاً غير موجودة في الأناجيل القانونية.

3. الأناجيل غير القانونية والأناجيل المنسوبة (Apocrypha and pseudepigrapha)

لوغين فرير (Freer Logion): وتسمى أيضاً دستور أو مخطوطة واشنطن وأحياناً إنجيل فرير والذي يتضمن الأناجيل الأربعة مكتوبة باللغة اليونانية على الرق بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وقد عثر عليها جارلس لانغ فرير في مصر عام 1906.

أ. الأناجيل الغنوصية (Gnostic gospels)

1- إنجيل مرقيون

2- إنجيل باسليدس: كتب في مصر حوالي (120-140 م).

3- إنجيل الحقيقة (فالنتينوس) منتصف القرن الميلادي الثاني.

4- إنجيل العوالم السماوية الأربعة: منتصف القرن الميلادي الثاني.

5- إنجيل ماري: القرن الثاني للميلاد.

6- إنجيل يهوذا: القرن الثاني للميلاد.

7- الإنجيل اليوناني للمصريين: القرن الثاني للميلاد.

8- إنجيل فيليب.

9- شبه الإنجيل للإثني عشر: مكتوب باللغة السريانية.

10- إنجيل الكمال: للأفاتيين من القرن الرابع الميلادي.

ب. الأناجيل اليهودية - المسيحية

1- إنجيل العبريين.

2- إنجيل النزاريين (ربما النصارى).

3- إنجيل الإبيونيين.

4- إنجيل الإثني عشر.

ج. أناجيل الطفولة

1. إنجيل الطفولة الأرمني.

2. إنجيل جيمس.

مكتبة الفكر الجديد

3. إنجيل ميلاد مريم.
4. إنجيل شبيه ماثيو.
5. تاريخ يوسف النجار.
6. إنجيل الطفولة لتوماس.
7. إنجيل الطفولة اللاتيني (حوالي 404 م).
8. إنجيل الطفولة السرياني.

د. الأناجيل المحفوظة جزئياً

1. إنجيل بطرس.

هـ. الأناجيل المحفوظة كجذاذات

1. إنجيل حواء.
2. إنجيل ماني: القرن الثالث الميلادي.
3. إنجيل المخلص (ويعرف باسم إنجيل برلين المجهول) من القرن السادس معتمد على مخطوطة تعود للقرن الثالث الميلادي.
4. الإنجيل القبطي للاثني عشر: من نهاية القرن الثاني مكتوب بالقبطية.

4. الأناجيل الضائعة

ذكرت بعض الأناجيل والنصوص في الكتاب المقد الرسمي، واعتبرت ضائعة ونظر إليها العلماء كنصوص مفقودة أو منتحلة وهي كما يلي: (ويكيبيديا: الإنجيل)

- **إشارات العهد الجديد لكتب ضائعة:**

* اقتطفت رسالة يهوذا (1: 14-15) عدداً من سفر أخنوخ الذي يعتقد معظم العلماء أنه منتحل لكن مؤلف رسالة يهوذا يستشهد به على أنه كلام أخنوخ. سفر أخنوخ هو أحد أسفار الكتاب المقدس للكنيسة الإثيوبية.

* اقتطافات من كتاب اليوبيلات في رسالة الرومان 2: 29، 9: 24، 4: 13.

* هناك عدة إشارات إلى مزامير سليمان ورؤى باروخ الإغريقية وعزرا اللاتيني وشهادات الآباء الاثني عشر.

* اقتطاف صعود موسى في سفر الأعمال 7: 36 وفي رسالة رومية 1: 25، 9: 16 وفي رسالة يهوذا 9.

* اقتطاف حياة آدم وحواء في الرسالة الثانية إلى كورنثوس 11: 14.

* اقتطاف استشهاد إشعياء في رسالة العبرانيين 11: 37.

* رسائل بولس الضائعة:

* أول رسالة إلى كورنثوس: مذكورة في الرسالة الأولى إلى كورنثوس 5: 9.

* ثالث رسالة إلى كورنثوس التي سميت الرسالة القاسية مذكورة في الرسالة الثانية إلى كورنثوس 2: 4، 7: 8-9.

* رسالة كورنثوس إلى بولس مذكورة في الرسالة الأولى إلى كورنثوس 7: 1.

* الرسالة الأقدم إلى أفسس مذكورة في الرسالة إلى أفسس 3: 3-4.

* الرسالة إلى اللاودكيين مذكورة في الرسالة إلى كولوسي 4: 16.

* رسالة إلى تسالونيكي زورت باسم بولس مذكورة في الرسالة الثاني إلى تسالونيكي 2: 2.

* رسالة أقدم ليوحنا مذكورة في رسالة يوحنا الثالثة 1: 9.

* رسالة يهوذا الضائعة مذكورة في رسالة يهوذا الأولى 1: 3.

* اقتطافات من عدد من الأعمال اليونانية الكلاسيكية مثل:

* كرتيكا إيبمنيدس في سفر الأعمال 17: 28.

* فانومنا أراتوس 5 في سفر الأعمال 17: 28.

* دي أوركوليس إيبمنيدس في الرسالة إلى طيطوس 1: 12.

* باكخاي أوربيد في سفر الأعمال 26: 14.

* هرقليطس في رسالة بطرس الثانية 2: 22.

* جوليانوس في سفر الأعمال 26: 14.

* ثيس مناندر في الرسالة الأولى إلى كورنثوس 15: 33.

* ثوكيديدس في سفر الأعمال 20: 35.

* اقتطاف أبوكريفون إرمياء في إنجيل متى 27: 9 والرسالة إلى أفسس 5: 14 ورسالة يعقوب 4: 5.

* اقتطاف بن سيرا 5: 11 في رسالة يعقوب 1: 19.
* اقتطاف رؤيا إيليا في الرسالة الأولى إلى كونثوس 2:9 حسب أوريجن.
* اقتطاف كتاب أبوكريفي لموسى في الرسالة إلى غلاطية 6: 15.
* اقتطاف كتاب ندم ينيس ويمبريس في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس 3: 8.
* حسب أوريجن فإن متى 23: 31 و23: 35 أتت من كتب أبوكريفا.
* اقتطاف حقائق الحكام 89: 31-32 في إنجيل يوحنا 8: 44.

إنجيل يهوذا

الأناجيل الأربعة القانونية (من وجهة نظر الكنيسة) كتبت في وقت مبكر وتمّ تبنيها كأناجيل وحيدة في وقت متأخر، وتسمى إجمالاً بالأناجيل السردية لأنها تروي، أساساً، قصة حياة السيد المسيح وتعرض خلالها تعاليمه.

بدأت الأناجيل السردية بالظهور في القسم الأخير من القرن الأول. كتب إنجيل مرقس في السبعينيات، وإنجيل متّى في الثمانينيات، وإنجيل يوحنا في التسعينيات، وأعمال لوقا في مطلع القرن الثاني. جمعت هذه الأناجيل ملامح من أسطورة الشهيد من عبادة المسيح مع تراثات حول يسوع في قصة مآثره ومصيره. ووصلت هذه الأناجيل إلى الذروة في عرض لمحاكمته وصلبه وقيامته من بين الموتى (ماك 2007: 6-7).

يقدم لنا أحد الأناجيل غير القانونية وهو (إنجيل يهوذا) صورة غنوصية ليهوذا الأسخريوطي، وهذا الإنجيل الذي عثر عليه مؤخراً يعود لفترة ما بين نهاية القرن الثالث الميلادي أو بداية الرابع الميلادي، لكن هناك ما يؤكد أن هناك إنجيلاً ليهوذا الأسخريوطي يعود لزمنه في حدود 30 م.

يقول القديس إيريناؤس (Irenaeus) (130-200 م) في كتابه **ضد الهراطقة**:

البعض أيضاً يقولون أن قايين كان من العالم السامي، ويعترفون أن عيسو، وقورح وأهل سدوم، وأمثال هؤلاء الأشخاص، مختصين بأنفسهم (أي بالقايينين) وعلى هذا يضيفون، أنهم هوجموا بواسطة الإله الخالق (إله العهد القديم - دميروج-) ومع ذلك لم يتعرض أحدٌ منهم للأذى، لأن صوفيا (الحكمة)، كان من

عادتها أن تفوز بالذين يخصونها منهم لنفسها، ويعلنون أن يهوذا الكائن (Traitor) كان يعرف هذه الأشياء، وأنه هو وحده يعرف الحق كما لم يعرفه أحدٌ، فقد أكمل سرّ الخيانة بواسطة كل الأشياء الأرضية والسماوية، هكذا وُضعت في الحيرة، وقد وضعوا تاريخاً مزيفاً من هذا النوع، والذي سموه إنجيل يهوذا (Irenaeus 2010 : 135).

وهذا يعني أن الكنيسة اعتبرت يهوذا الأسخريوطي مخطئاً مثل بقية المخطئين، ثم درج آباء الكنيسة على عده من الغنوصيين أو من أصحاب المعتقد الشيثي (الشيثاني) أو القاييني.

ولكن إنجيل يهوذا يبقى وثيقة غنوصية مهمة تشير إلى البدايات الغنوصية للمسيحية.

5. مخطوطات نجع حمادي: المكتبة الغنوصية

مثلما كانت مخطوطات البحر الميت (1947-1954) مصدراً هاماً من مصادر الديانة اليهودية، كذلك كانت مخطوطات نجع حمادي 1945 م مصدراً هاماً من مصادر في صورتها الغنوصية الأولى.

مخطوطات نجع حمادي اكتشفت في مصر عند الضفة الشرقية للنيل شمال قرية حُمرة دوم، شمال شرقي نجع حمادي (في محافظة قنا) بصعيد مصر على مسافة 100 كم شمال الأقصر، وقد اكتشفها في عام 1945 فلاح اسمه (محمد علي السمّان) في جرّة فخار عندما كان يبحث عن سماد لحقله في مخبأ عند أسفل جبل الطارق قرب دير القديس (باخوميوس).

وكل المخطوطات تعود لعام 350 م وهي أشبه بمكتبة غنوصية كاملة.

تتكون المخطوطات من 13 مخطوطة، وتحتوي على 52 نصاً أو كتاباً، ومجموع أوراقها 1125 صفحة، حفظت 794 صفحة كاملة.

اللغة المكتوبة بها هذه المخطوطات هي القبطية وبلهجتين هما: اللهجة الصعيدية القبطية (في 10 مجلدات) واللهجة الأخميمية الجنوبية القبطية (في 3 مجلدات).

مكتبة الفكر الجديد

تعود المكتبة لجماعة غنوصية مسيحية مصرية تعود إلى نهاية القرن الثالث إلى بداية القرن الرابع الميلادي وتسمى الجماعة بـ (العارفون) أي (العارفون بالله) وهم أقرب إلى المتصوفة.

لم يذكر اسم (المسيح أو يسوع) فيها صراحةً رغم أن من كتبها كان مسيحياً وهي توحي بارتباط واحد بالمجتمع اليهودي.

وتصنّف مخطوطات نجع حمادي إلى ثلاثة أنواع هي:

1- نصوص الأبوكريفا (وهي نصوص غير قانونية):

1. كتاب توما المجاهد.
2. كلمات سرّية قالها المخلّص لِـ (يهوذا) وصلت توما عن طريق متياس (متّى).
3. رؤيا بطرس.
4. رؤيا بولس وهي ربما صعود بولس ويستعملها القائينيون والغنوصيون حسب شهادة أبيفانيوس.
5. ثلاث رؤى ليعقوب.
6. أعمال بطرس.
7. كتاب ضد الكتبة والفرنسيين حول عماد يوحنا.
8. إنجيل توما.

2- مؤلفات غنوصية بأسماء مسيحية

1. حكمة يسوع.
2. كتاب يوحنّا السرّي.
3. العظة التي عرف بعض العلماء بواسطة مقدمتها (إنجيل الحق) (Pistis Sophia).
4. إنجيل المصريين الذي يسمى: الكتاب المقدس للروح العظيم غير المنظور وكان يستخدمه الفالنتيون.

3- رسائل وتفاسير غنوصية غير مسيحية

1. رسالة أغنسط الطوباوي.

مكتبة الفكر الجديد

2. تفسير حول النفس.
3. رؤيا شيث (ست).
4. وحي آدم ابنه شيث.
5. حديث ل (زرادشت).

4- إنجيل فيليبس المنسوب لمدرسة فالنتينوس الغنوصية وهو غير الإنجيل المعروف بهذا الاسم والذي يذكره القديس أبيفانيوس.

وقد غيّرت هذه المخطوطات تصوراتنا عن الأدب الغنوصي تماماً بعد أن كانت هذه التصورات مبتسرة ومشوهة من خلال ما كان يقدّمه الكتّاب الكنسيون من نقد للغنوصية من أمثال (إيريناوس وهيبوليتس وأبيفانيوس).

المبحث الثالث
الفلسفة الغنوصية

رغم أن الغنوصية تيارٌ روحي وديانة جديدة لكنها وجدت لنفسها مكاناً في فلسفات العصر الهلنستي التي كانت تنحو ضمن منحاها، ولا شك في أن الغنوصية شكلت نوعاً من أنواع الأفلاطونية الجديدة المبكرة قبل أن يباشر مؤسس هذه الأفلاطونية الجديدة ونعني به أمونيوس ساكاس بالشروع في تأسيسها بأكثر من قرنين، وتبقى فرادة الفلسفة الغنوصية في ابتكارها لهياكل مساقط الروح وارتفاعها مثيراً للعقل وللروح معاً، ويمكننا فرز ستة من أهم فلاستها الكبار هم (سرنثيوس، باسليدس، فلانتينوس، مرقيون، بطليموس، بارديصان).

1. سرنثيوس (Cerinthus) (حوالي 100 م)

هو أحد الغنوصيين المسيحيين اليونانيين المبكرين الذي اعتبرته الكنيسة الرسمية هرطوقياً من الكنيسة الأرثوذوكسية المبكرة، وهو الذي اتبع طريقة يوحنّا، وقد استعمل (إنجيل العبرانيين) ملهماً له، ويمكن اعتباره من الغنوصيين الأبيونيين... وقد كان معلماً لمرقيون.

رأى سرنثيوس أن المسيح قد حلّ في يسوع أثناء التعميد وغادره أثناء تعليقه على الصليب.

كان على عكس المسيحية الأرثوذكسية يتبع الشريعة اليهودية ويعترف بها وهو ما يجعل غنوصيته محل شك وتأرجح، رغم أنه نفى على الله الأعلى صنعه للعالم المادي وأن الديميورجس هو الصانع.

كان يرى أن المسيح يأتي ليقيم عصراً من السعادة قبل ألف عام من حصول القيامة وهو الرأي الذي رفضه مجمع نيقيه، وقد استخدم أو أوّل ما قرأه من آراء سرنثيوس تعبيراً عن بدايات فلسفة غنوصية مسيحية ما زالت غير ناضجة ومتأثرة بخليط من أفكار العصر الهلنستي.

مكتبة الفكر الجديد

كان سرنثيوس معاصراً ليوحنا على ما يبدو وكل ما نعرفه عنه يأتي من خصومه وليس منه مباشرة.

عاش سرنثيوس في مقاطعة رومانية في آسيا وهو يونانيّ الأصل وأسس مدرسة وجمع حوله المريدين، ويبدو أن مدرسته استمرت حتى القرن الميلادي الرابع ووجدت آثارها بصفةٍ خاصة في سلاميس.

أول من حاول دحضه هو (إيريناوس) الذي رأى أن سرنثيوس تأثر بالحكمة المصرية القديمة.

فرّق بين الله الأعلى والإله الصانع (ديميورجوس) الذي أوكل له صنع العالم المادي، وبذلك يكون قد استثنى (يهوا) من ذلك وجعل الملائكة شريطة للديميورجوس في صنع العالم المادي وليس يهوا وهو ما يثبت تأثره بالدين اليهودي.

الديميورج الذي غالباً ما يصور كثعبان بوجه أسد

http://cafe.daum.net/zoomsi/XBd2/100?docid=1G1loXBd210020120211121606

كان مفهومه عن الـ (Demiurge) ديميورج يعني بالضبط (الحرفيّ) الذي سيستخدمه بعده (فالنتينوس)، وهو مصطلح أفلاطوني الأصل. ويرى أن الديميورج

والملائكة يجهلون وجود الله الأعلى. وكان يرى عكس الغنوصيين بأن هذا الديميورج كان جيداً وخيّراً وبذلك يكون قريباً من رأي فيلون في اللوغوس وبعيداً عن ما سيعرضه لاحقاً فالنتينوس عن مفهوم (الديميورج) أو الحرفي.

كان سرنثيوس يرى أن تحقيق الخلاص يتم عن طريق اتباع الشريعة الموسوية وتسمى نظرته هذه في الخلاص (أو في علم الخلاص (Soteriology)) بـ (الشريعية (Legalism))، وهذا الرأي يتناقش مع ما قرره مجمع أورشليم (50 م) حول موضوع الخلاص، عندما طالب بولس (الطرسوسي) أن لا يكون الخلاص عن طريق الختان وأن يتم التوقف عن تطبيق الشريعة الموسوية.

ربما كان سرنثيوس قد تلقى الكتاب غير القانوني المسمى (جيمس وهو أحد مخطوطات نجع حمادي الغنوصية) وظهر ادعاءٌ حوله، في القرنين الثاني والرابع، بأنه قد يكون هو المؤلف الحقيقي لـ (إنجيل يوحنا) و(سفر الرؤيا)، وهناك إشارات تؤيد أن الرؤيا الآخروية (أبوكالبسي) ليوحنا تؤكد أن سرنثيوس الغنوصي هو من وضعها. وهذا ما يؤكده تلازم اسمي يوحنا وسرنثيوس في الكثير من المراجع القديمة والحديثة.

كان سرنثيوس الأول في طائفة تدعى الدوسيتية (Docetism) ومعنى هذه الكلمة هو (يظهر) وقال أتباعها بأن يسوع لا يملك جسداً مادياً ولكنه يبدو أو (يظهر) بجسد مادي، وهو كائن روحي ولا يمكن أن يكون له جسد، لكنه حلّ في جسد مادي. وإن الكائن الروحي غادر جسده المادي عند الصلب.

وهناك بعض الدوسيتيين يزعمون أن الذي صلب هو ليس يسوع بل هو إما يهوذا الأسخريوطي أو سمعان القوريناني.

2. باسليدس (Basilides) (120–140 م)

عرف باسليدس في الإسكندرية في حدود النصف الأول من القرن الثاني للميلاد (120–140) وكان خطيباً مسيحياً وداعيةً أخلاقياً قبل أن يكون فيلسوفاً، وكان همّه الرئيس هو البحث في مشكلة الشر وإبعادها عن العناية الإلهية أي إنه لا يرى،

مطلقاً، أن الله يحتوي على الخير والشر معاً، ولذلك كان لا بد أن يضع الشر على عاتق مخلوق آخر هو الشيطان.

باسليدس
http://www.dolfi.com/en/shop/product/6716/blessed-saints-martyrs-patrons-b/82571/st-basilides-of-alexandria-soldier-and-martyr.asp

هذه الصورة وجدها ناصعةً في الزرادشتية التي تصنع الخير المطلق في أهورامزدا، والشّر المطلق في أهريمان، لكنه مزجها بتصورات أفلاطون عن الإله الواحد ذي الخير المطلق.

فكان في المقام الأول داعية أخلاقياً، «تستحوذ على مجامع نفسه مشكلة الشر ومشكلة تبرير العناية الإلهية». فكان يقول: «لكم ما شئتم إلا أن تلقوا بتبعة الشر على عاتق العناية الإلهية». وما كان يمسك، تفسيراً منه لعذابات الشهداء، عن التسليم بأنهم قاربوا الخطيئة في حياة سابقة. وكان يرى على أي حال أن مصدر الخطيئة هو الهوى، وأن الهوى روح خبيث يدلف إلى النفس من الخارج ويلوثها. وقد تأدت هذه النظرات إلى ضرب من ثنوية خلقية، نلقى نظيرها لدى أفلاطون (برهييه ج2 1988 : 307).

إن باسليدس، على غير الرواقيين الذين آمنوا بكوسموس ماديٍّ واحد، أخذ بفكرة أن الكوسموس، كما رأينا، مكوَّن من سماوات عديدة، وأن العالم المادي هو السماء الدنيا، وبالتالي فهو فاسد. وبما أن هذه السماء الأخيرة تمثل «النحب الأخير» للفيض الإلهي، إذا جاز التعبير، وأنها ليست، ولا من أيِّ وجه، صورةً كاملة عن الألوهة الحقيقية، فإن اعتناق قوانينها لا يمكن له أن يفضي إلى أيِّ خير. لا بل إن الجسم، بما أنه الوسيلة التي يستخدمها حاكمُ هذا الكوسموس المادي لفَرْض قوانينه، فإن بلوغ الحرية مشروط بالتخلِّي عن جميع النوازع والرغبات الجسدية أو بـ«عدم الاكتراث بها». غير أن عدم المبالاة (Adiaphora) هذا بنوازع الجسد لا يؤدي إلى مجرَّد تنسك راكد. فباسيليدس لا يدعو مستمعيه إلى ترك العالم المادي، بما يجعلهم يذوبون في السلبية، بل هو يقدِّم لهم حياة جديدة، متوسلاً التراتبية العظمى من الحكَّام التي تشرف على العالم المادي (مقطع د) فحين يلجأ المرء إلى المرتبة العظمى للوجود تكون النتيجة «خلق أشياء طيبة» (المقطع ج، الترجمة معدَّلة) الحب والإبداع الشخصي - استيلاد الخير - هما النتاج الأخير لنظام باسليدس الجدلي الملتبس؛ ولهذا السبب فهو أحد أهم التعبيرات الأولى للفلسفة المسيحية الحق، وإن لم تكن أورثوذكسية (إدوارد مور: الغنوصية الفلسفة والوحي موقع معابر (http://www.maaber.org/issue_february05/spiritual_traditions1a.htm.

http://lumenveritatisacademy.wordpress.com/2013/01/30/docetis

النظام الغنوصي لباسليدس

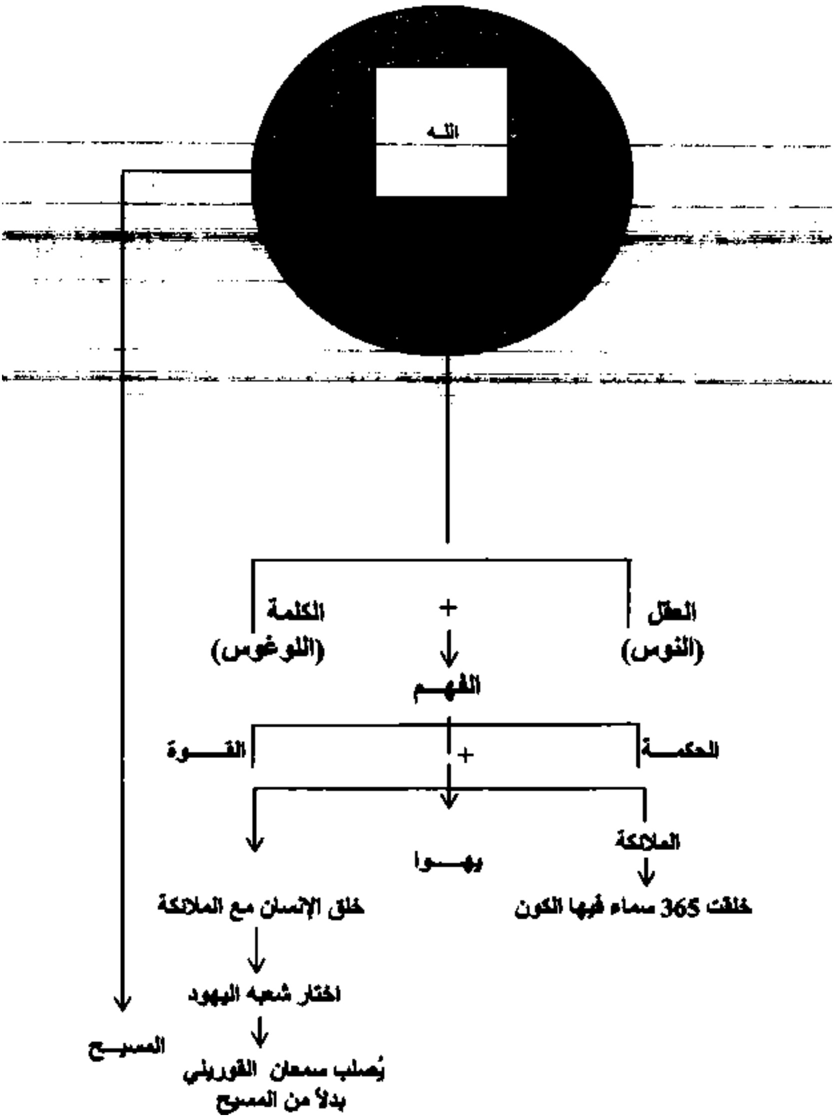

مكتبة الفكر الجديد

قال باسليدس بأن الإله الأعلى يصدر عنه «ثماني مجردات مشخصة صدر بعضها عن بعض الواحد تلو الآخر منها الحكمة والعدالة والسلام. . . وأن الملائكة الأول الصادرين عن الحكمة صنعوا السماء الأولى، والملائكة الصادرين عنهم صنعوا السماء الثانية وهكذا صنعت على التوالي ثلاثمائة وخمس وستون سماء، وذلك هو السبب في أن السنة تعد 365 يوماً» (النشار 1995: 82).

ومما يذكر من آراء باسليدس أنه كان ورفاقه من الغنوصيين المسيحيين يميلون إلى احتقار المادة والجسم، ولذلك فقد حرموا الزواج في الوقت الذي أباحوا فيه جميع الأفعال إعفاءً للنفس من تبعة ضعف الجسم! ولقد قال باسليدس في هذا، إن الشهوة الجنسية ولو أنها طبيعية إلا أنها ليست حاجة ضرورية.

وبالطبع، فقد أنكر المسيحيون المدافعون عن العقيدة المسيحية الأصيلة ذلك، واعتبروا أن هذه الآراء الغنوصية بدعة، خاصة ما يتعلق منها بإنكارهم لبعث الأجساد وإقرارهم برداءة المادة ودونيتها (النشار 1995: 82).

3. فالنتينوس (فالانتاين) (Valentinus, Valenttius) (100–160 م)

http://magdelene.wordpress.com/2008/11/19/gnostic-words-for-november-19-2008-valentinus-valentinian/

فالانتينوس أو فالانتيوس أو فلانتاين اسم واحد للفيلسوف الغنوصي المسيحي الشهير الذي كان لاهوتياً معروفاً في روما.

ويجب الحذر من اعتبار اسمه الذي يطلقُ على (عيد الحب)، حيث كان هذا يطلق على بعض الشهداء المسيحيين من القديسين الأوائل ومنهم من عاش في روما حيث قتل فلانتاين في 269 م المدفون قرب فيلا فلامينا بأمر من الإمبراطور الروماني كلوديوس الثاني الذي منع زواج الشباب من أجل تجنيدهم في جيشه لكن فالنتاين رفض هذا القرار فأصبح يوم إعدامه في 14 شباط عيداً للحب، رغم أن هناك من يقدم أدلة كافية على أن فالنتينوس الغنوصي هو صاحب عيد الحب والأمر مازال خاضعاً للجدل.

ولد الغنوصي فلانتينوس في الدلتا (شمال مصر) من أسرة مصرية هلنستية ودرس في الإسكندرية وأصبح معلماً فيها، ثم رحل إلى روما وقضى فيها واحد وثلاثين عاماً (136-165). وأصبح ثيولوجياً (لاهوتياً) ورشح لكي يكون أسقفاً في روما وعندما لم يصبح أسقفاً كانت أفكاره الغنوصية جاهزة للإعلان فأعلنها وأصبح غنوصياً مسيحياً وخرج عن الأمة المسيحية الأصولية.

له مؤلفات كثيرة لم تصل كلها ووصلت أغلب أفكاره من خلال تلاميذه. وقد تأثر فالنتاين بآراء باسليدس، لكنه اختلف عنه في جعله الصدورات الإلهية (الأيونات) مزدوجة وليست فردية كما عند باسليدس.

على أن فالنتينوس، وكان فكره أكثر اتشاحاً بالطابع الميتافيزيقي من فكر باسليدس، استخلص من تلك النظرات عينها نتائج معاكسة تماماً للأفلاطونية. فقد بحث في أصل الإنسان عن تفسير للثنوية التي عاينها فيه. فهذه الثنوية بين الروح والجسد تناظر ثنوية أعمق وأبعد غوراً بين خالق هذا العالم، الفاطر، المخفور بملائكته، الذي يتكلم عنه سفر التكوين، وبين الإله العلي أو الإله الطيب. فبمقتضى قصة سفر التكوين، وبمقتضى تأويل فيلون الإسكندري لها، على الأقل جزئياً، قال فالنتينوس إن الإنسان خلقه الفاطر والملائكة، وهي كائنات شريرة وأرواح نجسة، عن طريقها تدلف إلى الخليقة الانفعالات والأهواء. وهذه الخليقة

مكتبة الفكر الجديد

هي عينها التي أضاف إليها الإله العلي أو الإله الطيب بذرة من الجوهر العلوي: الروح (برهيه ج2: 307).

يُرجعُ فالنتينوس ثنائية الخير والشر أو الروح والجسد عند الإنسان إلى ثنائية إلهية حيث يرى أن هناك إلهين في الأعالي الأول الذي هو الأعلى والأرفع هو الإله الخيّر الطيب الذي أنزل الروح في الإنسان وهو سبب الخير، أما الإله الأسفل فهو الإله الصانع المحاط بالملائكة وهو، بنظره، إله التوراة أي (يهوا) وهو إله الشر والمادة والذي صنع جسد الإنسان.

استطاع أن يبرهن أن المسيح (Christ)، الفادي، الذي سيحررنا من سلطان الفاطر، ليس هو بحال من الأحوال المشيح (Messie) اليهودي الذي تنبأ به الأنبياء، ولا يشق عليه أن يثبت، استناداً إلى الفهم الحرفي للنصوص، أن ما من قسمة من قسمات المشيح تُلتقى لدى المسيح. ومن جهة أخرى، أنه لا يستطيع التسليم بأن المسيح، مبعوث الإله العلي، يمكن أن تكون له حقاً طبيعة جسمانية، أي أن يشارك بصورة من الصور في عالم الفاطر، ومن ثم نراه يفترض أنه تجلى على حين بغتة في هيئة بشر وأن جسمه ظاهري ليس إلا. ومن هذه النظرات استخلص مرقيون نزعة زهدية متزمتة، تحظر الزواج وتجعل من التعفف شرط المعمودية، فعلى هذا النحو يمكن للإنسان أن يفلت بإرادته، على الأقل، من عالم الفاطر (برهييه ج2 1988: 308)

ولأن فلسفة ولاهوت فالنتاين أصبحا العمود الفقري للفلسفة الغنوصية، لذلك سنتناوله بشيء من التفصيل.

يتكون لاهوت فالنتاين من مستويات عدّة يجري فيها كائنات إلهية وهي (الأب، الابن، الأيونات، صوفيا، السقوط، اتحاد الأيونات، معاناة الحكمة السفلى، الابن النازل إلى الحكمة السفلى، خلق المادة) مستعينين بمراجع كثيرة منها إنجيل الحقيقة لفالنتينوس وكتب توضيحية أخرى لفلسفته.

1- الأب

الأبُ هو الله، الأعلى غير المخلوق وغير المعروف والغامض الذي لا يمكن مشاهدته أو سماعه فهو لا نهائيٌ بلا بدايةٍ ولا نهاية وهو أصل كلّ شيء.

يحمل الله صفات الذكورة والأنوثة معاً كما يرى ذلك أتباع فالانتينوس، فهو الأب والأم لأنه يمثل شكلي الوجود. الجانب المذكر من الله هو الصمت وله أسماء سلبية غير موصوفة، أما الجانب المؤنث فهو الحركة ذات الوضع الإيجابي.

الصمتُ هو الحالة الأولى لله، وعندما يتحرر الله من صمته تظهر منه مجموعة من الكائنات الإلهية التي تسمى الأيونات الدهور (Aeons)، وهي كائنات غير منفصلة عن الأب، بل هي الوجه الآخر له، ويمكن أن نشبه علاقتها به مثل الماء والرطوبة.

2- الابن

كان الأب يقع فوق الحد الأول (الأعلى)، ولكن ظهور الأيونات ثم ظهور الابن أظهر عالماً جديداً هو عالم الملأ (الامتلاء) الذي يقع تحت الحد الأول. وعالم الملأ تكوّن من عمليات انبثاق متلاحقة من الأب، أما الابن (ابن الله) فهو العقل والحقيقة وهو الذي ظهر منه بإرادته وهو عند فالنتينوس (المسيح) الذي سيتجلى لاحقاً والموجود الآن في تكوين الأب، والذي سيرسلهُ الأب لإنقاذ الأرواح في العالم المادي.

هو الابن الوحيد للأب وهو شكلٌ ذكري أما صيغة الأنوثة المقابلة فتسمى (الحقيقة) وهي أم الكل.

العلاقة بين الأب والابن يمكن مقارنتها بالعلاقة بين عقل الإنسان (الشعور) واللاشعور، حيث يتضمن ذلك وجود الابن ضمن الأب.

3- الأيونات وعالم الملأ

الأيونات كائنات مستوحاة من الأب، وهي عبارة عن أزواجٍ مكونة من ذكرٍ وأنثى وهي تجليات طاقة الله. تملأ الأيونات عالم الملأ وعددها ثلاثون، وهي عبارة عن جيلين:

1. الجيل الأول: أيونات المفاهيم الكبرى لحياة العقل وعددها أربعة أزواج أي ثمانية أيونات ذكرية وأنثوية.

الذكرية الأنثوية

الكلمة الحياة

العمق الصمت

إنسانية الفرد الجماعة (الكنيسة)

العقل الحقيقة

ويمثل الزوج الأول (الكلمة، الحياة) (لوغوس الحياة) الصفات الإلهية وتتبعه صفتان إلهيتان هما (العمق، الصمت).

أما الزوج الثالث (الإنسانية والجماعة) فتمثل صيغة المخلوق الإلهي وتتبعهما صفتان تخصانه وهما (العقل، الحقيقة).

2. الجيل الثاني: وتتكون من مجموعتين: الذكرية هي الملائكة والأنثوية هي البذور

أ. مجموعة أيونات استقرار حياة الألوهية: وهي خمسة أزواج (10 أيونات) ظهرت من الزوج الأول في الجيل الأول (الكلمة، الحياة) فهي صفات لاستقرار حياة إلهية وهي كما يلي:

الذكرية الأنثوية

العميق الخليط

الخالد الاتحاد

الذاتي الولادة اللّذة

اللامتحرك الخلط

الوحيد الولادة الطوبى (الوحدة)

ب. مجموعة أيونات الفضائل البشرية التي تنتج الكمال من خلال الاتحاد مع الجماعة: وهي ستة أزواج (12 أيون) ظهرت من الزوج الثالث في الجيل الأول (الفرد، الجماعة) فهي صفات بشرية مثالية تنتج الكمال من خلال اتحاد الفرد في جماعته، وهي:

الذكرية الأنثوية

المؤازر الإيمان

الأبوي الأمل

الأمومي الحب

التدفق المبدع الفهم

الجماعي النعيم

الرسامي صوفيا (الحكمة)

هناك إذن ثلاثون أيوناً أولها اللوغوس (الكلمة) وآخرها صوفيا (الحكمة) وترتبط هذه الأيونات مع بعضها وتجتمع في الابن، وهكذا يتكون اسم الابن من ثلاثين حرفاً ولكنّ كلّ حرفٍ من هذه الحروف يتكون من تشكيلات صوتية (مثلاً حرف دلتا في اللغة اليونانية يتكون من أصوات (د، ل، ت، ا) والحقيقة أن هذا يوحي أن الله الأب بدأ الخلق عندما نطق فخلق عالماً روحانياً هو الملأ الأعلى من الأقوال والمفاهيم (سميت أيونات)، لكن هذه الأيونات اجتمعت في اسم الابن على شكل حروف لها أصوات مفصّلة.

ويُظهر هذا المجال الروحي المثالية المسيحية (اللوغوستية بشكل خاص) ويمثل نموذجاً لهذا العالم.

إن عالم الملأ الأعلى الذي ملأ الحد الأول للخلق هو عالم لغوي لوغوسي روحاني عبارة عن أقوال الخالق الثمانية الأولى التي أنتجت جيلين أحدهما يناظر العالم الإلهي النموذجي (10 أيونات) والثاني يناظر العالم البشري النموذجي القادم (12 أيوناً). وتكون حياة كلّ واحد من الأيونات كاملة فقط في عضويتها في الامتلاء والكلية.

إن الأيونات الستة والعشرين (الأربعة من الجيل الأول الآباء والـ 22 من الجيل الثاني الأبناء) هي مرتبطة بالابن (بينما الأيونات الأربعة مشدودة للأب) وهي تمثل عناصر غير متكاملة لشخصية الابن.

4. الأيونات تسعى لمعرفة الأب وتسقط في الخطيئة

كان الابن هو الممثل الوحيد لمعرفة الأب الأعلى، أما الأيونات فكانت غير مرئية وغير متصورة، ويتضح هذا عندما يناقش القديس بولس سرّ اختفاء الأيونات

في الله، والأمر هنا طبيعي جداً وذلك للحدّ من المصير الذي ينتظر الأيونات فهي مختفية في كنف الله (الأب).

في إنجيل الحقيقة يصف فالنتينوس كيف أن الأيونات تتوق لمعرفة الأب الواحد الذي ظهرت فيه ومنه، ولكن هذا سيؤدي حتماً إلى كارثةٍ لأن الجهل بالأب من قبل الأيونات يؤدي بها إلى الخوف والتحريض اللذين ينموان بكثافة مثل الضباب بحيث لا يمكن لأحدهم أن يرى شيئاً. ومن هنا ظهرت الخطيئة بسهولةٍ حيث ظنت الأيونات أنها موجودة أصلاً بلا سبب ومستقرة في عوائلها الزوجية (على غرار النموذج المادي) وقد أغواها الجمال بدلاً من الحقيقة، هذا التصور الكوني المادي المتدني هو الذي دفعها إلى الخطيئة والاستقرار في (شكل نموذجي) مثل (الجسد البشري).

5. سقوط صوفيا (الحكمة)

وعلى أساس ما حصل، كانت آخر الأيونات الإثني عشر وأصغرها التي هي صوفيا (الحكمة) قد بحثت عن الأب نيابةً عن الملأ (الامتلاء الأبوي) ولأنها حاولت معرفة الأب دون مساعدة الابن (الذي هو الوحيد القادر على تجسيد الأب)، ولذلك وقعت في الخطيئة وأصبحت منفصلةً عن قرينها (الرسامي) وسقطت في نوعٍ من المعاناة والخطأ. ويشبه هذا ما حصل لحواء مع آدم (في سفر التكوين في التوراة) عندما حاولت حواء المعرفة فوقعت في الخطيئة.

إن صوفيا أرادت أن تكون مثل الأب أو تتشبه به فوقعت في الإجهاض، حيث عانت في جهلها الحزن والخوف والارتباك، ولكنها في محنتها هذه تابت وبدأت مرافعةً وطلبت الحصول على مساعدة، وكانت الأيونات الأخرى قد سقطت في الأسى والحزن أيضاً.

عن طريق الحدّ الثاني من الحدود انقسمت صوفيا إلى قسمين هما (النفس العليا والنفس السفلى) وتمّ استبعاد النفس السفلى من جسمها (عن طريق الإجهاض) بالترافق مع معاناة الملأ الأعلى، وتمّ تعزيز النفس العليا منها وعادت إلى جمعها الأيوني مقتنعةً بأن الله غير قابل للمعرفة (أي يصعب معرفته تماماً).

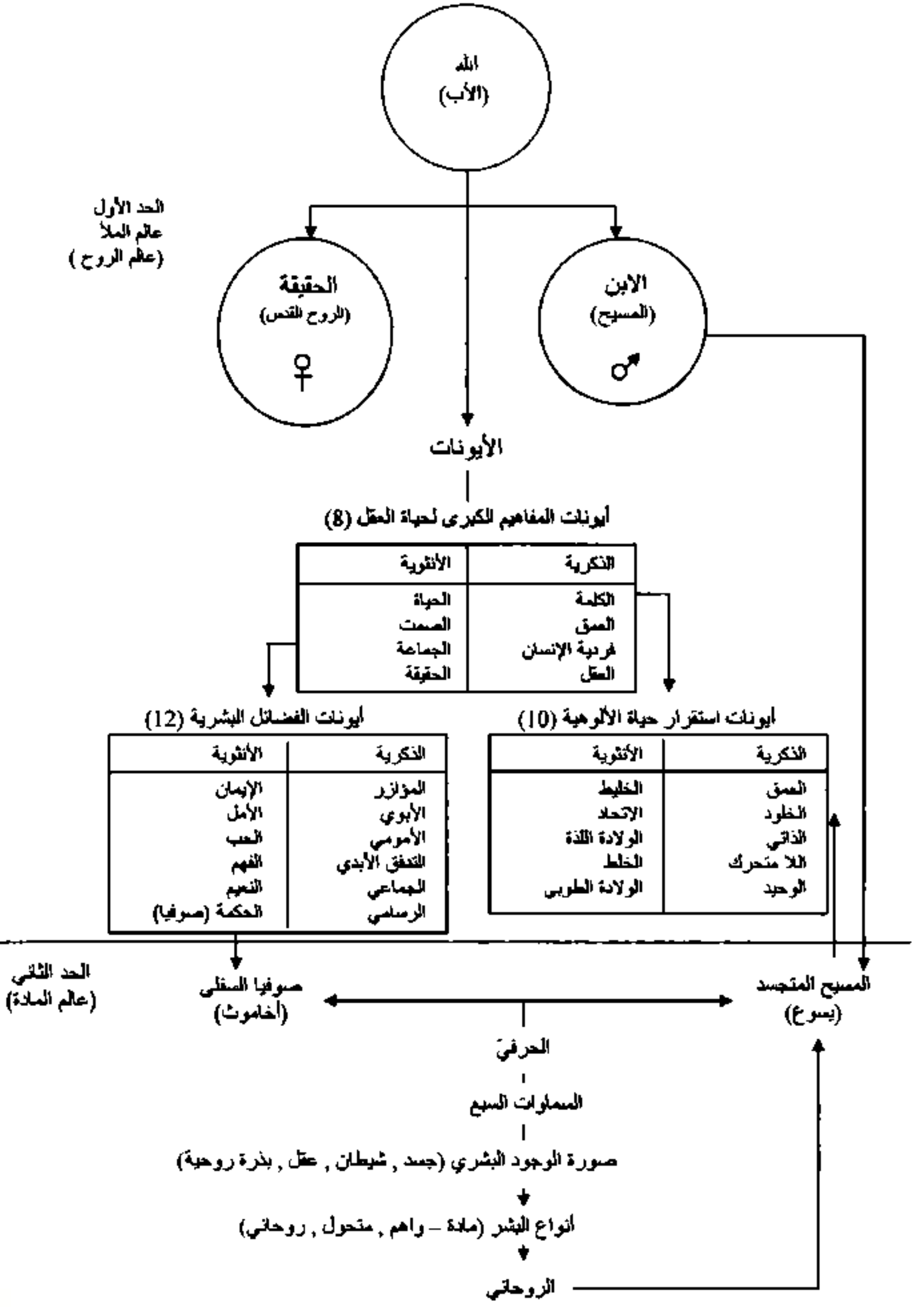
الله
(الأب)
الحد الأول
عالم الملأ
(عالم الروح)
الحقيقة
(الروح القدس)
الابن
(المسيح)
الأيونات
أيونات المفاهيم الكبرى لحياة العقل (8)
الذكرية
الأنثوية
الكلمة
الحياة
العمق
الصمت
فردية الإنسان
الجماعة
العقل
الحقيقة
أيونات استقرار حياة الألوهية (10)
الذكرية
الأنثوية
العمق
الخليط
الخلود
الاتحاد
الذاتي
الولادة اللذة
اللا متحرك
الخلط
الوحيد
الولادة الطوعي
أيونات الفضائل البشرية (12)
الذكرية
الأنثوية
المؤازر
الإيمان
الأبوي
الأمل
الأمومي
الحب
التدفق الأبدي
الفهم
الجماعي
النعيم
الرسامي
الحكمة (صوفيا)
الحد الثاني
(عالم المادة)
صوفيا السفلى
(أخاموث)
المسيح المتجسد
(يسوع)
الحرفيّ
السماوات السبع
صورة الوجود البشري (جسد , شيطان , عقل , بذرة روحية)
انواع البشر (مادة – واهم , متحول , روحاني)
الروحاني

إن أفعال الحكمة هذه خدمت ظهور انفصالٍ وخللٍ في عالم الملأ، وكان الإجهاض هو التعبير عن الرغبة المشتركة من قبل كل الأيونات لمعرفة الأب الأعلى وكانت النتيجة النهائية لهذه العملية هي محاصرة صوفيا السفلى (كتفكيرٍ مجهض) ودفعها خارج الملأ الأعلى باتجاه عالم الجهل والمعاناة. وقد حصلت هذه العملية بالاتفاق مع ما رسمه الأب وهو ما يجعلنا نسمي قرين الحكمة بالرسامي (Ordain).

6. توحيد الأيونات

من أجل أن لا تحصل مثل هذه الأنواع من الأزمات أظهر الابن نفسه في شكلين الأول ذكري هو (المسيح) والثاني أنثوي هو (الروح القدس) وظهر نشاطهما بين الأيونات كنماذج أولية (أركيتايب) لهيئة مؤلفة من (يسوع) و(الروح) في الجماعة (الكنيسة) الأرضية.

كشف المسيح للأيونات الأخرى أن الأب غير مدرك وأنه لا يمكن أن يكون معروفاً حتى بالنسبة إليه، أما الروح القدس فقد قدمت الشكر لهم وجعلتهم على قدم المساواة، وهذا هو التعميد بأسمى معانيه، وهو ينطبق على الأيونات وعلى الجماعة البشرية. وكما يقول فلانتينوس: الأب يكشف حضنه، وحضنه الآن هو الروح القدس. وهو يكشف الجزء الخفيّ منه وابنه هو هذا الجزء الخفيّ منه أيضاً أي (المسيحي).

ومن خلال هذا سيكون من المقنع أن تكفّ الأيونات مستقبلاً البحث عن الأب وعن محاولة معرفته، فتكون بذلك مستقرة فيه ولا تنفصل.

وهكذا تكون الأيونات قد انضمت لبعضها وأصبحت متحدة في الابن الذي يسمى أيضاً (المخلّص).

إن المخلّص هو الاسم الكامل لجميع الأيونات وهي تنطقُ سويةً، بمعنى أن اسم المخلّص يتكون من ثلاثين حرفاً (أيوناً) ونحنُ ننطقها جميعها في كلمة (آمين) عند الصلاة كما يصرح مرقس بذلك.

المخلّص يتلقى أيضاً ألقاب (الكلمة) والمسيح يتلقى الكيانات المكوّنة له، فهل

الكلّ ويسكن في الامتلاء الكامل للألوهية. وبذلك يكون الابن هو المعبر عن الملأ الأعلى بعد أن اتحدت به الأيونات.

وإذا خرج المخلص وشريكه يكون الذكر العريس ويسقط خارج الحدود مع الحكمة، وتظهر عناصر المخلّص في كل مسيحي، يشبه ذلك أشعة الشمس فهي لا تفرق بين الأفراد بل تمثل ثراء حركة يسوع.

7. معاناة الحكمة السفلى (صوفيا السفلى)

بسبب السقوط الإجهاضي للحكمة السفلى في عالم سفليٍّ بجتاحهُ النقص والعوز وهو عالم المادة، وكما أن عالم الملأ الأعلى هو الآن من إنتاج الابن الذي يقع داخله، وكذلك صوفيا السفلى أنتجت العالم المادي وأصبحت في داخله، وكما أن هذا النقص حصل نتيجة الجهل فإن حلّهُ سيكون عن طريق المعرفة.

الحكمة الساقطة أحياناً تسمى (أخاموث (Achamoth)) وهي كلمة عبرية تعبر عن الحكمة والروح القدس بعد ارتباطها بالمسيح، وهي أورشليم السماوية (في سفر الرؤيا 9: 10-21) والخراف الضالة في المثل (في متّى 11: 14-18) والمحاصرة بعالم ناقص وبجهل أصلها الحقيقي وهي النموذج الأول الأصلي (أركيتايب) للفرد.

Sophia-Achemoth صوفيا السفلى: صوفيا أخيموث

http://quintessentialpublications.com/twyman/?p=642

حاولت الحكمة الساقطة سعيها لمعرفة عظمة الله دون معرفة المسيح وقد منعها هذا من الصعود إلى الملأ الأعلى، ولذلك استمرت معاناتها من الخوف والحزن والارتباك وعاشت في العالم كمكان للأوهام لأنها غير قادرة على التمييز بين الواقع والخيال.

إن حالة الوهم والمعاناة التي هي النقص هي جوهر العالم الذي يعيشهُ كل أولئك الذين يجهلون الله.

خضعت الحكمة (صوفيا) للتحول وفكرت في ذلك الذي وهبها الحياة، ونتيجة لذلك أصبحت مرحةً وضاحكة، وطلبت المساعدة لأنها تمثل الطريق الوسط بين الجهل والمعرفة الروحية، فهي تمثل الحنين لله من جهة ولكنها تشير إلى أنها أصبحت شبيهة لما نسميه بـ (الصانع أو الإله الصانع أو الخالق Craftsman) الذي هو بمثابة ابنها دون أن يعلم، وهي بذلك تشبه الذين يمثلون صورة أولئك الذين يجهلون عبادة الله بسبب الخطأ رغم توبتهم.

8. الابن ينزل إلى الحكمة السفلى

رداً على احتجاج الحكمة السفلى في كونها قد نزلت إلى عالمٍ غريبٍ عنها يقوم الابن بالنزول إلى الحكمة السفلى من الملأ الأعلى باتجاه النقص مع مرافقيه من الملائكة ويصبح هو والحكمة كزوجٍ من الأيونات، ومن خلال معرفة العالم الأبديّ (الذي يعلمه لها الابن) تبدأ هي بالتحرر من معاناتها.

وتبتهج الحكمة (صوفيا) لمرأى المخلّص وحاشيته من الملائكة وترى (البذور الروحية) في صورهم، وهذه البذور هي العنصر الروحي الموجود في كلّ مسيحي، ولهذا يشار إلى هذه البذور بـ (الجماعة أو الكنيسة) فهي تشير إلى الجماعة في الملأ الأعلى أي الأيونات المتحدة بالابن.

البذور الأنثوية والملائكة الذكرية هي ما أشارت إليه عبارة: على صورة الله خلقهم ذكراً وأنثى (التكوين 1: 27) ويكون المخلص عريساً للحكمة (صوفيا)، ولذلك تكون الملائكة أزواجاً للبذور في نهاية الزمان.

وهكذا تظهر ثلاثة أنواع من المادة خارجة من الحكمة (صوفيا) نتيجةً لسعيها لمعرفة الله، وهي:

مكتبة الفكر الجديد

1. الخياليون أو الجهلة (Illusion) التي تتميز بوجود المعاناة والجهل.
2. المتحولة والمحتجة (Conversion and pleading) التي تمثل مرحلة وسطى بين الجهل والمعرفة.
3. البذرة الروحية (Spirtual seed) التي جاءت من المعرفة.

يمكن فهم أسطورة معاناة الحكمة وخلاصها النهائي بوصفها رمز التطور الروحي للفرد، حيث البحث عن الله من خلال التفكير وحده وبدون المسيح، وهو ما يؤدي إلى المعاناة والنقص والوصول إلى مفهوم خاطئ عن الله باعتبار المسيح تجسيداً له وهو ليس كذلك، لأن المخلّص تدخّل لكي يصحّح فهمنا لا لكي يوقعنا في خطأ جديد فمن خلاله نعرف الله ولا يمكن أن نظن أنه هو الله.

9. خلق المادة

كان خلق المادة لابد منه لحبس البذور الروحية ومنعها من أن تنضج ولكي تقوم المادة بسجنها وعدم عودتها إلى الملأ الأعلى، ولأن الحكمة (صوفيا) غير قادرة على خلق هذا العالم مباشرة فقد أثرت على ابنها (الحرفيّ) ليخلق العالم المادي ويعطي الأشياء شكلها، ومن خلاله صُنعت السماء والأرض.

الحرفيُّ يجهلُ أمّه ويعتقد أنه يعمل لوحده، ولكنه يتصرف من دون وعي كوكيلٍ لها، فهو يخلق، بتأثيرها غير المباشر، سبع كائنات ملائكية هي (السماوات السبع) ويسكن فوقها، ولهذا يسمى بـ (السابع) وتشير السماوات السبع إلى أيام الخلق السبعة (في سفر التكوين مثلاً)، أما صوفيا (والدة السابع) فتسكن في السماء الثامنة.

لقد أثرت صوفيا والمسيح سرّاً في (الحرفيّ) ليخلق عالم المادة مشابهاً لعالم الروح (الملأ) لكي تظهر الحقيقة في العالم المادي مناظرة لها في العالم الروحي الذي يريد البحث عنها حتى وهو في خضمّ الوهم والنقص.

كذلك تمّ خلق وتشكيل الإنسان من قبل (الحرفيّ) على صورة قبل وجود البشرية (Pre-existent humanity) أي على صورة روحية. ومع ذلك فهي تختلف عنها قليلاً بسبب العنصر المادي، فهي تتكون من: جسد مادي، عنصر شيطاني، بذرة روحية.

البذرة الروحية وحدها هي القادرة على تحقيق المعرفة (غنوص، عرفان) الله من خلال وساطة يسوع. وهنا تختلف غنوصية فالنتينوس المسيحية عن غنوصيات أخرى فهي لا تعتبر الروح أو النفس قادرة على إدراك أو معرفة أصلها الإلهي (وليس السماوي)، بل هي تحقق ذلك بوجود المخلّص الذي هو المسيح.

إن كلّ شخص يصل إلى المعرفة يحطّم جزءاً من النقص الذي فيه ويحطم العنصر المادي الذي فيه ويمسك بالألوهية خطوة بعد خطوة لإعادة دمج البذرة الروحية بأصلها الإلهي، وفي النهاية سيكون هناك إعادة اندماج شاملة، حيث إن إتمام أو نهاية العالم تحدث عندما تأخذ الأرواح شكلها عن طريق المعرفة الإلهية.

ثم توضع الأرواح جنب النفوس مع والدتهم (صوفيا) ويدخلون الملأ الأعلى وتنضمّ صوفيا التي هي أورشليم الجديدة، بعريسها المخلّص، وبالمثل تنضمّ إلى أرواح الملائكة.

وفي العالم تظهر النار المخبأة فيه وتنشب في المادة وتدمر الحرائق كل أشكال المادة وتحولها إلى عدم ويزول العالم المادي من الوجود ويتم القضاء على النقص وتكون عملية استعادة الأرواح من العالم قد اكتملت.

إن هذا المخطط الغنوصي المسيحي يؤكد المبدأ أكثر من تأكيده المعاد، فهو يفرد فقرات طويلة لنشوء العالم الروحي ثم العالم المادي. وهو يحتذي حذو المخططات الغنوصية عموماً.

هذا يبدو وكأنه ردٌّ فالنتينوس على معضلة ديمومة الخلاص: بما أن صوفيا أو «الأم» الإلهية - وهي فَرْدٌ من الملأ الأعلى - قد سقطت في الضلال، كيف يمكن لنا التأكد من أننا لن نقترف الغلط نفسه أو غلطاً مماثلاً بعد أن نبلغ الامتلاء؟ فبإعلانه أن دورَ «المصطفى» (أو المسيحي الغنوصي) ومهمَّتَه هي استنفاد الموت و«إعدام» العالم، يوضح فالنتينوس موقفه الذي مفاده أن تلك النفوس المختارة نفوس مشارِكة في خلاص العالم، إلى جانب المسيح، الذي كان أول مَن حمل الخطيئة والفساد المتأصِّلين في العالم المادي (راجع: إيريناوس، 1.11.1؛ وليتون، ص 240). لذا، بما أن «أجرة الخطيئة هي الموت» (الرسالة إلى الرومانيين 6: 23)، فإن أيَّ كائن قادرٍ على تحطيم الموت لا بدَّ أن يكون معصوماً من الخطيئة. ففي،

نظر فالنتينوس، إذن، إن الفرد المقدَّر له أن يخلص مقدَّر له أيضاً نوعٌ من الخلافة الإلهية تتضمن دوراً فاعلاً في التاريخ، وليس مجرد راحة مع الله، أو حتى حياة غبطة من الخلق المحب، كما ذهب باسليدس. طالب فالنتينوس مستمعيه - على غرار بولس - بالاعتراف بمخلوقيَّتهم؛ إلا أنهم - خلافاً لبولس - اعترفوا بخالقهم بوصفه «الوالد اللاموصوف»، وليس كإله الكتب المقدسة اليهودية. وبعد فالنتينوس، أضحت مهمةُ التأويل المسيحي إثباتَ الاستمرارية بين العهدين القديم والجديد. وفي هذا الصدد، كما وفي الروحانية العامة لتعاليمه - ناهيك بعقيدته البدائية في التثليث - كان لفالنتينوس وَقْعٌ لا يُجارى على تطور المسيحية. (إدوارد مور: **الغنوصية الفلسفة والوحي موقع معابر** http://www.maaber.org/ issue_february05/spiritual_traditions1a.htm)

إن فالنتينوس في ما سبق إنما يقدم قصة الخليقة من منظور مسيحي مشوب بالكثير من الأفكار الشرقية واليهودية بل والإلحادية الفلسفية، فالله كما هو واضح في ما سبق ليس خالق الإنسان، بل خلقه الصانع. لكن الله أراد أن يخلص البشرية من دنسها فأنزل إليها المسيح من السماء بهذه الصورة غير الإلهية - غير المادية، فكأنه كائن وسط بين الكائنات السماوية والكائنات البشرية، وقد فسر ظهوره على هذه الصورة - غير الإلهية غير البشرية - على أساس اعتقاده برداءة المادة (النشار: 1995: 83).

4. مرقيون (85–160 م)
(Marcion)
(Marcion of Sinope)

http://www.visionair.nl/ideeen/filosofie/het-gelijk-van-marcion/

هو مرقيون السينوبي ابن أسقف سينوب في إقليم البنطس (على شاطئ البحر الأسود). أصبح غنياً وتأثر بالأفكار الغنوصية فاغتاظ والده منه وطرده من الكنيسة الأرثوذكسية. هاجر من سينوب في أرجاء آسيا الصغرى ثم وصل إلى روما وفيها أنضج عقيدته المسيحية الغنوصية والتفّ حوله جماعة وكوّن كنيسة غنوصية في أرجاء العالم المسيحي وكان معاصراً لباسليدس، ولكنه جاء بعد فالنتينوس وقد طورّ غنوصيته في الاتجاه الذي بدأه بولس وهو تخليص المسيحية من اليهودية.

وقد رفض التوراة والإله يهوا ولم يقبل إلا بإنجيل لوقا وببعض رسائل القديس بولس وحرّمته الكنيسة عام 144 م وكتب ضده يوستينوس وفنّده ترتليانس بكتابه **ضد مرقيون**، وقد بشر بأفكاره في الإسكندرية أيضاً.

وكان النظام الغنوصي لمرقيون يقضي بأن (يهوا) هو الإله الصانع لهذا العالم الشرير والمادي وأنه ليس أباً للمسيح الوديع، فيهوا إله حرب وصارم وغاضب ومتوعّد كما يصفه العهد القديم، وقد تساءل مرقيون ذات مرة: أي إله خيّر تطاوعه نفسه بأن يقضي على البشر جميعاً بالشقاء لأن أباهم الأول أكل تفاحةً، أو في المعرفة أو أحب امرأة!!!

أما الإله الخيّر فهو أب المسيح الذي أرسل ابنه إلى الأرض في جسم طيفيّ غير حقيقي وكسب ميزة البعث الروحي الخالص... ليخلص روح الإنسان من قالب الشر الذي هو جسم الإنسان.

ولذلك رفض مرقيون شريعة اليهود وناموسهم متبعاً ما فعله بولس، ولكنه تطرف كثيراً عندما دعا إلى نبذ الزواج واللذات الجنسية وقهر الجسد بالزهد والتقشف، وقد كان له كتاب أو إنجيل جديد صاغه من إنجيل لوقا ورسائل بولس. رفض مرقيون أن يكون المسيح هو المشيّا المذكور في العهد القديم ليقطع علاقة المسيحية بالدين اليهودي ولينشأ ديناً مسيحياً جديداً.

وفي حين أن مفكرين مسيحيين آخرين من ذلك العصر قد اشتغلوا على التفسير المجازي للعهد القديم بغية التوفيق بينه وبين تعاليم العهد الجديد، أجاز مرقيون للعهد الجديد - وإنْ في نسخته الشخصية منه - مخاطبتَه كصوت مرجعيٍّ فريد، فصاغ مذهبه وفقاً لذلك. وهذا المذهب لم يشدد على غربة البشر الجذرية عن هذا العالم الذي اتّفق لهم أن يولدوا فيه وحسب، بل كذلك على افتقارهم إلى أي

علاقة نَسَبية مع الإله الذي ضحّى بابنه لافتدائهم - بعبارة أخرى، صوَّر مرقيون البشريةَ كسلالة مُشرَّدة، من دون أيِّ وطن حقيقي أصلاً (راجع: جيوفاني فيلورامو، **تاريخ الغنوصية**، 1992، ص 164). والأمل في البحث عن وطن مفقود، أو أمل العودة إلى وطن طُرِدْنا منه، كان غائباً عن مذهب مرقيون. فمثله كمثل بيكو ديلاميراندولا، أعلن مرقيون أن طبيعة البشرية هي طبيعة وسيط أبداً، واقف وقوفاً غير مستقر بين السماء والأرض (قارن: بيكو ديلاميراندولا، **خطبة في كرامة الإنسان**، 3). غير أن مرقيون، خلافاً لبيكو، دعا إلى عَزْل جذري للبشرية - «قطيعة» - تصحو فيها الإنسانيةُ على ممكناتها التامة، إن لم نقل الفطرية. (إدوارد مور: **الغنوصية الفلسفة والوحي موقع معابر** /http://www.maaber.org issue_february05/spiritual_traditions1a.htm).

وقد استمرت كنيسته وأفكاره إلى القرن الرابع للميلاد، وبعد أن انتصرت المسيحية على الغنوصية أصبح مرقيون في عداد الهراطقة مثل الكثيرين من الذين أرادوا بناء ديانة جديدة بعيدة عن التأثير اليهودي.

ويبدو أن مرقيون قد تميز عن سابقيه بتركيزه على تحليل النصوص الدينية ودراستها وتأويلها بما يوضح ويؤكد هذه الثنائية وذلك التضاد، فعن طريق دراسته للنصوص، أوضح أن إله العهد القديم الذي تجلى لموسى إنما هو الإله العنيف، القاسي، المحب للانتقام والحرب، وأن هذا الإله الموسوي لا يمكن أن يكون هو نفسه الذي تجلى عن طريق المسيح كإله طيب، خير. إن التعارض بين هذين الإلهين هو كتعارض العدل والطيبة. ومرقيون لا يبذل أي جهد في تبقرير هذه الدعوى، فهو قد اكتفى بالقول إن الوحي نزل في عهدين - يقصد العهد القديم والعهد الجديد - وإن المسيح (Christ) المخلص ليس هو بحال من الأحوال المشيح (Messie) اليهودي الذي تنبأ به الأنبياء (النشار 1995: 85).

لقد رفض مرقيون التسليم بأن المسيح بصفته مبعوثاً للإله الأعلى يمكن أن يكون له طبيعة جسمانية مادية، ومن ثم وجدناه يفترض أنه تجلى للبشرية بغتة في هيئة بشرية، وأن جسمه ظاهري ليس إلا.

ولعل هذا كان سبباً في نزعة الزهد المتزمتة التي آمن بها مرقيون والتي جعلته يحرم الزواج ويجعل من التعفف عنه شرط المعمودية. إن هذا في اعتقاده هو

الطريق الذي يمكن للإنسان به أن يفلت بإرادته من العالم الحسي وأن يتحرر من نير الأهواء والعواطف.

إن الرسالة الفكرية التي حملها مرقيون ورفاقه من الغنوصيين المسيحيين الإسكندرانيين تتلخص في أنهم جميعاً تمتعوا بقوة العاطفة الدينية - وإن لم تكن عاطفة مسيحية خالصة - وإنهم اشتركوا في التأكيد على ضرورة التخلص من سلطان الأهواء وتحرير النفس، وقد وجدوا في اعتقادهم بالمسيحية إرضاءً لحاجاتهم الروحية والعقلية وتأكيداً لانقلابهم نحو الغنوصية (النشار 1995 : 85).

5. بطليموس الغنوصي (140 م)
(Ptolemy the Gnostic)

تلميذ فلانتاين كتب كتابين هما **الأسطورة الفالنتينية التي حفظها إيرينياوس والرسالة إلى فلورا التي حفظها القديس أبيفانيوس.**

في الكتاب الأول يفصل ويشرح نظرية فالنتينوس التي تشرح أسطورة (صوفيا) وفي الكتابين نعثر على محاولة توفيق فالنتيوس للتوفيق بين بعض الكتابات اليهودية والكتابات الغنوصية وتأويله المجازي الخاص بالعهد الجديد.

ويقسم بطليموس النفس الحالة في المادة إلى ثلاثة أنواع هي (المادية، النفسية، الروحانية)، الإنسان المادي هو الذي لا يصل إلى الحياة العقلية وهو الهالك الذي لا أمل في خلاصه، والإنسان النفسي هو الذي لديه صورة ناقصة عن الإله الحقيقي، وعليه أن ينذر حياته لله لكي ينجو، وهو الإنسان المسيحي العادي، أما الإنسان الروحاني فهو الغنوصي الذي لا يحتاج إلى الإيمان لأن يحمل المعرفة (الغنوص) في داخله وهو الذي يفوز بالخلاص.

إن فكرة بطليموس عن الخلاص تتمثل في صيرورة الثالوث الذي يدور حول خلاص صوفيا وافتدائها لنفسها بثلاث مراحل وهي (الاعتراف بآلامها، عدوتها، ولادتها الروحية)، ولذلك يرى بطليموس أن الخلاص في شكله النهائي يتضمن نوعاً من الخلق الروحي من قبل الغنوصيين الذين يبلغون الملأ الأعلى، غير أن على البشر النفسانيين، المكونين جزئياً من مادة قابلة للفساد وجزئياً من ماهية روحية، أن يظلوا مكتفين بوجود بسيط مريح من (صانع) الكوسموس، بما أنه لا يمكن لعنصر

ماديّ أن يدخل الملأ الأعلى. (إدوارد مور: **الغنوصية الفلسفة والوحي موقع معابر** http://www.maaber.org/issue_february05/spiritual_traditions1a.htm).

وتتضمن أفكاره نقاشاً حول مفاهيم مثل (الختان والصوم) التي رفعها المخلّص من العالم المادي إلى العالم الروحي. ورأى أن الله الذي أجرى الشريعة وليس الإنسان، فقد كان الديميورج (الإله الصانع) وسطاً بين (الله الأعلى) و(الشيطان) وهو ليس الشيطان بذاته، لقد خلق العالم المادي ناقصاً وليس شريراً فهو لحظة وسط بينهما كما أن بطليموس للنظام الواسع للأيونات التي انبثقت من مصدر (موناد روحي) ثلاثون منها أدّت دوراً في تكوين الملأ الأعلى (بليروما)، وقد أصبحت هذه الأنظمة أساسيةَ لتفسير بداية إنجيل يوحنا.

6. بار ديصان (ابن ديصان) (154–222 م)

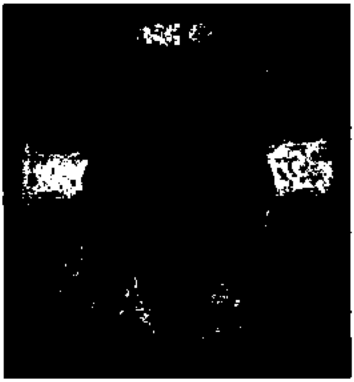

http://www.gurusfeet.com/guru/bardaisan

ولد في الرها عند نهر ديصان من أبوين نبيلين من أربيل في حدياب، وكان بارديصان قد تعلم الفلك والتنجيم في منبج (التي تدين بعبادة الكواكب) وتعلم الشعر وفن الرماية. وفي الرها صار مسيحياً ثم شماساً ثم كاهناً وتولى صديقه أبجر التاسع الملوكية في الرها وكان بارديصان هو الذي هداه إلى المسيحية وتحولت الرها، كلها، نحو المسيحية.

كان بارديصان غنوصياً، وكانت مصادر غنوصيته من المانوية والمندائية، ويرى،

ابن النديم والشهرستاني والمسعودي أن له أتباعاً في خراسان والصين وتركستان تأثروا بفرقة له في البطائح في العراق. ونحن نرجّح أن تكون هناك علاقة وثيقة بين بارديصان والمندائية والمانوية والإيزيدية (التي سميت قديماً بالديسانية).

وقف بارديصان بوجه الغنوصية المسيحية الإغريقية الأصول والتي مثلها فالنتينوس ومرقيون وغيرهم، ونشر غنوصيته السريانية محاولاً الإفادة من علوم الفلك والتنجيم والعلوم البابلية ومن المندائية. وكان له شعرٌ عذبٌ يردده شعب الرها وهو ما أغاض أفرام الذي وجد فيه منافساً وحاربه بكل الوسائل.

كان بارديصان مسيحياً ذا عقلٍ متنور ومنفتح على الأديان والحضارات وقد أعطى للمسيحية الكثير وهي في بداية نشوئها. أما أهم مؤلفاته فهي:

1. **شرائع البلدان**: عن القضاء والقدر
2. **في الفلك**: ذكره جرجس أسقف العرب
3. **مائة وخمسون نشيداً** (على طريقة مزامير داود النبي)
4. **الرد على الهراطقة من غلاة الفلاسفة والبابليين**
5. **تاريخ أرمينيا**
6. **أنشودة الروح (ابن الملك)**

والحقيقة أن **أنشودة الروح** التي تنسب لبارديصان هي من أهم مؤلفات الأدب الغنوصي في وادي الرافدين، ونجدها حرفياً في الأدب المانوي وتنسب إلى (توما) المانوي وتعتبر مصنفاً غنوصياً أبوكريفياً. وقد عرفت هذه الإنشودة بـ (اللؤلؤة) أو (أنشودة الروح) أو (ابن الملك) وهي حكاية رمزية تأويلية أول من وضعها هو بارديصان.

ترد في الكتاب المقدس للمندائيين كنزا ربا إشارة إلى كتاب ديصاي الصغير على لسان دنانوخت الذي هو بمثابة هرمس أو أخنوخ المندائي، ونرى أن المقصود منه هو كتاب بارديصان. وهو ما يشير أيضاً إلى علاقة بين بارديصان والمندائية وعلاقتهما معاً بالهرمسية. ومن أعمال توما (توماس) المانوي إضافة إلى أنشودة الروح هناك أنشودة الزواج التي تُنسب أيضاً لبارديصان وهذا دليل آخر على ترابط هذه المنظومة الغنوصية الواحدة وأثر بارديصان فيها.

ومن تلاميذ بارديصان هرموينوس وهو إبنه الذي كان شاعراً، وقد أسهم مع أخيه في تأسيس الموسيقى الكنسية السريانية. وكان من تلامذته (عويذا) الذي ألف عدداً من الرؤى وكان غنوصياً أيضاً ولم يصلنا من آثاره شيئاً بسبب حملة رجال الكنيسة عليها.

وهكذا يظهر بوضوح أن بارديصان هو مؤسس الأدب السرياني في وادي الرافدين، وقد بناه على أسس غنوصية سريانية جمعت بين علوم وآداب وادي الرافدين القديمة من مندائية وبابلية وآشورية ومانوية وبين المسيحية الجديدة الناشئة في وادي الرافدين، وهو الأمر الذي حاول الكثير من المؤرخين التقليديين النيل منه حين حاولوا جعل بارديصان منحرفاً وهرطوقياً. ويجدر بالذكر أن بارديصان قد كتبَ إنجيلاً خاصاً به مستوحى من الأناجيل السابقة عليه ولكن مار أفرام حين علم بذلك (بعد وفاة بارديصان) فاستدرج أخت بارديصان وطلب منها أن تسلمه هذا الإنجيل، وبعد اطلاعه عليه، قرر إتلافه بأن وضع الغرى بين صفحاته فلم تعد تفتح مطلقاً وأعاده إلى أخته وهكذا ذهب هذا الإنجيل ضحية الضيق الفكري والغيرة المستعرة من قبل مار أفرام على مؤسس الأدب السرياني وواضع أصوله.

ثورة المسيحية الرسمية (القويمة) على الغنوصية وتصفيتها

المسيحية ولدت من رحمين متعاكسين هما اليهودية التي كانت تبشر بظهور (المشيّا) الذي سينقذ بني إسرائيل ومن الغنوصية التي كانت ترى المسيح مبعوثاً إلهياً لينقذ النفس البشرية من أدران العالم المادي.

فمن هذه الجهة كان السيد المسيح يحمل ما يشير إلى يهوديةٍ سابقةٍ، ولكنه كان ثائراً على اليهودية ورافضاً لها في كل تعاليمه التي كانت مميزةً بفعل أصلها الغنوصي الذي حمل وجهة نظر مدهشة ومغايرة لما تعرفه الأديان آنذاك.

أما من الجهة الأخرى فلم يكن المسيح يهودياً أو منبعثاً من فكرة الماشيح اليهودي المنتظر بل كان من الجليل غنوصياً يمثل تنفيذا للفكرة الغنوصية التي تقول بأن ابن الرب نزل إلى هذا العالم في جسد بشري، ويخلص البشرية من الشر الذي لازمها مذ صنع العالم. استطاعت الغنوصية أن تقطع مشيمة المسيحية باليهودية وتؤسس لها تقاليد وأفكاراً جديدة أصبحت، في ما بعد، قاموس المسيحية

الأساسي. وكونت الغنوصية أولى الكنائس المسيحية، لكنّ المنادين بوحدة الشريعة اليهودية المسيحية تصدوا لهذه الكنائس.

وحين ظهر آباء الكنيسة المسيحية الرسمية ومفكروها تصدوا بشراسة وعنف للغنوصية واعتبروا أن الغنوصية هي التي تطفلت على المسيحية وأرادت صبغها بصبغتها ومن أهم هؤلاء (أوريجين 185-253 وأكليمندس الإسكندري حوالي 200 وقسطنطين).

وهكذا بدأت الغنوصية (التي كانت عسيرة على الفهم عند العامة) تخسر الطبقات الشعبية وفقدت قوتها قبيل نهاية القرن الثاني، ونهضت الأرثوذكسية.

لم تكن الأرثوذكسية في بدايتها بالإسكندرية محددة المعالم، بل نحن - في الحقيقة- كلما أمعنا النظر وجدنا أنها كانت تندمج في كل ما حولها: فقد تكيفت مع تعاليم فيلو عن اللوجس، وطابقت ما بين اللوجس والمسيح، وهي تشارك الغنوصية الرغبة في معرفة الله، بينما هي تعلن أن تلك المعرفة ليست في حاجة إلى أن تكون لفئة قليلة (نخبة). لقد كان لديها إنجيلها الخاص، ولكن الكتب المقدسة الأخرى كانت تُقرأ في كنائسها بغض النظر عن أنه معترف بها أو غير معترف بها (مثلاً كتب اليهود والمصريين المقدسة). إنها تأثرت بالفكر اليوناني حيث أصبح الكثيرون من الأفلاطونيين مسيحيين، وكان العكس صحيحاً أيضاً فقط كان أحد تعاليمها الفارقة؛ هو تمجيد المسيح كقيمة عليا، فالمسيح كان تجسيد الكلمة «اللوجس» وبه تُعرف محبة الله وقوته، بل إن قضايا مثل «طبيعة المسيح» لم تكن تشغل علماء اللاهوت الأوائل، حيث كان باعثهم هو أن يشهدوا ويؤكدوا، لا أن يحللوا، وكان لديهم إحساس بالبهجة، يلهم كتاباتهم اللامتناهية. ومن الممكن من خلال كتاباتهم المسهبة، أن نستشف الإيمان الذي يملأ أرواح معاصريهم من الشهداء بالعزم والتصميم... (فورستر 2000: 116).

ولذلك نلاحظ أن الأرثوذكسيين الأوائل مثل أكليمندس الإسكندري كانوا يهادنون التعاليم الهلنستية والغنوصية قبل أن تشتد المقاومة الشرسة للغنوصية.

أكليمندس الإسكندري وهو ربما كان يونانياً من أثينا، كان رئيساً للمدرسة اللاهوتية الكبيرة في الإسكندرية، وكانت قضيته مثل اليهود الذين سبقوه، هو أن يجعل دينه مقبولاً عند هذه المدينة الماكرة ذات الطابع الفلسفي، وكان أسلوبه فى

مكتبة الفكر الجديد

ذلك سابقاً بكثير لهؤلاء المبشرين المتطورين المعاصرين(!)، ولذا لم يشجب الفلسفة اليونانية، معتقداً أنها كانت تمهيداً للإنجيل، مثلما كانت الشريعة اليهودية تمهيداً له أيضاً، بل وكان يعتقد أن ما كان قبل ميلاد المسيح كان في الحقيقة اقتراباً إلهياً للحدث الأسمى. . . (فورستر 2000: 116).

ثم أصبحت المسيحية رسمية في العالم البيزنطي وتصدت بعنف وشراسة للغنوصية والغنوصيين وأحرقت وأكلت كل التراث الغنوصي بحجة كونه هرطوقياً كافراً، لكنها في حقيقة الأمر كانت تخفي أصول المسيحية الغنوصية التي انتصرت عليها.

إن المسيحية التي أصبحت رسمية في بداية القرن الرابع الميلادي، صارت إجبارية في نهايته، مما أعطى للرهبان فرصة للهجوم على عبادة «سيرابيس». فاتخذ الكثير من الناس لهم ملجأ في الفلسفة البطلمية القديمة المقدسة، بل وفي السحر أيضاً وفي المعرفة، وفي الإباحية والتحلل. وقاد البطريرك ثيوفيلس الهجوم وأسقط معبد سيرابيس في كانوبس «أبوقير» في 389 من ثم الهجوم على المعبد الأصلي في الإسكندرية بعد ذلك بسنتين، وكان سقوط هذا الأخير مهيباً لأنه تضمن أيضاً تدمير المكتبة التي كانت تحتفظ بكتبها في الأروقة المحيطة بالمبنى. وهناك تم بناء دير في ذات الموقع، واستمر اضطهاد الوثنيين وبلغ ذروته بمقتل هيباتيا في 415 م الذي بولغ في إنجازاتها كما بولغ في حيويتها، وهي كانت سيدة في منتصف العمر، تقوم بتعليم الرياضيات في الجامعة، وليس لدينا وثيقة بمعتقداتها بالرغم من أنها كانت فيلسوفة أيضاً. وفي هذا الوقت صار الرهبان هم الأعلى سلطة حتى إن أحدهم قام بقتل الوالي الإمبراطوري، وأعلن البطريرك سيريل قداسة هذا الراهب بعد وفاته تكريماً له على عمله. وامتلأت الشوارع بجيش سيريل الأسود المتوحش «آدميون في وجوههم فقط» كانوا شغوفين بالقيام بأي عمل يبرهن على ولائهم تتويجاً لما قاموا به، وفي هذا لمزاج صادفوا هيباتيا التي كانت تقود مركبتها عائدة من محاضرتها - ربما على امتداد شارع النبي دانيال الحالي- فسحبوها من مركبتها حتى السيزيريوم، وهناك مزقوها إرباً بالأحجار، لم تكن شخصية عظيمة، ولكن بها ومعها لفظت اليونان روحها، تلك الروح التي حاولت اكتشاف الحقيقة وإبداع الجمال وخلقت الإسكندرية (فورستر 2000: 96).

مكتبة الفكر الجديد

بدأت الغنوصية بالحدس ما قبل الفلسفي الأساسي نفسه الذي قاد تطور الفلسفة اليونانية: أنَّ هناك ازدواجاً بين عالم الوجود الحقيقي القيوم، وعالم الصيرورة المتغيِّرة أبداً. غير أن الغنوصيين، على العكس من الإغريق الذين كدحوا لإيجاد الرابط بين هذين «العالمين» والوحدة الشاملة لهما، ضخَّموا الاختلافات وبَسَطوا مذهباً ميثولوجياً عن أصل الجنس البشري في عالم الوجود، وعن السقوط الناتج في عالم الظلمة أو المادة، أي «الصيرورة». وقد قُيِّضَ لهذه الأسطورة الغنوصية العامة أن تؤثر على المسيحية الناشئة، كما وعلى الفلسفة الأفلاطونية، حتى إنها، في الشرق، تطوَّرتْ إلى ديانة عالمية (المانوية) انتشرتْ في معمورة آنذاك، واستمرت حتى العصور الوسطى المتأخرة [من خلال الكاثاريين]. وفي القرن العشرين، عاد الاهتمام مجدداً بالأفكار الغنوصية، وخاصة في العمل الريادي لهانس جوناس، الفيلسوف الوجودي وتلميذ مارتن هيدغر. كما أن عالم النفس كارل يونغ قد استلهم الثيمات الغنوصية في أبحاثه النظرية، ناهيك أن التشديد المتزايد على التأويل في فكر أواخر القرن العشرين يدين بعض الشيء إلى تحليلات الأسطورة الغنوصية وتفاسيرها التي أنجزها هارولد بلوم وبول ريكور وآخرون. (إدوارد مور: **الغنوصية الفلسفة والوحي موقع معابر** http://www.maaber.org/issue_february05/ (spiritual_traditions1a.htm

ونرى، اليوم، أن الغنوصية مازالت حيّة في زوايا كثيرة من هذا العالم لا باعتبارها منافسة للمسيحية (القويمة) حول أصل المسيحية وأصل التوحيد بل لتواصل دورها في الإشارة إلى علوّ النفس ومكانها الرفيع وإلى كونها ملهمة روحية تشير إلى عظمة القوة الروحية في الإنسان قبل أن تكون ديناً منظماً أو بديلاً للأديان، إذ إن من الواضح أنها تخلت عن هذا الدور.

الغنوصية ومعها المسارية والهرمسية، رغم سرقة دورها الريادي في التوحيد، وجدت لها مكاناً في الأديان الموحدة الظاهرية الثلاثة وهي (اليهودية والمسيحية والإسلام)، وأسهمت في نقل العالم الغربي من التاريخ الوسيط إلى التاريخ الحديث، ولكن كيف؟

كل هذا سنطرحه بالتفصيل في كتابنا القادم: **المسارية والهرمسية والغنوصية في اليهودية والمسيحية والإسلام**.

الفهارس

1. فهرس المراجع
2. فهرس مراجع لوحات الفصول
3. فهرس كتب المؤلف

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر الجديد

1. فهرس المراجع

المراجع العربية

1. إبراهيم، عبد العال عبد الرحمن عبد العال: **الإنسان لدى فلاسفة اليونان في العصر الهيللبني**، رسالة دكتوراه، جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم الفلسفة (1999).

2. إلياد، مرسيا: **تاريخ الافكار والمعتقدات الدينية**، ج2، ط2، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (2006).

3. الأهواني، محمد سعيد: **أفلاطون**، سلسلة نوابغ الفكر الغربي 5، دار المعارف، القاهرة (1991).

4. إيمار، أندريه وأبلواويه جانين: **الشرق واليونان القديمة**، بإشراف موريس كروزويه، المجلد الأول، ط2، ترجمة فريد م. داعر وفؤاد ج. أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت - باريس (1981).

5. بدج، السير والس: **الساكنون على النيل**: ترجمة نوري محمد حسين، مطبعة الديواني، بغداد (1989).

6. برستد، جيمس هنري: **انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم)**، ترجمة الدكتور أحمد فخري، الجامعة العربية، الإدارة الثقافية، مكتبة الأنجلو الأمريكية، القاهرة (د.ت).

7. برنال، مارتن: **أثينة السوداء (الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية)**، الجزء الأول: تلفيق بلاد الإغريق (1785-1985) تحرير ومراجعة وتقديم د. أحمد عثمان ترجمة مجموعة من المترجمين المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، القاهرة (1997).

8. برهييه، أميل: **تاريخ الفلسفة اليونانية ج1**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (1982).

9. برهييه، أميل: **تاريخ الفلسفة ج2 الفلسفة الهلنستية والرومانية**، ط2، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (1988).

10. بنوا، لوك: **المذهب الباطني في ديانات العالم**، ترجمة نهاد خياطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت (1998).

11. بلدي، نجيب: **تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها**، دار المعارف بمصر، القاهرة (1962).

12. تارن، و، و: **الحضارة الهللنستية**، ترجمة توفيق عبد العزيز جاويد، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم، سلسلة الألف كتاب، القاهرة (1966).

13. الجابري، محمد عابد: **بنية العقل العربي**، ط 10، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (2010).

14. جينزبرغ، لويس: **أساطير اليهود**، ترجمة حمدي حسن السماحي، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت (2007).

15. الخضري، حنا جرجيس: **يسوع عبر العصور**، ج1، دار الثقافة، القاهرة (1981).

16. دريدا، جاك: **صيدلية أفلاطون**، ترجمة كاظم جهاد، دار الجنوب للنشر، تونس (2001).

17. رنيسما، ستيفن: **الحضارة البيزنطية**، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1977).

18. أبو ريّان، محمد علي وحربي عباس عطيتو: **دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (1999).

19. ريختر جيزيلا: **مقدمة في الفن الإغريقي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1982).

20. سباهي، عبد العزيز: **أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية**، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق (1996).

21. سبانو، أحمد غسان: **هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة**، دار قتيبة، دمشق (1982).

22. السواح، فراس: **الوجه الآخر للمسيح**، منشورات دار علاء الدين، دمشق (2002).

23. الشيخ، حسين: **العصر الهلنستي**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (1993).

24. الطويل، توفيق: **فلسفة الاخلاق .. نشأتها وتطورها**، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة (1985).

25. العبادي، مصطفى: **العصر الهلنستي**، مصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (1981).

26. عبد الغني، محمد السيد محمد: **بعض ملامح الفكر اليوناني القديم**، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية (1999).

27. علام، نعمت إسماعيل: **فنون الشرق الأوسط في الفترات الهلنستية المسيحية الساسانية**، ط2، دار المعارف بمصر، القاهرة (1980).

28. الغانمي، سعيد: **حراثة المفاهيم (الثقافة الزراعية والشيئية والفلسفة في كتاب الفلاحة النبطية)**، منشورات الجمل، بغداد - بيروت (2010).

29. فرح، أبو اليسر: **الشرق الأدنى في بالعصرين الهللنستي والروماني**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة (2002).

30. فريك، تيموثي وبيتر غاندي: **متون هرمس-حكمة الفراعنة المفقودة**، ترجمة عمر الفاروق، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة (2002).

31. فورستر، أ، م: **الإسكندرية تاريخ ودليل**، ترجمة حسين بيومين المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (2000).

32. كرم، يوسف: **تاريخ الفلسفة اليونانية**، طبعة جديدة، دار القلم، بيروت (د.ت).

33. الماجدي، خزعل: **موسوعة الفلك عبر التاريخ**، ط2، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان (2003).

34. مارلوا، جون: **العصر الذهبي للإسكندرية**، ترجمة نسيم مجلي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (2002).

35. ماك، بيرتون ل. : **الإنجيل المفقود (كتاب - ك- والأصول المسيحية)**، ترجمه محمد الجورا، دار الكلمة للنشر والتوزيع ودار الجندي للنشر والتوزيع، دمشق (2007).

مكتبة الفكر الجديد

36. مكاوي، فوزي: **الشرق الأدنى في العصر الهلنستي والروماني**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة (1999).

37. مرحبا، محمد عبد الرحمن: **من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية**، ط3، منشورات عويدات ومنشورات البحر المتوسط، بيروت - باريس (1983).

38. المسيري، عبد الوهاب: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج1، الباب 3، (الأصول اليهودية للغنوصية)، دار الشروق، القاهرة (1999).

39. الناصري، سيد أحمد علي: **تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهلينستي**، دار النهضة العربية، القاهرة (1992).

40. النشار، مصطفى: **مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية**، دار المعارف، القاهرة (1995).

41. نصحي، إبراهيم: **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، ج1، ط4، مطبعة جامعة القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (1967).

42. نغرين، جيو وايد، **ماني والمانوية**، ترجمة د. سهيل زكار، دار حسّان للطباعة والنشر، دمشق (د.ت).

43. يحيى، لطفي عبد الوهاب: **دراسات في العصر الهلنستي**، دار النهضة العربية، بيروت (1978).

المراجع الأجنبية

1. Berthelot (M.P.E), *Collection des anciens alchimistes grecs*, Paris, 1893.
2. *Biblotheca Graeca*, vol. 1 lib. Cap VII, Leipzig, 1791.
3. Hutin (Serge), *Les Gnostiques*, collection « Que sais-je », PUF, Paris, 1959.
4. Irenaeus of Lyons, *Against Heresies*, chapter XXXL, Ex Fontibus Co, 2010.
5. Steinschneider, *Die Arabischen Ubersetzungen aus dem Griechischen*, Zweiter Abschnitt, Mathematik, Leipzig, 1897.
6. Tacitus, *Histories*, tr. Clifford H. Moore, Ann. XV, 44, L.C.L., 1968.

المراجع الإلكترونية

1. الإنجيل، ويكيبيديا http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_gospels

مكتبة الفكر الجديد

2. نافع البرواري، نافع: **البدع والهرطقات في القرون الأولى للمسيحية**: ج5، موقع منتديات عنكاوا www. ankawa.com

3. البحيرى. أشرف السيد الشربيني معوض: سرابيس.. **إله «سينوب» الغامض في مصر**، موقع الموسوعة http://histoc-ar.blogspot.com/2010/02/blog-post.htm

4. سمير عنحوري، **بلاد الشام ولاية رومانية**، موقع معابر /http://www.maaber.org issue_july08/lookout2_a.htm ترجمة : محمد علي عبد الجليل

5. فيلدس و جوان فليتشر: **الإسكندر في مصر**، موقع الإسكندرية //:http www.alex4all.com/aboutAlex/articl.php?id = 114

6. عبير زياد: **هل يصلح يوسيفوس كمصدر تاريخي وأثري؟** التاريخ: 2010-04-28 21:30:21 وكالة النهار الاخبارية
http://www.alnaharnews.net/ar/news.php?maa = View&id = 20301

7. مخطوطات البحر الميت: ويكيبيديا www.wikipedia.org

8. مور، إدروارد: **الغنوصية الفلسفة والوحي**. موقع معابر /http://www.maaber.org issue_february05/spiritual_traditions1a.htm